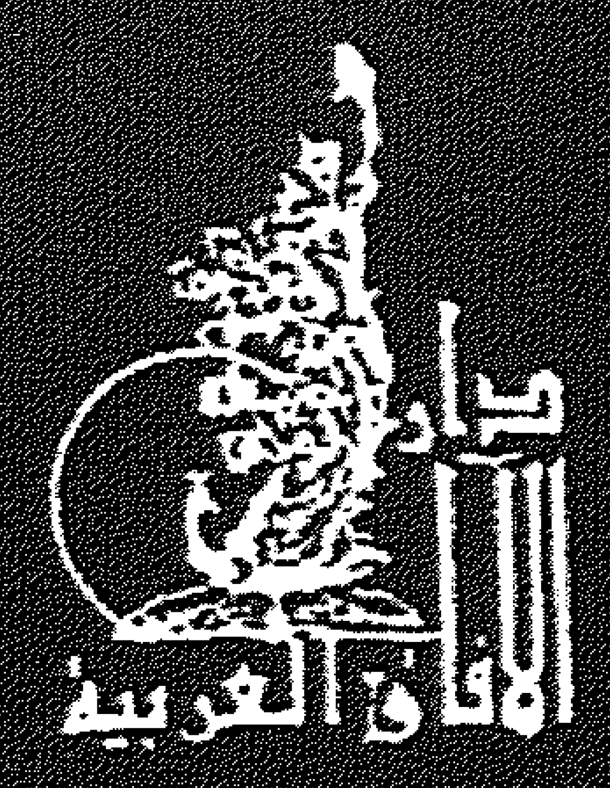
الأمويون وآثارهم المعمارية

في

الشام والعراق والحجاز واليمن ومصر وأفريقية



الدكتور عبد الله كامل موسى عبده



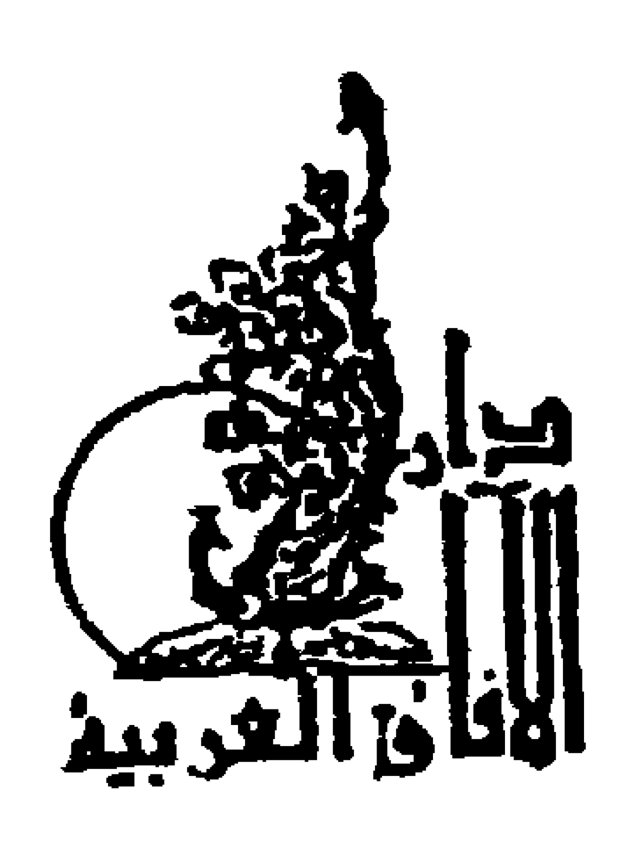

الأمويون وآثارهم المعمارية
في
الشام والعراق والحجاز واليمن ومصر وأفريقية

الأمويون وآثارهم المعمارية

في

الشام والعراق والحجاز واليمن ومصر وأفريقية

الدكتور عبد الله كامل موسى عبده



جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

دار الآفاق العربية

٥٥ شارع محمود طلعت من شارع الطيران - مدينة نصر

القاهرة - ت: ٢٦١٠١٦٤

رقم الايداع	٢٠٦٢٣ / ٢٠٠٢
I.S.B.N الترقيم الدولي	977 - 344 - 051 - 6

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَىٰ (٤١) وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴾

سورة النجم الآيات (٣٩-٤٠)

إهـــــداء

إلى روح والدى الطاهرة طيب الله ثراه
إلى أمى الحبيبة أطال الله عمرها

د.عبد الله كامل موسى عبده

المحتويات

الفصل الثانى

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وسيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد

توفر على دراسة العمارة الإسلامية عبر عصورها المختلفة عدد كبير من العلماء والباحثين، وقدموا لنا فى هذا المجال أعمالاً لها قيمتها وأصالتها العلمية، ورغم تعدد هذه الدراسات وتنوعها ما بين مؤلفات وبحوث إلا أنه لاتزال هناك حاجة إلى المزيد من المؤلفات العربية فى مجال العمارة الإسلامية مما دفعنى إلى تخصيص هذا الكتاب للعمارة الإسلامية الأموية فى بلاد الشام والعراق والجزيرة العربية ومصر وإفريقية وبعض الأقطار الإسلامية الأخرى، وهذا التناول كان ومايزال مثار اهتمامى بعد أن أصدرت الكتابين السابقين على نفس النمط، حيث جاء الكتاب الأول بعنوان «الفاطميون وآثارهم المعمارية فى إفريقية ومصر واليمن»، وجاء الكتاب الثانى بعنوان «العباسيون وآثارهم المعمارية فى العراق ومصر وإفريقيا» ويهدف موضوع هذا الكتاب إلى دراسة الآثار الإسلامية الدينية والمدنية والحربية (الدفاعية) فى بلاد الشام والأقطار التى خضعت للحكم الأموى، خاصة العراق والجزيرة العربية ومصر وشمال إفريقية، وذلك منذ آلت الخلافة الإسلامية إلى الأمويين فى عام ٤١هـ/ ٦٦١م، حيث نقل الأمويون مقر الخلافة الإسلامية من المدينة المنورة والكوفة إلى دمشق وبلاد الشام، ومن ثم اتخذ الفن الإسلامى إتجاهًا غلبت عليه الأساليب الفنية الرومانية، وبلغ هذا الطراز أوج إزدهاره فى عهدى عبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك، وذلك فى أواخر القرن الأول الهجرى ـ السابع الميلادى وأوائل القرن الثامن

الميلادى، وقد انطلق هذا الطراز الأموى من الشام إلى كافة الأقطار الإسلامية التابعة للخلافة الأموية.

هذا وقد اتبعت إلى حد كبير تقسيمًا جغرافيًا فى عرض آثار العصر الأموى الدينية والمدنية والحربية (الدفاعية) فبدأت بالشام والعراق خلال الفترة الممتدة من ٤١ - ١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٥٠م، حيث سقطت الخلافة الأموية فى عام ١٣٢هـ/ ٧٥٠م، ثم مصر وإفريقية خلال الفترة الممتدة من ٣٨ - ١٣٢هـ/ ٦٥٨- ٧٥٠م، حيث تبعت مصر الدولة الأموية منذ عام ٣٨هـ - ٦٥٨م كما اتبعت منهجًا يتمثل فى ذكر خلفاء الدولة الأموية حسب الترتيب التاريخى لكى يستقيم الموضوع من الناحية التاريخية والحضارية بذكر أهم الأحداث التى مرت بها الخلافة الأموية ثم من الناحية الأثرية بذكر آثار واضافات وتجديدات الأمويين حسب الترتيب التاريخى هذا فيما يتعلق ببلاد الشام أما فيما يتعلق بمصر وإفريقية فقد اتبعت نفس المنهج بالنسبة لولاة مصر وإفريقية من الناحيتين التاريخية والأثرية، وكان طبيعيًا أن يتركز الاهتمام أولاً على دراسة الجانب التاريخى والحضارى فتطرق موضوع الكتاب الذى جاء من أربعة فصول فى الفصل الأول إلى الآثار والإضافات والتجديدات المعمارية الأموية فى الشام وبعض أقطار العالم الإسلامى، وقد تطرق هذا الفصل إلى دراسة تمهيدية تناولت نسب معاوية بن أبى سفيان، وبداية ظهوره على مسرح الأحداث فى ولاية يزيد بن أبى سفيان دمشق، ثم وفاة يزيد وولاية معاوية بن أبى سفيان ماكان لأخيه، وذلك فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وفى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه ولى معاوية بلاد الشام كلها، ثم جمع له الجزيرة في عام ٢٥هـ/ ٦٤٥م، وخلال تلك الفترة تناولت الدراسة التحصينات الساحلية التى أقامها العرب لتأمين الساحل الشامى، وذلك من خلال ترميم وتدعيم الحصون الرومانية أو البيزنطية من جهة، واستحداث حصون جديدة من جهة أخرى، وتتمثل هذه الحصون فى أنطاكية، واللاذقية، وطرابلس، وبلدة، وانطرطوس، ومرقية، وبلنياس، وصيدا، وعرقة، وجبيل، وبيروت، وعكا، وصور، وجبلة، وعسقلان،

وسفيان، وترجع هذه الحصون القديمة والإسلامية إلى عهدى الخليفة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما.

هذا وقد تطرق الفصل إلى قيام الدولة الأموية فى سنة ٤١هـ/ ٦٦١م، ثم ذكر مدينة دمشق عاصمة وحاضرة العالم الإسلامى فى العصر الأموى من خلال دراسة شملت الموقع، والمناخ، ومصادر المياه، والقبائل العربية التى استقرت فى الشام فى مطلع العصر الأموى، كما تناولت الدراسة عمائر دمشق فى أثناء خلافة معاوية بن أبى سفيان مثل المسجد الجامع (الجامع الأموى)، وقصر الخضراء، ثم وصف دمشق من خلال نص اليعقوبى. وقد تناولت الدراسة أيضًا الاستحكامات الحربية ودار الصناعة، أما فيما يتعلق بالعمارة الدينية فقد تضمن هذا الفصل مناقشة حول مقاصير الصلاة.

وفى خلافة يزيد بن معاوية تناول الفصل أهم الأحداث المعمارية مثل احتراق الكعبة المشرفة فى أثناء الحصار الأول، وعمارتها من قبل عبد الله بن الزبير، كما تطرقت الدراسة إلى خلافة معاوية بن يزيد (معاوية الثانى)، ومروان بن الحكم، وعبد الملك بن مروان، وفى عهد هذا الخليفة الأخير تناولت مسجد دمشق الجامع، وثغور الشام وما بها من عمائر دينية مثل طرندة والمصيصة، وعسقلان، وقيسارية، وصور، وعكا، كما تناولت المسجد الأقصى، وقبة الصخرة ٧٢هـ/ ٦٩١ - ٦٩٢م، وفى خلافة الوليد بن عبد الملك تناولت الجامع الأموى بدمشق ٨٧هـ/ ٧٠٦م، وقصور الوليد، وعمارة المسجد النبوى بالمدينة، وعمارة المسجد الأقصى، وعمارة جامع صنعاء الكبير، وعمارة دار الضيافة بالشام، وعمارة البيمارستان، وعمارة المسجد الحرام مع ذكر مآثر أخرى للوليد بن عبد الملك ومنها الاستحكامات الحربية مثل عمارة حصن سلوقية، وبغراس، وعين السلور وبحيرتها، والإسكندرونة، وملطية، ومرعش ومسجدها الجامع، وخوارزم وسمرقند ومسجدها الجامع ثم أفردت دراسة لقصير عمرة حوالى ٩٥هـ/ ٧١٥م.

وفى خلافة سليمان بن عبد الملك تناولت مدينة الرملة ومنشآتها (القصر والمسجد الجامع)، وجامع حلب، ثم مدينة جرجان، ثم تناولت خلافة عمر بن عبد العزيز، ويزيد بن عبد الملك وذكر مسجد البصرى ١٠٢هـ/ ٧٢٠م، وهشام بن عبد الملك وذكر مدينة الرصافة وقصورها، ثم قصور هشام خارج الرصافة والاستحكامات الحربية مثل حصن مورة، وحصن بغراس، وحصن قطرغاش، وحصن بوقا (بوقة) مع دراسة أفردتها لحمام الصرخ حوالى ١١٥هـ/ ٧٢٨م.

وفى خلافة الوليد بن يزيد تناولت قصور الوليد مع دراسة تفصيلية لقصور خربة المفجر والمشتى والطوبة حوالى ١٢٥هـ/ ٧٤٤م، كما تناولت خلافة يزيد بن الوليد، وإبراهيم بن الوليد، ومروان بن محمد مع ذكر مدينة حران التى غدت عاصمة وحاضرة للخلافة الأموية، ثم الاستحكامات الحربية مثل مرعش، وحصن منصور، وانتهت الدراسة فى هذا الفصل بذكر ثلاثة مساجد صغيرة ترجع إلى نهاية العصر الأموى هى قصير الحلابات، وخان الزبيب، وأم الوليد.

وتناول الفصل الثانى الذى جاء بعنوان الآثار والإضافات والتجديدات المعمارية الأموية فى العراق مدينة البصرة ومسجدها الجامع، ومدينة الكوفة ومسجدها الجامع فى العصر الأموى، ثم مدينة واسط وعمائرها الدينية والمدنية (القصر والمسجد الجامع) مع ذكر أعمال معمارية أخرى للحجاج بن يوسف، ثم المسجد الجامع العلوى فى اسكاف بنى جنيد ١١٠هـ/ ٧٢٨م المسجد الجامع فى حران ١٢٦ - ١٣٢هـ/ ٧٤٤-٧٥٠م، ثم قصر الشعيبة بالقرب من البصرة.

وتناول الفصل الثالث الذى جاء بعنوان الآثار والإضافات والتجديدات المعمارية الأموية فى مصر تبعية مصر للخلافة الأموية منذ عام ٣٨هـ/ ٦٥٨م وولاية عمرو بن العاص الثانية عليها، وتناولت خلال هذه الأحداث مدينة الفسطاط ثم مقبرة المقطم، كما تناولت تشييد دار الإمارة بالإسكندرية فى ولاية عتبة بن أبى سفيان، ثم إعادة تشييد جامع عمرو بن العاص فى ولاية مسلمة بن مخلد الأنصارى فى عام ٥٣هـ/ ٦٧٢م، وهنا قمت بدراسة لجامع عمرو بن

العاص منذ تأسيسه حتى نهاية العصر الأموى من الناحيتين التاريخية والأثرية من خلال النصوص التاريخية مع ذكر بعض الجوانب الأخرى كالزخارف والأذان والمؤذن والمآذن.

هذا وقد تناولت أول خندق حول الفسطاط فى عام ٦٥هـ/ ٦٨٢م فى ولاية عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم، ثم دار الفلفل وسبب التسمية، والدار البيضاء ٦٥هـ/ ٦٨٢م عند قدوم مروان بن محمد مصر، أما فى ولاية عبد العزيز بن مروان فقد تناولت الطرح الأول للنيل ٦٩هـ/ ٦٨٨م وأثره فى الامتداد العمرانى، ثم الدار المذهبة، ومدينة حلوان ومقياس النيل بها، ثم ذكر عدة منشآت أخرى بصفة عامة كالقناطر والقيساريات والدور وغير ذلك، حيث أفردت لهذه العمائر دراسة أخرى فى نهاية هذا الفصل.

وفى ولاية عبد الله بن عبد الملك تطرقت إلى تعريب الدواوين، ومسجد عبد الله، وفى ولاية قرة بن شريك إلى اصطبل قرة، وتدوين الديوان، وإلى قيسارية هشام فى ولاية الحر بن يوسف، ثم تناولت حريق الدار المذهبة عند قدوم مروان بن محمد إلى مصر وسقوط الدولة الأموية، وقد تناولت فى نهاية هذا الفصل الدور والقصور الأموية فى الفسطاط وغيرها، ثم القيساريات والحمامات، ومسجد العيثم، وقنطرة عبد العزيز بن مروان ٦٩هـ/ ٦٨٨م، وجزيرة الروضة ودور الصناعة والمقياس، ثم الإهراءات (مخازن الغلال)، والبيمارستان.

وفى الفصل الرابع والأخير الذى جاء بعنوان الآثار والإضافات والتجديدات المعمارية الأموية فى شمال أفريقية تناولت بلاد المغرب وفتح برقة وطرابلس كدراسة تمهيدية، ثم قيروان معاوية بن حديج، ثم تأسيس مدينة القيروان ومسجدها الجامع والمراحل التاريخية التى مرت بها القيروان، ثم المراحل التاريخية والإضافات والتجديدات التى مر بها جامع القيروان خلال العصر

الأموى، كما تناولت قصور حسان، وعمارة تونس ودار الصناعة بها، ثم دراسة لجامع الزيتونة ١١٧هـ/ ٧٣٥م.

وقد لخصت فى الخاتمة نتائج الدراسة ثم أتبعت ذلك بثبت للأشكال واللوحات. ثم ثبت المصادر والمراجع العربية وغير العربية، ثم ثبت بالخلفاء الأمويين، والولاة بمصر فى العصر الأموى، ويتضمن الكتاب كتالوج الأشكال واللوحات، ثم يتضمن ثبت البحوث والكتب للمؤلف.

أسأل الله عز وجل أن يوفقنى لمتابعة البحث فى مجال الآثار والفنون الإسلامية، وأرجو أن يكون كتابى هذا حافزاً للدارسين للإهتمام فى دراساتهم ومؤلفاتهم وبحوثهم بالدراسات المقارنة فى مجال العمارة والفنون الإسلامية، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

د. عبد الله كامل موسى عبده

القاهرة ٢٢ أغسطس ٢٠٠٢م

الفصل الأول

الآثار والإضافات والتجديدات المعمارية الأموية في الشام وبعض أقطار العالم الإسلامي

قيام الدولة الأموية ٤١هـ/٦٦١م

نسب معاوية وولايته على الشام

ينتسب معاوية بن أبى سفيان[1] بن حرب مؤسس الدولة الأموية (٤١ - ١٣٢هـ/ ٦٦١ - ٧٥٠م) إلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب، وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى، وكنيته: أبو عبد الرحمن[2].

ولد معاوية بمكة قبل البعثة بخمس سنوات، وأسلم يوم فتح[3] مكة، واتخذه الرسول ﷺ كاتبًا للوحى، وقد روى الحديث عن أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهم، وعن أخته أم المؤمنين حبيبة بنت أبى سفيان رضى الله عنها، وروى عنه من الصحابة عبد الله بن عباس، ومعاوية بن حديج، وعبد الله بن الزبير، ومروان بن الحكم، وسعيد بن المسيب[4].

هذا وقد أبلى بنو أمية فى حرب الردة بلاءا حسنًا، وسار بعضهم إلى الشام فاشتهر أمرهم وعظم ذكرهم، ومنهم يزيد بن أبى سفيان الذى ولاه الخليفة أبو بكر الصديق رضى الله عنه (١١-١٣هـ/ ٦٣٢- ٦٣٤م) قيادة أحد الجيوش الأربعة التى أنفذها لفتح الشام، قال الطبرى «وكان بالشام أبو عبيدة وشرحبيل بن حسنة، ويزيد بن أبى سفيان، وعمرو بن العاص، كل رجل منهم على جند وعليهم خالد بن الوليد»[5].

وذكر البلاذرى فى فتوح البلدان ما نصه «وروى عن الواقدى أن أبا بكر ولى . . يزيد دمشق»[6].

وفى موضع آخر أورد البلاذرى عند ذكره أمر حمص[٧] «وحدثنى أبو حفص الدمشقى عن سعيد بن عبد العزيز، قال: لما افتتح أبو عبيدة بن الجراح دمشق استخلف يزيد بن أبى سفيان على دمشق، وعمرو بن العاص على فلسطين، وشرحبيل على الأردن»[٨].

وكان الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه (١٣-٢٣هـ/ ٦٣٤-٦٤٤م) قد كتب إلى أبى عبيدة بن الجراح بالولاية على الشام. قال البلاذرى «وكان عمر قد كتب إليه بولايته الشام وأمره الأمراء مع عامر بن أبى وقاص. . وقوم يقولون، إن ولاية أبى عبيدة الشام أتته والناس محاصرون دمشق»[٩].

ويرد ذكر معاوية بن أبى سفيان مقترنًا بأخيه عند ذكر أمر الأردن قال البلاذرى «وقال أبو بشر المؤذن أن أبا عبيدة وجه عمرو بن العاص إلى سواحل الأردن فكثر به الروم وجاءهم المدد من ناحية هرقل وهو بالقسطنطينية فكتب إلى أبى عبيدة يستمده فوجه أبو عبيدة يزيد بن أبى سفيان فسار يزيد وعلى مقدمته أخوه ففتح يزيد وعمرو سواحل الأردن فكتب أبو عبيدة. . وكان لمعاوية فى ذلك بلاء حسن وأثر جميل»[١٠].

وقد أمدنا البلاذرى فى رواية أخرى بتفصيل لهذه السواحل، حيث قال «إن يزيد أتى بعد فتح مدينة دمشق[١١] صيدا وعرقة[١٢] وجبيل[١٣] وبيروت[١٤] وهى سواحل وعلى مقدمته أخوه معاوية ففتحها فتحًا يسير وجلا كثيراً من أهلها وتولى فتح عرقة معاوية نفسه فى ولاية يزيد»[١٥].

وفاة يزيد بن أبى سفيان

توفى يزيد بن أبى سفيان فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فولى الخليفة عمر رضى الله عنه أخاه معاوية بن أبى سفيان ما كان لأخيه، قال الطبرى عند ذكره عمال عمر رضى الله عنه على الأمصار «وكان عامل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ فى السنة التى قتل فيها، وهى سنة ثلاث وعشرين. . على دمشق معاوية بن أبى سفيان»[١٦].

وقد أورد البلاذرى رواية أكثر تفصيلاً، حيث قال: «وقال غير الواقدى: ولى عمر يزيد بن أبى سفيان فلسطين مع ما ولاه من أجناد الشام وكتب إليه يأمره بغزو قيسارية.. فنهض إليها.. فقاتله أهلها ثم حصرهم ومرض فى آخر سنة ثمانى عشرة فمضى إلى دمشق واستخلف على قيسارية أخاه معاوية.. ففتحها وكتب إليه بفتحها فكتب به يزيد إلى عمر. ولما توفى يزيد بن أبى سفيان كتب عمر إلى معاوية بتوليته ما كان يتولاه فشكر أبو سفيان ذلك له وقال: وصلتك يا أمير المؤمنين رحم»(١٧).

وفى رواية أخرى أورد البلاذرى «وحدثنى هشام بن عمار، قال: حدثنى الوليد بن مسلم عن تميم بن عطية قال: ولى عمر معاوية بن أبى سفيان الشام بعد يزيد، وولى معه رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ الصلاة والقضاء: فولى أبا الدرداء قضاء دمشق والأردن وصلاتهما. وولى عبادة قضاء حمص وقنسرين وصلاتهما»(١٨).

وفى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه (٢٣-٣٥هـ/ ٦٤٤ -٦٥٦م) ولى معاوية بن أبى سفيان الشام كلها، قال البلاذرى «فلما استخلف عثمان وولى معاوية الشام وجه معاوية سفيان بن مجيب الأزدى إلى طرابلس»،(١٩) ثم جمع له الجزيرة فى عام ٢٥هـ/ ٦٤٥م، قال البلاذرى عند ذكره فتوح الجزيرة» ثم لما ولى معاوية الشام والجزيرة لعثمان بن عفان رضى الله عنه أمره أن ينزل العرب بمواضع نائية عن المدن والقرى»(٢٠)، وفى موضع آخر أورد عند ذكره غزو الثغور الجزرية «لما استخلف عثمان بن عفان رضى الله عنه كتب إلى معاوية بولايته الشام وولى عمير بن سعد الأنصارى الجزيرة ثم عزله وجمع لمعاوية الشام والجزيرة وثغورهما وأمره أن يغزو شمشاط(٢١) وهى أرمينية الرابعة»(٢٢).

التحصينات الساحلية فى أثناء ولاية معاوية الشام

تطلبت مسيرة الفتح الإسلامى فى بلاد الشام ومصر والمغرب تأمين الخط الساحلى الممتد على طول البحر المتوسط من خلال ترميم وتدعيم الحصون

الرومانية أو البيزنطية من جهة، واستحداث حصون جديدة من جهة أخرى لتكون بمثابة قواعد دفاعية ساحلية فى مواجهة الغارات البيزنطية التى كانت تهدد مسيرة الفتوحات الإسلامية واستقرارها آنذاك.

وتعد المناظر (المراقب - الطلائع) من أقدم التحصينات الحربية التى أقامها العرب على الساحل الشامى، وكانت تمثل عنصراً أساسيًا من عناصر الدفاع عن هذا الساحل، وكانت هذه المناظر تعمل طوال الفصل الدافئ من السنة، وهو الفصل الذى يمتد من إبريل إلى أكتوبر استناداً إلى الأساس المناخى من جهة، ومواعيد الملاحة الممكنة من جهة أخرى، وذلك بإيقاد النار فى أعلاها، وهو الإيقاد الذى يمتد بسرعة الضوء ومسافة الاشتعال، فلا تمضى ساعة على الأكثر كما يذكر د. محمد عبد الهادى شعيرة حتى تكون جميع المدن الساحلية المحصنة قد علمت بوجود الخطر، وعندئذ يتجمع أهل كل عرافة إلى عريفهم، ويحتشد المرابطون ويسيرون نحو مصدر الضوء حتى يصلوا إلى المنطقة المراد الدفاع عنها[٢٣].

هذا وقد كان تحصين مدن الساحل ضرورة إستراتيجية اقتضتها الظروف السياسية فى ذلك الوقت، فقد رأى المسلمون الإحتفاظ بالحصون الرومانية أو البيزنطية التى وصلت إليهم فى حالة جيدة مثل تحصينات أنطاكية[٢٤] واللاذقية[٢٥] وطرابلس[٢٦]، وكانت أنطاكية أهم هذه الحصون فى العصرين البيزنطى والإسلامى، حيث اتخذها المسلمون قاعدة للدفاع عن الحدود الشامية الشمالية، كما رأوا إعادة بناء وتدعيم الحصون المتهدمة فى ثمانى مدن، وتتمثل هذه الحصون فى بلدة[٢٧]، وأنطرطوس[٢٨]، ومرقية[٢٩]، وبلنياس[٣٠]، وصيدا، وعرقة، وجبيل، وبيروت، كذلك أعادوا بناء مدينتين هما عكا[٣١] و صور[٣٢]، وأضاف د. محمد عبد الهادى شعيرة مدينتين غير المدن الواردة فى المصادر التاريخية هى جبلة[٣٣] و عسقلان[٣٤]، كذلك رأى المسلمون بناء حصون جديدة فقاموا ببناء حصن سفيان الذى شيد بين سنتى ٢٣ و ٢٥هـ/ ٦٤٤و ٦٤٦م، وهو

الحصن الذى ذكره البلاذرى فقال «وجه معاوية سفيان بن مجيب الأزدى إلى طرابلس. . فبنى فى مرج على أميال منها حصنًا سمى حصن سفيان. . وحاصرهم فلما اشتد عليهم الحصار اجتمعوا فى أحد الحصون الثلاثة وكتبوا إلى ملك الروم. . فوجه إليهم بمراكب كثيرة فركبوها ليلاً وهربوا، فلما أصبح سفيان، وكان يبيت كل ليلة فى حصنه ويحصن المسلمين فيه»[٣٥].

وترجع هذه الحصون القديمة والإسلامية إلى عهدى الخليفة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما.

معاوية بن أبى سفيان وقيام الدولة الأموية سنة ٤١هـ/٦٦١م

استقل معاوية بن أبى سفيان ببلاد الشام (شكل ١) بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه فى سنة ٣٥هـ/ ٦٥٦م، وامتنع من المبايعة للخليفة على بن أبى طالب رضى الله عنه الذى بويع بالمدينة فى عام ٣٥هـ/ ٦٥٦م، حيث اتهمه بالهوادة فى أمر الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه، وإيوائه قتلته فى جيشه، وعدم القصاص منهم، وبايعه أهل الشام على المطالبة بدم الخليفة عثمان رضى الله عنه، مما أحدث الخلاف والشقاق بين أهل الشام وأهل العراق[٣٦].

وبعد قبول الخليفة على بن أبى طالب رضى الله عنه للتحكيم وخلعه من الخلافة، وتوليتها معاوية بن أبى سفيان الذى استولى على مصر وأثار الاضطرابات فى العراق والحجاز، ثم مقتل الخليفة على بن أبى طالب فى عام ٤٠هـ/ ٦٦١م، أعلن معاوية بن أبى سفيان الخلافة لنفسه فى بيت المقدس، وإن كانت قد أعلنت له من قبل يوم إجتماع الحكمين[٣٧].

ورث الإمام الحسن بن على رضى الله عنه مقام أبيه فى العراق، فقد بايعه الناس بالخلافة[٣٨]، فسار معاوية بن أبى سفيان إليه فى أهل الشام، وسار الإمام الحسن من الكوفة إلى لقاء معاوية فوصل إلى مسكن ثم إلى المدائن، وجعل قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى على مقدمة جيشه، غير أن الإمام الحسن لما رأى تفرق الأمر عنه كتب إلى معاوية وسلم الأمر إليه.

قال ابن الأثير «ولما اصطلحا، وبايع الحسن معاوية دخل معاوية الكوفة وبايعه الناس»[٣٩].

وفى ذلك قال الطبرى فى أحداث عام ٤١هـ/ ٦٦١م «فمما كان فيها من ذلك تسليم الحسن بن على عليه السلام الأمر إلى معاوية ودخول معاوية الكوفة، وبيعه أهل الكوفة معاوية بالخلافة»[٤٠]، وبذلك قامت الدولة الأموية فى عام ٤١هـ/ ٦٦١م.

دمشق وعمائرها فى أثناء خلافة معاوية

ارتبط الأمويون بالشام، حيث اشتهر أمرهم وعظم ذكرهم منذ ولاية يزيد بن أبى سفيان ثم معاوية بن أبى سفيان، وقد غدت دمشق منذ عام ٤١هـ/ ٦٦١م عاصمة وحاضرة العالم الإسلامى، بعد أن انتقلت العاصمة من المدينة المنورة والكوفة إليها، فقد سيطر الأمويون على دولة مترامية الأطراف عاصمتها وحاضرتها دمشق (شكل ٢).

الموقع

تقع مدينة دمشق (شكل ٣) فى أرض مستوية على خط طول ٣٠ شرقى غرينتش، وعلى درجة عرض ٣٣ شمالاً إلى الشرق من المنحدرات الشرقية لجبال لبنان الشرقية، وتتكون من ثلاثة أقسام طبيعية هى المنطقة السهلية وتشمل الغوطة والمرج، ونهر بردى بفروعه وأقنيته، والمنطقة الجبلية المحيطة بالمدينة، ويشرف على دمشق أيضًا من جهة الغرب جبل الشيخ ويعرف بجبل الثلج، بينما تتصل من الشرق والجنوب ببادية الشام وهى منطقة مفتوحة، وهو الأمر الذى يدل على أنها تمتعت بموقع جغرافى فريد، فالأرض الخصبة، والمياه المتدفقة جعلت غوطتها من أغنى البلاد فى إنتاجها الزراعى، وإنفتاحها من الشرق على السهول الموصلة إلى الفرات والعراق، ومن الغرب وجود المناطق الجبلية التى سيطرت على طريق التجارة الموصل إلى ساحل البحر المتوسط حيث الاتصال بأوروبا، إضافة إلى طريق الموصل شمالاً إلى حلب وآسيا الصغرى جعلها مركزًا تجاريًا هامًا لاستقبال البضائع وتصديرها[٤١].

هذا وقد انعكس موقع المدينة بشكل واضح على مناخها، فوجود الجبال فى غربها سواءً كانت جبال لبنان الشرقية القريبة منها أم جبال لبنان الغربية شكلت حاجزًا مزدوجًا منع وصول التأثيرات البحرية إلى المدينة على الرغم من أنها لا تبعد أكثر من ٨٠ كم عن البحر المتوسط، ومن جهة أخرى فإن موقع دمشق المفتوح باتجاه الشرق جعلها تشارك بادية الشام فى جفافها فيتصف صيفها بالجفاف التام، وتتأثر الحرارة بعدة عوامل أهمها الموقع الفلكى للمدينة، حيث تقع على خط ٣٠ شرقًا و٣٣ شمالاً، وترتفع عن سطح البحر ٧٠٠م تقريبًا، ويبلغ متوسط الحرارة السنوى فى دمشق ١٨°م، وتتعرض المنطقة لتأثيرات المنخفضات الجوية فى فصل الشتاء مما يجعل الجو متقلبًا بما يتنابه من رياح عاصفة وطقس مضطرب وأمطار شديدة، كما تتعرض للرياح الغربية والجنوبية الغربية، بينما تتعرض فى الفصول الانتقالية للرياح الشرقية المحملة بالرمال والأتربة(٤٢).

وتحتل الأمطار مكانة هامة بين عناصر المناخ لأهميتها فى الحياة الاقتصادية، وتتصف المنطقة بأن أمطارها شتوية كميتها قليلة فى دمشق، حيث يتراوح معدلها السنوى بين ٢١٥ ـ ٢٢٥ مليمترًا، وقد عوض وجود نهر بردى وفروعه عن قلة الأمطار الشتوية في دمشق، وبهذا يمكن القول بأن مناخ دمشق حار جاف صيفًا، وبارد معتدل البرودة شتاءً، مع أمطار متوسطة وفصل شتوى قصير(٤٣).

هذا وتعتمد دمشق على ثلاثة مصادر رئيسية للمياه هى الأمطار الشتوية ومياه الأنهار، ومياه العيون والينابيع، أما فيما يتعلق بالسكان فقد استوطن العرب بلاد الشام منذ الألف الأولى قبل الميلاد، وتزايدوا منذ القرن الثالث الميلادى، خاصة فى المنطقة الجنوبية الغربية من بلاد الشام، وتوالى قدوم القبائل العربية إلى الشام بعد الفتح العربى، وتركزت خارج مدينة دمشق، وحملت الأماكن التى نزلت بها بطون القبائل العربية أسماء النازلين بها منها لؤلؤة الكبيرة ولؤلؤة الصغيرة، وقينية، وصنعاء والحميريين ومنازل بنى رعين فى الجهة الغربية، وسطراو الفراديس والأوزاع والصرف ومرج شعبان من الجهة الشمالية، والراهب ومحلة السفليين والقطائع وفندق بنى عبد المطلب من الجنوب(٤٤).

ونزل الأمويون مدينة دمشق فى العصر الراشدى (شكل ٤)، وبنوا فيها قصورهم ومنازلهم ومنها خضراء معاوية التى أقامها معاوية بن أبى سفيان فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه، عندما كان واليًا على دمشق، ثم أصبحت دارًا للإمارة وبقيت قصرا للخلافة الأموية بعد إعلان الدولة الأموية فى عام ٤١هـ/ ٦٦١م، وقد استقر توزيع القبائل العربية فى الشام فى مطلع العصر الأموى بصورة عامة، واستمر بعد ذلك، ففى دمشق كانت غسان القبيلة الأولى، وكانت فيها أيضا قبائل قضاعة وكندة وقيس، وعلى ضوء هذا الاستقرار فقد توزعت القبائل العربية فى دمشق والقرى المحيطة بها فى الغوطة والمرج - فغلب على الغوطة قبائل من غسان وكلب وقيس وربيعة فكان بها من كلب عامر بن الحصين بن عليم وابن رباب المعقلى، وكان نزول اليمانية فى دمشق منذ عهد معاوية بن أبى سفيان (٤١-٦٠هـ/ ٦٦١-٦٧٩م)، فقد سكنها بنو كلب ونزلوا فى قرية المزة التى نسبت إليهم.

ونزلت جماعة من اليمن فى بانياس، وجماعة أخرى بين المزة ودمشق فى قرية عرفت بصنعاء، وكانت داريا أكبر قرى اليمانية فى الغوطة فى العصر الأموى، ونزل معهم فيها جماعة من عبس وخولان وجماعة من رجب، كما كانت لهم قرى متعددة منها بيت أبيات، وبيت الآبار وقرى جرش وجسرين وداعية وزملكا وعقربا وعين ثرما وكفر سوسية وكوكبا، واستوطنت جماعة منهم فى حوران والبثنية، أما قيس فكانت لهم قرى صكا وبراق وبلاس وكفر بطنا والقطيفة، كما نزلت جماعة منهم فى حوران والبثنية، واستقر فى دمشق أيام الأمويين جماعة من بنى سليم، وبنو محارب بن فهر، وفزارة، والسكون، وقوم يقال لهم بنو ذو الدبس، ونفر قليل من جهينة وذبيان والقين ولخم(٤٦).

وأقامت فيها جماعة من بنى مرة، وفى القرن ٢هـ/ ٨م نزل السكاسك من ولد السكسك بن أشرس فى بيت لهيا شرقى دمشق وبنوا فيها المنازل والقصور، وأقام بنو ضبة فى جبل سنى، وبنو الحارث بن كعب بن مذحج مع جماعات من عك وهمذان فى الفلجة، واستقرت فى دمشق أيام الأمويين بعض القبائل الربعية،

فكانت تغلب بدومة وحرستا من قرى غوطة دمشق، ونزل قوم من خمير فى قرية نسبت إليهم على نهر قنوا عند حى الشويكة، أما منازل بنى رعين فكانت قرب المزة غربي صنعاء، وأقامت جماعة من زبيد بغوطة دمشق والمرج، وكان بنو تغلب بن وائل فى قريتى دومة وحمنا(٤٧).

أما فيما يتعلق بمواد البناء فإنه نظراً لندرة الحجارة وبعد المقالع الحجرية نسبيًا عن مدينة دمشق، فإن العمارة وكثرة المنشآت اعتمدت على مادة الطين لإقامة الجدران. فكانت الأبنية الحجرية قليلة، واقتصرت على المنشآت المعمارية المشيدة من قبل الخلفاء والأمراء والأثرياء، وقد شهدت دمشق خلال العصر الأموى أوج الازدهار العمرانى، مما جعل منها مدينة متميزة وحاضرة تليق أن تكون عاصمة لدولة الإسلام(٤٨).

عمائر دمشق فى أثناء خلافة معاوية بن أبى سفيان

أولا: المسجد الجامع (شكل ٥ ، ٦)

فيما يتعلق بالجامع الأموى الذى يعد من روائع العمارة الإسلامية فى العصر الأموى، فقد شيد المسجد على أنقاض معبد وثنى قديم كان قد تحول إلى كنيسة القديس يوحنا قال ابن جبير «والوليد هذا هو الذى أخذ نصف الكنيسة الباقية منه فى أيدى النصارى وأدخلها فيه، لأنه كان قسمين: قسما للمسلمين وهو الشرقى، وقسما للنصارى وهو الغربى، لأن أبا عبيدة بن الجراح، رضى الله عنه، دخل البلد من الجهة الغربية، فانتهى إلى نصف الكنيسة، وقد وقع الصلح بينه وبين النصارى، ودخل خالد بن الوليد، رضى الله عنه، عنوة من الجانب الشرقى وانتهى إلى النصف الثانى وهو الشرقى، فاجتازه المسلمون وصيروه مسجداً، وبقى النصف المصالح عليه وهو الغربى كنيسة بأيدى النصارى، إلى أن عوضهم منه الوليد، فأبوا ذلك، فانتزعه منهم..»(٤٩).

وكان معاوية بن أبى سفيان قد رغب فى زيادة مساحة المسجد، وذلك من خلال إدخال النصف الثانى المصالح عليه وهو الغربى، وهو النصف الذى يمثل

كنيسة القديس يوحنا إلى المسجد فأبى النصارى، وفى ذلك قال البلاذرى «وحدثنى مصعب عن أبيه عن مالك عن نافع عن أسلم بمثله، قالوا: ولما ولى معاوية بن أبى سفيان أراد أن يزيد كنيسة يوحنا فى المسجد بدمشق فأبى النصارى ذلك فأمسك. ثم طلبها عبد الملك بن مروان فى أيامه للزيادة فى المسجد وبذل لهم مالاً فأبوا أن يسلموها إليه..»(٥٠).

ثانيا: قصر الخضراء

يعد قصر الخضراء الذى شيده معاوية بن أبى سفيان من روائع العمارة المدنية بدمشق، يقع هذا القصر إلى الجنوب من سور الجامع ولا يفصلها عنه إلا جدار ترك فيه باب لمرور الخليفة من منزله إلى مقصورة الجامع وأمام القصر اصطبلات أطلق عليها «دار الخيل»، وبدأ معاوية عمارته فى أثناء ولايته على الشام (٢٣-٣٥هـ/ ٦٤٣ - ٦٥٥م) فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه، ثم أعاد تجديد عمارته فى أثناء خلافته (٤١ - ٦٠هـ/ ٦٦١-٦٨٠م)، وقد عرف بقصر الخضراء لأن القبة والجدران طليت باللون الأخضر، ومن ثم مر القصر بمرحلتين من العمارة، وبقى القصر مقراً للأمويين حتى زمن الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ/ ٧١٥ - ٧١٧م)، حيث اتخذ مقراً آخر بدلاً من الخضراء، فشيد قصراً بدرب محرز فى موضع سقاية جيرون، وجعل له قبة صفراء(٥١).

وقد ذكر لنا اليعقوبى هذا القصر بقوله «ومنازل بنى أمية وقصورهم أكثر منازلها، وبها خضراء معاوية، وهى دار الإمارة ومسجدها، الذى ليس فى الإسلام أحسن منه بالرخام والذهب، بناه الوليد بن عبد الملك بن مروان فى خلافته»(٥٢)

وصف دمشق من خلال نص اليعقوبى

قال اليعقوبى «ومدينة دمشق مدينة جليلة قديمة، وهى مدينة الشأم فى الجاهلية والإسلام، وليس لها نظير فى جميع أجناد الشأم فى كثرة أنهارها

وعمارتها، ونهرها الأعظم يقال له بردا. افتتحت مدينة دمشق فى خلافة عمر بن الخطاب سنة أربع عشرة، افتتحها أبو عبيدة بن الجراح من باب يقال له باب الجابية صلحًا، بعد حصار سنة ودخل خالد بن الوليد من باب لها يقال له باب الشرقى بغير صلح.. وكانت دمشق منازل ملوك غسان، وبها آثار لآل جفنة، والأغلب على مدينة دمشق أهل اليمن، وبها قوم من قيس، ومنازل بنى أمية وقصورهم أكثر منازلها، وبها خضراء معاوية، وهى دار الإمارة ومسجدها، الذى ليس فى الإسلام أحسن منه بالرخام والذهب، بناه الوليد بن عبد الملك بن مروان فى خلافته ولجند دمشق من الكور: الغوطة وأهلها غسان وبطون من قيس، وبها قوم من ربيعة، وحوران ومدينتها بصرى، وأهلها قوم من قيس من بنى مرة خلا السويدا، فإن بها قوما من كلب. والبثنية ومدينتها أذرعات، وأهلها قوم من يمن ومن قيس. والظاهر: ومدينتها عمان. والغور: ومدينتها ريحا، وهاتان المدينتان أرض البلقاء، وأهلها أخلاط من الناس، وبها القرية المعروفة بمؤتة التى قتل فيها جعفر بن أبى طالب، وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة. والشراة: ومدينتها أذرح، وأهلها موالى بنى هاشم، وبها الحميمة منازل على بن عبد الله بن العباس.. والجولان: ومدينتها بانياس، وأهلها قوم من قيس، أكثرهم بنو مرة، وبها نفر من أهل اليمن. وجبل سنير: وأهلها بنوضبة وبها قوم من كلب. وبعلبك: وأهلها قوم من الفرس، ومن أطرافها قوم من اليمن. وجبل الجليل: وأهلها قوم من كاملة. ولبنان صيدا: وبها قوم من قريش ومن اليمن. ولجند دمشق من الكور على الساحل كورة عرقة، ولها مدينة قديمة، فيها قوم من الفرس ناقلة، وبها قوم من ربيعة من بنى حنيفة، ومدينة أطرابلس: وأهلها من الفرس كان معاوية بن أبى سفيان نقلهم إليها ولهم مينا عجيب يحتمل ألف مركب. وجبيل وصيدا وبيروت: وأهل هذه الكور كلها قومٌ من الفرس نقلهم إليها معاوية بن أبى سفيان. وكل كورة دمشق افتتحها أبو عبيدة بن الجراح فى خلافة عمر بن الخطاب سنة أربع عشرة وخراج دمشق سوى الضياع يبلغ ثلثمائة ألف دينار»(٥٣).

يروى لنا البلاذرى أن معاوية بن أبى سفيان اهتم بترميم وتدعيم الحصون الساحلية كلها بالمرابطة والعمارة، حيث كان على دراية تامة بها وبأحوالها، ويرد هذا الخبر مطلقًا من أى قيد، ويفيد وروده على هذا النحو كما يذكر د. محمد عبد الهادى شعيرة أن الاهتمام كان شاملاً، وأن الترميم وإعادة البناء كان عملية جارية مستمرة، وأن عملية البناء إقترنت بعملية أخرى هى دعم الرباطات، فقد كتب معاوية بعد وفاة يزيد بن أبى سفيان إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه يصف له حال السواحل، قال البلاذرى «وحدثنى أبو حفص عن سعيد بن عبد العزيز، قال: أدركت الناس وهم يتحدثون أن معاوية كتب إلى عمر بن ا لخطاب بعد موت أخيه يزيد يصف له حال السواحل: فكتب إليه فى مرمة حصونها وترتيب المقاتلة فيها وإقامة الحرس على مناظرها وإتخاذ المواقيد لها، ولم يأذن له فى غزو البحر وأن معاوية لم يزل بعثمان حتى أذن له فى الغزو بحراً وأمره أن يعد فى السواحل إذا غزا أو أغزى جيوشا سوى من فيها من الرتب أن يقطع الرتب أرضين ويعطيهم ما جلا عنه أهله من المنازل ويبنى المساجد ويكبر ما كان إبتنى منها قبل خلافته، قال الوضين: ثم أن الناس بعد انتقلوا إلى السواحل من كل ناحية»[٥٤].

ومن الترميمات التى قام بها معاوية بن أبى سفيان ترميم عكا وصور قال البلاذرى «. . عن مشايخ من أهل دمشق، قالوا: رم معاوية عكا عند ركوبه منها إلى قبرص: ورم صور ثم أن عبد الملك بن مروان جددهما»[٥٥].

وفى ذلك قال ياقوت الحموى «وكان لمعاوية فى فتحها وفتح السواحل أثر جميل، ولما ركب منها إلى غزوة قبرص رمها وأعاد ما تشعث منها وكذلك فعل بصور، ثم خربت فجددها هشام بن عبد الملك»[٥٦].

أما فيما يتعلق بالصناعة فى عكا وصور فقد أورد البلاذرى «وحدثنى محمد بن سهم الأنطاكى عن مشايخ أدركهم قالوا: لما كانت سنة تسع وأربعين خرجت

الروم إلى السواحل وكانت الصناعة بمصر فقط فأمر معاوية بن أبى سفيان بجمع الصناع والنجارين فجمعوا ورتبهم فى السواحل وكانت الصناعة فى الأردن بعكا.. فنقل هشام بن عبد الملك الصناعة إلى صور واتخذ بصور فندقا ومستغلا»(٥٧).

وفى ذلك قال ياقوت الحموى «وكانت فيها صناعة بلاد الأردن، وهى محسوبة من حدود الأردن، ثم نقل هشام الصناعة منها إلى صور»(٥٨).

ولدينا فوق ذلك عدة نصوص تتعلق بإعادة بناء ما تهدم من حصون فى عهد معاوية بن أبى سفيان، فقد أعاد بناء ثلاثة حصون هى: انطرطوس ومرقية وبلنياس، قال البلاذرى «وحدثنى سفيان بن محمد، قال حدثنى أبى وأشياخنا، قالوا: فتح عبادة والمسلمون أنطرطوس: وكان حصنا ثم جلا عنه أهله فبنى معاوية أنطرطوس ومصرها وأقطع بها القطائع، وكذلك فعل بمرقية وبلنياس»(٥٩).

وقد أمر معاوية بن أبى سفيان بإهمال حصن بلدة الذى تهدم، وشيد بالقرب منه حصنًا آخر هو حصن جبلة الذى يعد الثانى من إنشاء المسلمين بعد حصن سفيان، قال البلاذرى «ورد عبادة والمسلمون السواحل ففتحوا مدينة تعرف ببلدة على فرسخين من جبلة عنوة، ثم أنها خربت وجلا عنها أهلها فأنشأ معاوية بن أبى سفيان جبلة وكانت حصنا للروم جلوا عنه عند فتح المسلمين حمص وشحنها. وحدثنى سفيان بن محمد البهرانى عن أشياخه قالوا: بنى معاوية لجبلة حصنا خارجا من الحصن الرومى القديم»(٦٠).

وفى ذلك يقول ياقوت الحموى «وجبلة أيضًا: قلعة مشهورة بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية، قال أحمد بن يحيى بن جابر: لما فرغ عبادة بن الصامت من اللاذقية.. ورد فيمن معه على مدينة تعرف ببلدة على فرسخين من جبلة، ففتحها عنوة ثم أنها خربت وجلا عنها أهلها، فأنشأ معاوية جبلة وكانت

حصنا للروم جلوا عنه عند فتح المسلمين حمص، وشحنها بالرجال، وبنى معاوية بجبلة حصنًا خارجًا من الحصن الرومى القديم»[٦١].

ومن الإشارات التى تتعلق بالعمارة الحربية ما أورده البلاذرى عند ذكره مدينة مرعش ونصه «وكان معاوية بنى مدينة مرعش وأسكنها جندا»[٦٢].

هذا وقد اهتم معاوية بن أبى سفيان بالمراكز الجنوبية للمنطقة الثغرية وهى أنطاكية وقنسرين[٦٣] ومنبج[٦٤]، كما اهتم بحصون الفرات وهى سميساط[٦٥]، وملطية[٦٦]، وشمشاط[٦٧]، وكمخ[٦٨]، وقاليقلا[٦٩] (أرضروم)، وهى حصون استولى عليها العرب فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه عندما فتحوا أرمينية[٧٠].

كما شيد معاوية فى المنطقة الوسطى الواقعة بين الخطين الساحلى والنهرى إلى جانب مرعش الذى تقدم ذكره حصن الحدث[٧١]، وكان كما يذكر د. محمد عبد الهادى شعيرة أول من بناهما، فهما حصنان إسلاميان[٧٢].

ذكر بعض أعماله (مناقشة حول مقاصير الصلاة)

قال الطبرى «وكان أول من اتخذ الحرس»[٧٣].

كما أورد الطبرى «وكان أول من اتخذ ديوان الخاتم»[٧٤].

كذلك أورد «وخزم الكتب، ولم تكن تخزم»[٧٥]، وفى ذلك أورد ابن الأثير «وحزم الكتب، ولم تكن تحزم»[٧٦]. وقد أورد ابن الأثير أيضا أنه «أول خليفة بايع لولده فى الإسلام، وأول من وضع البريد»[٧٧].

مقاصير الصلاة

فيما يتعلق بمقاصير الصلاة فى المسجد فقد أورد ابن الأثير نصًا مهمًا يتعلق بالمقصورة فى عهد معاوية بن أبى سفيان، حيث قال «وأول من عمل المقصورة فى المساجد»[٧٨].

وفى تفصيل أكثر أورد «وكان معاوية قد عملها بالشام لما ضربه الخارجى»[٧٩].

مقاصير الصلاة

المقصورة فى اللغة من قصر الشىء، يقصره قصرًا أى حبسه وتجمع على مقاصير ومنه مقصورة الجامع وقد سميت المقصورة مقصورة لأنها قصرت على الإمام دون الناس(٨٠).

هذا وقد تنوعت المقاصير، وتعددت وظائفها فى العصر الإسلامى، حيث خصصت مقاصير خاصة لصلاة النساء فى المساجد الجامعة، وهى غالبا ما تقع فى مؤخرة المسجد أو فى الظلتين الجانبيتين وكانت لها مداخل خاصة بها تفتح عليها مباشرة وهذا النوع كما يذكر د. محمد محمد الكحلاوى من المقاصير يعتبر أقدم عهدًا من مقصورة الإمام، كما عرف العصر الإسلامى أنواعًا أخرى من المقاصير لم تكن مخصصة للصلاة، بل كانت لها وظائف أخرى ارتبطت فى مضمونها بعمارة المسجد ومنها المقاصير الضريحية التى تحيط بتراكيب الدفن، والمقاصير العلمية كالتى بالجامع الأموى بدمشق، والتى كانت مخصصة لطلاب المذهب الحنفى، حيث كانوا يجتمعون فيها للتدريس، كما عرفت المساجد مقاصير الخزائن كالتى كانت فى الأزهر فى العصر المملوكى البحرى، خاصة فى عهد السلطان الناصر حسن بن قلاوون، ويعرف هذا النوع من المقاصير فى مساجد الغرب الإسلامى باسم «الهرى» أو «الهرارى»، وقد خصص هذا النوع لحفظ أموال المسلمين، ومن مقاضير المساجد أيضًا مقاصير الكتب كالتى فى جامع الزيتونة، ومنها أيضًا مقاصير الفقراء ومقاصير الصوفية أما المقاصير التى أتناولها هنا فى العصر الأموى فهى مقاصير صلاة الإمام أو الخليفة، وهى مقاصير تمثل أهمية كبيرة فى داخل المسجد كما يذكر د. محمد محمد الكحلاوى، حيث أوجدها المعمار المسلم فى مقدمة المسجد من جهة القبلة أمام المحراب فهى عبارة عن مساحة محددة تشغل جزءً من مساحة المسجد الداخلية ومحاطة بسياج، وهى إذا وجدت فى داخل ظلة القبلة فلابد أن تكون ملاصقة لجدار القبلة من أمام المحراب، ويعتبر جدار القبلة بذلك ضلعًا من أضلاعها، وهى فى هذا الموضع تتقدم المحراب، وتحيط بالمنبر، أما إذا وجدت المقصورة فى الصحن فهى حتمًا

تقع فى مواجهة المحراب أمام المحراب الخشبى الذى يقع على محور المحراب الرئيسى، ويمكن أن تركب المقصورة ملاصقة بجدار القبلة على جانبى المحراب[٨٣].

وفيما يتعلق بنشأة المقصورة فقد تقدم أن أول من عملها فى المساجد معاوية بن أبى سفيان فى نص أورده ابن الأثير، والواقع أن المؤرخين اختلفوا حول نشأه هذا النوع من المقاصير كما اختلفوا حول نسبتها فمنهم من نسبها إلى الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه، ومنهم من نسبها إلى الخليفة معاوية بن أبي سفيان كما تقدم ومنهم من نسبها إلى والى العراق زياد بن أبيه (٤٥ - ٥٥هـ/ ٦٦٥-٦٧٥م)، ونسبها آخرون إلى الخليفة مروان بن الحكم، أما فيما يتعلق بالخليفتين عثمان بن عفان ومعاوية بن أبى سفيان، فقد أورد السمهودى روايتين إحداهما نقلا عن ابن زبالة أن أول من أنشأ المقصبورة هو عثمان بن عفان رضى الله عنه وإنه كانت فيها كوى ينظرى الناس منها إلى الامام، وكان قد وضعها خوفًا على نفسه بعد مقتل الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يصلى، والأخرى نقلاً عن مسلم أن أول من اتخذ المقصورة فى المسجد هو معاوية بن أبى سفيان عندما تعرض لمحاولة قتل على يد واحد من الخارجين يدعى بالخارجى، ويتفق هذا الرأى وما ذكره ابن الأثير وتقدم ذكره[٨٤].

ويذكر ابن خلدون أن معاوية بن أبى سفيان يعد أول من اتخذ المقصورة فى المسجد وحرس الليل وقيام الشرطة على رأسه إذا سجد، ويؤكد المؤرخ المقريزى ما ذكره ابن خلدون من جهة، وما ذكره السمهودى نقلا عن مسلم من جهة أخرى، حيث يذكر عند ذكره الجامع العتيق ما نصه «وأول ما عملت المقاصير فى الجوامع فى أيام معاوية بن أبى سفيان سنة أربع وأربعين. . »[٨٥].

وقد أورد البلاذرى فى فتوح البلدان أن زياداً هو أول من اتخذ المقصورة فى مسجد البصرة وذلك نقلا عن الوليد بن هشام بن قحذم، حيث قال «لما بنى زياد

المسجد جعل لصفة المقدمة خمس سوار وبنى منارته بالحجارة، وهو أول من عمل المقصورة»[٨٦].

وذكر بعض المؤرخين أن الخليفة مروان بن الحكم يعد أول من أحدث المقصورة فى المسجد، وذلك حينما تعرض للقتل وهو قائم فى المسجد ليصلى على يد أحد أهل تهامة ويدعى دب، وقد أكد ابن رشد على نص السمهودى نقلاً عن ابن حنطب، واعتبر أن الخليفة مروان هو أول من اتخذها حين طعنه اليمانى فصنع مروان لنفسه مقصورة من طين وجعل فيها تشبيكات[٨٧].

ويعلق د. محمد محمد الكحلاوى على الروايات التاريخية السابقة قائلاً إن الدافع الأمنى هو الذى دفع الخلفاء لصناعة مثل هذه المقاصير، وذلك استناداً إلي ما أصاب الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى مقتله وهو قائم يصلى فى المسجد، ويرى أن الحجج التى أوردها المؤرخون قد تساوت حول كل من الخليفة عثمان بن عفان ومعاوية بن أبى سفيان ومروان بن الحكم إلا أن هناك حقيقة أخرى وردت فى نص لابن الأثير فحواها أن صحابيًا يدعى السائب بن حباب قد شغل وظيفة من قبل الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه وهى وظيفة صاحب المقصورة، وجعل له فيها راتبًا شهريًا يقدر بدينارين وعلى هذا يضيف د. الكحلاوى أن السائب بن حباب يعتبر هو أول من شغل وظيفة صاحب المقصورة، حيث لم يأت المؤرخون بذكر واحد قد تولى هذه الوظيفة، بل ولم يرد اسم الوظيفة نفسها لا فى أيام الخليفة معاوية بن أبى سفيان ولا فى أيام الخليفة مروان بن الحكم مما يرجح نسبة المقصورة إلى الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه، والتى اتخذها عند تجديده لمسجد الرسول ﷺ بالمدينة[٨٨].

وقد أوضح الفقهاء رأى الدين فى اتخاذ المقاصير للصلاة، فقد أجمعوا على أنها لم تكن على عهد رسول الله ﷺ وإنما أحدثها الخلفاء بسبب الخوف على أنفسهم وأفتوا بأن اتخاذها فى المسجد مكروه لأنها تفرق الصفوف، وتحول دون التمكن من رؤية الإمام وحكمها حكم المنبر لقطعها الصف الأول، مما دفع

الخليفة العباسى المهدى إلى أن يأمر ولاته فى عام ١٦١هـ/ ٧٧٧م برفع المقاصير من المساجد وبتقصير المنابر على قدر منبر الرسول ﷺ، وفى هذا يذكر المقريزى «وفى سنة إحدى وستين ومائة أمر المهدى بنزع المقاصير من مساجد الأمصار وبتقصير المنابر فجعلت على مقدار منبر رسول الله ﷺ ثم أعيدت بعد ذلك»(٨٩).

يزيد بن معاوية ٦٠ - ٦٣هـ/ ٦٨٠ - ٦٨٤م

ولد يزيد بن معاوية من ميسون بنت بحدل بن أنيف بن ولجة بن قنافة بن عدى بن زهير بن حارثة بن جناب الكلبى، وهى امرأة بدوية تزوجها معاوية بن أبى سفيان قبل أن يلى الخلافة، ولما مات معاوية بايعه الناس بالخلافة، قال ابن الأثير «أول خليفة بايع لولده فى الإسلام»[٩٠].

قال الطبرى عند ذكره خلافة يزيد بن معاوية وأحداث سنة ٦٠ هـ/ ٦٨٠م» وفى هذه السنة بويع ليزيد بن معاوية بالخلافة بعد وفاة أبيه»[٩١]، فقد كتب يزيد إلى سائر الأمصار بتوليته فبايعته، إلا أنه امتنع عن مبايعته الحسين بن على، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن العباس، وعبد الله بن عمر، ثم بايعه منهم عبد الله بن العباس، وعبد الله بن عمر، وامتنع الحسين بن على، وعبد الله بن الزبير، وهما من النفر الذين رفضوا بيعته بولاية العهد، وتمكنا من اللحاق بمكة[٩٢].

وقد شهدت سنة ٦١هـ/ ٦٨٠م مقتل الإمام الحسين بن على رضى الله عنه، كما شهدت سنة ٦٤هـ/ ٦٨٥م إحتراق الكعبة قال الطبرى «ثم أقام مع ابن الزبير فى ذلك الحصار حتى يوم أحرق البيت، فإنه أحرق يوم السبت لثلاث مضين من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين»[٩٣].

احتراق الكعبة المشرفة فى أثناء الحصار الأول

أورد ابن الأثير روايتين فى إحتراق الكعبة المشرفة فى أثناء الحصار الأول، حيث قال «ثم أقاموا عليه يقاتلونه بقية المحرم وصفر كله، حتى إذا مضت ثلاثة

أيام من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين رموا البيت بالمجانيق، وحرقوه بالنار»[94].

أما الرواية الثانية فنصها «وقيل: إن الكعبة احترقت من نار كان يوقدها أصحاب عبد الله حول الكعبة، وأقبلت شررة هبت بها الريح، فاحترقت ثياب الكعبة، واحترق خشب البيت»[95].

ويعلق ابن الأثير قائلا «والأول أصح، لأن البخارى قد ذكر فى صحيحه أن ابن الزبير ترك الكعبة ليراها الناس محترقة، يحرضهم على أهل الشام»[96].

عمارة الكعبة المشرفة

لما رفع الحصار عن مكة عمل ابن الزبير على إعادة بناء الكعبة، فقام بهدمها من أساسها، على الرغم من معارضة أكثر الناس، وتلكؤ العمال، حتى أنه خرج معظم أهل مكة خوفًا، فما كان من عبد الله بن الزبير إلا أن بدأ هدمها بنفسه، وقد جلب لعمارتها كل ما تحتاج إليه من صنعاء باليمن، فجعل بناءها على قواعدها الأولى التى وضعها الرسول ﷺ، فقام بتوسيع الجوانب وأقام العمد، ورد الركن الأسود موضعه بالداخل، وزخرفها بالفسيفساء والرخام، كما جعل لها بابين أحدهما خصص للدخول، وخصص الآخر للخروج، فلما فرغ ابن الزبير من تشييدها خلق جدرانها من الداخل والخارج بالمسك والعنبر، وكساها بالديباج، وفى أثناء الهدم والبناء لم يبق ابن الزبير الناس بدون قبلة أو مطاف، وإنما نصب حول الكعبة الخشب، وجعل عليها الستور، أما الحجر الأسود فلفه فى حرير ووضعه فى بيته فى صندوق إلى أن أعاده[97].

قال الطبرى «هدم ابن الزبير الكعبة، وكانت قد مالت حيطانها مما رميت به من حجارة المجانيق.. فذكر محمد بن عمر الواقدى.. هدم ابن الزبير البيت حتى سواه بالأرض، وهز أساسه. وأدخل الحجر فيه، وكان الناس يطوفون من وراء الأساس، ويصلون إلى موضعه، وجعل الركن الأسود عنده فى تابوت فى سرقة

من حرير وجعل ما كان من حلى البيت وما وجد فيه من ثياب أو طيب عند الحجبة فى خزانة البيت، حتى أعادها لما أعاد بناءه»[٩٨].

توفى يزيد بن معاوية فى عام ٦٤هـ/ ٦٨٤م، قال ابن الأثير «وفى هذه السنة توفى يزيد بن معاوية بحوارين من أرض الشام، لأربع عشرة خلت من شهر ربيع الأول.. وقيل توفى فى ربيع الأول سنة ثلاث وستين... والأول أصح»[٩٩]، وقد أخذ يزيد المبايعة لأكبر أبنائه، الذى سماه معاوية، فبايعه جميع الناس بالآفاق إلا ابن الزبير وأهل مكة[١٠٠].

معاوية بن يزيد (معاوية الثانى ٦٤هـ/ ٦٨٤م)

أخذ يزيد بن معاوية البيعة لأكبر أبنائه معاوية بن يزيد، فبايعه جميع الناس بالآفاق إلا ابن الزبير وأهل مكة، وقد كان معاوية الثانى صغير السن، ولم يتجاوز عمره حينما استخلف سبع عشرة سنة، قال ابن الأثير «فى هذه السنة بويع لمعاوية بن يزيد بالخلافة بالشام، ولعبد الله بن الزبير بالحجاز»[١٠١].

وقد استطاع عبد الله بن الزبير أن يظفر بمبايعة الحجاز والعراق واليمن ومصر، وولى عليها عمالاً من قبله، وزاد من اضطراب الأحوال بالنسبة للخلافة الأموية اضطراب أحوال الشام نفسها بسبب العداء بين عنصرى سكانها العرب المعروفين بأهل الشام، وهما اليمنية والقيسية، وقد نسبت اليمنية إلى موطنهم الأصلى، وهم قبائل عديدة أشهرها فى العصر الأموى قبيلة كلب، أما القيسية فقد وردت قبائلهم فى أثناء الفتح الإسلامى من بدو الحجاز بخاصة، وقد بدأ الأمويون فى تقريب يمانية الشام من دون القيسية منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه، ولم يلبث معاوية أن توفى فى نفس العام الذى توفى فيه أبوه يزيد بن معاوية وهو عام ٦٤هـ/ ٦٨٤م[١٠٢].

مروان بن الحكم ٦٤ - ٦٥هـ/ ٦٨٤ - ٦٨٥م

بادرت القيسية عقب وفاة معاوية بن يزيد (معاوية الثانى) إلى مبايعة عبد الله بن الزبير، وتزعم جند الأردن. وكان فيه معظم كلب ـ الفتنة ضد القيسية، ورفضوا مبايعة ابن الزبير لإبقاء الخلافة فى الشام، وقد سعى إلى ذلك رؤساء اليمانية فى الشام، ورجال بنى أمية الذين تجمعوا فى الجابية، واختلف الأمويون وأشياعهم طويلاً، فمال بعضهم إلى خالد بن يزيد، وأخيراً وقع اختيارهم على مروان بن الحكم لسنه وشيخوخته فبايعوه بالجابية فى ذى القعدة سنة ٦٤هـ/ ٦٨٤م[١٠٣].

قال ابن الأثير فى أحداث سنة ٦٤هـ/ ٦٨٤م «فى هذه السنة بويع مروان بن الحكم بالشام.. هو مروان بن الحكم بن أبى الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس، وأمه آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أمية من كنانة»[١٠٤].

مروان بن الحكم ومقاصير الصلاة

وقد أمدنا ابن الأثير بنص هام يتعلق بمقاصير الصلاة بالمدينة المنورة، حيث ذكر مقصورة من عمل مروان بن الحكم، قال ابن الأثير فى أحداث عام ٤٤ هـ «وفيها عمل مروان بن الحكم المقصورة بالمدينة، وهو أول من عملها بها، وكان معاوية قد عملها بالشام لما ضربه الخارجى»[١٠٥].

وقد تقدم دراسة موضوع مقاصير الصلاة عند ذكر الخليفة معاوية بن أبى سفيان من حيث النشأة والنسبة. هذا وقد دخل مروان بن الحكم مصر قال ابن الأثير «واستقر الشام لمروان سار إلى مصر، فقدمها وعليها عبد الرحمن بن

جحدم القرشى يدعو إلى ابن الزبير، فخرج إلى مروان فيمن معه، وبعث مروان عمرو بن سعيد من ورائه حتى دخل مصر، فقيل لابن جحدم ذلك، فرجع وبايع الناس ورجع إلى دمشق»[١٠٦].

الدار البيضاء بمصر

يحدثنا ابن عبد الحكم عن دار مروان بمصر بما نصه «واختط عبد الرحمن بن عديس البلوى الدار البيضاء ويقال بل كانت الدار البيضاء صحنا بين يدى المسجد ودار عمرو بن العاص موقفا لخيل المسلمين على باب المسجد حتى قدم مروان بن الحكم مصر فى سنة خمس وستين فابتناها لنفسه دارًا وقال ما ينبغى للخليفة أن يكون ببلد لا يكون له بها دار فبنيت له فى شهرين»[١٠٧].

عبد الملك بن مروان ٦٥ - ٨٦هـ/ ٦٨٥ - ٧٠٥م

هو أبو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية، قال ابن الأثير فى أحداث سنة ٦٥هـ/ ٦٨٥م عند ذكره بيعة عبد الملك وعبد العزيز ابنى مروان بولاية العهد «فى هذه السنة أمر مروان بن الحكم بالبيعة لابنيه عبد الملك وعبد العزيز»[١٠٨]، كما قال «ولما مات بويع لولده عبد الملك بن مروان فى اليوم الذى مات فيه»[١٠٩].

مسجد دمشق الجامع

رغب عبد الملك فى زيادة مساحة المسجد الجامع بدمشق، وذلك من خلال إدخال النصف الثانى المصالح عليه وهو الغربى، وهو النصف الذى يمثل كنيسة القديس يوحنا إلى المسجد فأبى النصارى، كما أبوا من قبل على معاوية بن أبى سفيان عندما رغب فى زيادة مساحة المسجد، قال البلاذرى «وحدثنى مصعب عن أبيه عن مالك عن نافع عن أسلم بمثله، قالوا: ولما ولى معاوية بن أبى سفيان أراد أن يزيد كنيسة يوحنا فى المسجد بدمشق فأبى النصارى ذلك فأمسك، ثم طلبها عبد الملك بن مروان فى أيامه للزيادة فى المسجد وبذل لهم مالا فأبوا أن يسلموها إليه..»[١١٠].

هدم الكعبة وعمارتها فى أثناء الحصار الثانى

أما فيما يتعلق بالكعبة فى عهد عبد الملك بن مروان فقد نصب الحجاج بن يوسف المنجنيق على جبل أبى قبيس، وأخذ فى رميها، فلما كسرت صاعقة

المنجنيق، عاد الحجاج بمنجنيق آخر، وكان هذا هو الحصار الثانى لمكة بعد حصارها فى عهد يزيد بن معاوية، وبعد مقتل ابن الزبير فى عام ٧٣هـ/ ٦٩٢م أراد الحجاج إعادة بناء الكعبة على ما كانت عليه، قبل أن يعيد ابن الزبير بناءها، بعد ضرب الحصين لها، فكتب إلى عبد الملك يخبره أن ابن الزبير زاد فى الكعبة ماليس منها، فأمره عبد الملك بتعديلها، قال ابن الأثير فى أحداث سنة ٧٤هـ/ ٦٩٣م «وفيها هدم الحجاج بناء الكعبة الذى كان ابن الزبير بناه، وأعادها إلى البناء الأول، وأخرج الحجر منها»(١١١).

قام الحجاج بن يوسف بنقض بناءها، وأعادها إلى قواعدها الأولى، وسد الباب الذى أحدثه ابن الزبير، وجعل الحجر الأسود من الخارج، بعد أن كان من الداخل، فكان بناء الحجاج للكعبة هو البناء الثانى منذ الإسلام، فلما فرغ منها، أرسل إليه عبد الملك كسوتها من الحرير، ثم وفد للحج(١١٢).

الاستحكامات الحربية (ثغور الشام) ومابها من عمائر دينية

عمارة حصن طرندة

نتيجة هدم الروم لبعض الحصون مثل ملطية ومرعش قام عبد الملك بن مروان باختيار مواضع أقرب إلى صميم أرض الروم لتحل محل ملطية ومرعش، وكانت هذه المواضع هى طرندة التى ذكرها ياقوت فقال «قال الواقدى: كان المسلمون نزلوا طرندة بعد أن غزاها عبد الله بن عبد الملك سنة ٨٣ وبنوا بها مساكن، وهى من ملطية على ثلاث مراحل داخلة فى بلاد الروم وملطية يومئذ خراب»(١١٣).

عمارة حصن المصيصة ومسجدها

ومن هذه المواضع المصيصة التى استحدثها على الأساس القديم، وجعل منها مركزاً مهمًا للثغور، وشيد بها مسجداً قال البلاذرى «وحدثنى محمد بن سعد عن الواقدى وغيره، قال لما كانت سنة أربع وثمانين غزا على الصائفة عبد الله بن عبد الملك بن مروان فدخل من درب أنطاكية وأتى المصيصة فبنى حصنها على أساسه القديم ووضع بها سكانًا من الجند منهم ثلثمائة رجل انتخبهم من ذوى

البأس والنجدة المعروفين ولم يكن المسلمون سكنوها قبل ذلك وبنى فيها مسجداً فوق تل الحصن ثم سار فى جيشه حتى غزا حصن سنان ففتحه.. وقال أبو الخطاب الأزدى: كان أول من ابتنى حصن المصيصة فى الإسلام عبد الملك بن مروان على يد ابنه عبد الله بن عبد الملك فى سنة أربع وثمانين»[١١٤].

عمارة عسقلان وقيسارية

شيد عبد الملك بن مروان عسقلان وحصنها، كما قام بترميم قيسارية وتشييد مسجدها، قال البلاذرى «فلما ولى عبد الملك بن مروان بناها وحصنها (عسقلان) ورم أيضًا قيسارية.. قال حدثنى أبو سليمان الرملى عن أبيه أن الروم خرجت فى أيام ابن الزبير إلى قيسارية فشعثتها وهدمت مسجدها، فلما استقام لعبد الملك بن مروان الأمر رم قيسارية وأعاد مسجدها واشحنها بالرجال»[١١٥].

عمارة صور وعكا

هذا وقد أعاد عبد الملك بن مروان بناء صور وعكا، قال البلاذرى «وبنى صور وعكا الخارجة، وكانت سبيلهما مثل سبيل قيسارية»[١١٦].

المسجد الأقصى وقبة الصخرى ٧٢هـ/ ٦٩١ - ٦٩٢م

أولاً : المسجد الأقصى (شكل ٧، ٨)

تطلع المسلمون منذ عهد الرسول ﷺ إلى فتح بلاد الشام عامة وبيت المقدس خاصة فهو بالنسبة لهم أول القبلتين وثانى البيتين وثالث الحرمين، وهو إحدى المساجد الثلاثة التى تشد الرحال إليها لقوله ﷺ «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجدى هذا، والمسجد الأقصى»(١١٧)، وإليه أسرى بالرسول ﷺ قبل عروجه إلى السماء قال تعالى «سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير»(١١٨).

وقد حرص البيزنطيون على تقوية استحكامات القدس الحربية، ونصبوا المجانيق على أسوارها، فامتنعت المدينة على المسلمين عندما هاجمها أبو عبيدة بن الجراح فى عام ١٥هـ/ ٦٣٧م، وبعد حصار دام أربعة أشهر أيقن أهلها صعوبة مقاومة العرب المسلمين، فقاموا بتسليمها صلحًا للخليفة عمر بن الخطاب(١١٩).

غدت القدس منذ الفتح العمرى مركزًا حضاريًا وثقافيًا هامًا فى الحضارة العربية الإسلامية، فقد شيد بها الخليفة عمر بن الخطاب مسجدًا جامعًا يعد أول منشأة دينية إسلامية تشيد بها، وأخذ يتفقد شوارعها وأزقتها وأسواقها، ويرتب أمورها الإدارية والسياسية والدينية فهى المدينة المقدسة الدينية بعد مكة المكرمة والمدينة المنورة(١٢٠).

شيد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه المسجد بجوار الصخرة المقدسة،

وكان بسيطًا من الناحية المعمارية يشغل كما يذكر لنا المؤرخ أركلف (Ar chulf) فى القرن الأول الهجرى / السابع الميلادى مساحة مربعة، ثم جدد فى عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان عند تشييده قبة الصخرة ٦٩-٧٢هـ/ ٦٨٨ - ٦٩١م، كما عنى به الخليفة الوليد بن عبد الملك[١٢١].

وقد ذكره المقدسى فقال «وأما المسجد الأقصى فهو على قرنة البلد الشرقى نحو القبلة.. وقد بنى عليه عبد الملك بحجارة صغار حسان وشرفوه وكان أحسن من جامع دمشق لكن جاءت زلزلة فى دولة بنى العباس فطرحت المغطى إلا ما حول المحراب»[١٢٢].

هذا وقد شهد المسجد خلال عصوره الإسلامية التالية اصلاحات وإضافات عديدة غيرت من معالمه الأولى، وقد أمدنا د. أحمد فكرى بتصور لتخطيط المسجد فى العصر الأموى فقال إنه كان يشغل مستطيلاً يتكون من بيت للصلاة طول جدار القبلة فيه ٦٥م، وعرضه ٥٠م، يتكون من إحدى عشرة بلاطة عرضية وعشر بلاطات طولية تمتد من الشمال إلى الجنوب عمودية على جدار القبلة، ولم يكن المحراب يتوسط جدار القبلة، وكان المسجد يشتمل على أحد وعشرين مدخلا منها أحد عشر مدخلاً فى الجدار الشرقى، وعشرة فى الجدار الشمالى[١٢٣].

ثانيا: قبة الصخرة ٧٢هـ/ ٦٩١ - ٦٩٢م (شكل ٩، ١٠)

تعد قبة الصخرة من أروع العمائر الأموية فى بلاد الشام، كما أنها تعد أقدم أثر إسلامى باق فى تاريخ العمارة الإسلامية شرع الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان فى عمارتها فى عام ٦٩هـ/٦٨٨م، وكان الفراغ منها فى عام ٧٢هـ/ ٦٩١-٦٩٢م وأوقف على نفقتها ونفقة عمارة المسجد الأقصى خراج مصر سبعة أعوام، وذلك فى وسط هضبة صخرية واسعة تسمى «الحرم الشريف»، ويقع على امتداد محورها الرئيسى المسجد الأقصى الذى تقدم ذكره وتشتمل قبة الصخرة على كتابة كوفية مذهبة يبلغ طولها نحو ٢٤٠م نفذت على أرضية زرقاء داكنة من الزخارف الفسيفسائية قوامها آيات قرآنية وتاريخ البناء ونصه «بنى هذه القبة عبد الله الإمام المأمون» وألقا به بخط ضيق يخالف الخط المستخدم فى سائر أجزاء الكتابة، مما يدل على أن المأمون أحدث تغييراً فى النص فأزال اسم الخليفة عبد الملك بن مروان ووضع اسمه، إلا أنه فاته أن يغير التاريخ، حيث أن عام ٧٢هـ/ ٦٩١-٦٩٢م يقع فى فترة حكم الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان(١٢٤).

وقد ذكر كريزويل أن الخليفة عبد الملك بن مروان كان يرغب فى أن تقوم قبة الصخرة محل الكعبة المشرفة، لذلك قرر منع أهل الشام من الحج، وفى هذا الصدد أورد روايتين تاريخيتين فى سبب بناء قبة الصخرة إحداهما لليعقوبى الذى أشار إلى أن عبد الملك بن مروان أمر بمنع الحج إلى مكة وقال إن هذه الصخرة التى يقال إن رسول الله ﷺ وضع قدمه عليها ستكون لكم بديلاً عن الكعبة ثم شيد القبة فوقها، واتخذ الناس عادة الطواف حول الصخرة كما كانوا يطوفون حول الكعبة، والأخرى للمقدسى الذى أورد سبباً آخر للبناء يتمثل فى مضاهاة العمارة المسيحية فى القدس، حيث قال «... وقلت يوما لعمى يا عم لم يحسن

الوليد حيث أنفق أموال المسلمين على جامع دمشق ولو أصرف ذلك فى عمارة الطرق والمصانع ورم الحصون لكان أصوب وأفضل قال لا تفعل يا بنى إن الوليد وفق وكشف له عن أمر جليل وذلك أنه رأى الشام بلد النصارى ورأى لهم فيها بيعا حسنة قد افتن زخارفها وانتشر ذكرها كالقمامة (القيامة) وبيعة لدوالرها فاتخذ للمسلمين مسجداً أشغلهم به عنهن وجعله أحد عجائب الدنيا ألا ترى أن عبد الملك لما رأى عظم قبة القمامة وهيئتها خشى أن تعظم فى قلوب المسلمين فنصب على الصخرة قبة على ما ترى»[١٢٥].

ويرجح كريزويل رأى اليعقوبى حيث يذكر أنه السبب الرئيسى لأنه يلائم تماماً الوضع السياسى حينئذ وفى الوقت ذاته يشير إلى أهمية ما أورده المقدسى بالنسبة لهذا الموضوع حيث يقول «ربما يكون أحد العوامل فى القضية»[١٢٦].

هذا وقد وضع تصميم قبة الصخرة (لوحة ١) ليلائم الطواف حول الصخرة المقدسة التى تمثل كتلة غير منتظمة من الصخر الطبيعى، ويبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب ١٨م، وعرضها من الشرق إلى الغرب ١٣م، كما يبلغ أقصى ارتفاع لها عن أرض البناء ١,٥٠م، ويحيط بهذه الصخرة المقدسة سياج من خشب الخرط أمر بصنعه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م، وقد جاء تخطيط القبة من قاعدة مستديرة تتكون من أربع دعائم كبيرة ملبسة بالرخام الأبيض - واثنى عشر عموداً، ووضعت هذه الأعمدة والدعائم فى تكوين دائرى يكفى للإحاطة بالصخرة، حيث أوجد المعمار بين كل دعامة وأخرى ثلاثة أعمدة، وتحمل الدعامات والأعمدة ستة عشر عقداً مدبباً، ويعلو القبة رقبة اسطوانية أوجد بها المعمار ست عشرة نافذة معقودة، وترتكز القبة[١٢٧] على هذه الرقبة، وقد جاء قطاعها نصف دائرى، وهى من الخشب يبلغ إرتفاعها من مستوى الأرض ٣٥,٥م، أما ارتفاع القبة نفسها فيبلغ ١٥م، وارتفاعها برقبتها وقاعدتها ٢٠,٥م، أما قطرها فهو ٢٠,٤٤م، والقبة الخشبية مزدوجة أى من طبقتين، الداخلية فيها من عروق خشبية على هيئة مدببة، أما الطبقة الخارجية للخوذة فتتكون من ضلوع خشبية مغلفة بالرصاص، ويعلو القبة هلال

من النحاس يبلغ ارتفاعه ٤,١٠م، وقد سقطت القبة فى سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦ - ١٠١٧م بسبب الزلزال الذى أصابها فى عهد الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله، ثم أعيد تشييدها فى عام ٤١٠هـ/١٠١٩م، ثم سقطت مرة أخرى فشيدت فى سنة ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م بعد أن أصابها حريق، ثم شيدت مرة أخرى، وسقطت فى العصرين العثمانى والحديث، ثم نجد مثمنًا يحيط بالقبة من الخارج وهو على شكل مربعين متقاطعين شيد فى زواياه الأكتاف الحاملة لسقف الممرات المحيطة بمنطقة الصخرة المقدسة، وجعل إمتداد رؤوس المربعين إلى الداخل محددًا للمربع الأوسط الذى وضعت فى زواياه الأكتاف الحاملة لرقبة القبة، ويقابل الداخل من أحد أبواب المثمن الخارجى رواقًا مثمنًا يبلغ اتساعه ٣,٨٠م، يحده من الجهة الخارجية جدران المثمن الخارجى الذى يبلغ قياس كل منها من الداخل ١٩م، كما يحده من الداخل أضلاع المثمن الداخلى والذى يبلغ طول كل ضلع من أضلاعه ١٥,٥م، ويتكون هذا المثمن من ثمانى دعامات ضخمة ملبسة بالرخام وستة عشر عمودًا من الرخام، وقد وزعت هذه الأعمدة بين الدعامات بشكل متناغم بحيث أوجد المعمار عمودين بين كل دعامة وأخرى فجاء كل ضلع من أضلاع المثمن عبارة عن ثلاثة عقود نصف دائرية، وهى فى مجموعها تتألف من أربعة وعشرين عقدًا واستخدمت الروابط الخشبية الضخمة لربط تيجان الأعمدة، بعضها ببعض، وتحمل هذه الدعامات والأعمدة مع الجدران الخارجية سقف هذا الرواق، وتزدان هذه العقود فى جوانبها وباطنها بالفسيفساء البراقة، ويشتمل كل جانب من الجوانب الأربعة التى تقابل الجهات الأصلية فى المثمن على فتحة باب، وقد أوجد المعمار رواقًا بين هذا المثمن ودائرة القبة يبلغ اتساعه ٦ م تقريبًا ويغطى هذا الرواق سقف خشبى مائل غطى بالرصاص، أما المثمن الخارجى فهو عبارة عن جدار فى كل ضلع من أضلاعه يبلغ طوله ٢٠,٦٠م، كما يبلغ إرتفاعه ٩,٥٠م بسمك ٢م ويشتمل كل ضلع من أضلاع هذا المثمن على سبعة تجاويف (دخلات) رأسية فى الجزء السفلى منها، بينما فتح فى الأجزاء العلوية منها نافذة معقودة مغطاة بالقاشانى المفرغ الذى يرجع إلى العصر العثمانى، وكانت النوافذ

الأصلية الموجودة بالجزء العلوى من الدخلات من الرخام المزخرف بأشكال هندسية مثل تلك الموجودة بالمسجد الأموى بدمشق، ويوجد أعلى الجدران الخارجية حاليًا منطقة مستطيلة تغطيها بلاطات القاشانى ويخرج من أسفلها ميازيب لتصريف الأمطار حتى لا تتراكم على السطح فتؤثر عليه ويبلغ عدد النوافذ فى الجدران ٥٦ نافذة، ٤٠ منها مفتوحة و ١٦ مصمتة، وتشتمل الجوانب الأربعة الموازية لمثيلاتها فى المثمن الداخلى والتى تقابل الجهات الأصلية على أربعة أبواب بواقع باب يتوسط كل ضلع، وتقع هذه الأبواب على محور أبواب المثمن الداخلى فى تناغم هندسى رائع، وقد جاءت فتحات هذه الأبواب باتساع ٢,٦م، وبارتفاع ٤,٣م لذلك فإن النوافذ الوسطى فوق هذه الأبواب والتى جاءت عبارة عن نافذة أعلى كل باب تتسم بصغرها مقارنة بالنوافذ الأخرى، ويتوج كل نافذة عقد نصف دائرى، ويتقدم كل من هذه المداخل التذكارية البارزة فى المثمن الخارجى سقيفة مقامة على أعمدة رخامية، والسقيفة مصنوعة على هيئة نصف دائرية من الخشب المزخرف والمذهب، ويغلق على كل مدخل مصراعان من الخشب يرجعان إلى العصر العثمانى، والأبواب الحالية المصفحة كما يذكر كريزويل ترجع إلى عهد السلطان سليمان القانونى، وكانت هذه الأبواب فى العصر العباسى من الخشب المزخرف كما أورد المقدسى، حيث قال «وفى الوسط قبة الصخرة على بيت مثمن بأربعة أبواب كل باب يقابل مرقاة باب القبلى باب إسرافيل باب السور باب النساء يفتح إلى الغرب جميعها مذهبة فى وجه كل واحد باب ظريف من خشب التنوب مداخل حسن أمرت بهن أم المقتدر بالله»(١٢٨).

أما الأبواب الأصلية فكما يذكر كريزويل لم تصل إلينا ولا نعرف عنها شيئًا(١٢٩).

هذا وقد أوجد المعمار بين هذا المثمن والمثمن الداخلى رواقًا آخر يغطيه سقف خشبى مائل غطى بالرصاص على غرار الرواق الذى يفصل بين القبة والمثمن الداخلى، وقد كان الغرض من الرواقين الداخلى والخارجى الطواف حول

الصخرة المقدسة، ويلاحظ أن المعمار أوجد تباينًا فى عرض كل من الرواقين الداخلى والخارجى، حيث جاء الرواق الداخلى المحصور بين القبة والمثمن الداخلى أكثر عرضًا من الرواق الخارجى، وذلك نتيجة أن الدعامات والأعمدة فى المثمن الداخلى لم تتوسط المساحة المحصورة بين القبة والمثمن الخارجى، وهو الأمر الذى نتج عنه هذا التباين فى الاتساع. ويذكر كريزويل انه بكشف جزء من الجدران الخارجية لفترة ببسيطة فى أثناء الإصلاحات فى سنة ١٢٩٠ - ١٢٩١هـ/ ١٨٧٣ - ١٨٧٤م ومرة أخرى قبل بضعة سنوات تبين أنها مبنية من الحجر فى مداميك يبلغ ارتفاعها ٨٠سم(١٣٠).

وترجع إلى عصر السلطان سليمان القانونى النوافذ ذات المصبعات المزدوجة. حيث يشير كريزويل إلى أنه لم يبق حتى الآن أى من النوافذ الأصلية، ولكن بفضل أبحاث ريتشموند التى اتسمت بالدقة أمكن تحديد موقعها فى عرض الجدران والنافذة نفسها. فعمق الجدار ١,٣٠م، وقد وجد على سطح إحدى فتحات النوافذ بقايا من الفسيفساء الزجاجية التى كانت تغطى فى الأصل الصف العلوى من الجدران الخارجية وقد كان الجانب الخارجى من جدران البناء مغطى بالفسيفساء ثم استبدلت بلوحات من القاشانى فى عهد السلطان العثمانى سليمان القانونى فى عام ٩٥٢هـ/ ١٥٤٥م(١٣١).

والواقع أن قبة الصخرة شهدت صناعة أبواب جديدة لها كما تقدم فى عام ٣٠١هـ/ ٩١٣م من قبل أم لخليفة العباسى المقتدر بالله، كما أصلح فى نفس التاريخ جانب من السقف، ثم قام الخليفة الفاطمى الظاهر بأعمال ترميم على يد على بن أحمد واسمه منقوش على الفسيفساء، وفى سنة ٩٥٢هـ/ ١٥٤٥م أمر السلطان العثمانى بإصلاح زخارف القبة حيث استبدلت الفسيفساء بلوحات من القاشانى، وتحتفظ قبة الصخرة فى كثير من أجزائها الداخلية بزخارف الفسيفساء، قوامها رسوم الأشجار والفاكهة والأوانى التى تخرج منها الفروع النباتية ورسوم الأهلة والنجوم، فهى تجمع بين بساطة التصميم وتناسق الأجزاء ودقة النسب وبين الجمال والفخامة والرونق وإبداع الزخرفة وتعتبر زخارف الفسيفساء بقبة

الصخرة من أقدم الزخارف الإسلامية المؤرخة، وكانت هذه الفسيفساء تكسو المنشأة من الداخل والخارج وقد أجريت فى هذه الفسيفساء عدة إصلاحات فى عصور مختلفة، وخاصة فى العصرين العباسى والفاطمى، غير أن الجزء الأكبر منها يرجع إلى عصر الخليفة عبد الملك بن مروان كما يذكر د. ربيع خليفة، وتتألف هذه الفسيفساء من فصوص صغيرة أو مكعبات دقيقة من الزجاج ـ الحجر ـ الصدف روعى فى لصقها أن تكون مسطحة وفى وضع أفقى، أما الفصوص المذهبة والمفضضة فقد الصقت فى وضع مائل حتى تعكس الضوء ويزداد بريقها، وقد تباينت الألوان بين الأخضر والأزرق بدرجات عدة إلى جانب اللون الأحمر والبنفسجى والبنى والأسود والأبيض، كما استعمل اللون الذهبى للخلفية، وأحيانا فى إبراز بعض العناصر مثل رسوم الفاكهة، وتتألف زخارف الفسيفساء من وحدات نباتية وصور أشجار كاملة بأوراقها وثمارها مثلت بشكل طبيعى مثل النخيل والزيتون والخيزران أو أشجار من ابتكار الخيال، كما اشتملت أيضًا على تشكيلات زخرفية متنوعة تمتزج بأوانى الزهور والقواقع وقرون الرخاء الحافلة بالورود والفواكه وخاصة العنب والرمان والبلح والتين والتفاح والكمثرى مع وحدات من أوراق الأكانتس الكبيرة الرشيقة، وعلى الرغم من أن فسيفساء قبة الصخرة متعددة الأصول إلا أن ثمة وحدة مبتكرة جامعة كما يذكر د. ربيع خليفة تجمع بينها فى إطار واحد، ومن ثم فهى تعد الخطوة الأولى فى مجال الفن الأموى، فثمة طابع مميز وروح جديدة، فى هذه الزخارف لا تجدها فى حصيلة الفنون السابقة على الفن الإسلامى، وليس هناك شك فى أن هذه الزخارف تمثل إبداعًا فنيا رائعًا يترك أثرًا عميقًا فى النفس ويبهر كل من يشاهده. وظلت القبة فريدة فى تصميمها وعمارتها وزخارفها بسبب الغرض الذى شيدت من أجله، وطبيعى أن تتأثر عمارة وزخرفة القبة بالأساليب المعمارية والفنية التى كانت تسود بلاد الشام قبل الفتح الإسلامى[١٣٢]. (انظر لوحات ٢-٥)

تعريب النقود والدواوين

ضربت الدراهم والفلوس الإسلامية فى العصر الأموى فى عهد الخليفة معاوية بن أبى سفيان وعليها صورته متقلدًا سيفًا، ولكن لم يعثر على أى منها بسبب الإصلاح النقدى الذى قام به الخليفة عبد الملك بن مروان، ولما اجتمع الأمر لزياد بن أبيه فى ولايتى البصرة والكوفة فى عهد الخليفة معاوية ضرب دراهم مماثلة لدراهم معاوية، ولم يكن لخلفاء معاوية أمثال يزيد بن معاوية، ومعاوية الثانى، ومروان بن الحكم محاولات فعالة وإيجابية فى ميدان ضرب النقود أو تعريبها، إلا أن بعض الثوار والمطالبين بالخلافة فطنوا إلى أهمية العملة لكونها مظهراً من مظاهر السلطان وسمة من سمات السيادة فضربوا بأسمائهم عملات على غرار ما فعله الخلفاء تعبيراً عن استقلالهم، ومن هؤلاء قطري بن الفجاءة الخارجى، وعبد الله بن الزبير، وأخوه مصعب الذى ضرب الدراهم سنة ٧٠هـ على ضرب الأكاسرة، وعليها بركة، وعليها الله، وذكر أن عبد الله بن الزبير أول من ضرب الدراهم المستديرة ونقش على أحد وجهى الدراهم «محمد رسول الله» وعلى الوجه الآخر «أمر الله بالوفاء والعدل»، غير أن هذه العملات لم تستكمل عناصرها من حيث إصلاحها وتعريبها إلا فى عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان(١٣٣).

بدأ الخليفة عبد الملك بن مروان بحركة تعريب السكة وتوحيدها، حيث لم تصدر العملات الإسلامية الخالصة إلا فى عهده الذى شهد ظاهرة صبغ الدولة بصبغة عربية فى جميع الشؤون الإدارية والمالية والفنية، وعلى هذا النحو ظهر فى عام ٧٧هـ (٦٩٦م) أول نقد إسلامى خالص خال من التأثيرات المسيحية كضرورة من ضرورات الاستقرار الاقتصادي، قال ابن الأثير فى أحداث سنة ٧٦هـ/ ٦٩٥م» وفى هذه السنة ضرب عبد الملك بن مروان الدنانير والدراهم،

وهو أول من أحدث ضربها فى الإسلام، فانتفع الناس بذلك. وكان سبب ضربها أنه كتب فى صدور الكتب إلى الروم: «قل هو الله أحد»، وذكر النبى ﷺ مع التاريخ، فكتب إليه ملك الروم: إنكم قد أحدثتم كذا وكذا، فاتركوه وإلا أتاكم فى دنانيرنا من ذكر نبيكم ما تكرهون، فعظم ذلك عليه. فأحضر خالد بن يزيد بن معاوية فاستشاره فيه، فقال: حرم دنانيرهم، واضرب للناس سكة فيها ذكر الله تعالى. فضرب الدنانير والدراهم»(١٣٤).

أما فيما يتعلق بالدواوين في العصر الأموى فقد تعددت نتيجة اتساع الدولة الأموية وازدياد نشاطها حتى بلغت خمسة دواوين، ولم يقتصر وجود الدواوين على قصر الخلافة بل أنشئت دواوين محلية فى الأقطار المفتوحة، كانت استمراراً للدواوين التى كانت موجودة قبل الفتح العربى، وظلت تستعمل فيها اللغات الفارسية والرومية والقبطية وأحيانًا اليونانية، ويتولى الوظائف فيها أشخاص من النصارى والفرس دون العرب والمسلمين، وكانت بعض الدواوين فى البلد الواحد تكتب باللغة العربية وبعضها الآخر إما باللغة الفارسية أو الرومية، غير أن الخليفة عبد الملك بن مروان تولى أمر تعريب الدولة، بعد أن نفذ عملية تعريب النقود فقام بتعريب الدواوين إكمالا لصبغ الدولة بصبغة عربية وهذه الدواوين هى ديوان الجند، وديوان الخراج، وديوان الرسائل، وديوان الخاتم، وديوان البريد(١٣٥).

والديوان كلمة فارسية معناها سجل أو دفتر، وأطلق اسم الديوان من باب المجاز على المكان الذى يحفظ فيه الديوان. قال الطبرى عند ذكره الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه «وهو أول من دون للناس فى الإسلام الدواوين»(١٣٦)، وقال ابن الأثير عند ذكره الخليفة عبد الملك بن مروان «وكان عبد الملك.. أول من نقل الديوان من الفارسية إلى العربية»(١٣٧).

الوليد بن عبد الملك ٨٦-٩٦هـ/ ٧٠٥-٧١٥م

هو الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أمه ولادة بنت العباس بن جزء بن الحارث بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس بن بغيض، قال الطبرى فى أحداث سنة ٨٦هـ/ ٧٠٥م «وفى هذه السنة بويع للوليد بن عبد الملك بالخلافة، فذكر أنه لما دفن أباه وانصرف عن قبره، دخل المسجد فصعد المنبر، واجتمع إليه الناس، فخطب فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! والله المستعان على مصيبتنا بموت أمير المؤمنين والحمد لله على ما أنعم به علينا من الخلافة. قوموا فبايعوا»[١٣٨].

قال ابن الأثير وقد أورد النص السابق «وكان أول من عزى نفسه وهنأها»[١٣٩].

الجامع الأموى بدمشق ٨٧-٩٦هـ/ ٧٠٦-٧١٥م (أشكال ١١-١٣)

رغب عبد الملك بن مروان فى زيادة مساحة المسجد الجامع بدمشق، وذلك من خلال إدخال النصف الثانى المصالح عليه وهو الغربى، وهو النصف الذى يمثل كنيسة القديس يوحنا إلى المسجد فأبى النصارى، كما أبوا من قبل على معاوية بن أبى سفيان عندما رغب فى زيادة مساحة المسجد، غير أن الوليد بن عبد الملك حقق ما كان يرغب فيه معاوية بن أبى سفيان ومن بعده عبد الملك بن مروان وهو الأمر الذى يتضح جليًا فيما أورده ابن جبير ونصه «والوليد هذا هو الذى أخذ نصف الكنيسة الباقية منه فى أيدى النصارى وإدخلها فيه، لأنه كان

قسمين: قسما للمسلمين وهو الشرقى، وقسما للنصارى وهو الغربى، لأن أبا عبيدة بن الجراح، رضى الله عنه، دخل البلد من الجهة الغربية، فانتهى إلى نصف الكنيسة، وقد وقع الصلح بينه وبين النصارى، ودخل خالد بن الوليد، رضى الله عنه، عنوة من الجانب الشرقى وانتهى إلى النصف الثانى وهو الشرقى، فاجتازه المسلمون وصيروه مسجدًا، وبقى النصف المصالح عليه وهو الغربى كنيسة بأيدى النصارى، إلى أن عوضهم منه الوليد، فأبوا ذلك، فانتزعه منهم..»(١٤٠).

وفى ذلك قال البلاذرى عند ذكره فتح دمشق وأرضها «وحدثنى مصعب عن أبيه عن مالك عن نافع عن أسلم بمثله، قالوا: ولما ولى معاوية بن أبى سفيان أراد أن يزيد كنيسة يوحنا فى المسجد بدمشق فأبى النصارى ذلك فأمسك، ثم طلبها عبد الملك بن مروان فى أيامه للزيادة فى المسجد وبذل لهم مالا فأبوا أن يسلموها إليه، ثم إن الوليد بن عبد الملك جمعهم فى أيامه وبذل لهم مالا عظيمًا على أن يعطوه إياها فأبوا، فقال: لئن لم تفعلوا لأهد منها، فقال بعضهم: يا أمير المؤمنين إن من هدم كنيسة جن وأصابته عاهة فاحفظه قولا ودعا بمعول وجعل يهدم بعض حيطانها بيده.. ثم جمع الفعلة والنقاضين فهدموها وأدخلها فى المسجد»(١٤١).

ويذكر ابن تغرى بردى فيما يتعلق بالجامع الأموى بعد الفراغ من عمارته عند ذكره السنة الثانية من ولاية قرة بن شريك على مصر وهى سنة إحدى وتسعين «وفيها حج بالناس الوليد بن عبد الملك، فلما دخل إلى المدينة غدا إلى المسجد ينظر إلى بنائه وأخرج الناس منه ولم يبق غير سعيد بن المسيب، فلم يجسر أحد من الحرس أن يخرجه، فقيل له: لو قمت: فقال: لا أقوم حتى يأتى الوقت الذى أقوم فيه، قيل: فلو سلمت على أمير المؤمنين: قال: والله لا أقوم إليه، قال عمر بن عبد العزيز: فجعلت أعدل بالوليد فى ناحية المسجد لئلا يراه، فالتفت الوليد إلى القبلة فقال: من ذلك الشيخ؟ أهو سعيد؟ قال عمر: نعم، ومن حاله كذا وكذا ولو علم بمكانك لقام فسلم عليك وهو ضعيف البصر، فقال

الوليد: قد علمنا حاله ونحن نأتيه، فدار فى المسجد ثم أتاه، فقال: كيف أنت أيها الشيخ؟ ـ فو الله ما تحرك سعيد ـ فقال: بخير والحمد لله، فكيف أمير المؤمنين وكيف حاله؟ فانصرف الوليد وهو يقول: هذا بقية الناس وصلى الوليد الجمعة بالمدينة فخطب الناس الخطبة الأولى جالسا، ثم قام فخطب الثانية قائمًا(١٤٢).

ويعد الجامع الأموى ٨٧هـ/٧٠٦م من روائع العمارة الإسلامية فى العصر الأموى، فقد جمع الخليفة الوليد بن عبد الملك لبنائه أمهر الصناع والمهندسين فى العالم من فارس والهند وبلاد الروم والمغرب، وأنفق على عمارته خراج الشام سبع سنوات.

وقد ذكره الجغرافيون والرحالة المسلمون ووصفوه وصفًا بديعًا، قال اليعقوبى عند ذكره مدينة دمشق «ومسجدها، الذى ليس فى الإسلام أحسن منه بالرخام والذهب، بناه الوليد بن عبد الملك بن مروان فى خلافته»(١٤٣).

كما وصفه الاصطخرى فقال «وأما جند دمشق فإن قصبتها مدينةَ دمشق، وهى أجل مدينة بالشام كلها، وهى فى أرض واسعة بين جبال تحيط بها مياه كثيرة وأشجار وزروع متصلة.. وبها مسجد ليس فى الإسلام مسجد أحسن ولا أكثر نفقة منه.. فجعل أرضه رخاما مفروشًا، وجعل وجه جدرانه رخامًا مجزعًا، وأساطينه رخاما موشى، ومعاقد رؤوس أساطينه ذهبا، ومحرابه ذهبًا مرصعًا بالجواهر، ودور السقف كله ذهبًا مكتبًا.. وسطحه رصاص، وسقفه خشب مذهب، يدور الماء على رقعة المسجد حتى إذا فجر فيه انبسط على جميع الأركان سواء»(١٤٤).

ووصفه المقدسى فقال «دمشق هى مصر الشام ودار الملك أيام بنى أمية وثم قصورهم واثارهم بنيانهم خشب وطين.. والجامع أحسن شىء للمسلمين اليوم.. قد رفعت قواعده بالحجارة... وجعل عليها شرف بهية وجعلت اساطينها أعمدة سودا.. على ثلاثة صفوف.. وفى الوسط إزاء المحراب قبة

كبيرة وأدير على الصحن أروقة متعالية.. ثم بلط جميعه بالرخام الأبيض وحيطانه إلى قامتين بالرخام المجزع ثم إلى السقف بالفسافساء الملونة فى المذهبة صور أشجار وأمصار وكتابات على غاية الحسن والدقة ولطافة الصنعة.. وطليت رؤوس الأعمدة بالذهب وقناطر الأروقة كلها مرصعة بالفسيفساء وأعمدة الصحن كلها رخام أبيض.. والشرافيات من الوجهين بالفسيفساء وعلى الميمنة فى الصحن بيت مال على ثمانية عمد مرصع حيطانه بالفسافساء وفى المحراب وحوله فصوص عقيقية وفيروزجية.. ومن أعجب شىء فيه تاليف الرخام المجزع.. ويقال إن الوليد جمع لبنائه حذاق فارس والهند والمغرب والروم وأنفق عليه خراج الشام سبع سنين مع ثمانى عشرة سفينة ذهب وفضة أقلعت من قبرص سوى ما أهدى إليه ملك الروم»[١٤٥].

ويشير المقدسى إلى السبب الذى جعل الخليفة الوليد يتأنق فى عمارة المسجد من الناحيتين المعمارية والزخرفية بقوله «وقلت يومًا لعمى يا عم لم يحسن الوليد حيث أنفق أموال المسلمين على جامع دمشق ولو أصرف ذلك فى عمارة الطرق والمصانع ورم الحصون لكان أصوب وأفضل قال لا تفعل يا بنى إن الوليد وفق وكشف له عن أمر جليل وذلك أنه رأى الشام بلد النصارى ورأى لهم فيها بيعًا حسنة قد أفتن زخارفها وانتشر ذكرها كالقمامة وبيعة لدوالرها فاتخذ للمسلمين مسجدًا أشغلهم به عنهن وجعله أحد عجائب الدنيا»[١٤٦].

وذكر الإدريسى دمشق ومسجدها الجامع فقال «ومدينة دمشق من أجل بلاد الشام وأحسنها مكانا وأعدلها هواء وأطيبها ثرى وأكثرها مياها وأغزرها فواكه وأعمها خصبا وأوفرها مالا وأكثرها جندا وأشمخها بناء ولها جبال ومزارع تعرف بالغوطة.. وبها المسجد الجامع الذى ليس على الأرض مثله بناء ولا أحسن منه صنعة ولا أتقن منه إحكاما ولا أوثق منه عقدا ولا أغرب منه رسما ولا أبدع منه تلميعا بأنواع الفصفص المذهب والآجر المحكوك والمرمر المصقول وهو فى مربعة تعرف بالميزاب فمن جاءه من ناحية باب جيرون صعد إليه فى درج رخام كبير واسع نحو من ثلاثين درجة ومن قصده من ناحية باب البريد والقبة الخضراء

وقصر اليتيمين وحجر الذهب وباب الفراديس كان مدخله مع الأرض بغير درج... تغلبت عليه النصارى فصار ملكا بأيديهم فحولته بيعة يقيمون بها دينهم ثم استفتحها الإسلام فصار لهم فاتخذوه جامعًا فلما كان فى أيام الوليد بن عبد الملك من بنى أمية عمره فجعل أرضه رخاما ومعاقد رؤوس أساطينه ذهبا ومحرابه مذهبا وسائر حيطانه مرصعة بأشباه الجوهر ودور السقف كله مكتبا كما يدور بترابيع جدران المسجد مذهبا بأحسن صنعة وأبدع تنميق ويقال إنه جعل بأعلى السقف حصر رصاص محكمة التأليف وثيقة الصنعة والماء يصل إليه فى قنوات رصاص فمتى احتاج ذلك المسجد إلى الغسل فتح إليه الماء وغسل جميع صحنه بأهون سعى ويقال إن الوليد بن عبد الملك المقدم ذكره أنفق فى إتقان هذا المسجد الجامع خراج الشام كله سنتين»(١٤٧).

كما وصفه ياقوت الحموى فقال «وأما جامعها فقد وصفه بعض أهل دمشق فقال: هو جامع المحاسن كامل الغرائب معدود إحدى العجائب.. وهو منزه عن صور الحيوان إلى صنوف النبات وفنون الأغصان لكنها لاتجنى إلا بالأبصار ولا يدخل عليه الفساد كما يدخل على الأشجار والثمار بل باقية على طول الزمان مدركة بالعيان فى كل أوان.. وقالوا: عجائب الدنيا أربع: قنطرة سنجة ومنارة الإسكندرية وكنيسة الرها ومسجد دمشق، وكان قد بناه الوليد بن عبد الملك بن مروان وكان ذاهمة فى عمارة المساجد، وكان الابتداء بعمارته فى سنة ٨٧، وقيل سنة ٨٨.. واحتفل فى بنائه بغاية ما أمكنه وسهل عليه إخراج الأموال وعمل له أربعة أبواب: فى شرقيه باب جيرون وفى غربيه باب البريد وفى القبلة باب الزيادة وباب الناطفانيين مقابله وباب الفراديس فى دبر القبلة.. وهو مبنى على الأعمدة الرخام طبقتين، الطبقة التحتانية أعمدة كبار والتى فوقها صغار فى خلال ذلك صورة كل مدينة وشجرة فى الدنيا بالفسيفساء الذهب والأخضر والأصفر، وفى قبليه القبة المعروفة بقبة النسر، ليس فى دمشق شىء أعلى ولا أبهى منظراً منها، ولها ثلاث منائر، ولم يزل جامع دمشق على تلك الصورة يبهر بالحسن والتنميق إلى أن وقع فيه حريق فى سنة ٤٦١ فأذهب بعض بهجته(١٤٨).

وقد ذكره ابن جبير عند ذكر مدينة دمشق فقال «هو من أشهر جوامع الإسلام حسنًا، وإتقان بناء، وغرابة صنعة، واحتفال تنميق وتزيين. وشهرته المتعارفة فى ذلك تغنى عن استغراق الوصف فيه. . انتدب لبنائه الوليد بن عبد الملك، رحمه الله، ووجه إلى ملك الروم بالقسطنطينية يأمره بأشخاص اثنى عشر ألفا من الصناع من بلاده. . . فامتثل أمره. . فشرع فى بنائه، وبلغت الغايات فى التأنق فيه، وأنزلت جدره كلها بفصوص من الذهب المعروف بالفسيفساء، وخلطت بها أنواع من الأصبغة الغريبة، قد مثلت أشجارًا، وفرعت أغصانًا منظومة بالفصوص، ببدائع من الصنعة الأنيقة المعجزة وصف كل واصف، فجاء يغشى العيون وميضًا وبصيصًا، وكان مبلغ النفقة فيه، حسبما ذكره ابن المعلى الأسدى في جزء وضعه فى ذكر بنائه، مئة صندوق، فى كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار ومئتا ألف دينار، فكان مبلغ الجميع أحد عشر ألف ألف دينار ومئتى ألف دينار»(١٤٩).

من خلال ما تقدم من روايات تاريخية يتضح أن الجامع الأموى بدمشق شيد على أنقاض معبد وثنى قديم، كان قد تحول إلى كنيسة القديس يوحنا المعمدان شيد المسجد مكانها، وهو قائم فى قلب المدينة القديمة، وعوض المسلمون النصارى بدلاً منها، وقد جاء المسجد يشغل مساحة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب بشكل أفقى، ويبلغ طولها ٣٠٠ ذراع بعرض ٢٠٠ ذراع (١٥٦ × ٩٧م).

قال ابن جبير «ذرعه فى الطول من الشرق إلى الغرب مئتا خطوة، وهما ثلاث مئة ذراع، وذرعه فى السعة من القبلة إلى الجوف مئة خطوة وخمس وثلاثون خطوة، وهى مئتا ذراع»(١٥٠). وقد جاء تخطيط هذه المساحة المستطيلة من صحن أوسط مكشوف وأربعة أروقة تحيط به من جوانبه الأربعة أكبرها وأعمقها ظلة القبلة التى تمتد بطول ١٣٦م تقريبا، وبعمق ٣٦م تقريبا، وتتكون من ثلاث بلاطات تفصلها ثلاث بائكات، قال ابن جبير «وبلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاثة مستطيلة من الشرق إلى الغرب، سعة كل بلاط منها ثمانى عشرة خطوة، والخطوة ذراع ونصف، وقد قامت على ثمانية وستين عمودًا»(١٥١).

ويتضح من المسقط الأفقى ونص ابن جبير أن البلاطات والبائكات فى ظلة القبلة تمتد من الشرق إلى الغرب موازية لجدار القبلة، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه تطابق وصف ابن جبير مع تخطيط المسجد الحالى، وتكمن أهمية هذا التخطيط فى ظلة القبلة فى كونه أقدم مثل قائم فى العمارة الإسلامية، ويقطع امتداد البلاطات والبائكات الموازية لجدار القبلة فى ظلة القبلة فى الوسط بلاطة وسطى (مجاز قاطع) عمودية على جدار القبلة، يحف بها بائكتان من العقود القائمة على دعامات، تشتمل كل بائكة على ثلاثة عقود، وكان يعلو هذه البلاطة الوسطى فى عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك بن مروان ثلاث قباب، قال ابن جبير يصف البلاطة الوسطى «وأعظم ما فى هذا الجامع المبارك قبة الرصاص المتصلة بالمحراب وسطه، سامية فى الهواء، عظيمة الاستدارة، قد استقل بها هيكل عظيم هو غارب لها، يتصل من المحراب إلى الصحن، وتحته ثلاث قباب: قبة تتصل بالجدار الذى إلى الصحن، وقبة تتصل بالمحراب، وقبة تحت قبة الرصاص بينهما. والقبة الرصاصية قد أغصت الهواء وسطه، فإذا استقبلتها أبصرت منظرًا رائعًا، ومرأى هائلا، يشبهه الناس بنسر طائر... ومن أى جهة استقبلت البلد ترى القبة فى الهواء منيفة على كل علو كأنها معلقة من الجو»(١٥٢).

وقد غطيت البلاطة الوسطى حاليا بجمالون تتوسطه قبة حجرية أضيفت إلى المسجد فى تاريخ لاحق على إنشائه، وبالتحديد فى سنة ٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م من قبل السلطان ملكشاه السلجوقى عند تجديده المسجد، وتعرف هذه القبة بقبة النسر قال ابن جبير «يشبهه الناس بنسر طائر، كأن القبة رأسه، والغارب جؤجؤه، ونصف جدار البلاط عن يمين، ونصف الثانى عن شمال، جناحاه، وسعة هذا الغارب من جهة الصحن ثلاثون خطوة، فهم يعرفون الموضع من الجامع بالنسر لهذا التشبيه الواقع عليه»(١٥٣).

ويتميز سقف البلاطة الوسطى بأنه أكثر ارتفاعًا من سقف المسجد، حيث يصل ارتفاعه إلى ٢٣م، بينما يبلغ ارتفاع السقف فى بقية أرجاء المسجد ١٥م.

أما الصحن فقد جاء من مساحة مستطيلة يبلغ طولها ١٢٥م تقريبا، ويزيد عرضها عن ٦٠م تحيط به ظلة من جوانبه الثلاثة الشمالية الغربية والجنوبية الغربية والشمالية الشرقية، تتكون كل ظلة من بلاطة واحدة، قال ابن جبير يصف الصحن «وفى الجدار المتصل بالصحن، المحيط بالبلاطات القبلية، عشرون بابًا متصلة بطول الجدار قد علتها قسى جصية مخرمة كلها على هيئة الشمسيات فتبصر العين من اتصالها أجمل منظر وأحسنه. والبلاط المتصل بالصحن، المحيط بالبلاطات من ثلاث جهات، على أعمدة، وعلى تلك الأعمدة أبواب مقوسة تقلها أعمدة صغار تطيف بالصحن كله. ومنظر هذا الصحن من أجمل المناظر وأحسنها، وفيه مجتمع أهل البلد، وهو متفرجهم ومتنزههم كل عشية، تراهم فيه ذاهبين وراجعين من شرق إلى غرب، من باب جيرون إلى باب البريد، فمنهم من يتحدث مع صاحبه، ومنهم من يقرأ، لا يزالون على هذه الحال من ذهاب ورجوع إلى انقضاء صلاة العشاء الآخر، ثم ينصرفون، ولبعضهم بالغداة مثل ذلك، وأكثر الاحتفال إنما هو بالعشى فيخيل لمبصر ذلك أنها ليلة سبع وعشرين من رمضان المعظم لما يرى من احتفال الناس واجتماعهم، لايزالون على ذلك كل يوم»(١٥٤).

ويتسم نص ابن جبير فيما يتعلق بالصحن بالوصف المعمارى الرائع والاجتماعى البديع فى تسجيل بهاء الصحن من جهة ودوره كمتنزه لأهل البلد من جهة أخرى فمن الناحية المعمارية ومن خلال الوصف المعمارى للمسقط الأفقى يمكن القول إن ظلة القبلة تشرف عليه من خلال بائكة ممتدة من الشرق إلى الغرب موازية لجدار القبلة، وقد قسم المعمار هذه البائكة إلى ثلاثة أقسام بحيث يمثل القسم الأوسط مدخل البلاطة الوسطى (لوحة ٧)، وهو المدخل الذى يتوصل منه إلى ظلة القبلة والمحراب (لوحة ٨، ٩)، وهو عبارة عن بائكة ثلاثية من ثلاثة عقود ترتكز على عمودين فى الوسط وعلى كتفين فى الجانبين واتسم العقد الأوسط بأنه أكثر اتساعًا من العقدين الجانبيين، وقد كرر المعمار هذه البائكة بشكل زخرفى بديع فى المستوى الثانى من واجهة البلاطة الوسطى على

الصحن بحيث تعلو البائكة الثلاثية الأساسية، غير أنها فى المستوى العلوى نفذت بشكل أقل إرتفاعًا، وقد وضعها المعمار داخل إطار معقود يرتكز على كتفى مدخل البلاطة الوسطى فى تكوين زخرفى جميل، وقد زخرفت كوشات العقود فى البائكتين من جهة، وداخل العقد الذى يحدد البائكة العلوية وخارجه الذى يتمثل فى واجهة البلاطة الوسطى على الصحن بزخارف نباتية وهندسية بديعة التكوين، وهى الزخارف التى تقدم ذكرها فى النصوص التاريخية، والواجهة فى مجملها تمثل آية من آيات الفن الإسلامى.

وقد أوجد المعمار على جانبى مدخل البلاطة الوسطى أو القسم الأوسط من البائكة التى يشرف من خلالها رواق القبلة على الصحن قسمين متماثلين بواقع قسم فى كل جانب، ويتكون كل قسم من عشرة عقود أى أن القسمين يشتملان على عشرين عقدًا، وقد نفذت هذه العقود فى القسمين بشكل متناغم من الناحيتين المعمارية والزخرفية، حيث جاءت على هيئة ثلاث بائكات ثلاثية متجاورة ثم أوجد المعمار فتحة معقودة تلاصق البلاطة الوسطى، وهذا التصميم جاء متطابقًا فى جانبى البائكة، وتشرف ظلة المؤخرة على الصحن من خلال بائكة تتكون من أربعة وعشرين فتحة معقودة نفذت بهيئة زخرفية بديعة عبارة عن ثمانى بائكات ثلاثية متجاورة مما أوجد تناسقا وتناغما معماريا بين البائكتين الجنوبية والشمالية على الصحن، أما الظلتان الجانبيتان الشرقية والغربية (لوحة ١٠) فتشرف كل منهما على الصحن من خلال بائكة تتكون من تسع فتحات معقودة نفذت على هيئة ثلاث بائكات ثلاثية متجاورة بشكل زخرفى جميل فى الجانبين، وترتكز كل بائكة ثلاثية فى الجوانب الأربعة للصحن على عمودين فى الوسط وعلى كتفين فى الجانبين، وتتكون هذه البائكات من مستويين، حيث جاء المستوى العلوى من فتحات مستطيلة قصيرة معقودة. هذا وقد أمدنا ابن جبير بالقباب التى وجدت بالصحن، حيث قال «وفى الصحن ثلاث قباب: إحداها فى الجانب الغربى منه وهى أكبرها، وهى قائمة على ثمانية أعمدة من الرخام، مستطيلة كالبرج، مزخرفة بالفصوص والأصبغة الملونة، كأنها الروضة حسنًا،

وعليها قبة رصاص كأنها التنور العظيم الاستدارة، يقال: إنها كانت مخزنًا لمال الجامع.. وقبة أخرى صغيرة فى وسط الصحن مجوفة مثمنة من رخام قد ألصق أبدع إلصاق، قائمة على أربعة أعمدة صغار من الرخام وتحتها شباك حديد مستدير، وفى وسطه أنبوب من الصفر يمج الماء إلى علو، فيرتفع وينثنى... ويسمونه قفص الماء. والقبة الثالثة فى الجانب الشرقى قائمة على ثمانية أعمدة على هيئة القبة الكبيرة لكن أصغر منها»(١٥٥).

ويصف لنا ابن جبير بعض أبواب الصحن (لوحات ١١-١٣) وما تؤدى إليه فيقول «وفى الجانب الشمالى من الصحن باب كبير يفضى إلى مسجد كبير، فى وسطه صحن، قد استدار فيه صهريج من الرخام كبير.. ويعرف هذا الموضع بالكلاسة.. وفى الجانب الشرقى من الصحن باب يفضى إلى مسجد من أحسن المساجد وأبدعها وضعا وأجملها بناء يذكر الشيعة أنه مشهد لعلى بن أبى طالب، رضى الله عنه.. ومن العجيب أن يقابله، فى الجهة الغربية فى زاوية البلاط الشمالى من الصحن، موضع هو ملتقى آخر البلاط الشمالى مع أول البلاط الغربى.. يزعم أكثر الناس أنه موضع لعائشة، رضى الله عنها»(١٥٦).

ويحيط بالصحن من جوانبه الثلاثة الشمالية والشرقية والغربية رواق واحد يتكون من بلاطة واحدة، قال ابن جبير «ويستدير بالصحن بلاط من ثلاث جهاته: الشرقية والغربية والشمالية، سعته عشر خطا، وعدد قوائمه سبع وأربعون»(١٥٧).

ويذكر ابن جبير سقف المسجد بقوله «وسقف الجامع كله من خارج ألواح رصاص»(١٥٨).

ويصف لنا ابن جبير مقاصير الصلاة فى المسجد فيقول «وفى الجامع المكرم ثلاث مقصورات مقصورة الصحابة، رضى الله عنهم، وهى أول مقصورة وضعت فى الإسلام، وضعها معاوية بن أبى سفيان، رضى الله عنهما، وبإزاء محرابها عن يمين مستقبل القبلة باب حديد، كان يدخل معاوية، رضى الله عنه، إلى المقصورة منه إلى المحراب.. وبإزاء محرابها لجهة اليمين مصلى أبى الدرداء

رضى الله عنه، وخلفها كانت دار معاوية.. وهى اليوم سماط عظيم للصفارين.. ويليها لجهة الغرب، فى وسط الجامع، المقصورة التى أحدثت عند إضافة النصف المتخذ كنيسة إلى الجامع.. وفيها منبر الخطبة ومحراب الصلاة. وكانت مقصورة الصحابة أولاً فى نصف الحظ الإسلامى من الكنيسة.. فلما أعيدت الكنيسة كلها مسجداً صارت مقصورة الصحابة طرفًا فى الجانب الشرقى، وأحدثت المقصورة الأخرى وسطًا حيث كان جدار الجامع قبل الاتصال.. وهذه المقصورة المحدثة أكبر من الصحابية.. وبالجانب الغربى بإزاء الجدار مقصورة أخرى هى برسم الحنفية»(١٥٩).

وكان له أربعة أبواب هى باب البريد فى الجهة الغربية، وباب الناطفيين (الفراديس) فى الجهة الشمالية، وباب جيرون فى الشرق، أما الباب القبلى فيعرف بباب الساعات (الزيادة) لأن عمل الساعات كان بجانبه، وكان على كل باب من أبواب المسجد الأربعة فى القرن ٤هـ/ ١٠م ميضأة وفوارات ماء(١٦٠).

قال ابن جبير يصف أبواب المسجد «وله أربعة أبواب: باب قبلى، ويعرف بباب الزيادة، وله دهليز كبير متسع، له أعمدة عظام، وفيه حوانيت للخرزيين وسواهم.. ومنه يفضى إلى دار الخيل، وعن يسار الخارج منه سماط الصفارين وهى كانت دار معاوية.. وتعرف بالخضراء، وباب شرقى، وهو أعظم الأبواب، ويعرف بباب جيرون، وباب غربى، ويعرف بباب البريد، وباب شمالى، ويعرف بباب الناطفيين. وللشرقى والغربى والشمالى أيضا من هذه الأبواب دهاليز متسعة، يفضى كل دهليز منها إلى باب عظيم»(١٦١).

ويحدثنا ابن جبير عن مآذن المسجد بقوله «وللجامع ثلاث صوامع: واحدة فى الجانب الغربى، وهى كالبرج المشيد، يحتوى على مساكن متسعة وزوايا فسيحة.. والبيت الأعلى منها كان معتكف أبى حامد الغزالى.. ويسكنه اليوم الفقيه الزاهد أبو عبد الله بن سعيد من أهل قلعة يحصب المنسوبة لهم... وثانية

بالجانب الغربى على هذه الصفة، وثالثة بالجانب الشمالى على الباب المعروف بباب الناطفيين»[١٦٢].

والواقع أن المسجد كان يشتمل على أربع صوامع (مآذن) بواقع صومعة فى كل ركن من أركانه، ويرى كريزويل[١٦٣] عند ذكره المآذن التى شيدها والى مصر مسلمة بن مخلد الأنصارى لجامع عمرو بن العاص بالفسطاط بأمر من الخليفة معاوية بن أبى سفيان فى عام ٥٣هـ/ ٦٧٣م أن فكرة تشييد أربعة أماكن للنداء إلى الصلاة، واحدة فى كل ركن من أركان المسجد ربما اقتبست من الأبراج الأربعة فى أركان المعبد بدمشق (الجامع الأموى)، ويرى أيضا أن هذا الاحتمال تزايد من خلال الحقيقةالتى مؤداها أن الخليفة الذى أمر بالبناء حكم من هذه المدينة (دمشق)، وعندما قام الخليفة الأموى الوليد بزيادة مسجد المدينة جعل به مئذنة فى كل ركن، وينتهى إلى نتيجتين هما: أن الأبراج الأربعة التى كانت بالمعبد (الجامع الأموى)، وهى أبراج مربعة غير شاهقة الارتفاع عبارة عن برج فى كل ركن أصبحت بلا شك المآذن الأولى، أما النتيجة الثانية فهى أن فكرة المئذنة نشأت فى سوريا فى ظل الخلافة الأموية، وأن المآذن الأولى اشتقت معماريًا من برج الكنيسة السورية[١٦٤].

ويرى د. فريد شافعى أن الصوامع الرومانية القديمة التى ذكرها كريزويل لم تكن تعلو إلا قليلا عن سطح المسجد، لذا فهى لم تكن تصلح للدعوة للصلاة فى عاصمة كبيرة مثل دمشق، ولكنها تركت على حالتها لأنها كانت تصلح لأن تكون بمثابة قواعد رفعت فوقها منارات روعى فى تكوينها المعمارى أن يتاح للمؤذن أن يصعد إلى شرفة عالية لإعلان الأذان، والواقع أن ما ذهب إليه كريزويل يحتاج إلى دراسة مستفيضة فى كافة مصادر الحضارة الإسلامية من جهة، ووجهة صحيحة فى البحث والدراسة من جهة أخرى، فقد أمدنا ابن سعد فى الطبقات بمرحلة انتقالية لإعلان الأذان من سطح بيت إلى ظهر المسجد حيث قال ما نصه «أخبرنى من سمع النوار أم زيد ابن ثابت تقول كان بيتى أطول بيت حول المسجد فكان بلال يؤذن فوقه من أول ما أذن إلى

أن بنى رسول الله مسجده ، فكان يؤذن بعد على ظهر المسجد وقد رفع له شىء فوق ظهره»[١٦٥].

وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه أن بلالاً كان يؤدى الأذان من فوق مكان مرتفع عن مستوى سطح المسجد النبوى، ويمكن تخيل هذا الارتفاع على أنه كتلة بنائية من اللبن تعلو ركن المسجد حيث يتيسر إقامتها، فإنه لا يمكن إقامتها فوق سقف المسجد المكون من عوارض وسعف وخصف على سوارى من جذوع النخل، كما يمكن أن نتخيل الرقى إلى أعلى هذه الكتلة بوساطة أقتاب «درجات» توضع فوق أحد جدران المسجد.

هذا ويذكر السمهودى مرحلة أكثر تطوراً واستقلالية عن مكان الأذان فيقول «كان فى دار عبد الله بن عمر اسطوان فى قبلة المسجد يؤذن عليها بلال يرقى إليها بأقتاب والاسطوان مربعة قائمة إلى اليوم يقال لها المطمار، وهى فى منزل عبيد الله بن عبد الله بن عمر»[١٦٦].

مما تقدم يعنى أن المطمار كان عبارة عن تكوين معمارى مربع من قاعدته إلى أعلاه يرقى إليه المؤذن من خلال درجات تلتصق به من إحدى جهاته الأربع، كما يتضح أن المطمار كان خارجًا عن المسجد النبوى، وقد اتفق على هذا الموضع ابن النجار والسمهودى[١٦٧].

وقد أمدنا المؤرخ يحيى بن الحسين بنص فى غاية الأهمية يتعلق بنشأة المئذنة فى عصر الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه، حيث قال «ومن مآثر عثمان بناء المنارات للأذان وكانت فى زمنه مربعة الشكل»[١٦٨]، ومما يؤكد نص المؤرخ يحيى بن الحسين ما أورده الطبرى فى تاريخه عن الزوراء فى عصر عثمان بن عفان رضى الله عنه، حيث قال فى أحداث سنة ٣٠هـ» وفى هذه السنة زاد عثمان النداء الثالث على الزوراء»[١٦٩].

وفى ذلك أورد الشيخ عبد الحى الكتانى فى التراتيب الإدارية» فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء والزوراء قيل إنه مرتفع كالمنارة»[١٧٠].

هذا وقد ذكر السمهودى[١٧١] أن الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه يعد أول من رزق المؤذنين، وهو الأمر الذى يؤكد أن المئذنة فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه أصبحت وحدة معمارية لها طرازها المميز، كما أصبحت وظيفة المؤذن من بين الوظائف الدينية المهمة الخاصة بأداء شعائر الصلاة.

وقد ذكر البلاذرى[١٧٢] أن جامع البصرة كان يشتمل على منارة بنيت من الحجر من قبل زياد بن أبيه والى العراق، وذلك فى عام ٤٥هـ/ ٦٦٥م وهو ما يجعلنا نقرر مطمئنين أن المئذنة وحدة معمارية عربية إسلامية خالصة، أنشأها معمار مسلم على وعى وإدراك بمتطلبات عقيدته الدينية، وفى هذا الصدد فإن التشكك فى صحة رواية البلاذرى على أساس أنه المؤرخ الوحيد الذى ذكرها يعد غير مقبول على الإطلاق من قبل المستشرقين.

مما تقدم يتضح أن كريزويل لم يتجه الوجهة الصحيحة فى دراسة أصل وتطور المئذنة، حيث كان ينبغى عليه أن يتجه ببصره مباشرة إلى المدينة المنورة والمسجد النبوى الذى يعد أصل عمارة المسجد فى العالم الإسلامى وليس إلى سوريا فى العصر الأموى.

وفيما يتعلق بزخارف المسجد فقد زين بالفسيفساء والرخام (لوحة ١٤، ١٥) والكتابات العربية حتى أصبح مثالاً للروعة والجمال، وهو الأمر الذى يتضح جليا فى النصوص التاريخية التى تقدم ذكرها على سبيل المثال وليس الحصر، ونشير هنا إلى نص مهم أورده ابن جبير عن هذه الزخارف حيث قال «وكان هذا الجامع المبارك، ظاهراً وباطنًا، منزلاً كله بالفصوص المذهبة، مزخرفًا بأبدع زخاريف البناء المعجز الصنعة، فأدركه الحريق مرتين، فتهدم وجدد، وذهب أكثر رخامه، فاستحال رونقه، فأسلم ما فيه اليوم قبلته مع الثلاث قباب المتصلة بها، ومحرابه من أعجب المحاريب الإسلامية حسنًا وغرابة صنعة، يتقد ذهبًا كله، وقد قامت فى وسطه محاريب صغار متصلة بجداره تحفها سويرات مفتولات فتل الأسورة كأنها مخروطة، لم ير شىء أجمل منها، وبعضها حمر كأنها مرجان،

فشأن قبلة هذا الجامع المبارك، مع ما يتصل من قبابه الثلاث، وأشرق شمسياته المذهبة الملونة عليه، واتصال شعاع الشمس بها، وانعكاسه إلى كل لون منها، حتى ترتمى الأبصار منه أشعة ملونة، يتصل ذلك بجداره القبلى كله، عظيم لا يلحق وصفه ولا تبلغ العبارة بعض ما يتصوره الخاطر منه»[١٧٣].

هذا وقد حافظ المسجد الأموى على بنائه وروعة زخارفه حتى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى، غير أنه مر بعدة مراحل من التجديد والعمارة عبر عصوره الإسلامية المتعاقبة شأنه فى ذلك شأن جميع مساجد العالم الإسلامى أذكر منها أن سقف المسجد تأثر بسبب زلزال عام ١٣١هـ/ ٧٤٨م ثم زلزال عام ٢٣٣هـ/ ٨٤٧م، وقد أضيفت لبناء المسجد فى العصر الفاطمى بعض التجديدات منها بناء قبة الرخام التى فيها فوارة الماء وذلك فى سنة ٣٦٩هـ/ ٩٧٩م وقيل فى سنة ٣٩٦هـ/ ١٠٠٥م، وهى قبة صغيرة أقيمت فى وسط صحن المسجد على أربعة أعمدة، أطلق عليها اسم قبة النوفرة، أما فيما يتعلق بمئذنة العروس التى تتوسط الرواق الشمالى فقد تهدمت وأعيد بناؤها فى العصر الفاطمى فى عام ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م، أما القبة الشرقية وتسمى قبة الساعات فشيدت عام ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م، وفى عام ٤١١هـ/ ١٠٢٠م أقيم فى صحن المسجد عمودان من الشرق والغرب بأمر قاضى المدينة لإنارة المسجد، وفى سنة ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م شيد الشريف القاضى فخر الدين أبو يعلى حمزة بن الحسن بن العباس الحسينى الفوارة المنحدرة فى وسط جيرون، وعمل لها قناطر، وعقد عليها قبة مزخرفة، وأجرى ماءها[١٧٤].

وفى عام ٤٥٧هـ/ ١٠٦٤م تعرضت الفوارة المنحدرة التى شيدها الشريف القاضى فخر الدين فى وسط جيرون سنة ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م للسقوط، فأعيد تشييدها مرة أخرى، ثم تعرض المسجد لحريق فى سنة ٤٦١هـ/ ١٠٦٨م، ثم جدد فى ولاية معلى بن حيدرة الكتامى (٤٦١-٤٦٨هـ/ ١٠٦٨-١٠٧٥م)، كما جدد المسجد فى عام ٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م فى عهد السلطان ملكشاه السلجوقى[١٧٥].

والواقع أن كثيرا من الزخارف التى كشف عنها دى لورى يرجع إلى عهد السلطان ملكشاه السلجوقى عند تجديده للمسجد كما تقدم، فقد كشف الاستاذ دى لورى مدير المعهد الفرنسى فى دمشق عن أجزاء كبيرة من الفسيفساء، وذلك فى عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م، وأهم ما كشف عنه تلك الأجزاء المعروفة الآن، ومنها جزء ينسب إلى نهر بردى فى دمشق يرد فيه رسم نهر على ضفته أشجار ونباتات وبيوت، كما تظهر على النهر قنطرة، وتظهر زخارف فسيفسائية من فروع نباتية تشبه إلى حد كبير زخارف قبة الصخرة، وقليل من هذه الفسيفساء يرجع إلى عصر الإنشاء[١٧٦].

وفى سنة ٥٠٣هـ/ ١١٠٩م جددت عمارة الجدار الشمالى بأمر الوالى طغتكين من قبل الخليفة المستظهر العباسى، وفى سنة ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م كانت زلزلة عظيمة أسقطت كثيراً مما كان قد بقى من فصوص الفسيفساء، وفى سنة ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م تأثر المسجد من حريق حى اللبادين (النوفرة)، وذلك من جهة باب جيرون، وفى سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م أصابه حريق آخر حين احترقت مدرسة الكلاسة وامتدت النار إلى مئذنة العروس فاحترقت، وفى سنة ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م جدد صلاح الدين ركنين من القبة، وفى سنة ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م أسقطت زلزلة عظيمة قسمًا من المنارة الشرقية، وتشققت منها قبة النسر، وفى سنة ٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م أصلحت عدة من دعائم القبة من جهة الشمال، وفى سنة ٦١١هـ/ ١٢١٤م دعمت قبة النسر، وفى سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م احترقت سلالم المنارة الشرقية والبيوت التى فى أسفلها، وفى سنة ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م جددت أربع دعائم فى قبة النسر من جهة الغرب، وفى سنة ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م إحترق سوق اللبادين وسوق جيرون فامتدت النار إلى جدران المسجد ووصلت إلى قسم من السقف[١٧٧].

وفى سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م تشققت بعض جدران المسجد بسبب زلزال ضرب مدينة دمشق، وفى سنة ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م نزع الرخام من الجدار القبلى من الجهة الغربية، وقام تنكز بعمارته، وفى سنة ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م تم ترميم الجدار القبلى، وفى سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م رمم الجانب الشرقى حتى صار كالغربى وفى سنة

٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م كان الحريق الكبير فى دمشق، وامتد إلى الجامع فاحترقت المأذنة الشرقية، كما احترق قسم من الجانب الشرقى، وفى سنة ١٠٦٤هـ/ ١٦٥٣م أصاب المسجد حريق جزئى، وهو الأمر الذى تكرر فى سنة ١١٣١هـ/ ١٧١٨م وفى سنة ١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م سقطت من المسجد قبة عائشة، وتخرب المسجد فى جزء منه، وكان الحريق الثانى الذى شمل المسجد كله هو الحريق الأخير فى سنة ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م(١٧٨).

«يقول القاسمى: أما حادثة احتراقه ـ يعنى الجامع الأموى ـ العظمى . . فهي مصيبة ماوقع فى مصائبه مثلها، ولادهاه علي ما مر عليه شكلها، وكأن هذا الجامع الشريف والمعبد المنيف لما تم فى البهاء بدر كماله، وانتهت للغايات بديع جماله، وتبوأت أركانه فى السمو أعلى مقام، وازدهت أرجاؤه بامتلائها على الدوام، وتباهى بعروسه وطرب صوتها، وتعاظم بقبة نسره وبعد صيتها على ما به من التحف الأنيقة والنفائس الرشيقة. . فشبت به أظفار النائبات، واغتالت مآثره السالفة يد الحادثات، وذلك باستعار نار أتت على سقفه وجدرانه، وشبت فى أبوابه وسداته وأركانه، فتهدم صف من الأعمدة من جهته الغربية، ودخلت بيت الخطابة المنير، فأحرقت ما بها من المآثر حتى شملت المصحف العثمانى الكبير، وذلك ضحوة يوم السبت رابع ربيع الثانى سنة ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م(١٧٩).

وبعد مضى بضعة أشهر على حريق المسجد اهتم أهل البلد بتنظيفه من التراب المتراكم فيه ومن أنقاضه، ثم عقد الجمعيات من الرؤساء لجمع اكتتاب من أهل الشام لعمارة المسجد، ثم أخذوا فى العمل، وابتدأوا فى جانب الجامع الشرقى واقتطعوا الأعمدة من جبل ظاهر المزة حتى تم بناء النصف الشرقى فى أواخر شعبان سنة ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م، وقاموا بفرش هذا القسم بالسجاد وتعليق الثريات والمصابيح وإمداد ما يلزم ليصلح للصلاة فيه فى غرة رمضان المبارك، ثم أقيم حائل من الخشب ليقى المصلين من البرد والحر النافذ من القسم الغربى، ونقل المنبر من المشهد الغربى، ووضع جانب المحراب المعروف بمحراب المالكية خلف المقام اليحيوى، وأقيمت الجمع والصلوات فيه، ثم أخذوا فى التأنق بأحجار

محراب الحنفية والمنبر، وقاموا برفع سقف الجهة التى تشتمل على المحراب والمنبر، ورفع سطح القبة، وما أمامها من سقف سدة المؤذنين وتشييدها إلى أن تمت عمارة هذه الناحية فى منتصف شعبان سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م، واحتفل بافتتاحها يوم المولد السلطانى، وفرشت هذه الجهة بالسجاد، وأخر الحائل على محاذاة ركنى القبة الغربيين إلى أن يتم بناء الجامع، وقد أرخ إعادة القبة الأديب الشيخ عبد الرحمن القصار بقوله:

وحينما كملت فى يوم مولده باليمن أرخت عادة قبة النسر.

وفى يوم الجمعة سلخ شعبان من السنة المذكورة خطب على المنبر الجديد، وأزيل منبر الخشب الموضوع جانب محراب المالكية خلف المقام اليحيوى، ثم فى جمادى الأولى من عام ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م كملت عمارة الجهة الغربية من المسجد، فتم بناؤه على أحسن نظام، وأبدع إحكام، حيث استغرقت العمارة سبع سنوات، فجاء على أحكم بنيان وقد احتفل بافتتاح نصفه الغربى المذكور فى يوم الجلوس السلطانى المشهور وذلك فى ٢٨ جمادى الأولى من السنة المذكورة(١٨٠).

قصور الوليد

يعد قصر البرقع (شكل ١٤) من القصور التى ترجع إلى عصر الوليد بن عبد الملك، وتدل بقاياه على أنه يتكون من فناء تحيط به الجدران من الجوانب الأربعة، وقد جاء هذا الفناء من مساحة غير منتظمة تشتمل فى زاوية منها على برج مستطيل، وقد حدد هذا الفناء من الجانبين الشمالى الغربى والجنوبى الغربى من خلال جدار بسيط، كما حدد من الجانبين الجنوبى الشرقى والشمالى الشرقى من خلال مجموعة من الحجرات، ويتسم القصر كما يذكر كريزويل باشتماله على سمتين هامتين فى تاريخ العمارة الأموية، تتمثل الأولى فى الحجرة المقبية، وتتمثل الثانية فى مجموعة الحجرات حول الفناء المركزى، وتمثل الحجرة المستديرة فى إعتقاد كريزويل المرحلة الأولى من المراحل الأربع للبناء من الناحية المعمارية، وهى الحجرة التى اشتملت على طابق ثان، أما المرحلة الثانية فتتكون من الفناء

والحجرات أرقام ٢، ٣ ، ٥، ٧، ٩، ١٠ وربما الحجرة رقم ٦، والمرحلة الثالثة تتكون من الحجرة رقم ٤ على المسقط الأفقى والتى أضيفت إلى الحجرة رقم ٣، ومن المحتمل الحجرة رقم ٦، أما المرحلة الأخيرة فتتكون من الحجرات ١، ٨، ١٢، وأيضا الحجرة رقم ١١، ويفضى السلم على واجهة الفناء بين الحجرات إلى الحجرتين ٣، ٥(١٨١).

قصر الوليد بالمنية

يقع هذا القصر (خربة المنية) بالقرب من الشاطئ الشمالى الشرقى لبحيرة طبرية (شكل ١٥)، شيده الخليفة الوليد بن عبد الملك، حيث وجد شنايدر كما يذكر كريزويل فى بناء الجزء المرمم من برج المدخل الرئيسى جزءً من لوح رخامى يشتمل على كتابة كوفية باسم الوليد، غير أنه مما يؤسف له أن التاريخ عليها مفقود، ويضيف كريزويل أن أول من كشف عنه هو مادر الذى بدأ حفرياته فيه عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م، وقام شنايدر بأعمال أخرى فيه سنة ١٣٥٦-١٣٥٨هـ/ ١٩٣٧-١٩٣٩م(١٨٢).

وقد جاء القصر يشغل مساحة مستطيلة تمتد بشكل رأسى من الشمال إلى الجنوب، وقد أوجد المعمار مدخله الرئيسى فى الجدار الشرقى، ويلاحظ أن هذا المدخل لا يتوسط الجدار الشرقى تمامًا بل هو أقرب إلى الجهة الشمالية منه إلى الجهة الجنوبية، وبسبب وجود المدخل فى هذه الجهة من عمارة القصر خلا هذا الجدار من برج نصف دائرى كما هو الحال فى بقية الجدران، فقد اشتملت الجدران الجنوبية والغربية والشمالية على أبراج نصف دائرية بواقع برج يتوسط كل جدار، وقد ميز المعمار برج الجدار الشمالى عن البرجين الآخرين، حيث جاء مجوفًا من الداخل يفتح على قاعة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب، كما يشتمل القصر فى كل ركن من أركانه الأربعة على برج زاوية، وقد جاءت هذه الأبراج متطابقة فى التصميم والعمارة، ويبلغ قطر كل برج من الأبراج التى جاءت بهيئة نصف دائرية ٤م، أما الجدران فقد جاءت بسمك ٤،١م، وهى متقنة من حيث العمارة بنيت من أحجار كلسية محلية فوق أساس

بارز من البازلت يبلغ ارتفاعه ٤٠سم، وهى لاتزال باقية فى بعض مواضع منها حتى ارتفاع ٤,٥م[١٨٣].

أما فيما يتعلق بالمدخل الرئيسى الذى يتوصل منه إلى داخل القصر فقد أوجده المعمار فى الجدار الشرقى، وهو لا يتوسط هذا الجدار تمامًا، حيث أوجده المعمار بشكل أكثر قربًا من الجدار الشمالى وبرج الزاوية الذى يقع فى الركن الشمالى الشرقى، ويبلغ عرض هذا المدخل ١٦,٥م، ويتكون من قاعة مربعة يبلغ طول ضلعها ٦م، وقد أوجد المعمار هذه القاعة بين برجين ربع دائريين، وبحيث يشتمل كل ربع برج من الداخل على تجويف نصف دائرى فى الجهتين الشرقية والغربية بواقع تجويف فى كل جهة، وتزدان القبة بزخارف نباتية بديعة، ويتوصل من هذا المدخل ذى التصميم المتقن إلى فتحة مدخل جاءت بعرض ٣,٧٥م، وهى الفتحة التى أوجدها المعمار فى الجدار الشرقى للقصر، ثم يتوصل من خلال هذه الفتحة إلى دهليز مستطيل يمتد بشكل أفقى من الشرق إلى الغرب، وقد جاء باتساع ٧م، وبطول ١١,٥م، ويفضى هذا الدهليز مباشرة إلى الفناء الرئيسى مباشرة، حيث يفتح بكامل اتساعه عليه.

وهنا يذكر كريزويل أن الحفريات أظهرت رواقًا يلتف حول الصحن من الجوانب الأربعة، ويتكون هذا الرواق نتيجة وجود صف من الأعمدة والدعائم بشكل متماثل فى الجهات الأربع، وجاء كل صف من ستة أعمدة حصرها المعمار بين دعامتين، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه أن الصحن اشتمل على أربع دعامات ذات تصميم على هيئة حرف الدال، وتحصر هذه الدعامات بينها أعمدة تتكون فى كل صف من الصفوف الأربعة من ستة أعمدة[١٨٤].

ويتكون القسم الجنوبى من القصر والذى يتوصل إليه من خلال الرواق الجنوبى من مساحة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب بشكل أفقى، وقد قسم المعمار هذه المساحة إلى عدة أقسام تتفق جميعًا فى أن كل قسم منها يمتد رأسيًا من الشمال إلى الجنوب، وتتباين هذه الأقسام فى اتساعها بينما تتطابق فى عمقها

وتتوسط هذا القسم من عمارة القصر قاعة مربعة يبلغ طول ضلعها ٢٠م، حيث تتميز بعظم مساحتها، يتوصل إليها من الرواق الجنوبى الذى يشرف مباشرة على الصحن من خلال ثلاثة مداخل، يتميز المدخل الأوسط بأنه أكثر اتساعا من المدخلين الجانبيين، أما فيما يتعلق بتخطيط القاعة فقد جاءت عبارة عن ثلاثة أروقة رأسية من الشمال إلى الجنوب، ويتميز الرواق الأوسط بأنه أكثر اتساعًا من الرواقين الجانبيين وذلك من خلال بائكتين تمتدان من الشمال إلى الجنوب، وتتكون كل بائكة من أعمدة ودعامات، وهى بائكة رباعية ترتكز من الجهة الشمالية على دعامة بارزة بالجدار الشمالى ومن الجهة الجنوبية على دعامة بارزة بالجدار الجنوبى ويلاحظ أن البرج الذى يتوسط الجدار الجنوبى لا يتوسط الرواق الأوسط تمامًا فى هذه القاعة بل ينحرف قليلاً جهة الشرق.

ويشير كريزويل إلى أنه عثر على بقايا ألواح رخامية فى أرض وجدران هذه القاعة. ويصل هذا الرخام إلى ارتفاع معين بعده تزدان الجدران بالفسيفساء أما الأرض فقد غطيت بقطع فسيفساء زجاجية صغيرة بعضها ملون والبعض الآخر مطعم بأوراق الذهب[١٨٥].

هذا وقد أوجد المعمار إلى الشرق من هذه القاعة قاعة أخرى مستطيلة جاءت باتساع ٩,٧م وبعمق ١٩,٤٢م تنقسم إلى رواقين متطابقين من حيث العمق والاتساع، وذلك من خلال بائكة تتطابق فى تكوينها وعمارتها مع البائكتين فى القاعة السابقة، ويتوصل إلى هذه القاعة من القاعة ذات الأروقة الثلاثة كما يتوصل من هذه القاعة المستطيلة التى أغلقها المعمار من الجهة الشمالية أى جهة الصحن إلى المسجد، حيث تشتمل هذه القاعة فى نهاية جدارها الشرقى من الجهة الجنوبية على فتحة يتوصل منها إلى مساحة مستطيلة تمثل مسجد القصر.

ويذكر كريزويل أنه لم يعثر فى هذه القاعة فيما يتعلق بالبائكة الرباعية إلا على قاعدتى عمودين فى موقعهما[١٨٦].

أما المسجد فيشغل الزاوية الجنوبية الشرقية من عمارة القصر، وهو عبارة عن

مساحة مستطيلة تمتد رأسيًا من الشمال إلى الجنوب، وتمتد هذه المساحة بعرض ١٣,١م من الشرق إلى الغرب وبعمق ١٩,٤٢م من الشمال إلى الجنوب، يتوصل إليه من المدخل الرئيسى والفناء عند الركن الجنوبى الشرقى، حيث تفضى فتحة مدخل فى هذه الزاوية إلى دهليز مستطيل يتقدم المسجد من الجهة الشمالية، ويفتح هذا الدهليز بكامل اتساعه تقريبًا على المسجد، كما يتوصل إلى هذا المسجد أيضًا من القاعة السابقة من خلال فتحة تقع عند نهاية الجدار الفاصل بين المسجد والقاعة المستطيلة، وهى الفتحة التى تقدم ذكرها عند ذكر القاعة التى تفصل بين عمارة المسجد والقاعة ذات الأروقة الثلاثة ويتكون المسجد من ثلاث بلاطات من خلال ثلاث بائكات تمتد من الشرق إلى الغرب موازية لجدار القبلة، وترتكز هذه البائكات من جهة على أعمدة فى الوسط يبلغ عددها ثلاثة أعمدة ومن جهة أخرى على الجدارين الشرقى والغربى، وقد أوجد المعمار مساحة مستطيلة تتقدم هذه البلاطات من الجهة الشمالية تمتد بنفس امتداد البلاطات غير أنها أكثر عمقًا من بقية البلاطات، وهذه المساحة هى التى يفضى إليها مدخل المسجد من جهة الصحن مباشرة.

ويذكر كريزويل أن محراب هذا المسجد قد اكتشف فى عام ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م(١٨٧).

هذا فيما يتعلق بالقسم الذى يقع إلى الشرق من القاعة ذات الأروقة الثلاثة أما فيما يتعلق بالقسم الغربى فيشتمل على وحدتين معماريتين إحداهما تقع إلى الغرب مباشرة من القاعة ذات الأروقة الثلاثة، ويتوصل إليها أيضًا من هذه القاعة من خلال ثلاث فتحات تتسم الفتحة الوسطى بأنها أكثر اتساعًا من الفتحتين الجانبيتين مما أوجد تناسقا بديعا وتناغما رائعا فى تصميم الفتحات فى الجدارين الشرقى والغربى للقاعة ذات الأروقة الثلاثة، وتشتمل هذه الوحدة المعمارية على قاعة مستطيلة فى الوسط تمتد بشكل أفقى من الشرق إلى الغرب يتوصل إليها من الفتحة الوسطى، وقد أوجد المعمار أربع قاعات مستطيلة فى الجهتين الشمالية والجنوبية بواقع قاعتين فى كل جانب وتفتح هذه القاعات الأربع

على القاعة الوسطى من خلال أربع فتحات بواقع فتحة بكل قاعة وقد وزعت هذه المداخل بشكل متناغم من ناحية التصميم والعمارة، كما يتوصل من الفتحتين الجانبيتين بالجدار الغربى للقاعة ذات الأروقة الثلاثة إلى قاعتين من هذه القاعات بواقع فتحة فى كل قاعة، وهذه الوحدة المعمارية تمثل فى مجملها تطوراً هندسيًا ومعماريًا بديعًا ويذكر كريزويل أن أرض هذه الغرف كلها من الفسيفساء، وهى محفوظة فى حالة جيدة، تزدان بتكوينات زخرفية هندسية، كما أن أعتاب الأبواب تزدان بفسيفساء محفوظة أيضا فى حالة جيدة(١٨٨)، أما الوحدة المعمارية الأخرى التى تقابل فى موقعها عمارة المسجد فهى تقع فى الزاوية الجنوبية الغربية، وهى عبارة عن مساحة مستطيلة يتوصل إليها من الصحن من خلال فتحة تقابل الفتحة التى يتوصل منها إلى المسجد، غير أن هذه الفتحة هنا تتسم بأنها أكثر اتساعاً، ثم ينعطف منها الداخل يساراً حتى يصل إلى داخل هذه الوحدة المعمارية، وقد أوجد المعمار فى نهاية الدهليز الذى يتوصل منه إلى هذه الوحدة إلى سلم ثم إلى قاعة يغطيها قبو متقاطع، أما القاعة المستطيلة فتشتمل على حجرة مستطيلة تمتد رأسيًا من الشمال إلى الجنوب فى الركن الشمالى الغربى للقاعة، كما تشتمل على أخرى مستطيلة تمتد أفقيًا من الشرق إلى الغرب تقع فى الزاوية الجنوبية الغربية وتتصل هذه الحجرة بالجدار الفاصل بين هذه القاعة والقاعة السابقة بجدار قصير مما أوجد حجرة صغيرة مستطيلة تمتد رأسيًا من الشمال إلى الجنوب، وقد أوجد المعمار بين هذه الحجرات الثلاث مساحة غير منتظمة.

أما فيما يتعلق بالقسم الشمالى من عمارة القصر والذى يشرف من خلال الرواق الشمالى على الصحن فيتكون من مساحة مستطيلة تمتد أفقيًا من الشرق إلى الغرب، وتبدأ هذه المساحة من الجهة الشرقية بحجرتين مستطيلتين متوازيتين تمتدان من الشرق إلى الغرب ثم نجد قاعة مستطيلة تتميز بعظم مساحتها، وتمتد من الشرق إلى الغرب أيضًا، يتوصل إليها من الصحن من الرواق الشمالى، وإلى الغرب من هذه القاعة أوجد المعمار وحدة معمارية تتكون من قاعة وسطى

مستطيلة تمتد رأسيًا من الشمال إلى الجنوب تفتح على الرواق الشمالى الذى يفتح بدوره على الصحن، وقد أوجد المعمار على جانبى هذه القاعة من الجهتين الشرقية والغربية أربع حجرات مستطيلة تفتح على القاعة الوسطى بواقع أربع فتحات، وذلك بواقع غرفتين فى كل جهة، وبواقع فتحة فى كل غرفة، وقد وزعت الحجرات والفتحات بشكل متناغم، وتفتح الوحدة المكونة من حجرتين بالجهة الغربية على الرواق الشمالى والصحن بينما أغلق المعمار الوحدة مثيلتها فى الجهة الشرقية، وينتهى هذا القسم من عمارة القصر فى الركن الشمالى الغربى بحجرتين مستطيلتين متوازيتين تمتدان بشكل أفقى من الشرق إلى الغرب يتوصل إليهما من فتحة بالرواق الشمالى فى الركن الشمالى الغربى من الصحن تؤدى إلى سلم ثم إلى قاعة يغطيها قبو متقاطع أى تتطابق والفتحة مثيلتها التى تقدم ذكرها بالزاوية الجنوبية الغربية مما أوجد تناسقًا وتناغمًا هندسيًا على عمارة القصر.

هذا وقد أوجد المعمار بين الفتحتين السابقتين قاعة مستطيلة تتميز بعظمها من حيث المساحة وذلك فى الجهة الغربية، حيث تمثل هذه القاعة القسم الثالث من عمارة القصر، وتمتد هذه القاعة من الشمال إلى الجنوب، ويتوصل إليها من الرواق الغربى والصحن، حيث يتقدم هذا الرواق هذه القاعة المستطيلة وتشتمل هذه القاعة على ثلاث دعامات بارزة فى جدارها الغربى، ويلاحظ أن البرج الذى يتوسط الجدار الغربى للقصر من الخارج لا يتوسط تمامًا الجدار الغربى لهذه القاعة، حيث إنه أقرب إلى جدارها الجنوبى منه إلى جدارها الشمالى كما هو الحال بالنسبة للبرج والقاعة ذات الأروقة الثلاثة فى الجدار الجنوبى.

أما القسم الرابع من عمارة القصر فيقع فى الجهة الشرقية على جانبى دهليز المدخل الرئيسى، حيث ينقسم إلى قسمين أحدهما يقع بالجهة الشمالية ويتكون من ثلاث قاعات مستطيلة تفتح على الرواق الشرقى الذى يشرق بدوره على الصحن، وهى قاعات مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب بشكل أفقى، غير أن المعمار قسم القاعة الثالثة جهة المدخل إلى قاعتين من خلال دعامة وفتحة

مدخل، أما القسم الجنوبى من هذا الجانب وهو القسم المحصور ما بين دهليز المدخل والمسجد فيتكون من عدة حجرات صغيرة.

المجموعة المعمارية الأموية المركبة بالقدس (شكل ١٦)

يذكر كريزويل أن الحفائر التى أجريت فى القدس أسفل الحرم القدسى إلى الجنوب الغربى من المسجد الأقصى خلال الفترة من ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م إلى ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م أثبتت وجود ستة أبنية بوضوح، خططت على هيئة مجموعة معمارية واحدة بالحرم الشريف، ويعد البناء رقم ٢ على المسقط الأفقى أعظم هذه الأبنية أهمية، حيث رجح الذين قاموا بالحفر أنه عبارة عن قصر، وتبلغ مقاييسه على وجه التقريب ٨٤ × ٩٦م، وجاءت جدرانه الخارجية بسمك يتراوح بين ٢,٧٥ - ٣,١٠م، ويتألف تخطيط هذا القصر من فناء أوسط مكشوف بلط بالحجر بمقاييس تتراوح بين ٣٠ × ٣٠ سم و ٦٠ × ٧٠ سم، تحيط بهذا الفناء ظلة ترتكز على أعمدة، وينخفض مستوى الفناء والظلة قليلا عن البناء المحيط، ويتكون هذا البناء من مجموعة من القاعات المستطيلة، وهى متماثلة فى الجانبين الشمالى والجنوبى، كما أنها متماثلة أيضا فى الجانبين الشرقى والغربى، وقد جاءت القاعات الشمالية والجنوبية بطول يبلغ نحو ١٧م، بينما جاءت القاعات الشرقية والغربية بطول يبلغ نحو ٢٠م، وجميع القاعات تتراوح فى اتساعها بين ٤م أو ٨م، أما الأقبية فقد حملت على دعامات ترتبط بالجدران الطولية، ويتوصل إلى هذه القاعات من الظلة، وكان القصر يشتمل على بابين رئيسيين فى الجانبين الشرقى والغربى، بواقع باب يتوسط كل ضلع، والمدخل الرئيسى كان فى الجانب الشرقى، وكان باتساع ٤,٥م، وبارتفاع يبلغ ٦,٥م[١٨٩].

قصر الحرانة (الخرانة) (شكل ١٧، ١٨)

يعد هذا القصر من القصور التى تنتمى إلى عهد الوليد بن عبد الملك فقد عثر فيه على كتابة كوفية، وذلك فوق باب احدى حجرات الطابق الثانى من الجهة الغربية، وهى تشتمل على تاريخ ٩٢هـ (٧١١م)، ويقع على بعد ٦٥كم شرق وجنوب شرق عمان، وقد وصف هذا القصر فى البداية كما يذكر كريزويل من

قبل Musil، ثم نشر فيما بعد بتفاصيل كبيرة من خلال Jaussen و Savignac، وقصر حرانة تقريبًا عبارة عن بناء مربع مقاييسه ٣٦,٥٠م من الشمال إلى الجنوب، ويمتد من الشرق إلى الغرب بمقدار ٣٥,٤٥م، وقد شيد من أحجار كبيرة تغطيها طبقة من الملاط، وترتفع المداميك بمقدار يتراوح بين ٥٥سم و ٥٨ سم، وكان البناء كله قد غطى بطبقة ملاط خارجية[١٩٠].

ويتضح من المسقط الأفقى أن القصر يتكون من طابقين أحدهما يمثل الطابق الأرضى ، ويمثل الآخر الطابق الأول، ويشتمل كل منهما على سور يشتمل بدوره على أبراج شبه دائرية فى الأركان يبلغ عددها أربعة أبراج بواقع برج فى كل ركن، وهى أبراج مصمتة، كما يشتمل القصر على ثلاثة أبراج نصف دائرية فى الجهات الشمالية والشرقية والغربية بواقع برج يتوسط كل ضلع، وقد أوجد المعمار البرجين فى الضلعين الشرقى والغربى على محور واحد فى تناغم هندسى بديع، أما البرج الذى يتوسط الضلع الشمالى فيقع على محور المدخل الرئيسى والوحيد الذى يتوصل منه فى الجهة الجنوبية إلى داخل القصر، ويشتمل السور فى الطابقين على فتحات فرعية ودخلات، ونصل إلى داخل القصر من الجهة الجنوبية من خلال مدخل يتكون من برجين على هيئة ربع دائرية، وقد أوجد المعمار بينهما مساحة مستطيلة يتوصل منها إلى فتحة المدخل التى تؤدى بدورها إلى داخل القصر، ويفضى المدخل إلى ممر يبلغ اتساعه من الشرق إلى الغرب ٣,٥٠م، أما امتداده من الجنوب إلى الشمال فيبلغ ٩,١٥م، وقد غطى هذا الممر بخمسة أقبية حملت على عقود مدببة، أما الفناء فقد جاء يتوسط القصر، وهو يمتد من الشمال إلى الجنوب بمقدار ١٢,٦٥م، ومن الشرق إلى الغرب بمقدار ١٢,٩٥م، ويشتمل الفناء فى جانبه الشمالى على ثلاثة أبواب تتميز فتحة الباب الأوسط بأنها أكثر اتساعًا من البابين الجانبيين، كما يشتمل كل من الجانبين الشرقى والغربى على أربع فتحات بواقع فتحتين فى كل جانب، وتحيط بهذا الفناء ظلة من الجوانب الأربعة، وهى متماثلة فى الجهات الأربع.

المجموعة المعمارية جنوب شرق دمشق (القصر والمسجد والحمام) (أشكال ١٩-٢١)

أورد كريزويل قصراً آخر يقع على بعد نحو ١٠٥كم جنوب شرق دمشق، وهو ضمن مجموعة معمارية تتكون منه ومن مسجد، وحمام، ومن منزلين كبيرين، ومخزن، ثم من منزلين آخرين كبيرين، وقد عرف الموقع أولاً من قبل Vogüé فى سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م، ولكن حتى عام ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م لم تكن هناك دراسة متصلة حتى وضعت من قبل Sauvaget وقد باشر Brisch الحفائر فى سنة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م و ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م [١٩١].

ويتألف القصر من مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ٦٧,١١م من الخارج، ويشتمل فى كل ركن من أركانه الأربعة على برج شبه دائرى، وهو مجوف من الداخل، حيث يتصل بتجويفه بالقصر من الداخل، كما يشتمل على ثلاثة أبراج فى الجهات الجنوبية والشرقية والغربية بواقع برج نصف دائرى يتوسط كل ضلع من الأضلاع الثلاثة، وقد أوجد المعمار البرجين الشرقى والغربى على محور واحد، أما البرج الذى يتوسط الجدار الجنوبى فيقع على محور المدخل الذى يتوسط الضلع الشمالى، والأبراج الثلاثة مجوفة على غرار الأبراج الأربعة التى تقع فى أركان القصر.

أما برج المدخل فقد جاء باتساع ٩,١٧م، ويبرز نحو ٤,٦٠م، وقد جاء من تصميم عبارة عن جانبين، كل جانب بهيئة ربع دائرية تشتمل فى داخلها على تجويف مستطيل، حيث ندخل من خلال مساحة مستطيلة رأسية تمتد من الشمال إلى الجنوب، ثم نصل إلى مساحة أخرى مستطيلة أفقية تمتد من الشرق إلى الغرب بتجويف مستطيل فى جانبى البرج ثم نصل إلى فتحة المدخل التى يتوصل منها إلى دهليز المدخل، وهو عبارة عن مساحة مستطيلة تمتد من الشمال إلى الجنوب تفضى بدورها إلى الفناء الذى يتوسط القصر، وتحيط بالصحن من الجوانب الأربعة بائكة متماثلة فى التصميم والعمارة فى الجوانب الأربعة، وهى عبارة عن سبعة عقود ترتكز على دعامات، وجاءت الدعامات الأربع فى أركان

البائكة على هيئة حرف L فى وضع معدول وآخر مقلوب، حيث إنها تحمل عقدين من جهتين مختلفتين، وتتكون كل بائكة فى كل جانب بين هذه الدعامات من سبع فتحات ترتكز على ست دعامات من جهة وعلى الدعامتين الركنيتين من جهة أخرى، وقد نتج عن ذلك وجود رواق يلتف حول الصحن من الجهات الأربع، ويفتح هذا الرواق بدوره على الأقسام الأربعة للقصر من خلال فتحات أبواب تفضى إلى الحجرات والايوانات، والقصر فى مجمله يمثل وحدة بنائية متناسقة من حيث التخطيط والعمارة.

المسجد والحمام

وعلى مسافة تبعد نحو ٧٠م إلى الغرب من القصر يوجد مسجد صغير عبارة عن مساحة مربعة تقريبًا، يبلغ فى مقاييسه من الداخل ٩,٣٤م × ٩,٤٨م بجدران من البازلت يبلغ سمكها ما بين ٨٠سم إلى ٩٠سم، ويتوصل إلى داخل المسجد من مدخلين أحدهما فى الجانب الشمالى، ويقع الآخر فى الجانب الشرقى، وقد قسم المسجد من الداخل إلى بلاطتين موازيتين لجدار القبلة، وذلك من خلال بائكة تتوسط المسجد تقريبًا تتكون من عقدين يرتكزان فى الوسط على دعامة وفى الجانبين على بروزين بالجدارين الشرقى والغربى، وتمتد البائكة من الشرق إلى الغرب موازية لجدار القبلة، ويفتح المدخل الذى يقع فى مؤخر المسجد على البلاطة الثانية، ويقع هذا المدخل على محور المحراب، أما المدخل الآخر فيفتح على البلاطة الأولى التى تتقدم المحراب، وجاء تصميم العقدين فى البائكة بهيئة نصف دائرية(١٩٢).

أما الحمام فيقع على بعد ١٥٠م إلى الشرق من القصر، حيث توجد بقاياه وقاعة استقبال رسمية، أما مقاييس البناء فهى نحو ١٦ × ١٧م، وقد بنيت الأجزاء السفلية التى وصلت إلينا من الجدران بالبازلت، أما بقية البناء فكان بدون شك من الآجر، ويتكون البناء من قاعة كبيرة يغطيها قبو برميلى باتساع يبلغ ٤,٣٧م، وبطول يبلغ ١٠م تنتهى بتجويف نصف دائرى، ويفصل بين

التجويف والقاعة عقد، وفى الجهة المقابلة لهذا التجويف أوجد المعمار قاعتين مستطيلتين إحداهما أكثر إتساعا من الأخرى غير أنهما يتفقان فى العمق الذى يبلغ ٣,٥م، وتفضى القاعة المستطيلة ذات القبو البرميلى إلى قاعة أخرى مستطيلة تفضى بدورها إلى قاعة مربعة، ويتوصل من هذه القاعة الأخيرة إلى قاعة أخرى مربعة أوجد المعمار بها تجويفين، وأغلب الظن أنها كانت مغطاة بقبة كما يذكر كريزويل[١٩٣].

قصر عنجر (عين الجر) (شكل ٢٢)

يقع هذا القصر فى منتصف الطريق بين دمشق وبيروت، يتكون البناء من مساحة مسورة جاءت بمقاييس تبلغ ٣١٠م من الشرق إلى الغرب، وتبلغ من الشمال إلى الجنوب ٣٧٠م، وتشتمل الجدران التى جاءت بسمك ٢م فى الأركان على أربعة أبراج شبه دائرية بواقع برج فى كل ركن، وقد جاءت هذه الأبراج مجوفة يتوصل إليها من داخل البناء، أما الجدران فيما بين الأبراج الركنية فتشتمل على أبراج نصف دائرية يبلغ عددها ٣٦ برجًا، وقد وزعت هذه الأبراج على الجدران الأربعة أى أن المجموع للأبراج يبلغ ٤٠ برجًا، ويشتمل البناء على أربعة مداخل فى الجدران الأربعة بواقع مدخل فى كل ضلع، وقد أوجد المعمار برجين على جانبى كل مدخل، وبالتالى يبلغ عددها ثمانية أبراج، وهى مصمتة ومتماثلة من حيث التصميم والعمارة، ويشتمل الجدار الشمالى على ستة أبراج قام المعمار بتوزيعها على جانبى المدخل بشكل متناغم حيث أوجد ثلاثة أبراج فى الجهة الشرقية من المدخل ومثلها فى الجهة الغربية، ويماثل هذا الجدار الجدار الجنوبى من حيث المدخل والأبراج فى تناسق هندسى بديع، حيث يقع المدخل الشمالى على محور المدخل الجنوبى، كما أن الأبراج على جانبى المدخل تقع على محور الأبراج على جانبى المدخل فى الجدار الجنوبى، أما فى الجدارين الشرقى والغربى فقد أوجد المعمار أربعة أبراج فى الجهة الشمالية من الجدار الشرقى ومثلها فى الجهة الجنوبية من ذات الجدار، وذلك على جانبى المدخل، ويماثل الجدار الغربى مثيله الشرقى من حيث أن المدخلين يقعان على محور

واحد، كما أن الأبراج فى الجدارين تقع أيضًا على محور واحد فى تناغم وتناسق هندسى رائع، ويبلغ اتساع كل مدخل من المداخل التى جاءت متماثلة ٣,٠٨م، وقد جاءت الجدران بسمك ٢م من كتل حجرية، ووجدت الشرافات تتوج هذه المساحة المسورة، وقد قسمت المساحة الداخلية إلى أربعة أجزاء من خلال صفين من الأعمدة تصل ما بين الأبواب الأربعة، وتتقاطع هذه الصفوف فى الوسط[١٩٤].

أما القصر فتبلغ مقاييسه ٧١م × ٥٩,٥م، وجاءت جدرانه الخارجية بسمك يبلغ ١,٢٠م، ويشتمل على مدخلين يقعان على محور واحد أحدهما فى الجهة الشرقية، والآخر فى الجهة الغربية، ويؤدى كل منهما إلى حجرة يبلغ عمقها ١١م، أما اتساعها فيبلغ ٦,٥م، ونصل من الحجرتين إلى الفناء الأوسط الذى يتوسط القصر، وهو عبارة عن مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ٣٢,٥م، ويحيط بالفناء رواق من الجوانب الأربعة، وذلك من خلال وجود بائكة فى كل جانب من جوانب الصحن تشرف عليه، وتتكون البائكة فى كل جانب من جوانبها من ستة أعمدة ودعامتين على هيئة حرف L فى وضع معدول ومقلوب، وهو التصميم الذى وجد فى قصر الوليد بالمنية، وفى القصر جنوب شرق دمشق، ويتوصل من هذا الرواق فى الجانبين الشمالى والجنوبى إلى وحدتين معماريتين متماثلتين، تتكون الوحدة الجنوبية من مساحة مستطيلة قسمها المعمار إلى ثلاثة أروقة طولية تمتد من الشمال إلى الجنوب، وتتميز المساحة الوسطى بأنها أكثر اتساعًا من المساحتين الجانبيتين، فينتهى الرواق الأوسط بتجويف نصف دائرى، ويتوصل إلى هذه القاعة البازليكية من خلال مدخل يتوسط الجدار الشمالى، كما أوجد المعمار على جانبى هذه القاعة ثلاث حجرات، يتوصل من الأولى والثانية من جهة الجدار الشمالى من الرواقين الجانبيين للقاعة البازيلكية، أما القاعة أو الحجرة الثالثة فى الجانبين من الجهة الجنوبية فيتوصل إليها من الحجرة الثانية أو الوسطى فى تناسق وتناغم هندسى رائع، وتماثل هذه الوحدة بمكوناتها المعمارية

الوحدة التى تقع مقابلها فى الجهة الشمالية، أما فيما يتعلق بالجانبين الشرقى والغربى من القصر فقد اشتمل كل منهما على مجموعة من الحجرات.

أما المسجد فتبلغ مقاييسه نحو ٤٧م فى الاتساع، أما عمقه فيبلغ نحو ٣٠م، ويتكون بيت الصلاة فيه من بلاطتين عميقتين، ويتكون الرواق الشمالى من بلاطة واحدة عميقة، وجاء المحراب باتساع ١,٩٣م، وقد بقيت القاعدة الحجرية للمقصورة.

أعمال الوليد بن عبد الملك المعمارية فى الحجاز والقدس واليمن

عمارة المسجد النبوي (شكل ٢٣، ٢٤)

ومن أعمال الوليد المعمارية عمارة المسجد النبوى، قال ابن الأثير فى أحداث سنة ٨٨هـ/٧٠٦م «وفى هذه السنة كتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز فى ربيع الأول يأمره بإدخال حجر أزواج النبى، ﷺ، فى مسجد رسول الله ﷺ وأن يشترى ما فى نواحيه حتى يكون مائتى ذراع فى مائتى ذراع، ويقول له: قدم القبلة إن قدرت، وأنت تقدر لمكان أخوالك، وإنهم لا يخالفونك، فمن أبى منهم فقوموا ملكه قيمة عدل، واهدم عليهم، وادفع الأثمان إليهم، فإن لك فى عمر وعثمان أسوة، فأحضرهم عمر وأقر أهم الكتاب، فأجابوه إلى الثمن.. وبنى المسجد، وقدم عليه الفعلة من الشام.. وبعث الوليد إلى ملك الروم يعلمه أنه قد هدم مسجد النبى ﷺ، ليعمره، فبعث إليه ملك الروم مائة ألف مثقال ذهب، ومائة عامل، وبعث إليه من الفسيفساء بأربعين جملاً، فبعث الوليد بذلك إلى عمر بن عبد العزيز، وحضر عمر ومعه الناس، فوضعوا أساسه، وابتدأوا بعمارته»(١٩٥).

ويبدأ اهتمام الدولة الأموية بالمسجد النبوى منذ عهد معاوية بن أبى سفيان، ففى عهده قام مروان بن الحكم بالتبليط حول المسجد النبوى، وجاء أنه رفع منبر رسول الله ﷺ وزاد فى درجه، وسمر فى مقعده لوحًا لئلا يجلس أحد على ما كان يجلس عليه الرسول ﷺ، وأعاد مروان بناء المقصورة بالأحجار المنحوتة(١٩٦).

وفى عمارة الوليد بن عبد الملك للمسجد كان أول عمل لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ستر حجرة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، التى بها القبور الشريفة، بهذا الحائز المخمس الذى اقترحه عليه عثمان بن عروة، ليخفف من حدة المعارضة التى قوبل بها عند هدمه لحجرات أمهات المؤمنين وإدخالها فى المسجد من قبل فقهاء المدينة المنورة، ويأتى بناء جدار القبلة كخطوة ثانية بعد تخميس الحجرة الشريفة، وحرص عمر بن عبد العزيز على إقامة الاسطوانات فى موضع الاسطوانات القديمة، وكانت تتألف من قطع حجرية مستديرة، توضع قطعة فوق أخرى حتى تؤلف «إسطوانة مستديرة كسوارى الرخام»، وكان يوضع بوسط الأحجار المدورة عمود من الحديد يسكب عليه الرصاص المذاب ليزيد من التحام القطع وقوتها، وقد استحدث عمر وجود المحراب لأول مرة فى تاريخ المسجد، وشيد أربع مآذن للمسجد بواقع مئذنة فى كل ركن، كما شيد الشرافات فى المسجد لتحيط بأعلى جدران المسجد الخارجية بالإضافة إلى إحاطتها بصحن المسجد من الداخل أما المقصورة التى جددها بالساج فكانت مرتفعة، يدخل إليها من باب جدار القبلة الذى يؤدى إلى دار مروان، التى كانت دار الامارة والتى كانت «تمتد فى قبلة المسجد من باب السلام إلى دار آل عمر»، ولعل أبواب المسجد فى هذه العمارة اقتصرت على الأبواب التى كانت فى المسجد قبل عمارته، وقد استعمل عمر بن عبد العزيز صالح بن كيسان على هدم المسجد وبنائه(١٩٧).

ولم يكتف عمر بن عبد العزيز بعمارة المسجد النبوى بالأحجار النحيتة والقصة، كما لم يكتف أيضا بما أدخله على هذه العمارة من عناصر معمارية وزخرفية، وإنما عمد فوق هذا كله إلى استخدام أنواع كثيرة من أساليب الزخرفة والتى تتمثل فى الأشرطة الكتابية المدونة بماء الذهب بالخط الكوفى واستخدامها فى تزيين جدران المسجد الداخلية وكوشات العقود المطلة على الصحن، كما استخدمت الفسيفساء فى زخرفة جدران المسجد النبوى كما هو الحال فى المساجد التى شيدت وعمرت فى عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك كالمسجد الأموى والمسجد الأقصى على سبيل المثال، وقد جلبت هذه الفصوص الزجاجية

من بلاد الشام، أرسلها الوليد إلى المدينة المنورة مع عمال متخصصين فى تركيبها، فإن أهل الشام كانوا أصحاب مدرسة خاصة تتميز عن المدارس البيزنطية والرومانية السابقة والمعاصرة[198].

وكان من الخطاطين الذين عملوا فى المسجد فى هذه العمارة خالد بن أبى الهياج، وذكر أن أحد موالى «آل حويطب بن عبد الغزى يقال له سعد حطبة» هو الذى كتب مافى جدار القبلة فى عمارة الوليد، وساعد بن غزالة زياد بن عبد الله الحارثى فى إتمام النص الذى نقضه داود بن على سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م من جدار صحن المسجد، وقد استخدم المرمر فى تزيين جدران المسجد، ومهما يكن من أمر فقد ورد أن الوليد بن عبد الملك عندما ورد المدينة سنة ٩١هـ/ ٧٠٩م «فرش له المسجد، وكشف عن الفسيفساء فجعل ينظر إلى حسنه وجاء الناس يهتئونه من كل ناحية»، وقد جاء السقف متناسقا مع جمال الجدران الداخلية المزينة بالفسيفساء وألواح الرخام، حيث استخدم فيه خشب الساج المذهب، كذلك اهتم عمر بعمل الميازيب من الرصاص، وعمل الفوارة التى كانت عند دار يزيد بن عبد الملك[199].

عمارة المسجد الأقصى

انقسمت الآراء بالنسبة لتاريخ عمارة المسجد الأقصى فى العصر الأموى، إلى ثلاثة أقسام، حيث يرى[200] فريق من المؤرخين و الباحثين أن الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان هو الذى شيد المسجد الأقصى، ويرى فريق[201] آخر أن الوليد بن عبد الملك هو الذى أقام العمارة الثانية للمسجد الأقصى فى العصر الأموى، ويرى[202] فريق ثالث أن عبد الملك بن مروان هو الذى أمر ببناء مسجد بجوار مبنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه لكن البناء لم يتم إلا فى عهد الوليد بن عبد الملك، ويعلق د. أحمد رمضان على هذه الآراء قائلاً إن الرأى الأخير هو أقرب الآراء إلى الصواب، خاصة إذا عرفنا أن الخليفة عبد الملك بن مروان هو الذى أنشأ قبة الصخرة، ثم عنى به الوليد بن عبد الملك عناية خاصة لمكانته عند المسلمين[203].

عمارة جامع صنعاء الكبير (شكل ٢٥)

كانت بلاد اليمن فى طليعة البلاد التى شهدت إقامة المساجد الأولى فى صدر الإسلام، خاصة فى عهد الرسول ﷺ، وفق ما ورد فى المصادر التاريخية، ويعد الجامع الكبير بصنعاء من أقدم المساجد التى شيدت فى بلاد اليمن، إذ تجمع المصادر التاريخية على تأسيسه فى حياة الرسول ﷺ حين بعث بالصحابى وبر بن يحنس الأنصارى واليًا على صنعاء فى عام ٦هـ/ ٦٢٧م، وأمره ببناء هذا المسجد، وقيل إن مؤسسه هو فروة بن مسيك المرادى ، وقيل إبان بن سعيد بن العاصى القرشى، وقيل غير ذلك(٢٠٤).

جاءت عمارة المسجد فى بدايتها بسيطة شأنها فى ذلك شأن عمارة المسجد النبوى فى مرحلته الأولى، فقد كان يشغل مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ١٢م، يتوصل إليها من مدخل واحد، ثم تعرض المسجد لمراحل عديدة من التجديد والتعمير والإضافة خلال عصوره الإسلامية المتعاقبة، وتعد عمارة الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك من أهم الإضافات التى حدثت به خلال العصر الأموى، قال الرازى عند ذكره من زاد فى مسجد صنعاء من الولاة «ولما أفضت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك بن مروان: كتب إلى أيوب بن يحيى الثقفى بالولاية على صنعاء واليمن وأمره أن يزيد فى مسجد صنعاء ويبنيه بناءًا جيدا محكمًا، فبناه أيوب بن يحيى وزاد فيه من نحو قبلته الأولى إلى موضع قبلته اليوم. وحضر وهب بن منبه ذلك فقال لهم: إن أردتم أن تنصبوا قبلته فاستقبلوا به ضينًا، قال أبو الحسن وإنما زاد فيه الوليد من قبلته الأولى إلى قبلته اليوم. قال عبد الرازق: أخبرنى أبى وغيره: إن فى قبلة مسجد صنعاء ميلا قدر ذراع ونصف ميامنا: ولما بنى المحراب وزيد فى المسجد هذه الزيادة من موضع قبلته الأولى إلى موضع قبلته اليوم كان فى المحراب نقوش ورقات وصنعة عجيبة حسنة بالجص: عملاً معجزًا، وخلق بالخلوق والمسك والطيب، وكان يطلى به المحراب كل عام لشهر رمضان، فلما ولى القضاء يحيى بن عبد الله بن كليب أمر بهدم تلك النقوش التى كانت فى المحراب، وأعاده إلى ما هو عليه الآن من العمل،

وجصصه هذا الجص الساذج الذى هو فيه.. وقد نهى عن تزويق المساجد..
وكان فى أيام بنى أمية يخضبون محاريب المساجد وأساطينها بالخلوق والطيب فلم
يزل ذلك فى أيامهم، ثم انقطع ذلك الطيب من المساجد لما قدم عمر بن عبد
الحميد وكان أول من ولى صنعاء لبنى العباس»(٢٠٥).

دار الضيافة بالشام

ومن مآثر الوليد بن عبد الملك تشييده دار الضيافة، قال ابن تغرى بردي
عند ذكره الوليد بن عبد الملك «وكان الوليد عند أهل الشام أفضل
خلفائهم من كونه بنى المساجد والجوامع.. وهو أول من اتخذ دار
الضيافة للقادمين»(٢٠٦).

البيمارستانات

ومن مآثر الوليد بن عبد الملك بناء البيمارستانات للمرضى فى مرج عذراء إلى
الشمال الشرقى من دمشق فى عام ٨٨هـ/٧٠٦م، قال ابن تغرى بردى عند ذكره
الوليد بن عبد الملك «وبنى البيمارستانات للمرضى»(٢٠٧).

مآثر أخرى للوليد بن عبد الملك

وبالإضافة لعمارة الوليد فى المسجد الحرام أمدنا ابن الأثير بمآثر أخرى للوليد
بن عبد الملك، فقد كتب فى عام ٨٨هـ إلى عمر بن عبد العزيز واليه على المدينة
«فى تسهيل الثنايا وحفر الآبار، وأمره أن يعمل الفوارة بالمدينة، فعملها وأجرى
ماءها، فلما حج الوليد ورآها أعجبته، فأمر لها بقوام يقومون عليها، وأمر أهل
المسجد أن يستقوا منها، وكتب إلى البلدان جميعها بإصلاح الطرق، وعمل
الآبار»(٢٠٨). وفى ذلك أورد ابن تغرى بردى عند ذكره الوليد بن عبد الملك
«وكان الوليد عند أهل الشام أفضل خلفائهم من كونه بنى المساجد والجوامع..
وهو أول من اتخذ دار الضيافة للقادمين، وبنى البيمارستانات للمرضى، وساق
المياه إلى مكة والمدينة، ووضع المنابر فى الأمصار»(٢٠٩).

الاستحكامات الحربية وعمائرها المدنية والدينية

عمارة حصن سلوقية

اهتم الخليفة الوليد بن عبد الملك اهتمامًا عظيمًا بالمنطقة الثغرية كلها، خاصة الخط الساحلى، فقد استحدث أربع نقاط حصينة هى سلوقية قال البلاذرى عند ذكره أرض سلوقية «وحدثنى جماعة من مشايخ أهل أنطاكية منهم ابن برد الفقيه. أن الوليد بن عبد الملك أقطع جندًا بأنطاكية أرض سلوقية عند الساحل وصير... وجرى ذلك لهم وبنى حصن سلوقية»(٢١٠).

عمارة حصون أخرى

ومن النقاط الحصينة التى اهتم بها الوليد بن عبد الملك اهتمامًا عظيمًا بغراس(٢١١)، وعين السلور(٢١٢) و بحيرتها، والاسكندرونة(٢١٣)، كذلك اهتم الوليد بملطية لتكون بمثابة نقطة خلفية لحصن طرندة فأمن خط الفرات، واهتم الوليد بن عبد الملك بتحصين قنسرين وزاد فيها فازداد الخط الدفاعى الأوسط حصانة فى طرفه الجنوبى(٢١٤).

عمارة مرعش ومسجدها الجامع

يحدثنا البلاذرى عن عمارة مرعش بقوله «ثم إن العباس بن الوليد بن عبد الملك صار إلى مرعش فعمرها وحصنها ونقل الناس إليها وبنى بها مسجدًا جامعًا»(٢١٥).

خوارزم وسمرقند ومسجدها الجامع

يحدثنا ابن تغرى بردى عن خوارزم وسمرقند بقوله فى أحداث سنة ٩٣هـ «فيها افتتح قتيبة خوارزم وسمرقند، وكان ساكنها الصفد، وبنى بها مسجدا وخطب بنفسه فيه»(٢١٦).

قصير عمرة حوالى ٩٥هـ/٧١٥م (أشكال ٢٦-٢٨)

يقع قصير عمرة[٢١٧] على بعد نحو خمسين ميلاً شرقى عمان، كشفته البعثة العلمية برئاسة الواموزيل فى عام ١٣١٦هـ/١٨٩٨م، وقامت بتصوير نقوشه وصوره، وقد شيد هذا البناء من الحجر الكلسى الأحمر المأخوذ من التلال المجاورة، وكان تشييد هذه القصور من قبل الأمويين لأغراض ربما كانت حربية أو اجتماعية أو ترفيهية (لوحة ١٦).

جاء مخطط[٢١٨] القصير من قسمين رئيسين يمثل أحدهما قاعة الاستقبال، ويمثل الآخر الحمام، أما مخطط قاعة الاستقبال فجاء من مساحة مستطيلة تمتد من الشمال إلى الجنوب قسمها المعمار إلى ثلاثة أروقة يفصلها عقدان على هيئة نصف دائرية، يغطى كل رواق منها سقف من قبو نصف برميلى، ويتصل الرواق الأوسط بحنية كبيرة تعرف بحنية العرش تقع على محور المدخل الشمالى تشتمل على صورة للخليفة وهو جالس على العرش، وتكتنف الحنية غرفتان بدون نوافذ تبرزان عن مستوى حنية العرش من الخارج ببروزين على هيئة نصف دائرية، ويتوصل إلى داخلهما من حنية العرش، وقد خصصتا لخلع الملابس، ويغطى كل منهما قبو نصف برميلى، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه أن التغطيات كلها فى كافة وحدات قاعة الاستقبال جاءت من أقبية برميلية هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أوجد المعمار أربع فتحات فى هذا القسم وزعت: اثنتان فى القاعتين على جانبى حنية العرش تفتحان على الرواقين الجانبيين، واثنتان فى الجدار الشمالى على جانبى المدخل وذلك بغرض الإضاءة والتهوية.

ويذكر كريزويل أن الواموزيل ومثله جوسين وسافينياك ذكروا أن هذه الغرف تشتمل فى أرضياتها على تغطية بالفسيفساء تمثل زخارف نباتية[٢١٩].

أما القسم الثانى المتمثل فى الحمام فيتوصل إليه من قاعة الاستقبال من خلال الرواق الشرقى، حيث نصل إلى القاعة الأولى، وهى القاعة الباردة، يغطيها قبو نصف برميلى على غرار أقبية قاعة الاستقبال، وقد جاء مخططها من مساحة مستطيلة أبعادها ٢,٨٣ × ٣ × ٢,٣م، تشتمل على فتحتين إحداهما صغيرة بالجدار الجنوبى، والأخرى كبيرة بالجدار الشرقى، ويذكر كريزويل إنه توجد دكة صغيرة مغطاة بالجص يبلغ ارتفاعها ٣٠سم باتجاه الجدار الشرقى والجدار الجنوبى، وقد نقب الواموزيل فى هذه الغرفة وفى الغرفتين التاليتين فعثر على دعائم يبلغ ارتفاعها ٧٠سم، ويضيف لابد أنها حملت الأرضية الأصلية، أما الفراغ بينهما فهو لنقل الهواء الحار(٢٢٠).

ويتوصل من هذه القاعة الباردة إلى القاعة الثانية الدافئة من خلال فتحة بالجدار الشمالى، وهى مربعة يبلغ طول ضلعها ٢,٨٣م، يغطيها قبو متقاطع، وتشتمل هذه القاعة على فتحتين إحداهما بالجدار الغربى وتفتح على الرواق الشرقى، أما الأخرى فتشرف من خلالها دخلة هذه القاعة التى أوجدها المعمار بالجدار الشمالى على الخارج وساقية الماء، ويذكر كريزويل أن الجدران تبرز على مستوى حوالى ٢م فوق الأرض بمقدار ١٢سم، وتوجد فى كل ركن تحت هذا البروز أربعة أنابيب ماء فخارية قطرها حوالى ٧ سم تأتى من السقف، ويجرى الماء عند السقف بأقنية أسمنتية(٢٢١).

يتوصل من خلال هذه القاعة الدافئة إلى القاعة الثالثة الساخنة من خلال فتحة بالجدار الشرقى، وهى قاعة مربعة تتفق فى مساحتها تقريبًا مع القاعة السابقة، تغطيها قبة نصف كروية قائمة على أربعة مثلثات كروية بواقع مثلث فى كل ركن، ويذكر كريزويل أن المعمار أوجد بين المثلثات الكروية وبين القبة أفريزًا حجريًا يبلغ ارتفاعه ٣٠سم، وتشتمل القبة على أربع نوافذ صغيرة ترتكز بدورها على هذا الافريز، وتخترق جدران هذه الغرف الثلاث حفر الغرض منها تثبيت الألواح الرخامية، وتبرز الأجزاء العليا عن الجدران كما فى الغرفة السابقة، وفى كل ركن منها يوجد أنبوب مياه، وتوجد أسفل الأرضية بقايا التدفئة المركزية(٢٢٢).

وقد أوجد المعمار دخلتين عميقتين على جانبى القبة من الجهتين الشمالية والجنوبية على هيئة نصف دائرية، وقد خلت هذه القاعة من الفتحات، ويلاحظ أن المعمار قد نوع فى أسلوب التغطية فى الحمام ما بين الأقبية البرميلية والمتقاطعة والقباب.

ويرى كريزويل من خلال مقارنة هذا البناء مع حمامين صغيرين أن الملحق فى الجانب الشرقى من القاعة الرئيسية ـ A ـ كان حمامًا فلابد أن الغرفة الأولى ـ D ـ بدكتيها والخالية من الأنابيب كانت غرفة الملابس فى الحمام، والغرفة الثانية ـ E ـ التى تحتوى على أنابيب الماء والتدفئة المركزية تحت الأرضية كانت غرفة الحمام والغرفة المقببة المجاورة للفرن هى غرفة الحمام الساخن(٢٢٣).

ويتميز قصير عمرة باشتماله على نقوش فى جدرانه وسقوفه (لوحة ١٧) تنوعت ما بين رسوم صيد واستحمام وراقصات ونساء شبه عاريات وعلى رسوم رمزية لالهة الشعر والفلسفة والنصر والتاريخ عند الإغريق، وأخرى لبعض مراحل العمر المختلفة، وعلى رسم لقبة السماء وبعض النجوم، فضلاً عن البروج المختلفة، ورسوم طيور وحيوانات وزخارف نباتية، وتفصيل ذلك أن الغرف الصغيرة المحيطة بالايوان كانت ذات أرضية من الفسيفساء، وقد بقيت بحالة جيدة حتى أيام الواموزيل، أما الغرف الأخرى فقد استخدمت فيها الألواح الرخامية بسمك ٣سم، وقد وجدت بقايا منها فى أثناء زيارات الواموزيل، وكانت كل الغرف ذات افريز رخامى، وفى أثناء زيارة موزيل الثانية كان رخام الجدار الشرقى للقاعة الرئيسية لايزال بحالة جيدة حتى ارتفاع ٨٠سم، وفوق هذا المستوى كانت الجدران مكسوة بالجص، وتزدان بالفرسكو، وقد تباينت الألوان بين الأزرق البراق. والبنى الغامق، والبنى الفاتح، والأصفر الداكن، والأخضر الزرقاوى، وقد تأثرت لوحات قاعة الاستقبال أكثر من لوحات الغرف الأخرى(٢٢٤).

ويذكر كريزويل إن الجدران أعلى الأفاريز الرخامية حتى نصف ارتفاعها تقريبًا تزدان بأسلوب الستائر المعلقة، ويوجد فى مؤخرة الإيوان خليفة يجلس على

عرشه وحول رأسه هالة، وفوقه مظلة ترتكز على عمودين حلزونيين، ويحف به شخصان وكتابة كوفية باللون الأبيض فوق خلفية زرقاء، وقد تطرق التلف إلى كثير من أجزائها، وبين الايوان والركن الجنوبى الغربى حسب رواية الواموزيل توجد صورة امرأة وفوقها على اليمين كلمة نيخ = نصر، وهى ذات علاقة مباشرة بالصورة الشهيرة «أعداء الإسلام المغلوبين» وإلى جانبها فى الطرف الجنوبى للجدار الغربى كانت هناك صورة تتألف من ستة أشخاص يرتدون الملابس الفاخرة ثلاثة فى المقدمة وثلاثة فى المؤخرة، وفوق أربعة منهم كتابة بالعربية والإغريقية فالأول من اليسار فوقه كلمة «قيصر بالعربية واليونانية»، والثانى فى الصف الخلفى فوقه كلمة يظن أنها «الودريق» آخر ملوك القوط فى إسبانيا، والثالث فى الصف الأمامى فوقه كلمة «كسرا»، والرابع فى الصف الخلفى فوقه كلمة «النجاشى» ورجح فان برشم أن الأشخاص الذين في الصف الأول ملوك امبراطوريات كبيرة فى حين أن الأشخاص فى الصف الخلفى ملوك دول صغيرة(٢٢٥).

تأريخ قصير عمرة من خلال صورة أعداء الإسلام (لوحة ١٨)

يؤرخ قصيرة عمرة من خلال صورة أعداء الإسلام بصفة عامة والخليفة الوليد بن عبد الملك بصفة خاصة (٨٦-٩٦هـ/ ٧٠٥-٧١٥م)، حيث أمكن نسبة قصير عمرة إلى الفترة الواقعة بين سقوط الأندلس فى عام ٩٢هـ/ ٧١١م أو سقوط سمرقند فى عام ٩٣هـ/ ٧١٢م ووفاة الوليد بن عبد الملك فى عام ٩٦هـ/ ٧١٥م(٢٢٦).

وإلى يمين هذه الصورة كان يوجد منظر استحمام وإلى اليمين أيضًا مجموعة من الرجال تمارس التمارين الرياضية، وتوجد على الجدار الشمالى آثار منظر صيد يمكن رؤية بقيته على النصف الشرقى من الجدار الجنوبى، وفوق ذلك إلى يمين النافذة الواقعة أسفل القنطرة صورة امرأة مع بقايا كلمة شعر، وعلى الجانب الآخر توجد بقايا صورتين مع كلمتى تاريخ وفلسفة، ويتناول كريزويل زخارف العقود المستعرضة، وهى فى حالة أفضل ففى النصف الجنوبى من العقد الشرقى

يوجد موسيقى يعزف وهو جالس على آلة وترية ذات مقبض طويل، وفوقه توجد صورة امرأة عارية، وعلى النصف الجنوبى من العقد الغربى صورة راقصة عارية، أما غرفة ملابس الحمام فتحتوى على أفضل الصور المتبقية نذكر منها، امرأة جالسة تنظر نحو رجل فى الجانب الآخر من النافذة وأشرطة مزخرفة بأوراق نباتية تكون أشكال معينات ومثلثات ورسوم تشتمل على موضوع واحد: رجل، امرأة، حيوان، طائر، وعلى الجانب الشمالى نجد أشكال غزلان، ونجد رجلاً بملابس رومانية يعزف على الناى، وراقصة وأشكال حيوانات، كما نجد قمة العقد وقد ملئت بصف من التماثيل النصفية أحدها لرجل أبيض الشعر، وعلى الجانب الأيمن توجد أشكال حيوانات وطيور[٢٢٧].

وفى غرفة الحمام نجد رسومًا تمثل امرأة نصف مستلقية ثم امرأة تمسك بطفل صغير بين ذراعيها وإلى اليمين عند الباب تدخل امرأة أخرى والنساء فى الصورة عاريات أما غرفة الحمام الساخنة فتشبه قبة السماء، حيث إن كواكب نصف الكرة الأرضية الشمالى الرئيسية مرسومة فيها، بالإضافة إلى إشارات البروج، ويوجد فى الوسط الدب الأكبر والدب الأصغر يفصلهما ذيل التنين، كما توجد إلى اليمين صورة شخص يمد ذراعيه[٢٢٨].

وبصفة عامة فإنه يتضح فى هذه النقوش الأساليب الفنية الهلينية والبيزنطية، كما تظهر الأساليب الفنية الإيرانية إلى جانب العناصر الشرقية المسيحية[٢٢٩].

سليمان بن عبد الملك ٩٦-٩٩هـ/٧١٥-٧١٧م

هو سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، بويع بالخلافة وهو بالرملة فى اليوم الذى توفى فيه الوليد بن عبد الملك، وأمه ولادة بنت العباس بن جزء بن الحارث بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس بن بغيض[٢٣٠].

مدينة الرملة ومنشآتها (القصر والمسجد الجامع)

شيدها سليمان بن عبد الملك عندما ولاه الخليفة الوليد بن عبد الملك جند فلسطين، حيث نزل لد[٢٣١]، ثم أسس الرملة ومصرها، قال البلاذرى «وحدثنى جماعة من أهل العلم بأمر الشام، قالوا: ولى الوليد بن عبد الملك سليمان بن عبد الملك جند فلسطين فنزل لد، ثم أحدث مدينة الرملة ومصرها وكان أول ما بنى منها قصره والدار التى تعرف بدار الصباغين، وجعل فى الدار صهريجًا متوسطا لها ثم اختط للمسجد خطة وبناه، فولى الخلافة قبل استتمامه ثم بنى فيه بعد فى خلافته، ثم أتمه عمر بن عبد العزيز ونقص من الخطة، وقال: أهل الرملة يكتفون بهذا المقدار الذى اقتصرت بهم عليه[٢٣٢]».

وقد أورد البلاذرى «ولما بنى سليمان لنفسه أذن للناس فى البناء فبنوا، واحتفر لأهل الرملة قناتهم التى تدعى بردة واحتفر آبارًا وولى النفقة على بنائها بالرملة ومسجد الجماعة كاتبًا له.. ولم تكن الرملة قبل سليمان، وكان موضعها[٢٣٣] رملة».

مما تقدم يتضح أن البلاذرى قد أمدنا بمعلومات هامة بالنسبة لنشأة المدينة

وسبب تسميتها من جهة، والمراحل التى مرت بها المدينة حتى الفراغ منها من جهة أخرى، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه أنها مدينة أموية، ويضيف البلاذرى «وقد صارت دار الصباغين لورثة صالح بن على بن عبد الله بن العباس لأنها قبضت مع أموال بنى أمية قالوا: وكان بنو أمية ينفقون على آبار الرملة وقناتها بعد سليمان بن عبد الملك فلما استخلف بنو العباس أنفقوا عليها»[٢٣٤].

وكان سليمان بن عبد الملك يجل بيت المقدس شأنه فى ذلك شأن من سبقه من الأمويين حتى أنه عندما تولى الخلافة أتى بيت المقدس ، وأتته الوفود بالبيعة، وكان يجلس فى صحن حرم بيت المقدس فيما يلى الصخرة، فيدخل الناس إليه لقضاء حوائجهم، وكان سليمان بن عبد الملك قد هم بالإقامة فى بيت المقدس واتخاذها منزلاً وعاصمة لدولته بدلاً من دمشق، قال الاصطخرى «وأما جند فلسطين ـ وهو أول أجناد الشام مما يلى المغرب.. وفلسطين ماؤها من الأمطار.. ومدينتها العظيمة الرملة، وبيت المقدس يليها فى الكبر»[٢٣٥].

ويصف لنا المقدسى مدينة الرملة بقوله «الرملة قصبة فلسطين بهية حسنة البناء خفيفة الماء مرية واسعة الفواكه جامعة الامتداد بين رساتيق جليلة ومدن سرية ومشاهد فاضلة وقرى نفيسة والتجارة بها مفيدة والمعايش حسنة ليس فى الإسلام أبهى من جامعها ولا أحسن وأطيب من حواريها ولا أبرك من كورتها ولا ألذمن فواكهها موضوعة بين رساتيق زكية ومدن محيطة ورباطات فاضلة ذات فنادق رشيقة وحمامات أنيقة وأطعمة نظيفة وأدامات كثيرة ومنازل فسيحة ومساجد حسنة وشوارع واسعة وأمور جامعة قد حظت فى السهل وقربت من الجبل والبحر.. عميقة الآبار مالحة وماء المطر فى جباب مقفلة.. وهى ميل راجح فى ميل بنيانهم حجارة منحوتة حسنة وطوب[٢٣٦]..».

جامع حلب (شكل ٢٩) (لوحة ١٩)

شيد الخليفة سليمان بن عبد الملك أول مسجد جامع فى حلب، وتأنق فى بنائه ليضاهى به جامع دمشق الذى بناه الوليد بن عبد الملك، وقد شيد المسجد من أحجار منشآت قديمة، وكان المسجد يتسم بالفخامة من الناحيتين المعمارية والزخرفية فقد ازدان بالفسيفساء والرخام، غير أن المسجد تعرض للتخريب عقب انتهاء العصر الأموى، حيث نقض العباسيون ما فيه من رخام وفسيفساء وآلات ونقلوها إلى جامع الأنبار(٢٣٧).

وقد تعرض المسجد للعديد من الإصلاحات والتجديدات عبر عصوره الإسلامية المتعاقبة، فقد تعرض المسجد لحريق من قبل الروم عند اجتياحهم حلب فى عام ٣٥١هـ / ٩٦٢م، ثم جدد من قبل الأمير سيف الدولة الحمدانى، ومن جاء بعده، وفى سنة ٥٦٤هـ /١١٦٩م تعرض لحريق آخر من قبل الإسماعيلية فى أثناء فتنة داخلية فأعاد بنائه السلطان العادل نور الدين محمود بن زنكى وزاد فى سعته، ثم تأثر المسجد فى أثناء استيلاء التتار بقيادة هولاكو على حلب فى يوم الأحد العاشر من صفر سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م، كما تأثر أيضًا فى سنة ٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م عندما هاجم صاحب سيس المدينة وأحرقه، فأعاد عمارته نائب حلب الأمير قراسنقر وفرغ منه فى رجب من سنة ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م فى سلطنة الملك المنصور سيف الدين قلاوون، وتناوله من أتى بعده بالعمارة والإصلاح فى العصر المملوكى، ثم أولى العثمانيون المسجد الكثير من العناية والرعاية(٢٣٨).

ومن الناحية المعمارية يشغل المسجد مساحة واسعة عبارة عن مستطيل يمتد من الشرق إلى الغرب بمقدار ١٠٥م طولاً، ومن الشمال إلى الجنوب بمقدار ٧٧,٧٥م عرضا، وعلى ما يبدو فإن المسجد الكبير فى حلب كان نسخة من مسجد دمشق الكبير(٢٣٩).

مدينة جرجان

أورد ابن الأثير فى أحداث سنة ٩٨هـ/ ٧١٦م «فى هذه السنة غزا يزيد بن المهلب جرجان وطبرستان لما قدم خراسان[٢٤٠]».

كما أورد «وبنى مدينة جرجان، ولم تكن بنيت قبل ذلك مدينة، ورجع إلى خراسان، واستعمل على جرجان جهم بن زحر الجعفى.. وكتب إلى سليمان بالفتح[٢٤١]..».

ذكرها ياقوت الحموى فقال «جرجان: بالضم، وآخره نون.. مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان.. وقيل: إن أول من أحدث بناءها يزيد بن المهلب بن أبى صفرة، وقد خرج منها خلق من الأدباء والعلماء والفقهاء والمحدثين.. فإنها أكبر مدينة بنواحيها، وهى أقل ندى ومطراً من طبرستان.. ويرتفع منها من الأبريسم وثياب الأبريسم ما يحمل إلى جميع الآفاق.. وبجرجان مياه كثيرة وضياع عريضة، وليس بالمشرق بعد أن تجاوز العراق مدينة أجمع ولا أظهر حسنا من جرجان على مقدارها، وذلك أن بها الثلج والنخل، وبها فواكه الصرود والجروم، وأهلها يأخذون أنفسهم بالتأنى والأخلاق المحمودة.. وقد خرج منها رجال كثيرون موصوفون بالستر والسخاء، منهم: البرمكى صاحب المأمون، ونقودهم نقود طبرستان الدنانير والدراهم»[٢٤٢].

عمر بن عبد العزيز ٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧٢٠م

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، وكنيته أبا حفص، قال الطبرى فى أحداث سنة ٩٩هـ/٧١٧م «وفى هذه السنة استخلف عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم[٢٤٣]».

وقال ابن الأثير «وكان عبد الملك قد عهد إلى الوليد وسليمان أن يجعلا أخاهما يزيد ولى عهد، فأمر سليمان أن يجعل يزيد بن عبد الملك بعد عمر، وكان يزيد غائبًا فى الموسم. قال رجاء: قلت رأيك فكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز، إنى قد وليتك الخلافة بعدى ومن بعدك يزيد بن عبد الملك، فاسمعوا له وأطيعوا واتقوا الله، ولا تختلفوا فيطمع فيكم»[٢٤٤].

ومن مآثر عمر بن عبد العزيز ترك سب أمير المؤمنين الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه قال ابن الأثير «كان بنو أمية يسبون أمير المؤمنين على بن أبى طالب.. إلى أن ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة، فترك ذلك، وكتب إلى العمال فى الآفاق بتركه.. وقرأ عوضه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ[٢٤٥]﴾ (سورة النحل، الآية ٩٠).

وذكر ابن الأثير أنه فى عهد عمر بن عبد العزيز بدأت الدعوة العباسية، حيث قال فى أحداث سنة ١٠٠هـ/٧١٨م «فى هذه السنة وجه محمد بن على بن عبد الله بن عباس الدعاة فى الآفاق[٢٤٦]».

وفى هذه السنة أيضًا نقل عمر بن عبد العزيز أهل طرندة إلى ملطية، وأخرب

حصن طرندة قال ابن الأثير «فى هذه السنة أمر عمر بن عبد العزيز أهل طرندة بالقفول عنها إلى ملطية. . وكان عبد الله بن عبد الملك قد أسكنها المسلمين بعد أن غزاها سنة ثلاث وثمانين، وملطية يومئذ خراب، وكان يأتيهم جند من الجزيرة يقيمون عندهم إلى أن ينزل الثلج، ويعودون إلى بلادهم، فلم يزالوا كذلك إلى أن ولى عمر، فأمرهم بالعودة إلى ملطية، وأخلى طرندة خوفا على المسلمين من العدو، وأخرب طرندة، واستعمل على ملطية جعونة بن الحارث(٢٤٧)».

ومن مآثر عمر بن عبد العزيز بحصن المصيصة المسجد الجامع، قال البلاذرى «وشخص عمر بن عبد العزيز حتى نزل هرى المصيصة وأراد هدمها وهدم الحصون بينها وبين أنطاكية. . فأعلمه الناس أنها عمرت ليدفع من بها من الروم عن أنطاكية. . فأمسك وبنى لأهلها مسجدًا جامعًا من ناحية كفربيا واتخذ فيه صهريجا وكان اسمه عليه مكتوبا، ثم أن المسجد خرب فى خلافة المعتصم بالله وهو يدعى مسجد الحصن(٢٤٨)».

يزيد بن عبد الملك ١٠١-١٠٥هـ/ ٧٢٠-٧٢٤م

هو يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبى سفيان، وكنيته أبو خالد، تولى بعهد من أخيه سليمان بعد عمر بن عبد العزيز، قال الطبرى «ولما مات عمر بن عبد العزيز بويع يزيد بن عبد الملك فى اليوم الذى مات فيه عمر»(٢٤٩).

مسجد البصرى ١٠٢هـ/٧٢٠م (شكل ٣٠)

أورد د. أحمد فكرى عدة مساجد ترجع إلى العصر الأموى منها مسجد البصرى الذى شيده الخليفة يزيد بن عبد الملك فى سنة ١٠٢هـ/ ٧٢٠م فى جنوب الشام، وقد جدد هذا المسجد فى سنة ١٢٨هـ/ ٧٤٥م أى فى نهاية العصر الأموى، ثم جدد فى القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى فى عام ٦١٨هـ/ ١٢٢٠م، ثم تهدم واندثر، غير أن الحفائر أظهرت بعض نظام تخطيطه، حيث يشغل المسجد مساحة شبه مربعة يبلغ طول جدار القبلة فيها ٣٥م، وتنقسم هذه المساحة إلى صحن وأربع ظلات، وتتكون كل ظلة من بلاطتين، أما الصحن فيشغل مساحة مستطيلة، حيث يبلغ طوله ١٦م، أما عرضه فيبلغ ١٠م، وترتكز عقود المسجد على دعامات(٢٥٠).

قصر الموقر (شكل ٣١)

ومن الآثار المعمارية التى ترجع إلى تلك الفترة بناء قصر الموقر وهو يقع فى

البلقاء أى فى أراضى الجنوب الشرقى من الأردن اليوم على بعد ٣٥كم غربى الحرانة على الدرب الؤدية إلى عمان، وهذا البناء تقريبًا إندثر تمامًا، ونتيجة لذلك فإن وصفه جاء اعتمادًا على روايات Von Domaszewski, Brünnow الذى رآه فى سنة ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م، و Musil الذى زاره فى سنة ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م وسنة ١٣١٩هـ / ١٩٠١م وقد عثر على عمود كامل حفرت على تاجه كتابة كوفية تحدد تاريخ بناء القصر فى عهد الخليفة عبد الله يزيد الثانى، كما أن الحجارة الضخمة التى يتألف منها العمود تحمل كتابات على مسافات متساوية، ولعل هذا العمود كان مقاما وسط البركة التى تقع فى شرق القصر لتحديد ارتفاع الماء فيها، ويصل ارتفاع العمود إلى عشرة أمتار على الأقل كما يتضح من المقاييس المدرجة عليه(٢٥١).

هشام بن عبد الملك ١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٤-٧٤٣م

هو هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية، وأمه أم هشام (عائشة) بنت هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومى، وكنيته: أبا الوليد، قال ابن الأثير فى أحداث سنة ١٠٥هـ/ ٧٢٤م «فى هذه السنة استخلف هشام بن عبد الملك. . وأتته الخلافة وهو بالرصافة، وأتاه البريد بالخاتم والقضيب، وسلم عليه بالخلافة فركب منها حتى أتى دمشق»[٢٥٢].

مدينة الرصافة وقصورها

ذكرها الطبرى فقال «وكان هشام بن عبد الملك ينزل الرصافة ـ وهو فيما ذكر ـ من أرض قنسرين، ـ وكان سبب نزوله إياها ـ فيما حدثنى أحمد بن زهير بن حرب، عن على بن محمد قال: كان الخلفاء وأبناء الخلفاء يتبدون ويهربون من الطاعون، فينزلون البرية خارجا عن الناس، فلما أراد هشام أن ينزل الرصافة قيل له: لا تخرج، فإن الخلفاء لا يطعنون، ولم نر خليفة طعن، قال: أتريدون أن تجربوا بى: فنزل الرصافة وهى برية، ابتنى بها قصرين. والرصافة مدينة رومية بنتها الروم»[٢٥٣].

وذكرها ابن الأثير فقال «وقيل: وكان هشام ينزل الرصافة وهى من أعمال قنسرين، وكان الخلفاء قبله وأبناء الخلفاء يتبذون هربا من الطاعون فينزلون البرية، فلما أراد هشام أن ينزل الرصافة قيل له: لا تخرج فإن الخلفاء لا يطعنون، ولم ير خليفة طعن. قال: أتريدون أن تجربوا فى؟ فنزلها، وهى مدينة رومية[٢٥٤]» .

وذكرها ياقوت الحموى فقال «الرصافة فى مواضع كثيرة، منها: رصافة هشام بن عبد الملك فى غربى الرقة.. بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام فكان يسكنها فى الصيف.. ووجدت فى أخبار ملوك غسان.. ثم ملك النعمان بن الحارث بن الأبهم وهو الذى أصلح صهاريج الرصافة وصنع صهريجها الأعظم، وهذا يؤذن بأنها كانت قبل الإسلام بدهر ليس بالقصير، ولعل هشامًا عمر سورها أو بنى بها أبنية يسكنها، وقال أحمد بن يحيى: وأما رصافة الشام فإن هشام بن عبد الملك أحدثها وكان ينزل فيها الزيتونة، قال الأصمعى: الزوراء رصافة هشام وفيها دير عجيب وعليها سور وليس عندها نهر ولا عين جارية إنما شربهم من صهاريج عندهم داخل السور»(٢٥٥).

قصر الحير الشرقى ١١٠هـ/٧٢٨م (أشكال ٣٢-٣٤)

يقع هذا القصر على بعد ستين ميلاً تقريبًا إلى الشمال الشرقى من تدمر وحوالى أربعين ميلاً إلى الجنوب من الرصافة، ويتألف الموقع من قصرين أحدهما كبير عبارة عن مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ١٦٠م تقريبًا، والآخر صغير مربع غير منتظم طول ضلعة ٦٦م، وهذان القصران تدعمهما أبراج نصف دائرية، برجان فى كل ضلع اضافة لأبراج الزوايا الأربع، ويقع المدخل فى الجهة الجنوبية فقد أوجد المعمار برجين على جانبيه بواقع برج فى كل جانب بهيئة نصف دائرية، ثم يؤدى دهليز المدخل إلى الفناء الذى تحيط به الحجرات من جوانبه الأربعة، ويتألف القصر من طابقين، ويحتوى على أربعة مداخل، كما أوجد المعمار مدخلين آخرين فى الجدار الشرقى، وقد شيدت الأسوار من الحجر المنحوت والآجر، تدعمها ابراج نصف دائرية، وقد وجد روسو كتابة ترجع هذا القصر إلى عهد هشام أما القصر الصغير فيشتمل على مدخل واحد من الجهة الغربية وحجرات ذات أسقف معقودة، فقد ذكر كريزويل أن روسو وجد لوحة تشتمل على نص كتابى، ونقلها إلى حلب حيث قام برسمها، وتتضمن «بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، محمد رسول الله، أمر بصنعة هذه المدينة (الرصافة) عبد الله هشام، أمير المؤمنين، وكان هذا من عمل

أهل حمص على يد سليمان بن عبيد» سنة ١١٠هـ/٧٢٨م، وقد فقدت هذه اللوحة[٢٥٦].

و يذكر كريزويل[٢٥٧] أن هشامًا شيد قصرين فى صحراء الرصافة، ويضيف أن الفناء الكبير يمثل أحد القصرين، بينما يمثل الفناء الصغير القصر الآخر، ويتألف القصر الشرقى كما تقدم من بناءين محصنين بهيئة مربعة تقريبًا، الأول يبلغ طول ضلعه حوالى ٦٦م، أما الآخر فيبلغ طول ضلعه حوالى ١٦٠م من الداخل، أما الفناء الصغير فيتشكل من خلال سور يبلغ سمكه ٢,٣٠م، يشتمل على أبراج نصف دائرية فى الجدران وشبه دائرية فى الأركان، وتفصيل ذلك أن كل جدار يشتمل على برجين نصف دائريين بحيث يبلغ عددها ثمانية أبراج، كما أوجد المعمار برجًا بهيئة شبه دائرية فى كل ركن من الأركان الأربعة، وتبلغ المسافة بين كل برجين ١٨,٥١م، ٢٠,٥٠م فيما عدا جانب المدخل الذى يشتمل على برجين يقعان على جانبى المدخل الرئيسى الذى يتوصل منه إلى داخل القصر، ويبعدان عن بعضهما ٦,٦٧م تقريبًا، ويذكر كريزويل أن ارتفاع الجدار بما فى ذلك حاجز السقف يبلغ ١٢,٢٥م تقريبًا، وقد شيدت الجدران بالحجر الكلسى الناعم من مداميك يبلغ ارتفاعها ٣٥ سم[٢٥٨].

ويبلغ عرض المدخل ٢,٩٨م، أما الارتفاع فيبلغ ٤,٢م، ويتوج المدخل عتب مستقيم يعلوه عقد نصف دائرى، وتزدان الأبراج فى قمتها بالآجر والجص، حيث تبدأ بزخارف متموجة مستقيمة ثم نجد مدماكين من الآجر، ثم يوجد صف آخر من الآجر الصغير بمساحة ١٠سم تقريبًا على هيئة معينات، ثم نجد مدماكًا آخر من الآجر، ثم يلى ذلك مدماك من الحجر يرتكز عليه عقد القناطر المؤلفة من سلسلة من الألواح المستطيلة التى يقسمها زوجان من الأعمدة الصغيرة، ويزدان وجه العقد من أعلى بنبات الأكانتس، ويعلو كل ذلك مدماك من الآجر تعلوه عدة مداميك من الآجر العمودى تعلوها القبة الآجرية التى تتوج البرج بعد الارتداد عن وجه الجدار، ويمتد افريز بين الأبراج، كما توجد سقاطتان أعلى المدخل ترتكزان على ثلاثة كوابيل بارزة[٢٥٩].

أما الأبراج الباقية فتشتمل على شريط من الآجر الذى يتألف من خمسة مداميك، والذى يمتد بجانب السور، ويمتد أيضاً حول كل برج، ثم نجد ثلاثة مداميك حجرية، ثم يوجد شريط من الآجر المربع الصغير المصنوع على شكل معينات، ثم ثلاثة مداميك أخرى من الحجر، وبعدها نجد شريطًا آخر يتكون من أربعة أو خمسة مداميك من الآجر الذى تعلوه قبة آجرية، وكل برج يشتمل على غرفة صغيرة تعلوها قبة فيما عدا البرج المجاور للمدخل من الجهة الشمالية الذى يبدو أن فيه درج حلزونى، غير أن الدرجات كلها اختفت ولم يبق إلا اسطوانة فارغة(٢٦٠).

مسجد قصر الحير الشرقى

شيد مسجد قصر الحير الشرقى بالرصافة فى عام ١١٠هـ/٧٢٨م أى يرجع إلى تاريخ بناء قصر الحير الشرقى وقصر الحير الغربى الذى شيد أيضًا فى نفس التاريخ، حيث إن المنشآت الثلاث شيدت فى سنة واحدة، وتنقسم ظلة القبلة فى المسجد إلى ثلاث بلاطات تمتد من الشرق إلى الغرب موازية لجدار القبلة(٢٦١).

قصر الحير الغربى ١١٠هـ/٧٢٨م (أشكال ٣٥-٣٧)

يقع هذا القصر على بعد ٤٠ ميلاً إلى الجنوب الغربى من تدمر ويستدل على تاريخ هذا القصر من نصين، الأول على أحد أبواب الخان، وهو محفوظ حاليًا فى حديقة المتحف الوطنى بدمشق، أما النص الثانى فهو على جزء من حجر رخامى فى جناح قصر الحير بالمتحف الوطنى بدمشق، وقد جاءت مساحة القصر من أربعة أبنية أساسية تتمثل فى ساحة مستطيلة تمتد بطول ١٠٥٠م، وباتساع ٤٤٢م، وخزان بجدران جانبية لتجميع وتوزيع المياه، والخان، والقصر الذى يشتمل على حمام منزلى مجاور، وأما الساحة المستطيلة فقد أحيطت فى الأصل بجدار من اللبن على أساس من الحجر، وقد دعم الجدار فى الفواصل بأبراج نصف دائرية وضعت فى الأوجه الداخلية والخارجية بالتناوب وكان المدخل الرئيسى يقع بالزاوية الشرقية من هذه الساحة، ويماثل تصميم كل من الجدران

والمدخل مثيله فى قصر الحير الشرقى، أما الخزان فهو عبارة عن بناء دائرى من خلال جدار حجرى جاء بسمك ٢,٧٥م، أما الخان فكان فى الأصل من اللبن على قاعدة حجرية شأنه فى ذلك شأن الساحة المستطيلة، ويشكل بناء الخان مساحة مستطيلة عظيمة جاءت بمقاييس ٥٥,٧٥م من الجهة الشرقية، و ٥٤,١٠م من الجهة الشمالية، و ٥٥,٩٥م من الجهة الغربية، و ٥٥,١٠م من الجهة الجنوبية ومن الداخل جاء تخطيطه من صحن مكشوف بمقاييس تبلغ ٢٢,٥٠م × ٢٣م، ويحيط بالفناء رواق أو ظلة بعمق ٢,٥م، وذلك من خلال بائكة تتكون من دعامات يبلغ عددها ١٦ فى الجانبين الشمالى والجنوبى بواقع ثمانى دعامات فى كل جانب، كما يبلغ عددها ١٨ فى الجانبين الشرقى والغربى بواقع تسع دعامات فى كل جانب فى تناغم هندسى بديع، أما الدعامات فى الأركان فقد اتخذت حرف L فى وضع معدول وآخر مقلوب، وأما القصر فتبلغ مقاييسه بالأبراج ٧١,٤٥ من الجهة الشرقية، و ٧٠,٤٥ من الجهة الشمالية، و ٧٣,٠٣م من الجهة الغربية، و ٧١,٠٥م من الجهة الجنوبية تدعمه من الخارج أبراج نصف دائرية فى الجدران وشبه دائرية فى الأركان، ويحيط بالصحن من الداخل رواق أو ظلة على غرار الخان الذى تقدم ذكره ويتوصل إلى الصحن من مدخل رئيسى يتوسط الجهة الشرقية، وقد أوجد المعمار على جانبيه برجين بهيئة نصف دائرية بواقع برج فى كل جانب، وقد جاء المدخل باتساع ٣م، ويفضى بدوره إلى دهليز المدخل الذى يتوصل منه إلى الصحن أو الفناء. ويذكر د. السيد عبد العزيز سالم أنه ربما يكون القصر الذى ذكره الطبرى باسم الزيتونة، وقد ورد اسم الزيتونة فى نص ياقوت الحموى، حيث قال «الرصافة فى مواضع كثيرة منها: رصافة هشام بن عبد الملك فى غربى الرقة.. بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام فكان يسكنها فى الصيف... ووجدت فى أخبار ملوك غسان.. ثم ملك النعمان بن الحارث بن الأبهم وهو الذى أصلح صهاريج الرصافة وصنع صهريجها الأعظم، وهذا يؤذن بأنها كانت قبل الإسلام بدهر ليس بالقصير ولعل هشاما عمر سورها أو بنى بها أبنية يسكنها، وقال أحمد بن يحيى: وأما رصافة

هشام فإن هشام بن عبد الملك أحدثها وكان ينزل فيها الزيتونة. »[٢٦٢]، ويضيف د. السيد عبد العزيز سالم أنه قد عثر فى أطلال هذا القصر على نقوش عزبية وعلى تماثيل من النوع التدمرى الرومانى، وكان هذا القصر محاطًا بغابة من الأشجار الجنات، وقد وصلت إلينا عدة تصاوير من هذا القصر، وهى تصاوير يحتفظ بها متحف دمشق وتتضح بها التأثيرات الساسانية»[٢٦٣]. (شكل ٣٨)

المجموعة المعمارية فى عمان (القصر والمسجد) (شكل ٣٩)

تناول كريزويل المجموعة المعمارية الفخمة فى عمان والتى ذكرها ضمن أعمال الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك، وهى عبارة عن قلعة مركبة وقصر أموى، وفى هذا الصدد تناول دراسات Gaube و Northedge عن هذا البناء المركب، أما فيما يتعلق بالقصر، فقد نشر المسقط الأفقى عن Northedge ويضيف أن القصر يشغل موقع الساحة الرومانية القديمة المزدوجة فى النهاية الشمالية من القلعة، ثم يتحدث عن تخطيطه بصفة عامة فيذكر أنه على الجانب الجنوبى من الساحة الأولى المسورة توجد قاعة مربعة مقاييسها ٢٤,٤ × ٢٦,١م، وهى قاعة الاستقبال، وإلى الشمال منها يوجد فناء صغير (فناء واحد) بنفس الأبعاد والذى يؤدى إلى طريق قصير يشتمل على أعمدة، وفى الساحة الثانية توجد قاعة أبعد (البناء الشمالى) مقابلة للفناء الثانى الصغير، وهو بمقاييس ١٠ ×٢٤م، أى أنه يشغل مساحة مستطيلة، وعلى الجانب الشرقى من الطريق ذى الأعمدة والفناء الأول توجد ثلاث وحدات معمارية صفت فيها الحجرات حول الأفنية فى ثلاثة جوانب (الوحدات ٤ ,٥ ,٦) وبالقرب من البناء الشمالى توجد وحدتان (البناء ٢ ,٣)، ومخطط الوحدات السكنية الثلاث على الجانب الشرقى من المحتمل أنه تكرر على الجانب الغربى من الطريق (الأبنية ٧ ,٨ ,٩)[٢٦٤].

وقد شيدت قاعة الاستقبال التى تتقدم البناء من الجهة الجنوبية بالحجر الجيرى، يتوصل إليها من مساحة مستطيلة تفضى إلى فتحة مدخل، وتفضى هذه الفتحة بدورها إلى مساحة أخرى مستطيلة تؤدى فى الجهتين الشرقية والغربية إلى حجرة مستطيلة تمتد رأسيًا من الشمال إلى الجنوب، وذلك من خلال فتحتين،

بواقع فتحة فى كل جانب، ثم نصل إلى قاعة مربعة تتوسط قاعة الاستقبال، وقد أوجد المعمار تجويفين على جانبيها من الجهتين الشرقية والغربية بواقع تجويف فى كل جهة، ويغطى كل تجويف قبو نصف برميلى، ثم نصل من القاعة المربعة فى الجهة الجنوبية الغربية إلى مساحة مستطيلة تمتد أفقيًا من الشرق إلى الغرب على غرار المساحة المستطيلة التى تقع خلف فتحة الدخول، وقد أوجد المعمار قاعة فى الجهة الشرقية من هذه المساحة المستطيلة، وهى حجرة مستطيلة تمتد رأسيًا من الشمال إلى الجنوب، ثم حجرة أخرى فى الجهة الغربية تشتمل على سلم، وتؤدى قاعة الاستقبال التى تتقدم السور الجنوبى إلى الفناء الأول الذى يتوصل منه إلى البناء رقم ٦ على المسقط الأفقى، وذلك من الجهة الشرقية، ثم يتوصل من الفناء إلى الطريق الذى يشتمل على أعمدة، ويتوصل منه فى الجهة الشرقية إلى البناءين ٤، ٥، كما يتوصل منه فى الجهة الغربية إلى البناءين ٨، ٩، كذلك يتوصل منه من خلال مدخله فى نهايته إلى الفناء الثانى الذى يفضى بدوره إلى البناءين ٢، ٣.

الاستحكامات الحربية

عمارة حصن مورة وحصن بغراس

يحدثنا البلاذرى فى فتوح البلدان عن عمارة حصن مورة فى عهد الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك بقوله «وبنى هشام حصن مورة على يدى رجل من أهل أنطاكية وكان سبب بنائه إياه أن الروم عرضوا لرسول له فى درب اللكام عند العقبة البيضاء ورتب فيه أربعين رجلاً وجماعة من الجراجمة وأقام ببغراس مسلمة فى خمسين رجلاً وابتنى لها حصنًا»(٢٦٥).

عمارة حصن قطرغاش

يحدثنا البلاذرى عن هذا الحصن وتشييده من قبل الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك بقوله «وبنى هشام حصن قطرغاش على يدى عبد العزيز بن حيان الأنطاكى»(٢٦٦).

وقد ذكر ياقوت الحموى هذا الحصن فقال «قطرغاش: حصن من أعمال الثغور قرب المصيصة، كان أول من عمره هشام بن عبد الملك على يد عبد العزيز بن حسان الأنطاكى»(٢٦٧).

عمارة حصن بوقا (بوقة)

ومن الحصون التى شيدت أيضًا فى عهد الخليفة هشام بن عبد الملك حصن بوقا، قال البلاذرى «وبنى هشام حصن بوقا من عمل أنطاكية ثم جدد وأصلح حديثا»(٢٦٨).

وقد ذكره ياقوت الحموى بوقة فقال «من قرى أنطاكية، وفى كتاب الفتوح بني هشام بن عبد الملك حصن بوقة من عمل أنطاكية ثم جدد وأصلح حديثًا، ينسب إليها أبو يعقوب إسحاق بن عبد الله الجزرى البوقى.. وأبو سليمان داود بن أحمد البوقى..»(٢٦٩).

حمام الصرخ حوالى ١١٥هـ/٧٢٨م (شكل ٤٠، ٤١)

يقع هذا الحمام على بعد ثلاثة أميال جنوب شرقى قصير الحلابات، وعلى بعد نحو عشرين ميلاً من حمام الزرقاء الواقع على طريق الحج على بعد اثنى عشر ميلاً شمال عمان، كشفته بعثة جامعة برنستون برئاسة بتلر فى عام ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م، ويرجح د. زكى محمد حسن تشييده بعد قصير عمره بفترة قصيرة إعتماداً على دقة بنائه وعناصره المعمارية مقارنة بمثيلاتها فى قصير عمرة، ويؤرخ كريزويل حمام الصرخ ما بين ١٠٦ و ١١٧هـ/ ٧٢٥ و ٧٣٠م أى إلى عهد الخليفة هشام بن عبد الملك[٢٧٠].

يشبه مخطط حمام الصرخ مخطط قصير عمره فى هيئته العامة، ويختلف عنه فى التفاصيل، فقد جاء من[٢٧١] قسمين: أحدهما يمثل قاعة الاستقبال، ويمثل الآخر الحمام على غرار مخطط قصير عمرة، أما القسم الأول فيتكون من مساحة مستطيلة قسمها المعمار إلى ثلاثة أروقة طولية تمتد من الشمال إلى الجنوب، يفصلها عقدان على هيئة مدببة، وينتهى الرواق الأوسط فى الجهة الجنوبية الشرقية بحنية، وتكتنف الحنية غرفتان لخلع الملابس، وتشتمل كل غرفة على ثلاث فتحات على هيئة المزاغل حيث جاء تصميمها ضيقًا من الخارج متسعًا من الداخل، قام المعمار بتوزيع هذه الفتحات بشكل متناغم ومتناسق فى الغرفتين، ويختلف حمام الصرخ عن حمام قصيرة عمرة فى أن الغرفتين فى الحمام الأخير قد خلتا من فتحات تطل على الخارج، كما أن الغرفتين فى حمام الصرخ أوجد المعمار بهما دخلة مستطيلة يغطيها قبو مدبب صغير تبرز إلى الخارج عن الجدار الجنوبى الشرقى فى الطرفين الشرقى والغربى، وهو الأمر الذى يختلف وتصميم الغرفتين فى قصير عمرة، وقد استخدم المعمار فى تغطية وحدات قاعة الاستقبال من حجرتين وأروقة طولية الأقبية المدببة، بينما استخدمت فى قصير عمرة الأقبية

البرميلية، أما تصميم العقدين هنا فعلى هيئة مدببة، بينما فى قصير عمرة على هيئة نصف دائرية مما يوضح وجود اختلافات جوهرية فى التفاصيل المعمارية بين الحمامين على الرغم من التشابه فى المخطط العام.

ويتوصل إلى القسم الثانى المتمثل فى الحمام من الرواق الشرقى بقاعة الاستقبال كما هو الحال فى قصير عمرة، حيث نصل إلى القاعة الأولى الباردة، وهى مستطيلة يبلغ طولها ٣,٤٥م، وعرضها ٢,٥م، يغطيها قبو مدبب، ولا تشتمل على فتحات ويختلف تصميم قبو القاعة هنا وقبو القاعة مثيلتها فى قصير عمرة والذى جاء اسطوانيًا، كما تختلف عنها فى أن قاعة قصير عمرة تشتمل على فتحات، ويتوصل من القاعة الباردة إلى القاعة الثانية الدافئة، وهى مستطيلة يبلغ طولها ٣,٤م، كما يبلغ عرضها ٢,٢م، يغطيها قبو متقاطع، وقد أوجد المعمار فى جانبها الجنوبى الشرقى دخلة مستطيلة جاءت بعرض ١,٧م، وبعمق ١,٢م، وتتفق هذه القاعة مع مثيلتها فى قصير عمرة سواء فى أسلوب التغطية، أو فى وجود الدخلة المستطيلة، وتختلف عنها فى الموقع، وعدم اشتمالها على فتحات فهى هنا على المخطط تعلو القاعة الباردة، وفى قصير عمرة تقع على المخطط أسفل القاعة الباردة، ثم يتوصل من الغرفة الدافئة إلى الغرفة الثالثة الساخنة، وقد جاءت من مساحة مربعة تغطيها قبة مربعة من الداخل كانت مغطاة بطبقة من الملاط ومغشاة بقطع من الخزف، وقد أوجد المعمار دخلتين على هيئة نصف دائرية فى الجانبين الجنوبى الشرقى والشمالى الغربى، وتشرف القبة على الخارج من خلال فتحتين بالدخلتين بواقع فتحة فى كل دخلة، وتتفق هذه القبة وقبة قصير عمرة فى التكوين العام وتختلف عنها فى اشتمالها هنا على فتحتين من جهة، وعلى تضليع من الداخل من جهة أخرى.

ويذكر كريزويل أنه يبدو أن القبة كانت تشتمل على ثمانى نوافذ دائرية تحولت الآن إلى ثقوب كبيرة(٢٧٢).

وقد كانت جدران الحمام تزدان بنقوش جميلة شاهدها بتلر ثم الواموزيل قبل أن تندثر تمامًا، أما فيما يتعلق بمادة البناء فقد شيد الحمام من الحجر ذى المداميك المنتظمة(٢٧٣).

قصرالقسطل (شكل ٤٢، ٤٣)

وينسب إلى الخليفة هشام بن عبد الملك قصر القسطل الذى يبعد نحو ٢٥ كم جنوبي عمان، وهو القصر الذى أشار إليه المؤرخ ابن الأثير عند ذكره قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك فى أحداث سنة ١٢٦هـ/ ٧٤٤م بما نصه «وكان العباس بالقسطل ويزيد بالبادية»(٢٧٤).

وفى موضع آخر أورد المؤرخ بن الأثير عند ذكره خدف أهل فلسطين فى أحداث سنة ١٢٧هـ/ ٧٤٥م وذكر بيعة الخليفة الأموى مروان بن محمد بن مروان ذكر القسطل بقوله «وكان مروان بدير أيوب، فبايع لابنيه عبيد الله وعبد الله، وزوجهما ابنتى هشام بن عبد الملك وجمع كذلك بنى أمية واستقام له الشام ما خلا تدمر فسار إليها فنزل القسطل، وبينه وبين تدمر أيام. .»(٢٧٥).

وقد خطط القصر ووصف بتفصيل من خلال Von Domaszewski على الرغم من أن عدداً من الرحالة الأوائل قد أشاروا إليه، وحديثا بحث بتفصيل من خلال H.Stern ووصف من خلال H.Gaube، والبناء الرئيسى يشغل مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ٩٥م شاملة الأبراج وقد شيدت الجدران بالحجر بسمك ١,٦٥م، وقد دعمت الجدران بأبراج شبه ونصف دائرية، حيث أوجد المعمار أربعة أبراج شبه دائرية فى الأركان الأربعة بواقع برج فى كل زاوية وهى أبراج مصمتة بالنسبة لجدران القصر، كما أوجد المعمار الأبراج الأخرى على استقامة الجدران، وهى أبراج نصف دائرية يبلغ عددها ثلاثة أبراج فى الجدار الجنوبى بين البرجين الركنيين، وهى موزعة من قبل المعمار بشكل هندسى متناغم أما الجدار الشمالى فيشتمل أيضًا على ثلاثة أبراج نصف دائرية على نفس النمط، وتقع هذه الأبراج على محور أبراج الجدار الجنوبى فى تناغم هندسى رائع، كذلك يشتمل الجدار المقابل لجدار المدخل الرئيسى على ثلاثة أبراج، وبذلك أوجد المعمار توافقًا معماريًا فى عدد وتصميم الأبراج فى الجدران الثلاثة التى تقدم ذكرها، غير أننا نلاحظ أن الجدار الرابع الذى يمثل جدار المدخل أوجد

به المعمار أربعة أبراج نصف دائرية، وهو الأمر الذى يتباين والجدران الثلاثة الأخرى، وقد وزع المعمار هذه الأبراج بشكل غير متناسق فى البرجين على جانبى المدخل، وتفصيل ذلك أن المعمار أوجد برجين على جانبى المدخل الرئيسى والوحيد بواقع برج فى كل جانب ثم أوجد برجين فى الجهتين الجنوبية والشمالية للمدخل، ويتوسط البرج الذى يقع فى الجهة الشمالية من المدخل العمومى المسافة الممتدة من المدخل إلى برج الزاوية الشمالية من جهة المدخل، أما البرج الآخر فلا يتوسط المسافة الممتدة فى الجهة الجنوبية من المدخل العمومى، وبصفة عامة يلاحظ أن القسم الشمالى من جدار المدخل العمومى أكثر طولاً أو امتداداً من القسم الجنوبى، ويلاحظ أن برج القسم الجنوبى الذى يقع بين المدخل العمومى والبرج الركنى أقرب إلى المدخل منه إلى البرج الركنى(٢٧٦).

ويتوصل من المدخل العمومى إلى قاعة مستطيلة أفقية تمتد من الشرق إلى الغرب تنتهى بفتحة مدخل يتوصل منها إلى قاعة أخرى مستطيلة على نفس النمط، ويتوصل من القاعة الأخيرة إلى فناء القصر الذى جاء من مساحة مربعة تشرف عليها أقسام القصر، وبصفة عامة فإن القسم الشرقى يشبه القسم الغربى فى شكله العام غير أنه يختلف عنه فى التفاصيل، كما أن القسم الشمالى يشبه القسم الجنوبى فى شكله العام، غير أنه أيضًا يختلف عنه فى التفاصيل.

وعلى بعد أمتار قليلة من النهاية الغربية للجزء الشمالى من القصر يوجد بناء اعتبر من قبل Brünnow و Von Domaszewski امبراطورى (رومانى)، ولكنه كما يذكر كريزويل فى الحقيقة يعد مسجداً، وقد جاءت جدرانه بسمك ٦٧سم، وبنى من كتل تماثل تلك التى استخدمت فى بناء القصر، وهو يشغل مساحة مستطيلة مقاييسها ٢١ ×١٨م، ويشتمل فى الزاوية الشمالية الغربية على برج مستدير بقطر ٦م تقريبًا، ويتكون المسجد من الداخل من فناء مقاييسه ١٧ × ١٠م، أما بيت الصلاة فتبلغ مقاييسه ١٦ × ٥م، ويشتمل المسجد على مدخلين أحدهما فى الجهة الشرقية والآخر فى الجهة الغربية، ويوجد باب فى الجدار

الشمالى يؤدى من الفناء إلى حجرتين يعدان من الإضافات اللاحقة على البناء، كما يوجد باب فى الجدار الجنوبى يؤدى إلى بيت الصلاة الذى غطى بقبو برميلى، وأنه من الواضح أن الجدار الأصلى بين بيت الصلاة والصحن قد أضيف من خلال جدار مضاف فى كل جانب، والبرج المستدير فى الزاوية الشمالية الغربية يعد بقايا المئذنة، وهو قائم إلى ارتفاع ٩م تقريبًا، وعند ارتفاع ٨,٤م يزدان بكتل حجرية، ويوجد سلم حلزونى يؤدى إلى أعلاها[٢٧٧].

الوليد بن يزيد ١٢٥-١٢٦هـ/٧٤٣-٧٤٤م

هو الوليد بن يزيد بن مروان، ذكره الطبرى فى أحداث سنة ١٢٥هـ/ ٧٤٣م فقال «وفى هذه السنة ولى الخلافة بعد موت هشام بن عبد الملك الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، وليها يوم السبت فى شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة فى قول هشام بن محمد.. وأما محمد بن عمر فإنه قال: استخلف الوليد.. يوم الأربعاء لست خلون من شهر ربيع الآخر من سنة خمس وعشرين ومائة»(٢٧٨).

وقد ذكره ابن الأثير فقال «هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن عبد شمس بن عبد مناف الأموى، يكنى أبا العباس، وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفى، وهى بنت آخى الحجاج بن يوسف وأم أبيه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبى سفيان، وأمها أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كريز، وأم عامر بن كريز أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب»(٢٧٩).

قصور الوليد بن يزيد (أشكال ٤٤-٥٢) (لوحة ٢٠، ٢١)

من القصور الأموية التى ترجع إلى العصر الأموى وتنسب للخليفة الوليد بن يزيد قصر خربة المفجر الذى نسبة د. عفيف بهنسى إلى الخليفة هشام، ونسبه كريزويل إلى الوليد بن يزيد، ثم قصر المشتى حوالى ١٢٥هـ/٧٤٣م، ويقع على بعد ٢٠ ميلاً جنوبى عمان، وهو القصر الذى كشفت أطلاله على يد ليارد (Layrd) ثم تريسترام (Tristram) فى عام ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م ثم قصر الطوبة حوالى ١٢٥هـ/٧٤٣م.

قصر خربة المفجر

ومن القصور التى تنسب إلى الخليفة الوليد الثانى قصر خربة المفجر، وهو يقع على بعد ثلاثة أميال شمال أريحا بالقرب من البحر الميت، وقد زار هذا القصر كل من Warren و Condor فى سنة ١١٨٧هـ/١٨٧٣م، وأجريت به الحفائر من قبل البعثة الفلسطينية للآثار خلال الفترة من ١٣٥٣-١٣٥٤هـ/ ١٩٣٤-١٩٣٥م إلى ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م وتتكون بقايا هذا القصر من خمس منشآت إساسية هى على النحو التالى:

١- قصر من طابقين، وهو تقريبًا يشغل مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها من الداخل ٦٥م.

٢- يتقدم أو يلى الجانب الشمالى للقصر ويستمر خط مستقيم يوجد على جانبيه فى الجهة الشرقية مسجد يشتمل على محراب مجوف فى الجدار الجنوبى (جدار القبلة).

٣- ويستمر الخط المستقيم للجانب الغربى من القصر، حيث يوجد جدار بامتداد ٤٠م والذى ينتهى ببرج شبه مستدير (ثلاثة أرباع الدائرة) ثم يستدير شرقًا لكى يكون فناءً مقاييسه نحو ٤٠ × ٤٥م، وقد شكل جانبه الشمالى من خلال الحمام.

٤- الحمام[(٢٨٠)].

٥- مقدم الفناء.

ويشتمل القصر على فناء أوسط مكشوف تحيط به بائكة من الجوانب الأربعة، وتتكون هذه البائكة من الجهات الأربع من خمسة عقود، وقد صممت الدعامات فى الأركان على هيئة حرف L فى وضع معدول ومقلوب وهو الأسلوب الذى وجدناه قبل ذلك فى معظم القصور الأموية التى تقدم ذكرها، ثم أوجد المعمار أربعة أقسام للقصر تشرف على الرواق الذى تكون أو تشكل نتيجة وجود البائكة الخماسية التى تقدم ذكرها والذى يشرف بدوره على الصحن، ويماثل القسم

الشرقى من القصر القسم الغربى فى شكله العام ويتباين معه فى التفاصيل، أما القسم الجنوبى فقد جاء من خمس قاعات مستطيلة تمتد رأسيًا من الشمال إلى الجنوب تفتح على الرواق الذى يشرف على الصحن وهو يختلف تماما والقسم الشمالى من عمارة القصر الذى وجد كما يتضح من المسقط الأفقى عبارة عن قاعة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب بشكل أفقى، يتوصل إليها من الرواق الذى يشرف على الصحن، أما المسجد فقد جاء من مساحة مستطيلة تنقسم إلى صحن وظلة للقبلة يتوصل إلى داخله من الجدار الشمالى من مدخلين أحدهما يقع على محور المحراب، وتتكون ظلة القبلة من بلاطتين موازيتين لجدار القبلة وثلاث بلاطات عمودية على هذا الجدار.

تاريخ القصر

يذكر كريزويل أنه عثر فى عام ١٣٥٥-١٣٥٦هـ / ١٩٣٦-١٩٣٧م على لوح رخامى صغير فى حالة سيئة من الرخام الأبيض ذلك أن رجل اسمه «عبيد الله قد كتب بالحبر رسالة ود إلى الخليفة هشام ربما أخذت كدليل واضح أن هذه العمارة المركبة شيدت فى أثناء حكمه بين ٧٢٤ و ٧٤٣هـ (١٣٢٣ و ١٣٤٢م)، ومع ذلك هذا لا يثبت أن مالك هذا القصر كان هشام نفسه[٢٨١].

وقد أورد د. السيد عبد العزيز سالم أن هذا القصر كان قصراً شتويًا تزدان جدرانه برسوم آدمية وحيوانية، ويوجد اسم الخليفة هشام مسجلاً على أحد جدران القصر، وقد عثر فى إحدى قاعات القصر على تمثال لفتاة تحمل حزمة من الأزهار، كما عثر على لوحة تمثل فتيات يرقصن وقد صبغن شفاهن وأظافر اليدين والقدمين بصبغة قرمزية، هذا بالإضافة إلى الفسيفساء التى تتجلى فيها رسوم نباتية تمثل شجرة الحياة يحيط بها من اليمين صورة أسد ينقض على غزال، ومن اليسار غزالان بين أزهار، وكلها ملونة بألوان زاهية[٢٨٢].

وقد ذكر أيضًا أن الوليد بن يزيد كان ينزل بالقصر الأزرق ببادية الأردن على

بعد ١٢ ميلاً إلى الشرق من قصير عمرة، ويقع هذا القصر بين أرض بلقين وفزارة على ماء يقال له الأغلق ويسمى أحيانا الغدف.

وسوف أتناول هنا قصرين من قصور الخليفة الوليد بن يزيد هما قصر المشتى الذى تقدم ذكره، ثم قصر الطوبة الذى يعود إلى نفس تاريخ قصر المشتى تقريبًا وهو ١٢٥هـ/٧٤٤م، وهو القصر الذى يقع على بعد ستين ميلاً إلى الجنوب الشرقى من عمان، فهو يشبه فى نظامه قصر المشتى، وقد اكتشفه الواموزيل فى عام ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م قبل بضعة أيام من اكتشافه قصير عمرة.

أولا: قصر المشتى حوالى ١٢٥هـ/٧٤٣م (أشكال ٥٣-٥٨)

يقع قصر المشتى على بعد ٢٠ ميلاً جنوبى عمان، وقد كشفت أطلاله على يد ليارد Layrd فى عام ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م، ثم تريسترام Tristram فى عام ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م، وقد اختلفت الآراء حول تاريخ البناء، فذهب فريق من العلماء إلى أنه من آثار الملوك اللخميين فى الحيرة من القرن الرابع الميلادى. وقال فريق آخر إنه من آثار الغساسنة فى القرن السادس الميلادى، وقال فريق ثالث بنسبته إلى كسرى الثانى حين خضعت له بادية الشام فيما بين ٦١٠و ٦٢٣م وقبل هزيمته على يد هرقل، ونسبه آخرون إلى العصر الأموى، ويرجح د.زكى محمد حسن الرأى الأخير نظراً لضخامة البناء من جهة، ووجود بعض العناصر المعمارية التى تؤيد نسبته إلى بداية العصر الإسلامى مثل مادة البناء والعقود والأبنية، ثم وجود بعض العناصر الزخرفية التى تشبه مثيلاتها بقبة الصخرة من جهة أخرى، ورأى البعض من أصحاب الفريق الأخير نسبته إلى يزيد الثانى الخليفة الأموى فيما بين عامى ١٠١و ١٠٥هـ/ ٧٢٠ و ٧٢٤م، ورأى البعض الآخر نسبته إلى الخليفة الأموى الوليد الثانى، وهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك فيما بين عامى ١٢٥ و ١٢٦هـ/ ٧٤٣ و ٧٤٤م، وفى الوقت الذى لم يرجح فيه د. زكى محمد حسن نسبة القصر إلى أحدهما رجح كل من كريزويل ود. فريد شافعى نسبته إلى الخليفة الوليد الثانى فى عام ١٢٥هـ/ ٧٤٣م[٢٨٣].

يشغل مخطط القصر مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ١٤٤م من الداخل، قسمها المعمار إلى ثلاثة أقسام طولية تمتد من الجنوب إلى الشمال، ثم قسم القسم الأوسط إلى قسمين يفصل بينهما فناء، ويحيط بها سور جاء بسمك ١,٧م تدعمه أبراج نصف دائرية فى الجدران يبلغ قطرها ٥,٢٥م وشبه دائرية فى الأركان يبلغ قطرها ٧م وزعت بشكل متناغم، ويتوصل إلى داخله من خلال المدخل الوحيد بالجهة الجنوبية والذى يتوسط الجدار، ويكتنفه برجان جاء تصميمهما على هيئة

مضلعة من خمسة أضلاع، ويبلغ عرض كل منهما ٣,٦م، وهو الأمر الذى يختلف وتصميم الأبراج التى تقدم ذكرها سواء فى الجدران أو فى الأركان، وجاءت مادة البناء من حجارة كلسية، يتراوح ارتفاع المداميك فيها من ٣٧ إلى ٤٣سم.

والواقع أن القصر يتميز من خلال هذه الواجهة الجنوبية فهى من أروع عناصره المعمارية والفنية، حيث تزدان بزخارف محفورة فى الحجر الجيرى قوامها شريط زخرفى من ورقة الاكانتس يقسم الواجهة إلى مثلثات بعضها قائم على قاعدته، والبعض الآخر قائم على رأسه، ويزدان كل مثلث فى وسطه بزخرفة نباتية على هيئة وردة حليت فى داخلها بمراوح نخيلية وكيزان صنوبر ونجوم صغيرة وأشجار لوتس، وتغطى أرضية المثلثات المعدولة زخارف دقيقة محفورة حفرًا عميقًا من عناصر زخرفية نباتية وأشكال حيوانات متقابلة بينها أشكال أوانى وغير ذلك من العناصر الزخرفية بحيث جاءت الواجهة فى مجملها آية من آيات الفن الإسلامى، وقد اكتملت زخرفة المثلثات المعدولة أو كادت، بينما لم تكتمل زخارف المثلثات المقلوبة، وفى طرفى الواجهة وحول المدخل أربعة أنصاف مثلثات تزدان فى داخلها أى فى داخل كل نصف بنصف وريدة[٢٨٤].

هذا وقد جاءت عشرة مثلثات خالية من رسوم الطيور والحيوانات، أما بقية المثلثات وتتكون من اثنى عشر فتزدان برسوم الطيور والحيوانات، فالمثلثات الأولى هى التى تقع على البرج الأيمن والقسم المستوى المتصل به، وذكر أن السبب فى ذلك أن المنشئ اقتنع بكراهية تصوير الكائنات الحية بعد أن أتم القسم الأكبر منها وذكر أن السبب هو إحداث تباين فى زخارف القسمين، وذهب هرتزفلد أن الصناع لم يكونوا من جنس واحد، ويرجح د. زكى محمد حسن الرأى الثانى[٢٨٥].

وقد استطاع القيصر أن ينال هذه الواجهة هدية من السلطان عبد الحميد فى عام ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م، ونقلت إلى متحف القيصر فردريك فى برلين، حيث أصبحت نواة للقسم الإسلامى الذى تم افتتاحه فى متاحف الدولة فى برلين عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م[٢٨٦].

ويتوصل من المدخل إلى دهليز مستطيل جاء باتساع ٩,٢٣م، وبعمق ١٧,٤م أوجد المعمار على جانبيه صفًا من القواعد المستطيلة يرى كريزويل أنها على

الأرجح وجدت لكى تحمل الأعمدة التى تحمل بدورها العقود المستعرضة(287).

هذا وقد أوجد المعمار قاعتين مستطيلتين على جانبى دهليز المدخل من الجهتين الشرقية والغربية بواقع قاعة فى كل جانب تمتد من الجنوب إلى الشمال بنفس اتساع دهليز المدخل، ثم يتوصل من الدهليز إلى فناء مستطيل جاء باتساع ٢٧,٤م، وبعمق ٢١,٧م، وعلى الجوانب الأربعة للفناء توجد قواعد مساحتها ١,٢٥م، وتبلغ المسافة بينها من ٣,٣٠ - ٣,٤٠م، وربما كان الغرض منها حمل الأعمدة التى ربما حملت بدورها العقود لتعطينا رواقًا مسقوفًا يحيط بالفناء من جميع الجهات(288).

وتكتنف القاعات الثلاث والفناء حجرات مستطيلة تتكون من طابقين تنوعت ما بين حجرات طولية وأخرى عرضية، وتتميز القاعة التى فى الركن الجنوبى الغربى والتى جاءت من مساحة مستطيلة يبلغ اتساعها ١٣,٤م بعمق ٢٨م من خلال اشتمالها على تجويف عبارة عن حنية باتساع ١,٦٢م أو محراب مما يدل على أنها ربما كانت تمثل مسجد القصر، وتمثل هذه الوحدات المعمارية القسم الأول أو الجنوبى من عمارة القصر.

ويتوصل من هذا القسم إلى فناء فسيح جاء من مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ٥٧م، وقد حدد الفناء من الجانبين الشرقى والغربى بجدار يشتمل فى نهايته الجنوبية من الجهتين الشرقية والغربية على فتحة يتوصل منها إلى القسمين اللذين يقعان فى الجانبين الشرقى والغربى، حيث يتكون القصر فى مجمله من ثلاثة أقسام يضم القسم الأوسط وحداته وعناصره المعمارية.

ويتوصل من الفناء الأخير إلى القسم الثانى أو الشمالى من عمارة القصر، وهو القسم الملكى، حيث نصل إلى ثلاث بلاطات من خلال ثلاث فتحات، تتميز البلاطة الوسطى بأنها أكثر اتساعًا من البلاطتين الجانبيتين، وتنتهى القاعة أو البلاطة الوسطى بقاعة العرش وهى عبارة عن مساحة مربعة تشتمل على ثلاث حنيات نصف دائرية وزعت بشكل هندسى بديع على الجهات الشمالية والشرقية والغربية على هيئة عقد ثلاثى باتساع ٥,١٥م، وعمق ٣,٨م، وتفتح البلاطة الشرقية على فناء مستطيل يمتد من الشرق إلى الغرب بشكل عمودى على حنية

العرش تحيط به القاعات السكنية، كما تفتح البلاطة الغربية فى نهايتها الشمالية شأنها فى ذلك شأن البلاطة الشرقية على فناء مماثل تحيط به القاعات السكنية، كذلك أوجد المعمار فتحتين على جانبى الحنية الوسطى من قاعة العرش، بواقع فتحة فى كل جانب، بحيث تؤدى الشرقية إلى قاعة مستطيلة تمتد من الشمال إلى الجنوب، ثم تؤدى بدورها إلى تجويف عبارة عن حنية نصف دائرية فى الجدار الشمالى للقصر، أما الفتحة الغربية فتؤدى إلى قاعة مستطيلة محددة من الجهة الشمالية بسور القصر، ولا تشتمل على فتحات. أما الوحدات السكنية فقد أوجدها المعمار على جانبى قاعة العرش أو قاعة الاستقبال، وهى عبارة عن أربع وحدات سكنية حيث يتكون الجناح الشرقى من فناء يتوصل إليه من البلاطة الشرقية كما تقدم ووحدتين سكنيتين إحداهما فى الجهة الشمالية من الفناء والأخرى فى الجهة الجنوبية، ويماثل الجناح الغربى فى تخطيطه الجناح الشرقى تماما، ويتبع تخطيط الوحدات السكنية هنا الأسلوب الشامى والذى يتكون من فناء مكشوف أوسط مستطيل، وفى كل من جانبيه الطويلين قاعتان ملتصقتان ببعضهما، بحيث تفتح هذه القاعات على الفناء الأوسط، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه أن الوحدات السكنية التى شيدت فى بادية الأردن نفذت وفقا للأسلوب أو النموذج الشامى، بينما نفذت الوحدات السكنية من دور ودار للإمارة فى مدينتى البصرة والكوفة وفقا للنموذج الحيرى. ويتوصل أيضا للوحدات السكنية وللفناءين الرئيسيين الفاصلين بينهما من القسمين الجانبيين للقصر من خلال فتحة بالجدارين الشرقى والغربى للفناءين تقع على محور الفتحة التى تقدم ذكرها، ثم يتوصل إلى الوحدتين السكنيتين بالجهة الشمالية من خلال فتحة تفضى إلى قاعة مستطيلة تنتهى بتجويف نصف دائرى بالسور الشمالى للقصر، ويلاحظ أن الفتحات سواء فى الأفنية أو القاعات السكنية تتوسط الجدران بشكل متناغم، وتغطى القاعات أقبية مدببة، وتوجد دورات المياه والحمامات فى تجاويف السور الشمالى والتى تقدم ذكرها.

وقد شيدت جدران القصر الداخلية وأقبيته بالآجر، أما الأعمدة فمن الرخام، وشيدت عقوده من الحجر الجيرى[٢٨٩].

ثانيا: قصر الطوبة حوالى ١٢٥هـ/٧٤٤م (أشكال ٥٩ - ٦٢)

يقع هذا القصر على بعد ستين ميلا إلى الجنوب الشرقي من عمان، ينسب إلى الخليفة الأموى الوليد الثانى فهو يشبه فى نظامه قصر المشتى اكتشفه الواموزيل فى عام ١٣١٦هـ/١٨٩٨م قبل بضعة أيام من اكتشافه قصير عمرة، ويشغل هذا القصر مساحة مستطيلة تمتد أفقيا من الشرق إلى الغرب بمقدار ١٤٠,٥٠م، وتمتد من الشمال إلى الجنوب بمقدار ٧٢,٨٥م[٢٩٠].

قسم المعمار عمارة القصر إلى كتلتين معماريتين متطابقتين يحيط بهما سور خارجى تدعمه أبراج تنوعت فى مسقطها ما بين أبراج نصف دائرية وشبه دائرية ومربعة، وكل منهما جاء من مربع يزيد طول ضلعه على ٧٠م، وتفصيل ذلك أن الجدار الشمالى يشتمل على مدخلين، حدد كل مدخل من الجانبين ببرج مربع، ويتوسط المساحة بين المدخلين برج نصف دائرى يربط ما بين الكتلتين، ينقسم تجويفه إلى قسمين، أما الجدار الجنوبى فيشتمل على أربعة أبراج نصف دائرية مصمتة بواقع برجين فى كل كتلة، وقد فصل المعمار بينهما ببرج يربط بين الكتلتين على غرار البرج المقابل له والذى يتوسط المدخلين بالجدار الشمالى، كذلك أوجد المعمار برجين مجوفين فى الجدار الشرقى على هيئة نصف دائرية ومثلهما فى الجهة الغربية، مما أحدث تناسقا رائعا وتناغما بديعا فى تخطيط وعمارة القصر، هذا وقد أوجد المعمار أربعة أبراج شبه دائرية فى أركان القصر، وهى مجوفة بواقع برج فى كل ركن، ويتوصل إلى جميع الأبراج المجوفة فى السورين الشرقى والغربى من خلال دهليز يتوصل إليه من خلال أفنية وقاعات الجانبين الشرقى والغربى من عمارة القصر.

وحيث أن الكتلتين أوجدهما المعمار بهيئة متماثلة فسوف أتناول كتلة واحدة

فى الوصف المعمارى، حيث يتوصل إلى داخل هذه الكتلة من خلال مدخل يتوسط الجدار الشمالى، ويكتنف المدخل برجان مربعان مجوفان، يؤدى المدخل إلى ثلاث بلاطات، تتميز البلاطة الوسطى بأنها أكثر اتساعا من البلاطتين الجانبيتين، وتفضى البلاطة الوسطى إلى الفناء الرئيسى، وعلى جانبى الفناء من الجهتين الشرقية والغربية أوجد المعمار فناءين متصلين فى الجهة الشرقية، وفى الجهة الغربية يفصل بينهما دهليز يمتد من الشرق إلى الغرب ليربط بين الكتلتين المعماريتين، وفى كل ركن من أركان الفناء الرئيسى أوجد المعمار وحدة سكنية تتكون من فناء أوسط مستطيل تفتح عليه أربع قاعات سكنية، وتتطابق هذه الوحدات ومثيلاتها فى قصر المشتى، وهى فى هذا التطابق تتبع الأسلوب أو النموذج الشامى الذى تقدم ذكره.

وقد ذكر أن تخطيط هذه الوحدات السكنية، فى قصرى المشتى والطوبة متأثرة بالوحدات السكنية فى قصر يعرف «القسطل» يقع على بعد ستة كيلو مترات إلى الغرب من قصر المشتى، وينسب إلى الغساسنة فى القرن السادس الميلادى، كما أن هذه الوحدات وجدت فى قصر «حرانة» الذى يقع على بعد اثنى عشر ميلا فى الجنوب الغربى من قصير عمرة، والذى عثر فيه على كتابات كوفية مؤرخة ٩٢هـ/ ٧١٠م، ويعتقد أيضا أنه يرجع إلى ما قبل العصر الإسلامى، ويرى د. فريد شافعى إمكان نسبة كل من القصرين إلى العصر الأموى اعتمادا على تخطيط الوحدات السكنية[٢٩١].

يزيد بن الوليد ١٢٦هـ/٧٤٤م

ولى يزيد بن الوليد الخلافة بدمشق فى جمادى الآخرة من سنة ١٢٦هـ/ ٧٤٤م، وتوفى فى ذى الحجة من هذه السنة بعد أن بقى فى الخلافة خمسة أشهر، قال ابن الأثير فى أحداث سنة ١٢٦هـ/ ٧٤٤م «فى هذه السنة بويع يزيد بن الوليد الذى يقال له الناقص، وإنما سمى الناقص لأنه نقص الزيادة التى كان الوليد زادها فى عطيات الناس، وهى عشرة عشرة ورد العطاء إلى ما كان أيام هشام، وقيل: أول من سماه بهذا الاسم مروان بن محمد»[٢٩٢].

إبراهيم بن الوليد ١٢٦هـ/٧٤٤م

ولى إبراهيم بن الوليد الخلافة بدمشق، غير أنه لم يمكث فى الخلافة أكثر من شهرين، قال ابن الأثير فى أحداث سنة ١٢٦هـ/ ٧٤٤م «وفى هذه السنة أمر يزيد بن الوليد بالبيعة لأخيه إبراهيم، ومن بعده لعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك.. فلما مات يزيد بن الوليد قام بالأمر بعده أخوه إبراهيم.. فمكث أربعة أشهر، وقيل: سبعين يوما، ثم سار إليه مروان بن محمد فخلعه..»[٢٩٣].

مروان بن محمد ١٢٧ - ١٣٢هـ/٧٤٤-٧٥٠م

أورد الطبرى فى أحداث سنة ١٢٧هـ/ ٧٤٤م «وفى هذه السنة بويع بدمشق لمروان بن محمد بالخلافة»(٢٩٤).

وكان مقتل مروان بن محمد بمصر، قال ابن الأثير فى أحداث سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م «وفى هذه السنة قتل مروان بن محمد، وكان قتله ببوصير، من أعمال مصر، لثلاث بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة»(٢٩٥).

مدينة حران عاصمة للخلافة

قال ابن الأثير عند ذكره بيعة مروان بن محمد «وكان أول من بايعه معاوية بن يزيد بن حصين بن نمير ورؤوس أهل حمص والناس بعده، فلما استقر له الأمر رجع إلى منزله بحران، وطلب منه الأمان لإبراهيم بن الوليد وسليمان بن هشام، فأمنهما، فقدما عليه، وكان سليمان بتدمر بمن معه من إخوته وأهل بيته ومواليه الذكوانية، فبايعوا مروان بن محمد»(٢٩٦).

وقد ذكر ياقوت الحموى مدينة حران بقوله «.. وهى مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، وهى قصبة ديار مضر.. وهى على طريق الموصل والشام والروم..»(٢٩٧).

الاستحكامات الحربية

عمارة مدينة مرعش

يحدثنا البلاذرى عن عمارة مرعش فى عهد مروان بن محمد بقوله «ثم إن

العباس بن الوليد بن عبد الملك صار إلى مرعش فعمرها وحصنها ونقل الناس إليها وبنى بها مسجداً جامعاً. . فلما كانت أيام مروان بن محمد وشغل بمحاربة أهل حمص خرجت الروم ومصرت مدينة مرعش حتى صالحهم أهلها على الجلاء فخرجوا نحو الجزيرة. . ثم أخربوها وكان عامل مروان عليها يومئذ الكوثر بن زفر بن الحارث الكلابى. . ثم لما فرغ مروان من أمر حمص وهدم سورها بعث جيشًا لبناء مرعش فبنيت ومدنت»(٢٩٨).

وقال ياقوت عند ذكره مرعش «وفى وسطها حصن عليه سور يعرف بالمروانى بناه مروان بن محمد»(٢٩٩).

عمارة حصن منصور

يحدثنا البلاذرى عن حصن منصور فى عهد مروان بن محمد بقوله «وحدثنى أبو عمرو الباهلى وغيره، قالوا: نسب حصن منصور إلى منصور بن جعونة بن الحارث العامرى من قيس، وذلك أنه تولى بناءه ومرقبه، وكان مقيما به أيام مروان ليرد العدو ومعه جند كثيف من أهل الشام والجزيرة»(٣٠٠).

مساجد صغيرة تنتمى إلى نهاية العصر الأموى ٨٩-١٣٢هـ/٧٠٨-٧٥٠م

مسجد قصير الحلابات ٨٩-١٣٢هـ/٧٠٨-٧٥٠م (شكل ٦٣)

يعد مسجد قصير الحلابات من المساجد الصغيرة التى ترجع إلى نهاية العصر الأموى، وقد اكتشفت آثار هذا المسجد بالقرب من عمان، ويذكر كريزويل أن هذا المسجد يقع على بعد ثلاثة أميال جنوب الحصن الرومانى الذى عرفه العرب تحت اسم قصر الحلابات، وجاء عبارة عن مسجد صغير يبلغ عرضه من الداخل ١٠,٧م، كما يبلغ طوله من الداخل ١١,٨م، ويبلغ سمك الجدران ٨٢سم، وقد شيدت هذه الجدران بالحجر الكلسى فى مداميك يبلغ ارتفاعها ٤٠سم، ويبلغ عرض المحراب ١,٢م تعلوه فتحة دائرية، ويوجد فى الداخل افريز زخرفى على ارتفاع ٢,١م(٣٠١).

مسجد خان الزبيب ٨٩-١٣٢هـ/٧٠٨-٧٥٠م

يعد مسجد خان الزبيب من المساجد الصغيرة التى أرجعها كريزويل إلى الفترة الواقعة فيما بين ٨٩هـ/٧٠٨م و ١٣٢هـ/ ٧٥٠م أى إلى نفس فترة تأريخ مسجد قصير الحلابات الذى تقدم ذكره، وقد شيد هذا المسجد بأسلوب يتفق وأسلوب بناء مسجد قصر الحير الشرقى بالرصافة الذى تقدم ذكره، وهو الأمر الذى يتفق أيضًا ومسجد قصير الحلابات[٣٠٢].

مسجد أم الوليد ٨٩-١٣٢هـ/٧٠٨-٧٥٠م

يعد هذا المسجد آخر المساجد الثلاثة التى نسبها د. أحمد فكرى إلى نهاية العصر الأموى خلال الفترة الواقعة فيما بين ٨٩هـ/٧٠٨م و ١٣٢هـ/ ٧٥٠م، وتقع آثار هذا المسجد ومسجد خان الزبيب الذى تقدم ذكره على بعد مائة كم جنوبى عمان، ويتفق هذا المسجد فى تأريخه وأسلوب بنائه مع مسجدى قصير الحلابات وخان الزبيب هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يتفق هذا المسجد فى أسلوب البناء ومسجد قصر الحير الشرقى بالرصافة شأنه فى ذلك شأن مسجد قصير الحلابات ومسجد خان الزبيب[٣٠٣].

قصور ذكرها ياقوت الحموى وتنسب إلى الأمويين

ذكر ياقوت الحموى من القصور قصر أم حكيم «بمرج الصفر من أرض دمشق، هو منسوب إلى أم حكيم بنت يحيى، ويقال بنت يوسف. . وكانت زوجة عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك فطلقها فتزوجها هشام، واليهاينسب أيضا سوق أم حكيم بدمشق»[٣٠٤].

ومن هذه القصور «قصر حجاج: محلة كبيرة فى ظاهر باب الجابية من مدينة دمشق، منسوب إلى حجاج بن عبد الملك بن مروان»[٣٠٥].

هوامش وتعليقات الفصل الأول

(١) واسم أبى سفيان صخر بن حرب. الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير) ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م: تاريخ الطبرى (تاريخ الأمم والملوك) (من سنة ٣٦ للهجرة لغاية السنة ٩٠ للهجرة)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، المجلد الثالث، ص ٢٦٣.

(٢) ذكر الطبرى أن «من نسائه ميسون بنت بحدل بن أنيف بن ولجة بن قنافة بن عدى بن زهير بن حارثة بن جناب الكلبى، ولدت له يزيد بن معاوية» قال على: ولدت ميسون لمعاوية مع يزيد أمة ـ رب المشارق ـ فماتت صغيرة ومنهن فاختة ابنة قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف، ولدت له عبد الرحمن وعبد الله ابنى معاوية، ومنهن نائلة بنت عمارة الكلبية، ومنهن كنوة بنت قرظة أخت فاختة، فغزا قبرس وهى معه، فماتت هنالك.

الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٣، ص ٢٦٤، ابن الأثير (عز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد أبى عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى) ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م : الكامل فى التاريخ، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربى، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، الجزء الثالث (من قيام الدولة الأموية حتى وفاة عبد الملك (من سنة ٤١ - إلى سنة ٨٦هـ)، ص ١٢٤.

(٣) أسلم معاوية يوم فتح مكة هو وأبوه وأخوه يزيد وأمه هند، وله من العمر ثلاث وعشرون سنة، جاء فى السيرة النبوية لابن هشام «حتى إذا جاءهم

صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن».

ابن هشام: السيرة النبوية، دار الكتاب العربي، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، جـ٤، ص ٤٥، د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة عشرة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، الجزء الأول (الدولة العربية في الشرق ومصر والمغرب والأندلس ١-١٣٢هـ/ ٦٢٢-٧٤٩م)، ص ٢٢٧. وقد أورد ابن تغري بردي «وأسلم معاوية قبل أبيه في عمرة القضاء، وبقي يخاف من الخروج إلى النبي ﷺ من أبيه».

ابن تغري بردي: النجوم، جـ١، ص ١٥٣.

(٤) قال ابن هشام عند ذكره الإسراء والمعراج «رواية معاوية: قال ابن اسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس: أن معاوية بن أبي سفيان، كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ـ ﷺ ـ، قال: كانت رؤيا من الله تعالى صادقة». أنظر:

ابن هشام: السيرة النبوية، ص٥٠، د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ١، ص ٢٥٧.

(٥) الطبري: تاريخ الطبري، مج٢، ص ٣٥٢، د.حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، جـ١، ص ٢٥٧.

(٦) البلاذري: فتوح البلدان، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ١١٢.

(٧) حمص: بالكسر ثم السكون، والصاد مهملة: بلد مشهور قديم كبير مسور، وفي طرفة القبلي قلعة حصينة على تل عال كبيرة، وهي بين دمشق وحلب

فى نصف الطريق، يذكر ويؤنث، بناه رجل يقال له حمص بن المهر بن جان بن مكنف، وقيل: حمص بن مكنف العمليقى، وقال أهل الاشتقاق: حمص الجرح يحمص حموصا وانحمص ينحمص أنحماصا إذا ذهب ورمه، وهى فى الإقليم الرابع، قال أهل السير: حمص بناها اليونانيون، وبحمص من المزارات والمشاهد مشهد على بن أبى طالب، رضى الله عنه، وبها دار خالد بن الوليد، وقبره فيما يقال، وبعضهم يقول إنه مات بالمدينة ودفن بها وهو الأصح، وعند قبر خالد قبر عياض بن غنم القرشى، الذى فتح بلاد الجزيرة. ياقوت الحموى (شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى) ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م، مج٢، ص ص ٣٠٢-٣٠٣.

(٨) البلاذرى: فتوح البلدان، ص ١٣٣.

(٩) البلاذرى: فتوح البلدان، ص ١١٨.

قال البلاذرى «وحدثنى أبو حفص الدمشقى، عن سعيد بن عبد العزيز التنوخى عن عدة منهم أبو بشر مؤذن مسجد دمشق أن المسلمين لما قدموا الشام كان كل أمير منهم يقصد لناحية ليغزوها ويبث غاراته فيها فكان عمرو بن العاص يقصد لفلسطين، وكان شرحبيل يقصد الأردن، وكان يزيد بن أبى سفيان يقصد لأرض دمشق، وكانوا إذا اجتمع لهم العدو اجتمعوا عليه وإذا احتاج أحدهم إلى معاضدة صاحبه وإنجاده سارع إلى ذلك، وكان أميرهم عند الاجتماع فى حربهم أول أيام أبى بكر رضى الله عنه عمرو بن العاص حتى قدم خالد بن الوليد الشام فكان أمير المسلمين فى كل حرب، ثم ولى أبو عبيدة بن الجراح أمر الشام كله، وأمره الأمراء فى الحرب والسلم من قبل عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وذلك أنه لما استخلف كتب إلى خالد بعزله وولى أبا عبيدة».

البلاذرى: فتوح البلدان، ص ١١٩.

(١٠) البلاذرى: فتوح البلدان، ص ص ١١٩ - ١٢٠.

(١١) صيداء: بالفتح ثم السكون، والدال المهملة، والمد، وأهله يقصرونه، وما أظنه إلا لفظ أعجمية إلا أن أصلها فى كلام العرب على سبيل الاشتراك، قال أبو منصور: الصيداء حجر أبيض يعمل منه البرام جمع برمة، وقال النضر: الصيداء الأرض التى تربتها أجزاء غليظة الحجارة مستوية الأرض، وهى مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق شرقى صور بينها ستة فراسخ، قالوا سميت بصيدون بن صدقاء بن كنعان بن حام بن نوح، عليه السلام، قال هشام عن أبيه: إنما سميت صيداء التى بالشام بصيدون بن صدقاء بن كنعان بن حام بن نوح، عليه السلام، ومر أبو الحسن على بن محمد بن الساعاتى بنواحى صيداء وهى بيد الأفرنج فرأى مروجًا كثيرة نباتها النرجس، وهى فى الإقليم الرابع قال الزجاجى: اشتقاقها من الصيد، والنسبة إليها صيداوى، ومن أسمائها إربل بلفظ إربل الموصل، وذكر السمعانى أنه ينسب إليها صيدانى، بالنون، وممن نسب إليها كذلك أبو الحسن محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن جميع الغسانى الحافظ الصيدانى، رحل فى طلب الحديث إلى مصر والعراق والجزيرة وفارس.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ص ص ٤٣٧-٤٣٨.

(١٢) عرقة: بكسر أوله، وسكون ثانية، وهو مؤنث المذكور آنفًا: بلدة فى شرقى طرابلس بينهما أربعة فراسخ، وهى آخر عمل دمشق، وهى فى سفح جبل، بينها وبين البحر نحو ميل، وعلى جبلها قلعة لها، ينسب إليها عروة بن مروان العرقى، وإلى عرقة ينسب أبو الحسن أحمد بن حمزة بن أحمد التنوخى العرقى، طولها إحدى وستون درجة وخمس عشرة دقيقة، وعرضها ست وثلاثون درجة وست عشرة دقيقة فى آخر الإقليم الرابع وأول الخامس.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ص١٠٩.

(١٣) الجبيل: تصغير جبل، وجبيل: بلد فى سواحل دمشق فى الإقليم الرابع، طوله ستون درجة، وعرضه أربع وثلاثون درجة، وهو بلد مشهور فى شرقى بيروت على ثمانية فراسخ من بيروت من فتوح يزيد بن أبى سفيان، ولم تزل بأيدى الفرنج إلى أن فتحها صلاح الدين يوسف بن أيوب فيما فتحه من الساحل، ورتب فيها قوما من الأكراد لحفظها، ينسب إليها جماعة منهم: أبو سعيد الجبيلى، وعبيد بن حيان الجبيلى، وزيد بن القاسم السلمى الجبيلى، وأبو قدامة الجبيلى، وأبو سليمان إسماعيل بن خضر بن حسان الجبيلى.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص ص ١٠٩-١١٠.

(١٤) بيروت: بالفتح ثم السكون، وضم الراء، وسكون الواو، والتاء فوقها نقطتان: مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام تعد من أعمال دمشق، بينها وبين صيداء ثلاثة فراسخ، وهى فى الإقليم الرابع، وقد خرج منها خلق كثير من أهل العلم والرواية منهم: الوليد بن مزيد العذرى البيروتى، وابنه أبو الفضل العباس بن الوليد بن مزيد البيروتى، ومحمد بن عبد الله بن عبد السلام بن أبى أيوب أبو عبد الرحمن البيروتى المعروف بمكحول الحافظ.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١، ص ص ٥٢٥-٥٢٦.

(١٥) البلاذرى: فتوح البلدان، ص ١٢٩.

(١٦) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٢، ص ٥٨٧.

(١٧) البلاذرى: فتوح، ص ١٤٢.

قال البلاذرى فيما يتعلق بقيسارية وموت يزيد «قالوا: وكان موت يزيد بن أبى سفيان فى آخر سنة ثمان عشرة بدمشق فمن قال: أن معاوية فتح قيسارية فى حياة أخيه قال: إنما فتحت فى آخر سنة ثمان عشرة ومن قال: إنه فتحها فى ولايته الشام قال. فتحت فى سنة تسع عشرة وذلك الثبت. وقال بعض الرواة أنها فتحت فى أول سنة عشرين».

البلاذرى: فتوح، ص ١٤٤.

(١٨) البلاذرى: فتوح، ص ١٤٢.

(١٩) البلاذرى: فتوح، ص ١٢٩.

(٢٠) البلاذرى: فتوح، ص ١٧٨، د. عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسى للدولة العربية (عصر الخلفاء الأمويين)، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ص ١٧-١٨.

(٢١) ياقوت الحموى: معجم، مج٣، ص ص ٣٦٢-٣٦٣.

(٢٢) البلاذرى: فتوح، ص ص ١٨٣-١٨٤.

(٢٣) د. محمد عبد الهادى شعيرة: من تاريخ التحصينات العربية فى القرنين الأول والثانى للهجرة (دراسات فى الآثار الإسلامية)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ص ١١-١٤، د.عبد الله كامل موسى عبده: دراسات فى الحضارة والآثار الإسلامية فى ليبيا، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص ٨٣.

(٢٤) أنطاكية: بالفتح ثم السكون، والياء مخففة، وكانت العرب إذا أعجبها شىء نسبته إلى أنطاكية، ولم تزل أنطاكية قصبة العواصم من الثغور الشامية، وهى من أعيان البلاد وأمهاتها، موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير، وهى بلد عظيم ذو سور وفصيل، ولسوره ثلثمائة وستون برجًا، وشكل البلد كنصف دائرة قطرها يتصل بجبل، والسور يصعد مع الجبل، وفى رأس الجبل داخل السور قلعة.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١، ص ص ٢٦٦-٢٦٧.

(٢٥) اللاذقية: مدينة فى ساحل بحر الشام تعد فى أعمال حمص، وهى غربى جبلة، وهى الآن من أعمال حلب، وهى مدينة رومانية قديمة فيها أبنية قديمة، وهو بلد حسن فى وطاء من الأرض وله مرفأ جيد

محكم وقلعتان متصلتان على تل مشرف على الربض والبحر على غربيها وهى على ضفته.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٥، ص ص ٥-٦.

(٢٦) طرابلس: بفتح أوله وبعد الألف باء موحدة مضمومة، ولام أيضًا مضمومة وسين مهملة، ويقال طرابلس وهى مدينة طرابلس الغرب، أما طرابلس الشام التى نحن بصددها فهى فى الإقليم الرابع، طولها ستون درجة وخمس وثلاثون دقيقة، وعرضها أربع وثلاثون درجة.

ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص ص ٢٥-٢٦.

مزيد من التفاصيل عن طرابلس الشام فى العصر الأموى أنظر: د. السيد عبد العزيز سالم: طرابلس الشام فى التاريخ الإسلامى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٦٦م، ص ص ٣٧-٤٢.

(٢٧) بلدة: ذكرها ياقوت من مدن ساحل بحر الشام قريبة من جبلة، من فتوح عبادة بن الصامت، ثم خربت وجلا أهلها فأنشأ معاوية جبلة، وكانت حصنا للروم.

ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ٤٨٣.

(٢٨) أنطرطوس: بلد من سواحل بحر الشام، وهى آخر أعمال دمشق، من البلاد الساحلية، وأول أعمال حمص، وقال أبو القاسم الدمشقى: من أعمال طرابلس مطلة على البحر فى شرقى عرقة، ولها برجان حصينان كالقلعتين، فتحها عبادة بن الصامت بعد فتح اللاذقية وجبلة، وكانت حصنا، ثم جلا عنه أهله فبنى معاوية انطرطوس وحصنها، واقطع المقاتلة بها القطائع، وكذلك فعل بمرقية وبلنياس، وينسب إليها عمرو بن داود بن سلمون بن داود أبو حفص الأنطرطوسى.

ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ٢٧٠.

(٢٩) مرقية: بفتح أوله وثانيه، وكسر القاف، والياء مشددة: قلعة حصينة فى سواحل حمص كانت خربت فجددها معاوية ورتب فيها الجند واقطعهم القطائع، ينسب إليها إبراهيم بن هبة الله بن إبراهيم أبو إسحاق القرشى الطرابلسى المرقانى الذى قدم دمشق وحدث بها عن أبى جعفر أحمد بن كليب الطرطوسى.

ياقوت الحموى: معجم، مج٥، ص ١٠٩.

(٣٠) بلنياس: بضمتين وسكون النون وياء وألف، وسين مهملة: كورة ومدينة صغيرة وحصن بسواحل حمص على البحر.

ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ٤٨٩.

(٣١) عكا: ذكرها ياقوت عكة بفتح أوله وتشديد ثانيه، العكة الرملة حميت عليها الشمس، وقيل العكة من الحر الفورة الشديدة فى القيظ، وهى بلد على ساحل بحر الشام من عمل الأردن، وهى من أحسن بلاد الساحل في أيامنا هذه وأعمرها، وهى حصينة كبيرة الجامع فيه غابة زيتون يقوم بسرجة وزيادة، ولم تكن على هذه الحصانة حتى قدمها ابن طولون.

ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص ص ١٤٣-١٤٤.

(٣٢) صور: بضم أوله وسكون ثانيه وآخره راء مدينة مشهورة سكنها خلق من الزهاد والعلماء، وكان من أهلها جماعة الأئمة، كانت من ثغور المسلمين، وهى مشرفة على بحر الشام داخله فى البحر، وهى حصينة جديدة.

ياقوت الحموى: معجم، مج٣، ص ٤٣٣.

(٣٣) جبلة: قال ياقوت جبلة أيضًا قلعة مشهورة بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية أنشأها معاوية وكانت حصنا للروم جلوا عنه عند فتح المسلمين حمص، وشحنها بالرجال، وبنى معاوية بجبلة حصنا خارجا من الحصن الرومى القديم.

ياقوت: معجم البلدان، مج٢، ص ١٠٥.

(٣٤) عسقلان: بفتح أوله وسكون ثانيه ثم قاف وآخره نون وهو اسم أعجمى فيما علمت، وقد ذكر بعضهم أن العسقلان أعلى الرأس، فإن كانت عربية فمعناه أنها فى أعلى الشام، وهى مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين، ويقال لها عروس الشام، وكذلك يقال لدمشق أيضا، وقد نزلها جماعة من الصحابة والتابعين، وحدث بها خلق كثير، ولم تزل عامرة حتى استولى عليها الإفرنج.

ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص ١٢٢.

(٣٥) البلاذرى: فتوح البلدان، ص ١٢٩.

(٣٦) د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ١، ص ٢٢٧.

محمد بن أحمد كنعان: تاريخ الخلافة الراشدة (خلاصة: تاريخ ابن كثير) مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص ص ٤٠٦-٤١١.

(٣٧) د. عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسى للدولة العربية، ص ص ١٨-١٩.

(٣٨) وكانت خلافة الحسن على قول من يقول: إنه سلم الأمر فى ربيع الأول، خمسة أشهر ونحو نصف شهر، وعلى قول من يقول: فى ربيع الآخر، يكون ستة أشهر وشيئًا، وعلى قول من يقول: فى جمادى الأولى، يكون سبعة أشهر وشيئًا، والله تعالى أعلم».

ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص ٧.

(٣٩) قال ابن الأثير «ولحق الحسن بالمدينة وأهل بيته وحشمهم».

انظر: ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص ص ٧-٨.

(٤٠) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٣، ص ١٦٧.

(٤١) د. محمد حسين محاسنة: تاريخ مدينة دمشق خلال الحكم الفاطمى، نشر الأوائل، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص ص ٣٣-٣٥.

انعكس موقع مدينة دمشق بشكل واضح على مناخها، فوجود الجبال فى غربها سواء كانت جبال لبنان الشرقية القريبة منها أم جبال لبنان الغربية شكلت حاجزاً مزدوجا منع وصول التأثيزات البحرية إلى المدينة على الرغم من أنها لا تبعد أكثر من ٨٠كم عن البحر المتوسط، ومن جهة أخرى فإن موقع دمشق المفتوح باتجاه الشرق جعلها تشارك بادية الشام فى جفافها فيتصف صيفها بالجفاف التام، وتتأثر الحرارة بعدة عوامل أهمها الموقع الفلكى للمدينة حيث تقع دمشق على خط ٣٠ شرقًا و ٣٣ شمالا، والارتفاع عن سطح البحر الذى يصل إلى ٧٠٠م تقريبا، ويبلغ متوسط الحرارة السنوى فى دمشق ١٨ْم، إلا أن هذا المعدل السنوى لا يعطى صورة واضحة بسبب تعرضه للتفاوت الكبير نتيجة عدم وصول التأثيرات البحرية إلى المنطقة، فترتفع درجة الحرارة صيفًا حتى تصل إلى أكثر من ٣٨ْم، وتنخفض فى فصل الشتاء ليصل متوسطها فى كانون الثانى إلى ٧ْم، وتحتل الأمطار مكانة هامة بين عناصر المناخ.

مزيد من التفاصيل انظر: د.محمد حسين: تاريخ مدينة دمشق، ص ص ٣٦-٣٧، غو ستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م، ص ص ١٥٠-١٧٠.

(٤٢) د. محمد حسين: تاريخ مدينة دمشق، ص ص ٣٦-٣٧.

(٤٣) د. محمد حسين: تاريخ مدينة دمشق، ص ٣٧.

(٤٤) د. محمد حسين: تاريخ مدينة دمشق، ص ص ٤١-٤٢.

(٤٥) د. محمد حسين: تاريخ مدينة دمشق، ص ٤٢.

(٤٦) د. محمد حسين: تاريخ مدينة دمشق، ص ٤٣.

(٤٧) د. محمد حسين: تاريخ مدينة دمشق، ص٤٤.

(٤٨) د. محمد حسين: تاريخ مدينة دمشق، ص ٥٤.

انظر عن دمشق وأبوابها: زين الدين بن زين التقاة (محمد بن عيسى بن كنان الصالحي الدمشقي الحنبلي) ت ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م: المواكب الإسلامية في الممالك الشامية، تحقيق أيمن عبد الجابر البحيري، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص ص ٢٧-٣٠.

(٤٩) ابن جبير (أبي الحسن محمد بن أحمد): رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك المعروفة بـ رحلة ابن جبير، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م، ص ٢١٢.

(٥٠) البلاذري: فتوح، ص ١٢٧.

(٥١) د. سارة حسن منيمنة: مورفولوجية مدينة دمشق، مجلة الفكر العربي (مسألة المدينة والمدينة العربيا) تشرين الأول (أكتوبر) - تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٢م، العدد التاسع والعشرون، السنة الرابعة، ص ٢٣٩.

د. محمد حسين: تاريخ مدينة دمشق، ص ص ٥٤-٥٥.

(٥٢) اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب) ت ٢٨٤هـ: كتاب البلدان، (السلسلة الجغرافية ٦)، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ص ٨٧.

(٥٣) اليعقوبي: البلدان، ص ص ٨٧-٨٨.

(٥٤) البلاذري: فتوح، ص ص ١٣٠-١٣١، انظر أيضًا: طه الولي: المدينة في الإسلام، مجلة الفكر العربي (مسألة المدينة والمدينة العربيا)، معهد الإنماء العربي، بيروت لبنان، تشرين الأول (أكتوبر) - تشرين الثاني (نوفمبر)، ١٩٨٢م، العدد التاسع والعشرون، السنة الرابعة، ص ص ١٢٢-١٢٣. أورد البلاذري «فلما كان سنة اثنتين وثلاثين أعانوا الروم على الغزاة في

البحر بمراكب أعطوهم إياها فغزاهم معاوية سنة ثلاث وثلاثين في خمسمائة مركب ففتح قبرس عنوة.. وبعث إليها باثني عشر ألفا كلهم أهل ديوان فبنوا بها المساجد، ونقل اليها جماعة من بعلبك وبنى بها مدينة وأقاموا يعطون الأعطية إلى أن توفى معاوية وولى بعده ابنه يزيد فأقفل ذلك البعث وأمر بهدم المدينة وبعض الرواة يزعم أن غزوة معاوية الثانية قبرس فى سنة خمس وثلاثين».

البلاذرى: فتوح، ص ١٥٤.

(٥٥) البلاذرى: فتوح، ص ١٢٠.

(٥٦) ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص ١٤٤.

(٥٧) البلاذرى: فتوح، ص ص ١٢٠-١٢١.

انظر أيضًا عن مراكز صناعة السفن وتطور الصناعة: د. صفى على محمد عبد الله: مدن مصر الصناعية فى العصر الإسلامى إلى نهاية عصر الفاطميين (تاريخ المصريين ١٦٩) الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م، ص ١٦٧.

(٥٨) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ص ١٤٤.

(٥٩) البلاذرى: فتوح، ص ١٣٥.

(٦٠) البلاذرى: فتوح، ص ١٣٥.

(٦١) ياقوت الحموى: معجم، مج٢، ص ١٠٥.

(٦٢) البلاذرى: فتوح، ص ١٨٨.

مرعش: بالفتح ثم السكون، والعين مهملة مفتوحة، وشين معجمة: مدينة فى الثغور بين الشام وبلاد الروم لها سوران وخندق وفى وسطها حصن عليه سور يعرف بالمروانى بناه مروان بن محمد، ثم أحدث الرشيد بعده سائر المدينة، وبها ربض يعرف بالهارونية، وهو مما يلى باب الحدث.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٥، ص ١٠٧.

(٦٣) قنسرين: بكسر أوله، وفتح ثانيه وتشديده وقد كسره قوم ثم سين مهملة، قال بطليموس: مدينة قنسرين طولها تسع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها خمس وثلاثون درجة وعشرون دقيقة، فى الإقليم الرابع، وفى جبلها مشهد يقال إنه قبر صالح النبى، عليه السلام، والصحيح أن قبره باليمن بشبوة، وقيل بمكة، وكان فتح قنسرين على يد أبى عبيدة بن الجراح، وينسب إلى قنسرين جماعة، أثبتهم فى الحديث الحافظ أبو بكر محمد بن بركة بن الحكم بن إبراهيم بن الفرداج الحميرى اليحصبى القنسرينى المعروف ببرد داعس.

ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص ص ٤٠٣-٤٠٤.

(٦٤) منبج: بالفتح ثم السكون، وباء موحدة مكسورة، وجيم: وهو بلد قديم وما أظنه إلا روميًا إلا أن اشتقاقه فى العربية يجوز أن يكون من أشياء، يقال: نبج الرجل ينبج إذا قعد فى النبجة وهى الأكمة، والموضع منبج، ويجوز أن يكون قياسًا صحيحا، ويجوز أن يكون من النبيج وهو طعام كانت العرب تتخذه فى المجاعة، ويجوز أن يكون من النبج وهو الضراط، وهى فى الإقليم الرابع، مدينة كبيرة واسعة ذات خيرات كثيرة وأرزاق واسعة فى فضاء من الأرض، كان عليها سور مبنى بالحجارة محكم، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ، وشربهم من قنى تسيح على وجه الأرض، وفى دورهم آبار أكثر شربهم منها لأنها عذبة صحيحية، ومنها البحترى، وقد خرج منها جماعة من الشعراء، وقال ابن قتيبة فى أدب الكتاب: كساء منبجانى ولا يقال أنبجانى لأنه منسوب إلى منبج، وينسب إلى منبج جماعة، منهم: عمر بن سعيد بن أحمد بن سنان أبو بكر الطائى المنبجى، وأبو القاسم عبدان بن حميد بن رشيد الطائى المنبجى، وأبو العباس عبد الله بن عبد الملك بن الإصبع المنبجى وغيرهم.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٥، ص ص ٢٠٥-٢٠٧.

(٦٥) سميساط: بضم أوله، وفتح ثانيه ثم ياء مثناة من تحت ساكنة، وسين أخرى ثم بعد الألف طاء مهملة: مدينة على شاطئ الفرات فى طرف بلاد الروم على غربى الفرات ولها قلعة فى شق منها يسكنها الأرمن، وهى فى الإقليم الرابع، وإليها ينسب أبو القاسم على بن محمد السميساطى السلمى المعروف بالجميش.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ص ٢٥٨.

(٦٦) ملطية: بفتح أوله وثانيه، وسكون الطاء، وتخفيف الياء، والعامة تقول بتشديد الياء وكسر الطاء، بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام، وهى فى الإقليم الخامس، وينسب إلى ملطية من الرواة محمد بن على بن أحمد بن أبى فروة أبو الحسين الملطى المقرئى، وسليمان بن أحمد بن يحيى بن سليمان بن أبى صلابة أبو أيوب الملطى الحافظ.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٥، ص ص ١٩٢-١٩٣.

(٦٧) شمشاط: بكسر أوله، وسكون ثانيه، وشين مثل الأولى، وآخره طاء مهملة، مدينة بالروم على شاطئ الفرات شرقيها بالوية وغربيها خرتبرت، وهى فى الإقليم الخامس، قيل سميت بشمشاط بن اليفز بن سام بن نوح، عليه السلام، لأنه أول من أحدثها، وقد نسب إليها قوم من أهل العلم، منهم أبو الحسن على بن محمد الشمشاطى، كان شاعرا وله تصانيف فى الأدب.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ص ص ٣٦٢-٣٦٣.

(٦٨) كمخ: بالفتح ثم السكون: مدينة بالروم، وقيل هى كماخ، بالألف.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ص ٤٧٩.

(٦٩) قاليقلا: بأرمينية العظمى من نواحى خلاط ثم من نواحى منازجرد من نواحى أرمينية الرابعة، ويشبه أن تكون فى الإقليم الخامس، وتعمل بها البسط المسماه بالقالى اختصروا فى النسبة إلى بعض اسمه لثقله، وإليها ينسب الأديب العالم أبو على إسماعيل بن القاسم القالى.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ص ص ٢٩٩-٣٠٠.

(٧٠) د. محمد عبد الهادى: من تاريخ التحصينات العربية، ص ٢٢.

(٧١) الحدث: بالتحريك، وآخره ثاء مثلثة، قلعة حصينة بين ملطية وسميساط ومرعش من الثغور، ويقال له الحمراء لأن تربتها جميعًا حمراء، وقلعتها على جبل يقال له الأحيدب، وكان الحسن بن قعطبة قد غزا الثغور، وفى كتاب أحمد بن يحيى بن جابر، فتحه حبيب بن مسلمة الفهرى من قبل عياض بن غنم، وكان معاوية يتعاهده بعد ذلك، وكانت بنو أمية يسمون درب الحدث درب السلامة للطيرة، لأن المسلمين أصيبوا به، وكان ذلك الحدث الذى سمى به الحدث فيما يقول بعضهم، وقال آخرون لقى المسلمين على درب الحدث غلام حدث فقاتلهم فى أصحابه قتالا استظهر فيه، فسمى الحدث بذلك الحدث، وينسب إلى الحدث عمر بن زرارة الحدثى، وعلى بن الحسن الحدثى، وأبو الوليد أحمد بن جناب الحدثى.

ياقوت الحموى: معجم، مج٢، ص ص ٢٢٧-٢٢٩.

أورد ابن تغرى بردى فى احداث ٥٠هـ «وفيها أراد معاوية نقل منبر النبى ﷺ من المدينة وأن يحمل إلى الشام.. فطلب العصا وهى عند سعد القرظ وحرك المنبر فكسفت الشمس حتى رئيت النجوم بادية فأعظم الناس ذلك فتركه وقيل: بل أتاه جابر وأبو هريرة فقالا له: يا أمير المؤمنين لا يصلح أن يخرج منبر النبى ﷺ من موضع وضعه وتنقل عصاه إلى الشام، فانقل المسجد فتركه معاوية وزاد فيه ست درجات واعتذر مما صنع. ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف) ت ٨٧٤هـ/١٤٤٣م: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة (طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب)، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة.

(٧٢) محمد عبد الهادى: من تاريخ، ص ٢٢.

(٧٣) الطبرى: تاريخ، جـ ٣، ص ٢٦٤.

(٧٤) الطبرى: تاريخ، جـ ٣، ص ٢٦٤.

(٧٥) الطبرى: تاريخ، جـ ٣، ص ٢٦٤.

(٧٦) ابن الأثير: الكامل، جـ ٣، ص ١٢٥.

(٧٧) ابن الأثير: الكامل، جـ ٣، ص ١٢٧.

(٧٨) ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص ١٢٧.

(٧٩) ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص ٤٣.

أورد ابن تغرى بردى فى أحداث السنة الثانية من ولاية عتبة بن أبى سفيان على مصر وهى سنة أربع وأربعين «وفيها زاد معاوية فى مقصورة جامع دمشق، وكان قد أحدثها لما وثب عليها البزك ليقتله. ثم أحدث فى هذه السنة أيضًا مروان بن الحكم مقصورة المدينة وهو وال عليها».

ابن تغرى بردى: النجوم، جـ١، ص ١٢٥.

(٨٠) ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، جـ٥ مادة قصر، ص ص ٣٦٤٦ - ٣٦٤٧.

(٨١) يذكر د. حسين مؤنس أن المقاصير عرفت قبل العصر الإسلامى فى جميع المنشآت الدينية السابقة على الإسلام - وثنية كانت أو مسيحية أو غير ذلك لصلاة الخواص أو العباد والزهاد والمعتكفين.

مزيد من التفاصيل أنظر:

د. حسين مؤنس: المساجد، ١٩٩٤م، ص ص ١٤٨-١٤٩.

(٨٢) تناول الدكتور محمد محمد الكحلاوى فى دراسة هامة مقاصير الصلاة فى العصر الإسلامى وذكر فيما يتعلق بالمقاصير العلمية أنها وجدت فى المدارس اليمنية، حيث أنشأ الإمام المتوكل على الله شرف الدين سبع مدارس وبنى فى كل مدرسة مسجداً للصلاة ومقصورة فى مؤخرة المسجد للعلماء والذين يتلقون العلوم من الطلاب، كما ذكر فيما يتعلق بمقاصير الخزائن أن من أشهرها فى المغرب تلك المقصورة التى أنشأها الفقيه أبو القاسم عبد الرحمن

بن أحمد فى عام ٥٩٨هـ/١٢٠١م بمسجد القرويين بفاس ٢٤٢هـ/٨٥٧م، كذلك ذكر فيما يتعلق بمقاصير الفقراء المقصورة التى أنشأها السلطان الناصر محمد بن قلاوون بمسجد القلعة، وفيما يتعلق بمقاصير الصوفية ذكر المقصورة التى أنشأها السلطان الناصر محمد بن قلاوون بمسجده بالقلعة.

مزيد من التفاصيل أنظر: د. محمد محمد الكحلاوى: مقاصير الصلاة فى العصر الإسلامى «دراسة أثرية معمارية»، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، العدد الثالث، ١٩٨٩م، ص ص ٢٠٧-٢٠٨.

(٨٣) مزيد من التفاصيل أنظر: د. محمد محمد الكحلاوى: مقاصير الصلاة، ص ص ٢٠٨-٢٠٩.

(٨٤) السمهودى: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، مطبعة الآداب والمؤيد بمصر، ١٣٢٦هـ، جـ١، ص ص ٣٣٢، ٣٦٢.

(٨٥) ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، مطبعة مؤسسة الأعليمى، بيروت، جـ١ المقدمة، ص ١٨٨، المقريزى: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م، جـ٢، ص ٢٥٠.

(٨٦) البلاذرى: فتوح البلدان، تحقيق د. صلاح منجد، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٥٦م، ق٢، ص ٢٤٧.

(٨٧) السمهودى: وفاء، جـ١، ص ٣٦٢، د. محمد محمد الكحلاوى: مقاصير الصلاة، ص ص ٢٠٩-٢١٠.

(٨٨) د. محمد محمد الكحلاوى: مقاصير الصلاة، ص ٢١٠.

(٨٩) المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ٢، ص ٢٥١.، د. محمد محمد الكحلاوى: مقاصير الصلاة، ص ص ٢١٠-٢١١.

(٩٠) ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص ١٢٧.

(٩١) الطبرى: تاريخ الطبرى، جـ٣، ص ٢٦٩.

قال الطبرى «للنصف من رجب فى قول بعضهم، وفى قول بعض: لثمان بقين منه».

الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٣، ص ٢٦٩.

(٩٢) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٣، ص ٢٦٩.، د. عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسى، ص ٦٦.، د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ١، ص ٢٣٤.

(٩٣) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٣، ص ٤٠٣.

(٩٤) ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص٢٢٢.

(٩٥) ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص٢٢٢.

(٩٦) ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص ٢٢٢.

(٩٧) د. عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسى، ص ص ٨٩-٩٠.، د. أحمد رجب محمد على: المسجد الحرام بمكة المكرمة ورسومه فى الفن الإسلامى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص ص ٣٦-٤٠.

(٩٨) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٣، ص ص ٤٠٦-٤٠٧.

(٩٩) ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص٢٢٢.

(١٠٠) د. عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسى، ص ٩١.

(١٠١) ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص ٢٢٥.

(١٠٢) د. عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسى، ص ص ٩٢-٩٧.

(١٠٣) د. عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسى، ص ص ٩٧- ٩٩.

(١٠٤) ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص ص ٢٣٧، ٢٧٥.

(١٠٥) ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص ٤٣.

(١٠٦) ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص ٢٤٥.

(١٠٧) ابن عبد الحكم (أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرشى المصرى): فتوح مصر وأخبارها (صفحات من تاريخ مصر - ١٠)، مكتبة مدبولى، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ١٠٧.

(١٠٨) ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص ٢٧٣.

(١٠٩) ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص ٢٧٦.

(١١٠) البلاذرى: فتوح، ص ١٢٧.

(١١١) ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص ٤١٢.، د. عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسى، ص ص ١٣٢-١٣٣.

(١١٢) د. عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسى، ص ص ١٣٣.، د. أحمد رجب محمد: المسجد الحرام، ص ص ٤٠-٤٤.

(١١٣) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ص ٣٢.

(١١٤) البلاذرى: فتوح، ص ١٦٥.

المصيصة: بالفتح ثم الكسر، والتشديد، وياء ساكنة، وصاد أخرى، كذا ضبطه الأزهرى وغيره من اللغويين بتشديد الصاد الأولى هذا لفظه، وتفرد الجوهرى وخالد الفرابى بأن قالا المصيصة، بتخفيف الصادين، والأول أصح، وهى فى الإقليم الخامس، وقيل فى الإقليم الرابع، وهى مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس، وكانت من مشهور ثغور الإسلام، قد رابط بها الصالحون قديمًا، وبها بساتين كثيرة يسقيها جيحان، وكانت ذات سور وخمسة أبواب، وهى مسماة باسم الذى عمرها وهو مصيصة بن الروم بن اليمن بن سام بن نوح، قال المهلبى: ومن خصائص الثغر أنه كانت تعمل ببلد المصيصة الفراء تحمل إلى الآفاق.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٥، ص ص ١٤٤-١٤٥.

(١١٥) البلاذرى: فتوح، ص ص ١٤٤ -١٤٥.

(١١٦) البلاذرى: فتوح، ص ١٤٥.
(١١٧) الزركشى: أعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق أبو الوفا مصطفى المراغى، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م، ص ٣٨٨.
(١١٨) سورة الإسراء، آية ١.
(١١٩) اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، دارالفكر، بيروت، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م، جـ٢، ص ص ٩٧-١٠١، البلاذرى: فتوح البلدان، القاهرة، ط١، ١٣١٩هـ/١٩٠١م، ص ١٤٥.
(١٢٠) السيوطى (أبى عبد الله محمد بن شهاب الدين أحمد بن على بن عبد الخالق المنهاجى): اتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، تحقيق د. أحمد رمضان أحمد الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م، ق١، ص ص ٢٢٥-٢٤١، عارف باشا العارف: تاريخ القدس، دار المعارف بمصر، ص ص ٤٦-٥٠.
(١٢١) السيوطى: اتحاف الأخصا، ق٢، ص ١٧٩.
(١٢٢) المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولى، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص ١٦٨.
(١٢٣) د. أحمد فكرى: مساجد القاهرة، المدخل، دار المعارف بمصر، ص ٢١٢.
(١٢٤) د. زكى محمد حسن: فنون الإسلام، دار الرائد العربى، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ/١٩٨١م، ص ٣٩، د. كمال الدين سامح: العمارة فى صدر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م، ص ص ٢٤-٢٥.
(١٢٥) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ١٥٩، كريزويل: الآثار، ص ص ٣٣-٣٤.
(١٢٦) كريزويل: الآثار، ص ص ٣٣-٣٤. ويذكر د. رأفت النبراوى أن هذه القبة شيدت للحفاظ على الصخرة المقدسة التى أسرى إليها النبى المعصوم - من العوامل الجوية المتغيرة، ولكى يجعلها الخليفة عبد الملك بن مروان مزاراً جميلاً يضاهى به الديانات الأخرى الموجودة بالقدس كالكنائس المسيحية

والمعابد اليهودية، وقد روج العباسيون بسبب بناء هذه القبة إشاعات مغرضة تسيء إلى الأمويين فيها إن الأمويين أنشأوا هذه القبة ليصرفوا الناس عن الذهاب إلى الكعبة بمكة المكرمة وقت الحج ويستعيضوا عن ذلك بزيارة قبة الصخرة، وذكروا أن الخليفة عبد الملك علق سور الديباج على جدرانها وجعل لها سدنة، وجعل الناس يطوفون حولها، ولكن كل هذه الافتراءات غير منطقية لأن الخليفة عبد الملك كان يدرك تماما أن من أهم أركان الحج هو الوقوف بعرفة، وأنه شيد هذه القبة سنة ٧٢هـ من أجل المحافظة على الصخرة المقدسة. مزيد من التفاصيل انظر:

د. رأفت النبراوى: عمارة قبة الصخرة بالقدس الشريف، مجلة بريزم، العلاقات الثقافية الخارجية، وزارة الثقافة المصرية، العدد السابع، ٢٠٠١م، ص ص ٢٠-٢٣.

(١٢٧) يذكر كريزويل أن القبة الحالية التى وصفها ريتشموند بوضوح تتألف من قبتين مستقلتين عن بعضهما، ويوجد باب صغير عند القاعدة يؤدى إلى الفراغ بين القبتين، وقد سقطت القبة الأصلية فى عام ٤٠٧هـ/١٠١٦-١٠١٧م. مزيد من التفاصيل انظر: كريزويل: الآثار، ص ص ٤٩-٥٠.

(١٢٨) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ١٦٩.

(١٢٩) كريزويل: الآثار، ص ٤١، د. رأفت النبراوى: عمارة، ص ص ٢٠-٢١.

(١٣٠) كريزويل: الآثار، ص ٣٨.

(١٣١) يذكر كريزويل أن هذا الجزء كان محاطًا على حافته الداخلية بمجموعة من الفسيفساء الزجاجية بخط مستقيم لمسافة ٢٣سم من حافة العقد الخارجية، هذا الخط يحدد اتصال الفسيفساء بالوجه الخارجى للنافذة الأصلية، والغطاء الرخامى للداخل يصل فى فتحة النافذة إلى مسافة ٩٢سم ويتوقف على بعد ١٥سم من خط فسيفساء، والنافذة الأصلية ربما كانت من الرخام مثل نوافذ دمشق بسمك ١٥ سم على الأقل حول الجوانب، وليس بالضرورة النافذة

بكاملها، وهكذا وجد على خارج النافذة جانب قليل حمكه ٢٣سم مغطى بالفسيفساء، وعلى داخل النافذة جانب عمقه أربعة أضعاف الجانب الخارجي ومغطى بالرخام وفتحات الألواح مملوءة بالزجاج.

كريزويل: الآثار، ص ص ٣٧-٣٨.

(١٣٢) د. زكى محمد حسن: فنون، ص ص ٣٩-٤٠، د. ربيع حامد خليفة: زخارف قبة الصخرة، مجلة بريزم، العلاقات الثقافية الخارجية، وزارة الثقافة المصرية ـ العدد السابع، ٢٠٠١م، ص ص ١٦-١٧.

(١٣٣) حسان على حلاق: تعريب النقود والدواوين فى العصر الأموى، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، دار الكتاب المصرى، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م، ص ص ٢٤-٢٥.

(١٣٤) ابن الأثير: الكامل، مج٣، ص ص ٤٥٢-٤٥٣.

(١٣٥) حسان على: تعريب النقود، ص ص ٩٣-٩٥، جرجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى، مؤسسة دار الهلال، ١٩٦٨م، ص ص ٩١-٩٢.

(١٣٦) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٢، ص ٥٧٠، د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ١، ص ص ٣٦٢-٣٦٤.

(١٣٧) ابن الأثير: الكامل، مج٣، ص ٥٣٤، د. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، جـ١، ص ص ٣٦٤-٣٦٥.

(١٣٨) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٣، ص ص ٦٦٧-٦٦٩.

(١٣٩) ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ٥.

(١٤٠) ابن جبير: رحلة، ص ٢١٢.

(١٤١) البلاذرى: فتوح، ص ص ١٢٧-١٢٨.

(١٤٢) ابن تغرى بردى: النجوم، جـ١، ص ٢٢٣.

(١٤٣) اليعقوبى: البلدان، ص ٨٧.

(١٤٤) الاصطخرى (ابن اسحق إبراهيم بن محمد الفارسى المعروف بالكرخى):

المسالك والممالك. تحقيق د. محمد جابر عبد العال الحينى، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، ١٣٨١هـ/١٩٩١م، ص ص ٤٥-٤٦.

(١٤٥) المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولى، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص ص ١٥٦-١٥٨.

(١٤٦) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ١٥٩.

(١٤٧) الإدريسى (أبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودى الحسنى): نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، المجلد الأول، ص ص ٣٦٦-٣٦٨.

(١٤٨) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص ص ٤٦٥-٤٦٧.

(١٤٩) ابن جبير: رحلة، ص ص ٢١١-٢١٢.

(١٥٠) ابن جبير: رحلة، ص ص ٢١٢-٢١٣، د. محمد حسين: تاريخ مدينة دمشق، ص ٧١.

(١٥١) ابن جبير: رحلة، ص٢١٣.

(١٥٢) ابن جبير: رحلة، ص ٢١٣.

(١٥٣) ابن جبير: رحلة، ص ٢١٣. انظر عن هذا المسجد أيضًا: د. قتيبة الشهابى: مشيدات دمشق ذوات الأضرحة وعناصرها الجمالية، وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، دمشق، ١٩٩٥م، ص ص ٥١٩-٥٢١.

(١٥٤) ابن جبير: رحلة، ص ٢١٥.

(١٥٥) ابن جبير: رحلة، ص ص ٢١٥-٢١٦.

(١٥٦) ابن جبير: رحلة، ص ٢١٦.

(١٥٧) ابن جبير: رحلة، ص ٢١٣.

(١٥٨) ابن جبير: رحلة، ص ٢١٣.

(١٥٩) ابن جبير: رحلة، ص ٢١٤.

(١٦٠) د. محمد حسين: تاريخ مدينة دمشق، ص ص ٧١-٧٢.

(١٦١) ابن جبير: رحلة، ص ٢١٧.

(١٦٢) ابن جبير: رحلة، ص ٢١٥.

(١٦٣) Creswell. (K. A.C.): The evolution of the Minaret, Burlington, 1926,p.7.

ذهب المستشرقون فيما عدا Sauvaget وتبعهم فى ذلك العرب المحدثون ان المئذنة الأولى اشتقت من برج الكنيسة السورية.

Creswell: The Evolution,p. 7, Sauvaget (J): La Mosquée Omeyyade De Medine, paris, 1947, p. 126.

(١٦٤) د. فريد شافعى: العمارة العربية فى مصر الإسلامية، عصر الولاة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م، المجلد الأول، ص ص ٦٣٧-٦٣٨.

(١٦٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م، مج٨، ص ٤٢٠، انظر أيضًا: د. عبد المجيد وافى: المآذن فى آفاق المدن الإسلامية، مجلة الفيصل، العدد (١٩١)، جمادى الأول ١٤١٣هـ/ نوفمبر ١٩٩٢م، دار الفيصل الثقافية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص ٧٣.

انظر عن مصطلح الصومعة، Creswell: The Evolution P.I., Abu Seif (D.B.): The Minarets of Cairo, The American University in Cairo Press, 1985, P.11., Bloom (J): Minaret Symbol of Islam, Publishedby Ox Ford University Press.

(١٦٦) السمهودى: وفاء الوفاء تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، جـ٢، ص ٥٣٠.

(١٦٧) مزيد من التفاصيل انظر: د. عبد الله كامل موسى عبده: تطور المئذنة المصرية بمدينة القاهرة من الفتح العربى وحتى نهاية العصر المملوكى - دراسة معمارية زخرفية مقارنة مع مآذن العالم الإسلامى، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

(١٦٨) يحيى بن الحسين: غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى، تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتاب العربى، القاهرة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، جـ١، ص ٨٨.

(١٦٩) الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير): تاريخ الطبرى، مج٢، ص ٦١٧.

(١٧٠) عبد الحى الكتانى: نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، بيروت، ص ٧٩.

(١٧١) السمهودى: وفاء الوفا، ص ٥٣٠.

(١٧٢) انظر عن رواية البلاذرى أيضًا.

د. فريد شافعى: العمارة العربية، ص ص ٦٣٧-٦٣٩.

(١٧٣) ابن جبير: رحلة، ص ٢١٧.

(١٧٤) د. محمد حسين: تاريخ مدينة دمشق، ص ص ٧٢-٧٣، على الطنطاوى: الجامع الأموى فى دمشق، دار المنارة، جدة، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ص ٤٤-٤٥.

(١٧٥) د. محمد حسين: تاريخ مدينة دمشق، ص ٧٣، د. كمال الدين سامح: العمارة، ص ٣١.

(١٧٦) د. كمال الدين سامح: العمارة، ص ٣١.

(١٧٧) على الطنطاوى: الجامع الأموى، ص ص ٤٤-٤٦.

(١٧٨) على الطنطاوى: الجامع الأموى، ص ص ٤٤-٤٦.

(١٧٩) محمد مطيع الحافظ: حريق الجامع الأموى وبناؤه ١٣١١-١٣٢٠هـ نصوص ووثائق للقاسمى وواصف وكرد على. والعظمى، دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص ص ١٢-١٣.

(١٨٠) محمد مطيع الحافظ: حريق الجامع الأموى، ص ص ١٨-٢٣.

(١٨١) Creswell: Ashort Account, PP.91-93.

(١٨٢) كريزويل: الآثار، ص ١١٦. د. عفيف بهنسي: الشام لمحات آثارية وفنية، دار الرشيد، الجمهورية العراقية، بغداد، ١٩٨٠م، ص ١٤٧.

(١٨٣) كريزويل: الآثار ص. ١١٦.

(١٨٤) كريزويل: الآثار، ص ١١٧.

(١٨٥) كريزويل: الآثار، ص ١١٨.

(١٨٦) كريزويل: الآثار، ص ١١٨.

(١٨٧) كريزويل: الآثار، ص ١١٧.

(١٨٨) كريزويل: الآثار، ص ١١٨.

(١٨٩) Creswell: Ashort Account, PP. 95-96.

(١٩٠) Creswell: Ashort Account, PP. 96-105. ، د. عفيف بهنسى: الشام، ص ١٥١. اطلق على هذا القصر خطأ اسم الخزانة والتسمية الصحيحة هى الحرانة من الحرة.

(١٩١) Creswell: Ashort Account, pp. 118-122.

(١٩٢) Creswell: Ashort Account, pp.121-122.

(١٩٣) Creswell: Ashort Account, pp. 122.

(١٩٤) Creswell: Ashort Account, pp.122-124. انظر أيضًا: ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٤، ص ١٧٧.، د. عفيف بهنسى: الشام، ص ص ١٤٩ - ١٥١.

(١٩٥) ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ص ١٣-١٤، جعفر بن السيد اسماعيل المدنى البرزنجى: نزهة الناظرين فى تاريخ مسجد سيد الأولين والآخرين، تحقيق أحمد سعيد بن سلم، مكتبة بن سلمة المدينة المنورة، مكتبة الرفاعى، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص ص ٣٨-٤٠.

(١٩٦) د. محمد هزاع الشهرى: عمارة المسجد النبوى منذ إنشائه حتى نهاية العصر المملوكى، دار القاهرة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص ص ١٠٥-١٠٦.

(١٩٧) د. محمد هزاع: عمارة المسجد النبوى، ص ص ١١٣-١٢٧، د. أحمد رجب محمد على: المسجد النبوى بالمدينة المنورة ورسومه فى الفن الإسلامى، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص ص ٤٩-٥٤، محمد الياس عبد الغنى: المساجد الأثرية فى المدينة النبوية، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ١٩.

(١٩٨) د. محمد هزاع: عمارة المسجد، ص ص ١٢٨-١٤٢.

(١٩٩) د. محمد هزاع: عمارة المسجد، ص ١٤٢.

(٢٠٠) من هذا الفريق المقدسى وابن عساكر وابن تغرى بردى ومجير الدين العليمى، ومن غير المسلمين فوج (Vogue) وبيدكر (Baedeker).

شمس الدين السيوطى: إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، القسم الثانى، ص ص ١٧٩-١٨٠.

(٢٠١) من هذا الفريق ابن البطريق، وابن الفقيه، وكريزويل، وقد اعتمد كريزويل فى قوله هذا على ما عثر عليه من وثائق مكتوبة على ورق البردى، حيث جاء فيها أن والى مصر قرة بن شريك أرسل بنائين وعمال مهرة فى المعاونة فى بناء المسجد الأقصى لمدة اثنى عشر شهراً، وذلك سنة ٩٧هـ/ ٧١٥-٧١٦م.

شمس الدين السيوطى: اتحاف الأخصا، ق٢، ص ١٨٠.

(٢٠٢) شمس الدين السيوطى: اتحاف، ق٢، ص ١٨٠.

(٢٠٣) السيوطى: اتحاف، ق ٢، ص ١٨٠.

(٢٠٤) الرازى (أحمد بن عبد الله بن محمد) ت ٤٦٠هـ/١٠٦٨م: تاريخ

مدينة صنعاء، تحقيق د. حسين بن عبد الله العمرى، دار الفكر المعاصر بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ص ١٢٧-١٣٣، د. مصطفى عبد الله شيحة: مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية فى الجمهورية اليمنية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، ص ص ٢٩-٣٠.

Creswell: Asbort Account of Early Muslim Architecture, The American University in Cairo Press, 1989, p.83.

(٢٠٥) الرازى: تاريخ مدينة صنعاء، ص ص ١٣٥-١٣٧.

(٢٠٦) ابن تغرى بردى: النجوم، جـ١، ص ٢٣٤.

(٢٠٧) ابن تغرى بردى: النجوم، جـ١، ص ٢٣٤، د. أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى (العلوم العقلية)، دار الفكر العربى، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ١٧٠.

(٢٠٨) ابن الاثير: الكامل، جـ٤، ص ١٥.

يعد الوليد بن على الملك أول من نقل أساطين الرخام (أعمدة الرخام) إلى المسجد الحرام، وعمله بطاق واحد (صف واحد) بأساطين الرخام، وسقفه بالساج المزخرف، وجعل على رؤوس الأساطين صفائح الذهب، وآذر المسجد بالرخام من داخله، وجعل فى وجه الطيقان وفى أعلاها الفسيفساء، كما قام باستبدال ميزاب آخر من الذهب بميزاب الكعبة، وأهدى إلى الكعبة هلالين وسريراً من ذهب.

د. أحمد رجب: المسجد الحرام، ص ٤٥.

(٢٠٩)ابن تغرى بردى: النجوم، جـ١، ص ٢٣٤.

(٢١٠) البلاذرى: فتوح، ص ١٤٩.

(٢١١) بغراس: مدينة فى لحف جبل اللكام، بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١، ص ٤٦٧.

(٢١٢) عين السلور: بفتح السين المهملة وتشديد اللام وفتحها، ويقال لبحيرتها بحيرة بغرا، وهى قرب أنطاكية وإنما سميت عين السلور لكثرة هذا النوع الذى بها من السمك.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ص ١٧٨.

(٢١٣) اسكندرونة: بعد الدال راء، وواو ساكنة، ونون، هى مدينة فى شرقى أنطاكية على ساحل بحر الشام بينها وبين بغراس أربعة فراسخ.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١، ص ١٨٢.

(٢١٤) د. محمد عبد الهادى: من تاريخ، ص ٢٣.

(٢١٥) البلاذرى: فتوح، ص ص ١٨٨-١٨٩.

(٢١٦) ابن تغرى بردى: النجوم، جـ١، ص ٢٢٦.

(٢١٧) د. زكى محمد حسن: فنون الإسلام، ص ٤٤، د. حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ص ٢١١-٢١٤، د. كمال الدين سامح: العمارة، ص ص ٣٢-٣٨.

(٢١٨) يذكر كريزويل أن قصير عمرة يتألف من عنصرين رئيسيين: قاعة الاستقبال المستطيلة التى يبلغ طولها ٨,٥٠م، وعرضها ٧,٥٠م تقريبًا، والإيوان الذى يفتح نحو الجنوب على جانبيه غرفتان بنيت على شكل الأقبية بدون نوافذ، أما العنصر الثانى فيتمثل فى الحمام، مزيد من التفاصيل انظر: كريزويل: الآثار، ص ١١٩.

(٢١٩) كريزويل: الآثار، ص ١٢١.

(٢٢٠) كريزويل: الآثار، ص ١٢١.

(٢٢١) كريزويل: الآثار، ص ١٢١.

(٢٢٢) كريزويل: الآثار، ص ١٢٢.

(٢٢٣) كريزويل: الآثار، ص ١٢٢.

(٢٢٤) اعتمد كريزويل على لوحات ميليخ.

كريزويل: الآثار، ص ١٢٣.

(٢٢٥) كريزويل: الآثار، ص ١٢٤، د. زكى حسن: فنون، ص ص ٤٥-٤٦.

(٢٢٦) د. زكى حسن: فنون، ص ص ٤٦-٤٧.

(٢٢٧) كريزويل: الآثار، ص ١٢٦.

(٢٢٨) كريزويل: الآثار، ص ١٢٧.

(٢٢٩) د. كمال الدين سامح: العمارة، ص ٤٠.

(٢٣٠) ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ص ٧١-٩٤.

(٢٣١) لد: بالضم، والتشديد، قرية قرب بيت المقدس من نواحى فلسطين.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٥، ص ١٥.

(٢٣٢) البلاذرى: فتوح، ص ١٤٥.

(٢٣٣) البلاذرى: فتوح، ص ١٤٥.

(٢٣٤) البلاذرى: فتوح، ص ١٤٥.

(٢٣٥) الاصطخرى: المسالك، ص ٤٣، السيوطى: اتحاف الأخصا، ق٢، ص ١٨١.

(٢٣٦) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ص ١٦٤-١٦٥.

(٢٣٧) كريزويل: الآثار، ص ص ١٥١-١٥٢، محمد كامل فارس: الجامع الأموي الكبير بحلب تاريخه ومعالمه الأثرية، دار القلم العربى بحلب، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص ص ١٥-١٦.

ومما ذكر فى عمارة هذا المسجد أن الوليد بن عبد الملك هو الذى شيده.

محمد كامل: الجامع الأموى، ص ١٥.

(٢٣٨) محمد كامل: الجامع الأموى، ص ص ١٧-١٨.

(٢٣٩) محمد كامل: الجامع الأموى، ص ص ١٩-٢٨.

(٢٤٠) ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ٨٧.

(٢٤١) ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ٩٢.

(٢٤٢) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص ص ١١٩-١٢٠.

(٢٤٣) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٤، ص ٥٩.

(٢٤٤) ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ٩٦.

(٢٤٥) ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ص٩٨-٩٩.

(٢٤٦) ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ١٠٧.

(٢٤٧) ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ص ١٠٨-١٠٩.

(٢٤٨) البلاذرى: فتوح، ص ١٦٦.

(٢٤٩) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٤، ص ٧٥.

(٢٥٠) د. أحمد فكرى: المدخل، ص ٢٢١.

(٢٥١) Creswell: Ashort Account, pp. 131-134. ، د. عفيف بهنسى: الشام، ص ١٥٣.

(٢٥٢) ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ١٦٥.

(٢٥٣) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ٢٢١.

أنظر أيضًا: أبو الفدا: التبر المسبوك فى تواريخ الملوك، تحقيق د. محمد زينهم محمد عزب، الثقافة الدينية، القاهرة، ص ٤٠.

(٢٥٤) ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ٢٨٣.

(٢٥٥) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ص ص ٤٧-٤٨.

(٢٥٦) كريزويل: الآثار، ص ١٦٣، د. السيد عبد العزيز سالم: دراسات فى تاريخ العرب (تاريخ الدولة العربية (٢) مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٣م، ص ٤٣٥.

(٢٥٧) كريزويل: الآثار، ص ١٦٧.

(٢٥٨) كريزويل: الآثار، ص ١٥٦.

(٢٥٩) كريزويل: الآثار، ص ١٥٧.

(٢٦٠) كريزويل: الآثار، ص ص ١٥٧-١٥٨.

(٢٦١) كريزويل: الآثار، ص ١٦٧.

(٢٦٢) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ص ص ٤٧-٤٨.

(٢٦٣) Creswell: Ashort Account, pp. 135-137.

د. السيد عبد العزيز سالم: دراسات، ص ص ٤٣٥-٤٣٦.

(٢٦٤) Creswell: Ashort Account, pp.169-173.

(٢٦٥) البلاذرى: فتوح، ص ١٦٧.

(٢٦٦) البلاذرى: فتوح، ص ١٦٧.

(٢٦٧) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ص ٣٧٣.

(٢٦٨) البلاذرى: فتوح، ص ١٦٧.

(٢٦٩) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١، ص ص ٥١٠-٥١١.

(٢٧٠) كريزويل: الآثار، ص ١٤١، د. زكى محمد حسن: فنون، ص ص ٤٧-٤٨، د. كمال الدين سامح: العمارة، ص ٤٠.

(٢٧١) يذكر كريزويل أن الحمام يتألف من عنصرين رئيسيين: غرفة استقبال مستطيلة يبلغ طولها ٨,٩٥م، وعرضها ٧,٩٠م، وهى ذات ايوان يقابل استراحة العرش فى قصير عمرة، يفتح على الجانب الجنوبى الشرقى، وقد أوجد المعمار على جانبيه غرفتين، والقسم الثانى يتمثل فى الحمام.

كريزويل: الآثار، ص ١٣٩.

(٢٧٢) كريزويل: الآثار، ص ١٤١.

(٢٧٣) كريزويل: الآثار، ص ١٤١، د. زكى محمد حسن: فنون، ص ٤٧، د. كمال الدين سامح: العمارة، ص ٤٠.

(٢٧٤) ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ٣٠٢.

(٢٧٥) ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ٣٣٨.

(٢٧٦) Creswell: Ashort Account, pp. 173-176.

(٢٧٧) Creswell: Ashort Account, pp. 174-176.

(٢٧٨) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ص ٢٢١-٢٢٢.

(٢٧٩) ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ٣٠٦.

(٢٨٠) Creswell: Ashort Account, pp.179-199.

(٢٨١) Creswell: Ashort Account, pp.199-200.

(٢٨٢) د. السيد عبد العزيز سالم: دراسات، ص ٤٣٥.

(٢٨٣) تناول كريزويل تاريخ قصر المشتى وقصر الطوبة، حيث يوجد تشابه بين القصرين فى أوجه كثيرة، وبالتالى فإنهما فى اعتقاده يعودان إلى تاريخ واحد، وقد أورد كريزويل نظرية النسب اللخمى وقال إنها أكثر النظريات المقترحة خيالية، كما تناول نظرية الغساسنة وقال إنها تبدو أصح من نظرية اللخميين، حيث إن الغساسنة استولوا بالفعل على الحدود الشرقية فى سورية

من نهر الفرات حتى الأردن بدءا من عام ٥٠٠ على الأقل ولكن هناك ثلاثة اعتراضات تتمثل فى الغياب الكلى للرموز المسيحية، ثم عدم توافر الموارد الهائلة اللازمة لهذه العمارة الضخمة، ويتمثل العامل الثالث فى إضفاء الطابع الفارسى وطابع بلاد ما بين النهرين على هذه المبانى رغم وقوع عرب سورية تحت الحماية البيزنطية، وينتهى كريزويل إلى الرد على الاعتراضات ضد النظرية الأموية واعتقاده أن المشتى وقصر الطوبة لأسباب تاريخية ومعمارية يرجعان إلى العصر الأموى، وعلى الأرجح إلى عصر الوليد الثانى فى عام ٧٤٣-٧٤٤م، وتركها دون إتمامها عند موته.

مزيد من التفاصيل انظر:

كريزويل: الآثار، ص ص ١٨٨-١٩٦، د. زكى محمد حسن: فنون، ص ٥٢، د. فريد شافعى: العمارة، ص ١٨٦، د. كمال الدين سامح: العمارة، ص ٤٣.

(٢٨٤) د.زكى محمد حسن: فنون، ص ص ٤٩-٥٠، د. كمال الدين سامح: العمارة ص ص ٤٣-٤٦.

(٢٨٥) د. زكى محمد حسن: فنون، ص ص ٥٠-٥١.

(٢٨٦) د. زكى مجمد حسن: فنون، ص ص ٤٨-٤٩.

(٢٨٧) كريزويل: الآثار، ص ١٧٤.

(٢٨٨) كريزويل: الآثار، ص ١٧٤.

(٢٨٩) د. زكى حسن: فنون، ص ٥٠.

(٢٩٠) كريزويل: الآثار، ص ١٨٤، د. زكى محمد حسن: فنون، ص ٥٣.- د. كمال الدين سامح: العمارة، ص ص ٤٧-٤٨.

(٢٩١) د. فريد شافعى: العمارة العربية، ص ص ١٨٦-١٨٧.

(٢٩٢) ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ٣٠٨، د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ١، ص ٢٧٣.

جاء فى الأنباء أن إبراهيم بن الوليد يعرف بإبراهيم الناقص. انظر: ابن العمرانى (محمد بن على بن محمد) ت ٥٨٠هـ: الأنباء فى تاريخ الخلفاء، تحقيق د. قاسم السامرائى، دار الآفاق العربية، القاهرة.، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٥٢.

(٢٩٣) ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ص ٣٢١-٣٢٣.، د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ١، ص ٢٧٣.

(٢٩٤) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ٢٨٠.

(٢٩٥) ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص ١٨.

(٢٩٦) ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ٣٣٣.

(٢٩٧) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص ٢٣٥.

(٢٩٨) البلاذرى: فتوح، ص ص ١٨٨-١٨٩.

(٢٩٩) ياقوت الحموى: معجم، مج٥، ص ١٠٧.

(٣٠٠) البلاذرى: فتوح، ص ١٩٢.

(٣٠١) كريزويل: الآثار، ص ص ١٤٩-١٥٠، د. أحمد فكرى: المدخل، ص ٢٢٠.

(٣٠٢) د. أحمد فكرى: المدخل، ص ٢٢٠.

(٣٠٣) د. أحمد فكرى: المدخل، ص ٢٢٠.

(٣٠٤) ياقوت الحموى: معجم، مج ٤، ص ٣٥٥.

(٣٠٥) ياقوت الحموى: معجم، مج ٤، ص ٣٥٧.

الفصل الثانى

الآثار والإضافات والتجديدات المعمارية الأموية فى العراق

جامع البصرة ١٤هـ/٦٣٥م (شكل ٦٤)

يعد مسجد البصرة من المساجد الأولى التى شيدت خارج الجزيرة العربية فى عهد الخلفاء الراشدين (١١-٤٠/ ٦٣٢-٦٦١م). شيده نافع بن الحارث بن كلدة وقيل القائد عتبة بن غزوان، وقيل محجر بن الأذرع البهزى، وقيل الأسود بن سريع[١].

يتوسط المسجد مدينة البصرة، وقد شيد عند إنشائه بالقصب شأنه فى ذلك شأن بقية منشآت المدينة، ثم بناه القائد أبو موسى الأشعرى باللبن والطين بعد استئذان الخليفة عمر بن الخطاب، رضى الله عنه عقب تعرض البصرة لحريق التهم قصبها، وكان تخطيط المسجد فى هذه العمارة من مساحة مربعة تنقسم إلى صحن وظلة للقبلة على غرار المسجد النبوى فى مرحلته الأولى قبل تحويل القبلة[٢].

وفى العصر الأموى شهدت مدينة البصرة تطوراً كبيراً، خاصة فى عهد زياد بن أبيه الذى يعد أول من شيد بها بالآجر والجص، فأعاد بناء الجامع ودار الإمارة بهذه المواد التى تمثل تطوراً ماديًا بنائيًا فى تاريخ عمارة المدينة، كما أنه أعاد تنظيم المدينة وتحديد تقسيماتها الطبغرافية والسكانية فقسمها إلى خمسة أخماس ضم كل خمس مجموعة من العشائر التى تنتمى إلى قبيلة واحدة، ويرأسه رئيس من تلك القبيلة، وازدهرت الحياة الاقتصادية مما شجع زياد على تأسيس الأسواق، ويشير المؤرخون إلى تشييده مدينة الرزق وهى عبارة عن اسواق واسعة لها أربعة أبواب كما اهتم بإنشاء الوحدات العمرانية المتصلة بعمران المدينة كالمحلات والمربعات والحمامات، ومما يؤكد اتساع عمران المدينة ما فعله زياد الذى «جعل الشرط أربعة آلاف» مع استتباب الأمن فى عهده وهيبة الناس

إياه، وقد شهد المسجد عمارة كبيرة فى عهده غيرت من تخطيطه وعناصره المعمارية، حيث قام زياد بن أبيه (٤٥-٥٥هـ/ ٦٦٥-٦٧٥م) بهدمه وإعادة بنائه بالطابوق والجص، وأقام سقوفه من خشب الساج على أعمدة حجرية طوال تتألف من عدة قطع اسطوانية يضمها إلى بعضها سفود حديد يمر بمركزها، واتخذ زياد للجامع مئذنة ومقصورة، وأمر أن تكون دار الإمارة ملاصقة له من جهة جدار القبلة، وجعل بينهما مدخلاً يؤدى من الدار إلى بيت الصلاة[٣].

وقد تكامل تخطيط المسجد بعد عمارة زياد والى العراق فأصبح يتكون من صح وأربع ظلات تحيط بالصحن من جميع جهاته، وقد تأثر المسجد فى أسلوب التغطية الذى جاء من خشب الساج مباشرة على دعامات حجرية دون عقود بأسلوب التغطية فى المسجد النبوى.

هذا وقد أظهرت الحفائر الأثرية التى أجريت فى عام ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م أن المسجد فى عهد زياد والى العراق من قبل الخليفة الأموى معاوية بن أبى سفيان كان يشغل مساحة مستطيلة مقاييسها ١٢٠,٣٠ × ٨٨,٥٠م تنقسم إلىَ صحن أوسط مكشوف تحيط به ظلات أربع أعمقها ظلة القبلة التى جاءت من خمس بلاطات تفصلها خمسة صفوف من الأعمدة الاسطوانية القائمة على قواعد مربعة، وجاءت بقية الظلات من بلاطتين، وتم الكشف أيضًا عن قاعدتى مئذنتين إحداهما فى الركن الشمالى الغربى، والأخرى فى الركن الشمالى الشرقى، وقد استمرت العناية بالمسجد بعد أن توسعت البصرة فى العصر العباسى[٤].

جامع الكوفة ١٧هـ/٦٣٨م (شكل ٦٤)

تعد الكوفة المدينة الإسلامية الثانية بعد البصرة التى شيدت خارج الجزيرة العربية، أنشأها القائد سعد بن أبى وقاص فى عام ١٧هـ/ ٦٣٨م، ويماثل تخطيطها تخطيط البصرة، فقد أمر الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يكون المسجد الجامع فى الوسط منها، وتكون دار الإمارة قريبة منه، وأن تتوزع خطط القبائل حول المسجد الجامع ودار الإمارة[٥].

اختط القائد سعد بن أبى وقاص المسجد، وجعله على هيئة مربعة تنقسم إلى صحن وظلة للقبلة، وقد شيد المسجد بالقصب شأنه فى ذلك شأن بقية عمائر الكوفة الدينية والمدنية من جهة، وشأن منشآت مدينة البصرة الدينية والمدنية عند تأسيسها من جهة أخرى، ثم تطورت مادة البناء إلى لبن وطين بعد تعرضها لحريق هائل بعد سنة من تمصيرها كما هو الحال فى البصرة، ويماثل تخطيط مسجد الكوفة تخطيط مسجد البصرة عند إنشائه والمسجد النبوى بالمدينة قبل تحويل القبلة[٦].

هذا وقد تكامل تخطيط المسجد فى عهد والى العراق زياد بن أبيه شأنه فى ذلك شأن مسجد البصرة، حيث قام زياد بإعادة بنائه بالآجر والجص، وأقام زياد والى العراق سقف المسجد على أساطين من رخام اسطوانية، وأصبح المسجد يتكون من صحن أوسط مكشوف وأربع ظلات فى عام ٥٠هـ/ ٦٧٠م[٧].

وقد أمدنا ابن جبير بوصف رائع لعمارة المسجد عندما مر بالكوفة فى عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م، حيث قال «وهو جامع كبير، فى الجانب القبلى منه خمسة أبلطة، وفى سائر الجوانب بلاطان، وهذه البلاطات على أعمدة من السوارى

الموضوعة من صم الحجارة، المنحوتة قطعة على قطعة، مفرغة بالرصاص ولاقسى عليها، على الصفة التى ذكرناها فى مسجد رسول الله، ﷺ، وهى فى نهاية الطول، متصلة بسقف المسجد، فتحار العيون فى تفاوت ارتفاعها فما أرى فى الأرض مسجداً أطول أعمدة منه ولا أعلى سقفًا»[8].

ويتطابق وصف ابن جبير وتخطيط المسجد فى عهد زياد بن أبيه فى عام ٥٠هـ/ ٦٧٠م سواء فى التخطيط أو فى أسلوب التغطية هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد ربط ابن جبير بين مسجد الكوفة والمسجد النبوى ربطًا رائعًا نتبين منه أن هذا المسجد تأثر فى أسلوب التغطية بالمسجد النبوى.

مدينة واسط ٨٣-٨٦هـ/٧٠٢-٧٠٥م (شكل ٦٥)

تقع مدينة واسط اليوم إلى الجنوب الشرقى من بلدة الحي فى محافظة واسط على بعد ١٥ كم وتدعى بين سكان المنطقة بالمنارة نسبة إلى بقايا إحدى المنارتين اللتين تحيطان بمدخل فخم من الناحيتين المعمارية والزخرفية، ومن المرجح كما يذكر د. عيسى سلمان أنه مدخل المدرسة الشرابية أو الشرفية أو الإقبالية التى شيدها شرف الدين إقبال الشرابى ببغداد فى عام ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م، وهى المدرسة التى أشرف على عمارتها شمس الدين أبو الأزهر أحمد بن الناقد وكيل الخليفة المستنصر بالله(٩).

وكان الحجاج بن يوسف قد رغب فى بناء مدينة جديدة تسهل عليه إدارة العراق بعد أن أحس أنه من الصعب عليه الاستمرار فى حكم العراق من مدينتى البصرة والكوفة، حيث كان يقيم ستة أشهر فى كل منهما فأرسل إلى الخليفة عبد الملك بن مروان يستأذن فى عمارتها، فأذن له الخليفة بذلك، قال الطبرى فى أحداث سنة ٨٣هـ/ ٧٠٢م «وفى هذه السنة: بنى الحجاج واسطا»(١٠).

وقال ابن تغرى بردى فيما يتعلق بالاسم عند ذكره السنة الثالثة عشرة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر وهى سنة ٧٨هـ «وفيها فرغ الحجاج بن يوسف، وإنما سميت واسط لأنها بين الكوفة والبصرة، منها إلى الكوفة خمسون فرسخا وإلى البصرة كذلك»(١١).

وقد ذكر د. عيسى سلمان(١٢) أن هجر وخراب هذه المدينة الهامة يرجع إلى عامل رئيسى يتمثل فى تغيير مجري نهر دجلة، وقد تم اختيار موقع واسط بعناية بالغة فهى عبارة عن بقعة مرتفعة عن مستوى سطح النهر، هواؤها عذب،

وطعامها سائغ على دجلة، وهى تتوسط العراق أو المدن الهامة فيه مثل البصرة والكوفة والمدائن لذلك عرفت بواسط[١٣].

هذا وقد اختلفت الآراء من قبل المؤرخين والجغرافيين حول تاريخ الابتداء فى إنشاء مدينة واسط، حيث ذكر أن الابتداء كان فى عام ٧٨هـ/ ٦٩٧م، وذكر أن الابتداء كان فى عام ٨٣هـ/ ٧٠٢م، وأن الفراغ كان فى عام ٨٦هـ/ ٧٠٥م، ويرجح د. عيسى سلمان أن التاريخ الثانى هو الصحيح، وهو التاريخ الذى تقدم ذكره عند ذكر نص الطبرى، ثم أن ابن الأثير ذكر فى أحداث سنة ٨٣هـ/ ٧٠٢م ما نصه «وفى هذه السنة بنى الحجاج واسطا»[١٤].

وعلى الرغم من أن تخطيط واسط يعد استمراراً لتخطيط البصرة والكوفة إلا أن تخطيط واسط يمثل مرحلة أكثر تطوراً نتيجة تغير الأحوال السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفنية للدولة العربية الإسلامية، لذا فإن هذا التطور يرتبط ارتباطًا وثيقًا بطبيعة هذه الفترة من تاريخ المجتمع العربى الإسلامى»[١٥].

أمر الحجاج بن يوسف بتشييد دار الإمارة أو القصر والمسجد الجامع فى قلب المدينة، وترك حولهما فاصلاً يفصلهما عن الأسواق والدور والخطط، وأمر أن يشغل القصر مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ٤٠٠ ذراع، وأن يكون هذا القصر ملاصقًا للمسجد الجامع الذى جاء أيضًا من مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ٢٠٠ ذراع، كما أمر أن يكون القصر بمثابة مركز المدينة أى يتوسطها تمامًا بحيث تؤدى إليه أو تتقاطع عنده الشوارع الرئيسية الأربعة التى تفصل بين خطط الناس فى المدينة، وجعل خطط الناس بين هذه الشوارع الرئيسية[١٦].

وقد أفرد الحجاج الخطط لأصحاب المهن، كل حسب مهنته، وأفرد خطط أهل الشام وأهل البصرة والكوفة، وجعل الأسواق تفصل بين الخطط وقلب المدينة، أما فيما يتعلق باستحكامات المدينة الحربية فقد ذكر أن الحجاج حصن المدينة بسورين وخندق، وذكر أنه أحاطها بسور وخندقين، وأمر أيضًا أن تقام الأبواب

الحديدية فى مداخل المدينة، وأن تغلق ليلاً لكى لا يسمح لغير أهلها المبيت فيها، ويضيف د. عيسى سليمان أن بناء المدينة كلف الحجاج خراج العراق لمدة خمس سنوات(١٧).

ونلمس التطور الذى طرأ على تخطيط وعمارة مدينة واسط مقارنة بتخطيط وعمارة البصرة والكوفة فى زيادة سعة دار الإمارة أو القصر على سعة المسجد الجامع وجعلها تمثل مركز المدينة بعد أن كان المسجد الجامع يمثل هذا المركز فى مدينتى البصرة والكوفة، وقد صارت دار الإمارة تعرف بقصر الحجاج وعرفت بقبتها الخضراء التى كانت ترى من مسافات بعيدة.

ويرجح د. عيسى سلمان أن الحجاج بن يوسف قد تأثر بشكل مباشر فى تحديد سعة القصر بما كان فى دار الإمارة بالكوفة فى العصر الأموى، حيث وسعت الدار وصار طول ضلع سورها الخارجى ١٧٦ مترا، بينما كان طول ضلع المسجد ١٠٣ مترا، ويعكس هذا التوسع ازدياد عدد أفراد الجهاز الإدارى، وتنوع المهام، حيث جعلت دار السك ضمن قصر الحجاج(١٨).

كما يمكن أن نلمس التطور فى خطط المدينة، حيث جاءت غير قبائلية، بل مهنية وإقليمية تختلف عن خطط البصرة والكوفة، ويمتد هذا التطور إلى التخطيط أيضًا فقد قسمت واسط إلى أربعة أرباع تفصلها شوارع مستقيمة تنتهى فى مركز المدينة، أما فى مدينتى البصرة والكوفة فقد كانت الشوارع الرئيسية بعدد خطط القبائل تقريبًا، كذلك من مظاهر التطور أيضًا تحصين المدينة بسورين وخندق أو بخندقين وسور، وهى الاستحكامات الحربية التى خلت منها البصرة والكوفة لأنها كانت بمثابة مراكز انطلاق بالدرجة الأولى، أما واسط فصارت مركزًا إداريًا، حيث استقرت مبادئ الدين الجديد فى البلاد، كذلك اختيار الموقع، حيث لم يراع فيه قضية المانع الطبيعى بين المدينة الجديدة وحاضرة العالم العربى الإسلامى(١٩).

المسجد الجامع والقصر بواسط

أولا: المسجد الجامعة (شكل ٦٦)

قامت مديرية الآثار العامة بالعراق بالتنقيب فى مدينة واسط فى عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م، وقد تركزت هذه التنقيبات فى مسجدها وقصرها، واستمرت هذه الأعمال ستة مواسم، أما فيما يتعلق بالمسجد فقد أثبتت الحفائر أنه كان يشغل مساحة مربعة أبعادها ١٠٣,٥٠ × ١٠٤,٥٠ مترا، وهى تساوى مائتى ذراع تقريبًا، وقد شيد البناء بالطابوق والجص، أما سمك الجدران فكان ٢,٥٠م تقريبًا، وكانت سقوفه ترتكز على أعمدة اسطوانية من حجر رملى، بحيث يتألف كل عمود منها من عدة مدورات تم الجمع بينها بواسطة سفود حديدى أو رصاصى يمر فى وسطها، وتتميز هذه الأعمدة من خلال زخارفها النباتية والهندسية المحفورة عليها[٢٠].

أثبتت الحفائر الأثرية أن تخطيط المسجد فى عهد الحجاج بن يوسف جاء من صحن مستطيل وأربعة أروقة أكبرها وأعمقها رواق القبلة الذى كان يتألف من خمس بلاطات تمتد موازية لجدار القبلة وتسع عشرة بلاطة عمودية بالنسبة لجدار القبلة، أما الأروقة الثلاثة الأخرى المحيطة بالصحن فقد جاءت من بلاطة واحدة[٢١].

وكانت أرضية المسجد مفروشة بطابوق أحمر، ثم استبدل بطابوق أصفر وكان الدخول إليه يتم من خلال أحد عشر بابًا، أربعة منها فى كل من الرواقين الجانبيين والبقية فى جدار المؤخرة، ومن المرجح أن الجدران الخارجية كانت مدعمة بأبراج، وقد أظهرت التنقيبات أن هذا الجامع جدد فى عام ٤٠٠هـ/١٠١٠م وبدون أحداث أية زيادة فيه بغرض تصحيح قبلته، حيث كان جدار القبلة فى الجامع الأول منحرفًا بمقدار ٣٤ درجة عن الخط القبلى الصحيح، وربما يعود هذا الانحراف إلى بناء دار الإمارة أو القصر قبل المسجد وجعل المسجد يلتصق بجدارها الشمالى الشرقى، ثم هدم المسجد مرة أخرى فى

عام ٥٥٠هـ/ ١١٥٥م وأعيدت عمارته على نفس المساحة وبنفس التخطيط، ويبدو أنه جدد فى العصر الأيلخانى[٢٢].

ثانيا: القصر

اهتم الحجاج بن يوسف الثقفى اهتمامًا خاصًا بدار الإمارة التى كانت تعرف بقصر الحجاج فجعلها تمثل قلب المدينة، بحيث تؤدى إليها أو تتقاطع عندها الشوارع الرئيسية الأربعة التى تفصل بين خطط الناس فى المدينة، وقد جاءت هذه الدار فى مساحتها ضعف مساحة المسجد الجامع، وجعل الحجاج المسجد يلتصق بها عند جدارها الشمالى الشرقى، وذكر أنه أسند تخطيط وعمارة القصر إلى اثنين من المهندسين هما القاسم بن أنبار وأبو شعيبة بن الحجاج، وكشفت التنقيبات التى أجريت بالمدينة عن أن طول ضلع الدار بحدود ٢٠٠م وأنها مربعة الشكل، غير أن الهيئة لم تستطع أن تتتبع تخطيط القصر بسبب الأنقاض المتراكمة، وكان القصر مشيدًا بالطابوق والجص مثل المسجد الجامع[٢٣].

اشتهر قصر الحجاج بقبته العالية الخضراء وصارت تعرف بقصر القبة الخضراء، وكانت تشاهد من مسافات بعيدة، وتشتمل الدار على حديقة واسعة وبركة ماء، وكان يتوصل إليها من خلال أربعة أبواب يؤدى كل منها إلى طريق عرضه ثمانون ذراعًا، وهى الطرق الرئيسية التى تخترق خطط المدينة، فيكون القصر قلب المدينة[٢٤].

واسط من خلال وصف ياقوت الحموى

قال ياقوت الحموى «واسط: فى عدة مواضع: نبدأ أولاً بواسط الحجاج لأنه أعظمها وأشهرها.. فأما تسميتها فلأنها متوسطة بين البصرة والكوفة لأن منها إلى كل واحدة منهما خمسين فرسخا، لاقول فيه غير ذلك إلا ما ذهب إليه بعض أهل اللغة حكاية عن الكلبى أنه كان قبل عمارة واسط هناك موضع يسمي واسط قصب، فلما عمر الحجاج مدينته سماها باسمها، والله أعلم.. شرع الحجاج فى عمارة واسط فى سنة ٨٤ وفرغ منها فى سنة ٨٦ فكان عمارتها فى عامين فى العام الذى مات فيه عبد الملك بن مروان.. وقال الأصمعى: وجه الحجاج الأطباء ليختاروا له موضعًا حتى يبنى فيه مدينة فذهبوا يطلبون ما بين عين التمر إلى البحر وجولوا العراق ورجعوا وقالوا: ما أصبنا مكانًا أوفق من موضعك هذا.. وقال قوم: إن الحجاج لما فرغ من حروبه استوطن الكوفة فآنس منهم الملال والبغض له، فقال لرجل ممن يثق بعقله: امض وابتغ لى موضعا.. ابنى فيه مدينة وليكن على نهر جار، فأقبل ملتمسًا ذلك حتى سار إلى قرية فوق واسط بيسير يقال لها واسط القصب فبات بها واستطاب ليلها واستعذب أنهارها واستمرأ طعامها وشرابها.. وكان موضع واسط لرجل من الدهاقين.. فابتاع الموضع من الدهقان وابتدأ فى البناء فى أول سنة ٨٣ واستتمه فى سنة ٨٦ ومات فى سنة ٩٥.. وأنفق الحجاج على بناء قصره والجامع والخندقين والسور ثلاثة وأربعين ألف ألف درهم.. وكان ذرع قصره أربعمائة فى مثلها وذرع مسجد الجامع مائتين فى مائتين وصف الرحبة التى تلى صف الحدادين ثلاثمائة فى

ثلاثمائة وذرع الرحبة التى تلى الجزارين والحوض ثلاثمائة فى مائة والرحبة التى تلى الاضمار مائتين فى مائة..»[٢٥].

أعمال معمارة للحجاج بن يوسف خارج العراق

مسجد الحجاج فى بنى سلمة

ومن أعمال الحجاج المعمارية المسجد فى بنى سلمة، قال الطبرى عند ذكره الحجاج وانصرافه إلى المدينة فى أحداث عام ٧٤هـ/٦٩٣م «وبنى بها مسجداً فى بنى سلمة، فهو ينسب إليه»[٢٦].

الاستحكامات الحربية (المناظر من واسط إلى قزوين)

أما فيما يتعلق بأعماله المعمارية الخاصة بالاستحكامات الحربية فقد أورد ياقوت الحموى عند ذكره مدينة واسط «واتخذ المناظر بينه وبين قزوين، وكان إذا دخن أهل قزوين دخنت المناظر إن كان نهاراً، وإن كان ليلاً أشعلوا نيرانًا فتجرد الخيل إليهم فكانت المناظر متصلة بين قزوين وواسط فكانت قزوين ثغراً حينئذ»[٢٧].

فتح السند والهند وتشييد المسجد الجامع

عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك، بأمر القسم الشرقى من بلاده إلى الحجاج بن يوسف الثقفى فكان من الطبيعى أن يهتم الحجاج بأمر إقليم السند باب الهند فبعث بسعيد بن أسلم إلى مكران، غير أنه قتل على يد معاوية ومحمد بن الحارث وهما من الخارجين على الدولة الأموية، وألح الحجاج على الخليفة الوليد تسيير الجند لفتح السند فأذن له، وعندئذ قام الحجاج بإرسال محمد بن القاسم الثقفى على رأس الحملة، وكان يقيم إذ ذاك بشيراز، وقام الحجاج بالإشراف على هذه الحملة بنفسه، وسار المسلمون من مكران وجهتهم ديبل وذلك فى عام ٨٩هـ/٧٠٧م، وتمكن محمد بن القاسم من فتح السند وتشييد المسجد الجامع بها، ثم واصل زحفه حتى وصل مدينة نيرون (نيرا نكوت) على

الضفة الغربية للسند، وجاء أمر الحجاج أن تتجه الحملة إلى شاطئ السند الشرقى فرجع محمد بن القاسم عن موقع سيوى، وانتصر المسلمون على داهر واستولوا على حصن راور، ودخل مدينة برهمنا باد وأقام بها، ويلغ المسلمون الرور عاصمة داهر، ثم استولوا على مدينة الملتان آخر حصون السنديين الكبرى[٢٨].

كتب القائد محمد بن القاسم إلى الحجاج بن يوسف يستأذنه فى فتح مملكة قنوج أعظم إمارات الهند، وكانت تمتد من السند إلى البنغال، فأجابه إلى طلبه، وفى ذلك الوقت توفى الحجاج بن يوسف ثم الخليفة الوليد بن عبد الملك، وأرسل الخليفة سليمان بن عبد الملك يستدعى محمد بن القاسم للقدوم عليه، وفتر اهتمام الخلافة الأموية بأمر الفتوح فى شبه القارة الهندية[٢٩].

المسجد العلوى فى اسكاف بنى جنيد (شكل ٦٧)

كشفت مديرية الآثار العراقية عن آثار هذا المسجد العتيق الذى يرجع إلى عهد هشام بن عبد الملك فى سنة ١١٠هـ/ ٧٢٨م، ويشغل مربعًا غير منتظم الأضلاع، طول جدار القبلة فيه ٥٠م وطول جداره الشرقى ٥٥م، وهو من صحن وأربع ظلات[٣٠].

المسجد الجامع فى حران ١٢٦-١٣٢هـ/٧٤٤-٧٥٠م (شكل ٦٨)

شيد المسجد الجامع فى حران فيما بين سنتى ١٢٦ و ١٣٢هـ/ ٧٤٤ و ٧٥٠م كما يعتقد د. أحمد فكرى أى خلال الفترة التى اتخذت فيها حران عاصمة للخلافة، وذلك فى عهد الخليفة الأموى مروان بن محمد، وقد كشفت الحفائر عن بعض آثاره، ويستدل من هذه الحفائر أنه كان يشغل مساحة مربعة تقريبًا طول جدار القبلة فيه ١١٠م، كما يبلغ جوف ظلة القبلة ٣٨م، ولا يتوسط المحراب جدار القبلة[٣١].

قصر الشعيبة بالقرب من البصرة (شكل ٦٩، ٧٠)

كشفت بعثة فنية من مديرية الآثار العامة بالعراق عدداً من التلال الأثرية فى منطقة الشعيبة بالقرب من البصرة القديمة، كما كشفت عن قصر نزهة يعود إلى نفس الفترة التى شيدت فيها قصور الشعيبة وهى العصر الأموى، ويستدل من تخطيطات هذه الدور أنها قصور نزهة أو صيد، وتكشف تخطيطاتها من جهة، وعناصرها المعمارية والزخرفية من جهة أخرى أنها ترجع إلى العصر الأموى، حيث ازدهرت البصرة خلال تلك الفترة، وقد بلغ عدد الدور المكتشفة ست، وهى مستقلة عن بعضها متباينة فى مساحاتها، وأهم هذه التلال التل رقم (١)، وهو يتألف من مرتفعين أحدهما وهو الأصغر يتكون من دكة من اللبن مستطيلة الشكل ترتبط بالآخر من خلال درب، ويضم الآخر دارا ذات تصميم هندسى متقن، وهو عبارة عن بقايا قصر ضخم شيد أغلب الظن لأحد وجهاء البصرة، وربما يكون لعبيد الله بن زياد واليها[٣٢].

يتبع تخطيط هذا القصر الطراز الحيرى، فهو عبارة عن بناء مستطيل المسقط يمتد من الخارج من الشرق إلى الغرب بمقدار ٥٨م، ومن الشمال إلى الجنوب بمقدار ٦٩م، تطل وحداته على صحن مكشوف مربع المسقط تقريبًا ويحيط بالقصر جدار ضخم يبلغ سمكه ١,٧٠م تدعمه أبراج ترتكز على قواعد مستطيلة، والأبراج نصف دائرية فى الجدران شبه دائرية في الأركان، يبلغ عددها (٢٠) برجًا وزعت بشكل متناسق بواقع أربعة أبراج فى كل ضلع فى الجهات الثلاث الجنوبية والشرقية والغربية، أما الجهة الشمالية فقد أوجد المعمار بها برجين على جانبى المدخل، كما أوجد المعمار برجًا فى كل ركن من أركان البناء.

وتحيط القاعات بالصحن من الجهات الشمالية والشرقية والغربية، وهى عبارة عن صف من الغرف ذات مخططات مستطيلة يتوسطها إيوان مستطيل، وقد تم توزيع القاعات بشكل متناغم، يتقدمها رواق معقود بشكل متناسق، أما الجهة

الجنوبية فتختلف فى تصميم وحداتها السكنية عن الجهات السابقة، حيث جاءت من ثلاث وحدات، الوسطى من إيوان مستطيل تكتنفه قاعة مستطيلة، وتتقدم هذه الوحدات سقيفة تشرف من خلالها الوحدة السكنية على الفناء الرئيسى، وهو الأسلوب الذى يمثل الطراز الحيرى.

أما الوحدتان الجانبيتان فمن عدة قاعات تشرف على فناء يتوسطها من جهة، وعلى فناءين يقعان على جانبى الوحدة الوسطى من جهة أخرى، وقد زخرفت واجهات الإيوانات بألواح جصية ذات زخارف هندسية ونباتية، كما زخرفت بعض القاعات بزخارف نباتية وهندسية محفورة.

هوامش وتعليقات الفصل الثانى

(١) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات العربية الإسلامية فى العراق، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، جـ١، ص ٤٩.

(٢) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ١، ص ص ٤٩-٥٠.

(٣) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ١، ص ٥٠، د. محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٢٨، ذو الحجة ١٤٠٨هـ/ أغسطس/آب ١٩٨٨م، ص ص ٦٦-٦٧.

(٤) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ١، ص ص ٥٠-٥١.

(٥) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ١، ص ص ٥٦-٥٧.

(٦) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ١، ص ص ٥٧-٥٩.

(٧) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ١، ص ٥٩.

(٨) ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص ١٦٨.

(٩) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ١، ص ٦٨، د. عبد الله كامل موسى عبده: العباسيون وآثارهم المعمارية فى العراق ومصر وإفريقيا، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص ٨٣.

انظر عن المدرسة الإقبالية: النعيمى (عبد القادر بن محمد) ت

٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م: الدارس فى تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسنى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٨٨م، جـ١، ص ص ١٥٨-١٦٠.

(١٠) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٣، ص ١٤٩.

قال الطبرى فى سبب بناء واسط «وكان سبب بنائه ذلك ـ فيما ذكر ـ أن الحجاج ضرب البعث على أهل الكوفة إلى خراسان، فعسكروا بحمام عمر، وكان فتى من أهل الكوفة من بنى أسد حديث عهد بعرس بابنة عم له، انصرف من العسكر إلى ابنة عمه ليلاً، فطرق الباب طارق ودقه دقًا شديدًا، فإذا سكران من أهل الشام، فقالت للرجل ابنة عمه: لقد لقينا من هذا الشامى شرًا، يفعل بنا كل ليلة ما ترى، يريد المكروه، وقد شكوته إلى مشيخة أصحابه، وعرضوا ذلك، فقال: أئذنوا له، ففعلوا، فأغلق الباب، وقد كانت المرأة نجدت. منزلها وطيبته، فقال الشامى: قد آن لكم، فاستقنأه الأسدى فأنذر رأسه، فلما أذن بالفجر خرج الرجل إلى العسكر وقال لامرأته: إذا صليت الفجر فابعثى إلى الشاميين أن اخرجوا صاحبكم، فسيأتون بك الحجاج، فاصدقيه الخبر على وجهه، ففعلت، ورفع القتيل إلى الحجاج، وأدخلت المرأة عليه وعنده عنبسة بن سعيد على سريره، فقال لها: ما خطبك؟ فأخبرته، فقال صدقتنى. ثم قال لولاة الشام: ادفنوا صاحبكم فإنه قتيل الله إلى النار، لا قود له ولا عقل، ثم نادى مناديه: لا ينزلن أحد على أحد، واخرجوا فعسكروا».

الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٣، ص ٦٤٩.

(١١) ابن تغرى بردى: النجوم، جـ١، ص ١٩٨.

(١٢) ذكر د. عيسى سلمان أنه مما لاشك فيه أن تغيير مجرى نهر دجلة فى وقت ما كان العامل الأساسى لهجر وخراب هذه المدينة المهمة، والذى يزور موقعها لايجد إلا تلولا ترابية متناثرة هنا وهناك وأنقاض أبنية منتشرة على جانبى واد عميق هو مجرى دجلة القديم.

د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات العربية الإسلامية فى العراق، الجزء الأول (تخطيط مدن ومساجد)، ص ٦٨.

(١٣) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات العربية، جـ١، ص ص ٦٨-٧١.

ذكر شريف يوسف أن الحجاج عندما تولى أقام بالكوفة سنة ومثلها فى البصرة شريف يوسف: تاريخ فن العمارة العراقية فى مختلف العصور، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، ١٩٨٢م، ص ٢٤٨.

(١٤) ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص ٥١٤، د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات العربية، جـ١، ص ٧٢.

(١٥) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ١، ص ٧٣.

(١٦) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ١، ص ٧٣.

(١٧) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ١، ص ٧٣.

(١٨) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ١، ص ص ٧٣-٧٤.

(١٩) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ١، ص ٧٤.

(٢٠) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ١، ص ٧٦، شريف يوسف: تاريخ فن، ص ص ٢٤٩-٢٥١.

(٢١) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ١، ص ٧٦، شريف يوسف: تاريخ فن، ص ص ٢٥١-٢٥٣.

(٢٢) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ١، ص ص ٧٦-٧٧.

(٢٣) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ١، ص ص ٧٧-٧٨.

(٢٤) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ١، ص ٧٨.

(٢٥) ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ٥، ص ص ٣٤٧-٣٥٠.

(٢٦) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٣، ص ٥٤٣.

(٢٧) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٥، ص ٣٥٠.

(٢٨) أحمد محمود الساداتى: تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم، مكتبة الآداب بالجماميز، القاهرة، جـ١ (من الفتح العربى حتي قيام الدولة المغولية ـ ٨٩هـ/ ٧٠٧م - ٩٣٢هـ/ ١٥٢٦م)، ص ص ٥١-٦٠.

أنظر عن بلاد السند: ابن حوقل: صورة الأرض، ليدن، الطبعة الثانية، ١٩٣٨م، ق١، ص ص ٣١٧-٣٢٢.

(٢٩) أحمد محمود الساداتى: تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم، ص ص ٦٠-٦١.

انظر أيضا عن الفتح الإسلامى لشبه القارة الهندية فى العصر الأموى:

د. عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام فى الهند، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ص ٧٣-٧٧، د. أحمد رجب ـ

محمد على: تاريخ وعمارة المساجد الأثرية فى الهند، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص ص ١٤-١٦.

(٣٠) د. أحمد فكرى: المدخل، ص ص ٢٢٢ - ٢٢٤.

(٣١) د. أحمد فكرى: المدخل، ص ٢٢٢.

(٣٢) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ٢، ص ص ١٣-١٦.

الفصل الثالث

الآثار والإضافات والتجديدات المعمارية الأموية في مصر

الأمويون فى مصر

ظهرت طلائع التكوين السياسى لمصر الإسلامية حين شاركت فى النشاط السياسى للأمويين وصراعهم للوصول إلى عرش الخلافة الإسلامية، وكان هذا النشاط السياسى الأموى قد أخذ صورة واضحة منذ ولى الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه الخلافة، فقد صارت مصر مركز الحركة المعادية للخليفة عثمان ومحاباته لأبناء البيت الأموى حين وفد عليها الرأس المدبرة لتلك الحركة وهو عبد الله بن سبأ الذى أخذ يتنقل بين الولايات الإسلامية ويثير أهلها على الخليفة، وكان ممن استجاب لدعوة ابن سبأ فى مصر نفر من كبار أبناء الصحابة، منهم محمد بن أبى بكر الصديق، ومحمد بن أبى حذيفة، هذا فضلاً عن نفر آخر من رجالات مصر الذين كانوا يعتقدون أن الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه أحق بالخلافة بعد وفاة الرسول ﷺ، وساعد على نجاح هذه الدعوة انشغال والى مصر عبد الله بن سعد بن أبى سرح بالفتوح الإسلامية، التى امتدت من مصر إلى كل من النوبة وإفريقية[1].

أرسل الخليفة عثمان رضى الله عنه عمار بن ياسر إلى مصر لاستطلاع الأمر فيها، غير أنه تأثر بدعوة ابن سبأ، وعقد الخليفة مؤتمراً بالمدينة، واستخلف عبد الله بن سعد على البلاد عقبة بن عامر الجهنى، وكان للخليفة وللأمويين شيعة فى مصر، منهم معاوية بن حديج، وخارجة بن حذافة ومسلمة بن مخلد، وبسر بن أبى أرطأة، وأرسل الخليفة إلى مصر سعد بن أبى وقاص، غير أن ابن أبى حذيفة تصدى له فعاد إلى الحجاز، كما تصدى لعبد الله بن سعد والى البلاد عند عودته من الحجاز فاضطر إلى الذهاب إلى عسقلان، وكان أن ظهرت شخصية معاوية بن أبى سفيان والى الشام الذى طلب من الخليفة عثمان التوجه معه إلى

الشام لحمايته، غير أن الخليفة أبى، وكان تلويح معاوية للخليفة بالانتقال إلى الشام، وبأهمية اعتماد البيت الأموى على هذا الإقليم يمثل مفهومًا جديدًا فى التطور السياسى الذى شهدته الدولة الإسلامية إذ ذاك(٢).

وفد الثوار فى عام ٣٥هـ/ ٦٥٥م من مصر وغيرها من الأمصار الإسلامية إلى المدينة المنورة وطلبوا من الخليفة أن يعزل نفسه، فأجابهم بقوله «لا أخلع قميصًا ألبسنيه الله»، ولم يلبث أن تطور الأمر إلى اقتحام الثوار لمنزل الخليفة وقتله وهو يقرأ القرآن، وغدت مصر بعد مقتل الخليفة مركزًا من مراكز القوى الكبرى التى تطلعت إلى اجتذابه الأطراف المتصارعة على عرش الخلافة، وحمل لواء البيت الأموى والى الشام معاوية بن أبى سفيان، وبايع الثوار الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه، وتولى معاوية المطالبة بدم الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه باعتباره من أبناء البيت الأموى، ورفض الامتثال للخليفة الجديد على بن أبى طالب رضى الله عنه الذى قام بعزل ولاة عثمان جميعا ومن بينهم معاوية نفسه والى الشام(٣).

بادرت شيعة البيت الأموى فى مصر إلى التصدى للثوار عقب عودتهم إلى مصر بزعامة معاوية بن حديج، وتجمع الأمويون فى الصعيد بعيدًا عن بطش واليها ابن أبى حذيفة، وانتصر الأمويون عند البهنسا، وسار معاوية بن حديج إلى الإسكندرية على رأس قواته وانتصر على والى مصر أيضًا عند خربتا فى عام ٣٦هـ/ ٦٥٦م، واستغل معاوية بن أبى سفيان بقاء الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه بالعراق عقب أحداث وقعة الجمل التى جرت بينه وبين طلحة والزبير والسيدة عائشة وخرج على رأس قواته إلى مصر لضمها إليه، أملا فى الإفادة من موقعها الاستراتيجى ومقوماتها الهائلة، وتصدى له ابن أبى حذيفة، ثم دارت بينهما مفاوضات انتهت بموافقة ابن أبى حذيفة على قبول عرض معاوية بتقديم نفر من الرهائن من قوات مصر حسما للقتال، وخرج هو نفسه على رأس الرهائن، ثم قتلهم معاوية عند عودته الشام انتقاما لما حل بالخليفة عثمان رضى الله عنه(٤).

مصر ولاية أموية

أرسل الخليفة على بن أبى طالب رضى الله عنه واليًا جديدًا على مصر هو قيس بن سعد بن عبادة فى عام ٣٧هـ/ ٦٥٧م الذى أحسن إلى الأمويين فى مصر فلجأ معاوية إلى المكيدة مرة أخرى، حيث أفسد ما بين هذا الوالى، والخليفة على رضى الله عنه فعزله الخليفة وولى مصر الاشتر مالك بن الحارث النخعى، غير أنه شرب عسلاً مسمومًا فمات لتوه عند القلزم، ثم أرسل واليا آخر هو محمد بن أبى بكر، وكانت أحوال معاوية بالشام تساعده إذ ذاك على تلبية مطالب شيعة البيت الأموى بمصر التى تتمثل فى الاستيلاء على مصر، إذ كان قد فرغ من وقعة صفين بينه وبين الخليفة على بقيام التحكيم، وتم ذلك فى عام ٣٨هـ/ ٦٥٨م عندما انتصر عمرو بن العاص وجيشه على محمد بن أبى بكر وجيشه عند المسناة بين عين شمس وأم دنين، وغدت مصر من ذلك الوقت قوة تشد من أزر البيت الأموى، وتساند قضاياه، وقد انتهت إجراءات التحكيم بخلع الإمام على رضى الله عنه من قبل أبى موسى الأشعرى وتثبيت معاوية فى الخلافة من قبل عمرو بن العاص وصار معاوية يستند إلى الشام ومصر، ثم لم يلبث أن قتل الإمام على فى عام ٤٠هـ/ ٦٦٠م وتم إعلان معاوية خليفة بعد أن تنازل له الحسن بن على عن حقه فى الخلافة وذلك فى عام ٤١هـ/ ٦٦١م، وصار هذا العام يعرف بعام الجماعة، وبدأت بذلك مرحلة هامة من مراحل التاريخ السياسى لمصر الإسلامية(٥).

ولاية عمرو بن العاص الثانية ٣٨-٤٣هـ/٦٥٨-٦٦٣م

أولى الأمويون منذ عام ٣٨هـ/ ٦٥٨م حتى عام ١٣٢هـ/ ٧٤٩م مصر عناية فائقة بعد أن تبين لهم أهميتها فى أثناء صراعهم مع الخليفة على بن أبى طالب رضى الله عنه، وفرضت أهمية مصر على الأمويين اختيار أمرائها من طبقتين مميزتين، الأولى من أصحاب الولاء التام للأمويين مع القدرة الفائقة على التصرف السياسى والتنظيم، والثانية من أبناء البيت الأموى، ومن أصحاب القربى المباشرة للخلفاء أنفسهم، فكان من أمراء مصر زمن الفرع السفيانى عمرو بن العاص الذى حكم مصر على أسس النظام الإدارى اللامركزى حكمًا مطلقًا.منذ سنة ٤٠هـ/ ٦٦٠م، وازدهرت مصر ازدهارًا عظيمًا خلال فترة حكمه، وظل عمرو بن العاص يحكم مصر حتى توفى فى عام ٤٣هـ/ ٦٦٣م، قال الكندى «ثم وليها عمرو بن العاص ولايته الثانية من قبل معاوية استقبل بولايته شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين وجعل إليه الصلاة والخراج جميعًا وكانت مصر جعلت له طعمة بعد عطاء جندها والنفقة على مصلحتها»[٦]، وقد ولى عليها حوالى ستة وعشرين واليًا فى فترة امتدت أربعة وتسعين عامًا[٧].

مدينة الفسطاط فى العصر الأموى:

يذكر د. محمود الحسينى أن عمران الفسطاط فى العصر الأموى تمثل فى ظاهرتين أساسيتين: الأولى تتمثل فى امتداد عمرانى للمدينة فى الجهة الغربية، وذلك نتيجة انحسار شاطئ النيل الشرقى وما تخلف عنه من طرح للنيل عام ٦٩هـ/ ٦٨٨م وأضاف إلى المدينة مساحة عمرانية جديدة أقيمت فيها العديد من المبانى والمنشآت، وتتمثل الثانية فى قدوم العديد من القبائل والبطون العربية إلى

الفسطاط مصاحبة للأسرة الأموية، بالإضافة إلى عملية النمو المستمرة للقبائل القائمة بالفعل بالفسطاط منذ الفتح العربى، وكان من الطبيعى أن تؤدى هذه الظاهرة إلى ازدياد فى عمران المدينة، واتساع فى نطاق الخطط وازدحامها بالعمائر والمرافق[8].

ويضيف د. محمود الحسينى أن حدود الفسطاط وقت الفتح العربى امتدت إلى أقصى اتساع لها، فقد امتدت من بركة الحبش جنوبًا إلى ميدان السيدة زينت وجبل يشكر شمالاً، ومن النيل غربًا إلى جبل المقطم شرقًا، وقد ظلت الفسطاط طوال العصر الأموى تقف فى امتدادها من الجهة الجنوبية حتى بركة الحبش وما حولها من أرض زراعية، ولم يكن هناك مجال للامتداد فى الجهة الشرقية، إذ كان يحول جبل المقطم دون هذا الامتداد، فقام المسلمون ببناء مقابر موتاهم فى سفح هذا الجبل، أما من الجهة الشمالية فقد روعى عند تأسيس الفسطاط أن يكون أحد أطرافها يسمح بالنمو والزيادة فكان هذا الجانب والطرف الشمالى الشرقى، ففيه شيدت العسكر والقطائع فى العصر العباسى ثم القاهرة فى العصر الفاطمى، وقد امتد العمران فى هذه الجهة منذ تخطيط الفسطاط حتى بلغ جبل يشكر طوال العصر الأموى وما بعده حتى العصر الفاطمى، أما الجهة الغربية فقد ظل النيل بدوره يشكل حاجزًا طبيعياً منع امتداد المدينة نحو الغرب، ولكن ذلك لم يستمر طويلاً فقد حدثت عدة طروحات للنيل نتيجة انحسار شاطئه الشرقى، أضافت بالتالى بقع عمرانية جديدة للمدينة فى هذه الجهة ومنها فى العصر الأموى طرح النيل فى عام ٦٩هـ/ ٦٨٨م[9].

مقبرة المقطم

قال ابن عبد الحكم «.. توفى عمرو بن العاص فى سنة ثلث وأربعين.. وفيها أمر عتبة بن أبى سفين على أهل مصر»[10].

ويحدثنا ابن عبد الحكم عن مقبرة المقطم بقوله «حدثنى سعيد بن عفير قال

ودفن بالمقطم من ناحية الفج وكان طريق الناس يومئذ إلى الحجاز فأحب أن يدعو له من مر به. .»[11].

كما أورد فيما يتعلق بمن دفن في مقبرة المقطم «. . قبر في مقبرة المقطم ممن عرف من أصحاب رسول الله ﷺ خمسة نفر عمرو بن العاص السهمى وعبد الله بن الحرث بن جزء الزبيدى وعبد الله بن حذافة السهمى وأبو بصرة الغفارى وعقبة بن عامر الجهنى»[12].

والواقع أن جبانة مصر قد انفردت بإطلاق لفظة القرافة عليها نسبة إلى بنى قرافة وهم بطن من بطون قبيلة المعافر اليمنية التى شهدت فتح مصر، وقد نزلوا بهذه الخطة بالفسطاط، وأصبحت هذه التسمية علما على الجبانات فى مصر دون غيرها من البلاد الإسلامية، وقد استخدم سفح جبل المقطم وامتداده قرافة للمسلمين فى مصر منذ الفتح الإسلامى لمصر حتى وقتنا الحاضر، وساعد على ذلك عدة عوامل دينية وجغرافية جعلت من هذا السفح مكانًا مناسبًا وملائمًا وصالحًا لاتخاذه كقرافة للمسلمين فى مصر[13].

ولاية عتبة بن أبى سفيان ٤٣-٤٤هـ/٦٦٣-٦٦٤م

هو عتبة بن أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب قال الكندى «ثم وليها عتبة بن أبى سفيان من قبل أخيه معاوية على صلاتها فقدمها فى ذى القعدة سنة ثلاث وأربعين وجعل على شرطته زكريا بن جهم»[١٤].

تشييد دار الإمارة بالإسكندرية

أمدنا الكندي بنص مهم نتبين منه تشييد دار الإمارة بمدينة الإسكندرية من قبل والى مصر عتبة بن أبى سفيان. حيث قال «وعقد عتبة لعلقمة بن يزيد الغطيفى على الإسكندرية فى اثنى عشر ألفًا من أهل الديوان.. فكتب علقمة يشكى قلة من معه من الجند.. فخرج عتبة إلى الإسكندرية مرابطًا فى ذى الحجة سنة أربع وأربعين فابتنى دار الإمارة التى فى الحصن القديم وتوفى بها ودفن بمنية الزجاج واستخلف على مضر عقبة بن عامر الجهنى فكانت ولايته عليها سنة وشهرًا»[١٥].

ومنية الزجاج ذكرها ياقوت الحموى فى معجمه فقال «منية الزجاج: بالإسكندرية بها قبر عتبة بن أبى سفيان بن حرب، مات بالإسكندرية واليًا على مصر سنة ٧٤ ودفن بهذه المدينة»[١٦].

والواقع أنه على الرغم من أن نص ياقوت الحموى يتطابق ونص المؤرخ الكندى فيما يتعلق بخروج الوالى عتبة بن أبى سفيان إلى الإسكندرية ووفاته بها فى أثناء ولايته على مصر إلا أنه يوجد اختلاف فى تاريخ الوفاة بين النصين،

حيث أورد الكندى «ثم وليها عتبة.. فقدمها فى ذى القعدة سنة ثلاث وأربعين.. فخرج عتبة إلى الإسكندرية مرابطًا فى ذى الحجة سنة أربع وأربعين.. وتوفى بها.. فكانت ولايته عليها سنة وشهرًا»(١٧).

ويتطابق ما أورده ابن تغرى بردى وما ذكره الكندى، حيث قال «وكانت ولاية عتبة على مصر سنة واحدة وشهرا واحدًا»(١٨)، لذا فإن التاريخ الذى ورد فى روايتى الكندى وابن تغرى بردى هو التاريخ الأصح، أما التاريخ الذى ورد فى نص ياقوت الحموى فهو غير صحيح.

ولاية عقبة بن عامر ٤٤-٤٧هـ/٦٦٤-٦٦٧م

هو عقبة بن عامر بن عبس بن غنم بن عدى بن عمرو بن رفاعة بن مودوعة بن عدى بن غنم بن الربعة بن رشدان بن قيس بن جهينة يكنى أبا عبس وأبا حفاف قال الكندى «ثم وليها عقبة بن عامر من قبل معاوية وجمع له صلاتها وخراجها»[١٩].

وقد ذكره ابن تغرى بردى فقال «وليها من قبل معاوية بن أبى سفيان بعد موت أخيه عتبة بن أبى سفيان فى سنة أربع وأربعين»[٢٠].

كما أورد «وهو أول من نشر الرايات على السفن»[٢١].

ولاية مسلمة بن مخلد الأنصارى ٤٧-٦٢هـ/٦٦٧-٦٨١م

هو مسلمة بن مخلد بن صامت بن نيار بن لوذان بن عبدود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج بن حارثة، قال الكندى «ثم وليها مسلمة بن مخلد الأنصارى من قبل معاوية وجمع له الصلاة والخراج والمغرب»[٢٢].

زيادة مسلمة فى جامع عمرو بن العاص ٥٣هـ/٦٧٢م (شكل ٧١، ٧٢)

أمدنا ابن عبد الحكم بمعلومات هامة عند زيادة مسلمة فى الجامع بقوله «ثم إن مسلمة بن مخلد الأنصارى زاد فى المسجد الجامع بعد بنيان عمرو له ومسلمة الذى كان أخذ أهل مصر بنيان المنار للمساجد كان أخذه إياهم بذلك فى سنة ثلث وخمسين فبنيت المنار وكتب عليها اسمه حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير قال أخذ مسلمة بن مخلد الناس ببناء منار المساجد ووضع ذلك عن خولان لأنه كان صاهر إليهم وأسقط ذلك عنهم»[٢٣].

ويحدثنا الكندى عن عمارة والى مصر مسلمة بن مخلد الأنصارى لجامع عمرو بن العاص بقوله «وأمر مسلمة بالزيادة فى المسجد الجامع فهدم ما كان عمرو بناه فى سنة ثلاث وخمسين وفيها أمر مسلمة بابتناء منار المساجد كلها ودفع ذلك عن خولان وتجيب وأمر المؤذنين أن يكون اذانهم فى الليل فى وقت واحد فكان مؤذنوا المسجد الجامع يؤذنون للفجر فإذا فرغوا من أذانهم أذن كل مؤذن فى الفسطاط فى وقت واحد فكان الأمر على ذلك إلى دخول المسودة»[٢٤].

ويحدثنا ابن دقماق فى الانتصار عن هذه الزيادة بقوله «وكانت زيادته فى هذا

المسجد فى سنة ثلاث وخمسين وهو يومئذ أمير مصر فزاد فيه من بحريه وجعل له رحبة فى البحرى وبيضه وزخرفة ولم يغير البناء القديم ولا أحدث فى قبليه ولا غربية شيئًا وذكر أنه زاد فيه من شرقيه حتى ضاق الطريق بينه وبين دار عمرو بن العاص وفرشه بالحصر وكان مفروشا بالحصا وقال فى كتاب الجند الغربى أن مسلمه نقض ما كان عمرو بن العاص بناه وزاد فيه من شرقية وجعل له صوامع أربعا فى أركانه الأربعة وأمر ببناء المنار فى جميع المساجد خلا مسجد تجيب وخولان فإن زوجته الخولانية شفعت فى قومها وذكرت تجيب تقارب مساجدها فأعفاها وأمر مسلمة بكتب اسمه على المنار وأمر مؤذنى الجامع أن يؤذنوا الفجر إذا مضى نصف الليل فإذا فرغوا من أذانهم أذن كل مؤذن فى الفسطاط فى وقت واحد فكان لاذانهم دوى شديد وأمر مسلمة أن لا يضرب بناقوس عند أذان الفجر»[٢٥].

ويحدثنا المقريزى فى خططه عن طبيعة هذه الزيادة بقوله «وأول من زاد فى هذا الجامع مسلمة بن مخلد الأنصارى سنة ثلاث وخمسين.. من قبل معاوية.. فزاد فيه من شرقية مما يلى دار عمرو بن العاص وزاد فيه من بحرية ولم يحدث فيه حدثًا من القبلى ولا من الغربى.. وجعل له رحبة فى البحرى منه كان الناس يصيفون فيها ولاطة بالنورة وزخرف جدرانه وسقوفه ولم يكن المسجد الذى لعمرو جعل فيه نورة ولا زخرف وأمر بابتناء منار المسجد الذى فى الفسطاط.. وجعل مسلمة للمسجد الجامع أربع صوامع فى أركانه الأربع وهو أول من جعلها فيه ولم تكن قبل ذلك وهو أول من جعل فيه الحصر وإنما كان قبل ذلك مفروشًا بالحصباء.. وكان السلم الذى يصعد منه المؤذنون فى الطريق حتى كان خالد بن سعيد فحوله داخل المسجد»[٢٦].

جامع عمرو بن العاص منذ التأسيس حتى نهاية العصر الأموى

فيما يتعلق بالناحية المعمارية لجامع عمرو بن العاص منذ تشييده فى عام ٢١هـ/ ٦٤٢م فإنه يمكن القول إنه يعد أول مسجد جامع يشيد فى مصر

الإسلامية، بل وفى إفريقية قاطبة، ذكره المؤرخ ابن دقماق فقال «إمام المساجد ومقدم المعابد، قطب سماء الجوامع، ومطلع الأنوار اللوامع، موطن أولياء الله وحزبه، طوبى لمن حافظ على الصلوات فيه، وواظب على القيام بنواحيه، وتقرب منه إلى صدر المحراب وخر إليه راكعًا وأناب ومال إليه كل الميل وجنح إلى حضرته فى جنح الليل وصرف همته لاجتناء ثمرة خيره وأدرك فضيلة جماعته التى لا تحصل أبدًا فى غيره»(٢٧).

كما ذكره المقريزى فى خططه فقال «هذا الجامع بمدينة فسطاط مصر ويقال له تاج الجوامع وجامع عمرو بن العاص وهو أول مسجد أسس بديار مصر فى الملة الإسلامية بعد الفتح»(٢٨).

جاءت عمارة المسجد فى بدايتها بسيطة للغاية شأنها فى ذلك شأن المسجد النبوى ومساجد صنعاء وذمار والجند فى اليمن والبصرة والكوفة فى العراق فى مرحلتها الأولى خلال عصر الرسول ﷺ، وقد جاء من مساحة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب بمقدار حوالى ٢٥م، ومن الشمال إلى الجنوب بمقدار حوالى ١٥م على هيئة ظلة تقوم فيها أعمدة من جذوع النخل تحمل بدورها سقفًا منخفضًا من سعف النخيل والطين، ولم يكن للمسجد صحن متسع، وكان يشتمل على ستة مداخل وزعت على النحو التالى، اثنان فى الجانب الشمالى، اثنان فى الجانب الغربى، اثنان فى الجانب الشرقى يقابلان دار عمرو بن العاص، وكانت خطط الفسطاط تحيط به من جهاته الثلاث الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية، أما الجهة الرابعة وهى الشمالية الغربية فكانت قريبة من النيل ذلك الوقت، قال المقريزى «وقال أبو سعيد. . أدركت مسجد عمرو بن العاص طوله خمسون ذراعًا فى عرض ثلاثين ذراعًا وجعل الطريق يطيف به من كل جهة وجعل له بابان يقابلان دار عمرو بن العاص وجعل له بابان فى بحرية وبابان فى غربية. .»(٢٩).

وفى عام ٥٣هـ/ ٦٧٢م قام والى مصر مسلمة بن مخلد الأنصارى من قبل

الخليفة معاوية بن أبى سفيان بهدم المسجد وأعاد بنائه من الناحيتين المعمارية والزخرفية فأصبح بعد عمارته يتكون من صحن مكشوف وظلة للقبلة، وشيد به أربع مآذن فى أركانه بواقع مئذنة فى كل ركن، ونقش عليها اسمه، ثم أمر باتخاذ المنار فى مساجد الفسطاط فيما عدا مسجد تجيب وخولان، وفرشه بالحصر، وكان مفروشا قبل العمارة بالحصباء، وهو الأمر الذى يتضح جليًا فيما تقدم من نصوص تاريخية، فقد شهد المسجد تطوراً فى عمارته وتأنقًا فى زخارفه بعد أن كان بسيطًا من الناحية المعمارية، وخاليًا من الزخارف قبل عمارة مسلمة بن مخلد.

وفى عام ٧٩هـ/ ٦٩٨م قام بعمارته والى مصر عبد العزيز بن مروان من قبل الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان قال ابن عبد الحكم عند ذكره الزيادة فى المسجد الجامع «ثم هدم عبد العزيز بن مروان المسجد فى سنة سبع وسبعين وبناه»[٣٠]، وقال الكندى «وأمر عبد العزيز بالزيادة فى المسجد الجامع بمصر فهدمه كله وزاد فيه من جوانبه كلها وذلك فى سنة سبع وسبعين»[٣١].

وذكر هذه الزيادة ابن دقماق فقال «فهدمه فى سنة تسع وسبعين وهو يومئذ أمير مصر من قبل عبد الملك أخيه فزاد فيه من ناحية الغرب وأدخل فيه الرحبة التى كانت فى بحرية ولم يجد فى شرقيه موضعا يوسعه به وذكر أبو عمرو الكندى فى كتاب الأمراء أنه زاد فيه من جوانبه كلها»[٣٢].

أما المقريزى فقد أورد هذه الزيادة بما نصه «قال القاضى القضاعى ثم أن عبد العزيز بن مروان هدمه فى سنة تسع وسبعين من الهجرة وهو يومئذ أمير مصر من قبل أخيه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان وزاد فيه من ناحية الغرب وأدخل فيه الرحبة التى كانت فى بحريه ولم يجد فى شرقية موضعًا يوسعه به وذكر أبو عمر الكندى فى كتاب الأمراء أنه زاد فيه من جوانبه كلها»[٣٣].

وفى عام ٨٩هـ/ ٧٠٧م قام والى مصر عبد الله بن عبد الملك برفع سقف المسجد ولم يشر[٣٤] ابن عبد الحكم فى اثناء تناوله الزيادة فى المسجد الجامع إلى

هذه الزيادة، حيث انتقل من زيادة عبد العزيز بن مروان التى تقدم ذكرها إلى زيادة الوالى قرة بن شريك، قال الكندى «وأمر عبد الله بسقف المسجد الجامع أن يرفع سمكه وكان سقفه مطاطئًا وذلك فى سنة تسع وثمانين»[٣٥].

أما ابن دقماق فقد ذكر عن هذه الزيادة ما نصه «ذكر فى كتاب الجند الغربى وذكر أيضًا فى كتاب الأمراء أن عبد الله بن عبد الملك فى ولايته على مصر أمر برفع المسجد الجامع وكان متطاطيا وذلك فى سنة تسع وثمانين»[٣٦].

وقد أورد المقريزى فيما يتعلق بهذه الزيادة «وذكر أن عبد الله بن عبد الملك بن مروان فى ولايته على مصر من قبل أخيه الوليد أمر برفع سقف المسجد الجامع وكان مطاطاً وذلك فى سنة تسع وثمانين»[٣٧].

وفى عام ٩٣هـ/ ٧١٠م قام الوالى قرة بن شريك بهدم المسجد، وأعاد بنائه بأمر الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك، وذكر ابن عبد الحكم هذه الزيادة بقوله «ثم كتب الوليد بن عبد الملك فى خلافته إلى قرة بن شريك العبسى وهو يومئذ واليه على أهل مصر وكانت ولاية قرة بن شريك مصر فى سنة تسعين قدمها يوم الاثنين لثلث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول. فهدمه كله وبناه هذا البناء وزوقه وذهب رؤوس العمد التى فى مجالس قيس وليس فى المسجد عمود مذهب الرأس إلا فى مجالس قيس وحول قرة المنبر حين هدم المسجد إلى قيسارية العسل فكان الناس يصلون فيها الصلوات ويجمعون فيها الجمع حتى فرغ من بنيانه والقبلة فى القيسارية إلى اليوم»[٣٨].

قال الكندى «وورد كتاب الوليد بالزيادة فى المسجد الجامع فابتدأ فى هدم ما كان عبد العزيز بناه سنة اثنتين وتسعين ووفد قرة إلى أمير المؤمنين الوليد بوفد أهل مصر واستخلف عليها عبد الملك بن رفاعة الفهمى وابتدأ فى بنيان المسجد فى شعبان سنة اثنتين وتسعين وجعل على بنائه يحيى بن حنظلة من بنى عامر بن لؤى وكانوا يجمعون الجمعة فى قيسارية العسل حتى فرغ من بنيانه وقدم قرة من وفادته فى سنة ثلاث وتسعين فاستنبط الاصطبل لنفسه من الموات وأحياه وغرسه

قصبًا فكان يسمى اصطبل قرة ويسمى أيضًا اصطبل القاسى يعنون القصب كما يقولون قاس مروان ونصب المنبر الجديد فى الجامع فى سنة أربع وتسعين فيقال أنه لا يعلم اليوم فى جند من الأجناد أقدم منه بعد منبر رسول الله ﷺ»[39].

وقال ابن دقماق «فهدم المسجد فى مستهل سنة اثنين وتسعين بأمر الوليد بن عبد الملك وابتدأ فى بنيانه فى شعبان من السنة المذكورة وجعل على بنائه يحيى بن حنظلة مولى بنى عامر بن لؤى فكانوا يجمعون الجمعة فى قيسارية العسل حتى فرغ من بنائه وذلك فى شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين ونصب المنبر الجديد فى سنة أربع وتسعين ونزع المنبر الذى كان فى المسجد وذكر أن عمرو بن العاص كان جعله فيه فلعله بعد وفاة عمر بن الخطاب وقيل هو منبر عبد العزيز بن مروان.. وزيادة قرة هذا من القبلى والشرقى وأخذ بعض دار عمرو وابنه عبد الله بن عمرو فأدخله فى المسجد وأخذ منهما الطريق الذى بين المسجد وبينهما وعوض ولد عمرو وما هو فى أيديهم اليوم من الرباع.. وأمر قرة بعمل المحراب المجوف.. وهو المحراب المعروف بعمرو لأنه فى سمت محراب المسجد القديم الذى بناه عمرو وكانت قبلة المسجد القديم عند العمد المذهبة.. وهى أربعة عمد اثنان فى مقابلة اثنين وكان قرة أذهب رؤسها وكانت مجالس قيس ولم يكن فى المسجد عمد غيرها وكانت قديمًا حلقة أهل المدينة ثم زوق أكثر العمد وطوق فى أيام الأخشيد.. ولم يكن للجامع أيام قرة بن شريك غير هذا المحراب على ما ذكره الكندى أما المحراب الأسط اليوم فيعرف بمحراب عمر بن مروان عم الخلفاء وهو أخو عبد الملك وعبد العزيز ولعله أحدثه فى الجدار بعد قرة وقد ذكر قوم أن قرة عمل هذين المحرابين وصار للجامع أربعة أبواب وهى الأبواب الموجودة الآن فى شرقية آخرها باب إسرائيل وهو باب النحاسين وفى غربيه أربعة أبواب شارعة فى زقاق كان يعرف بزقاق البلاط وفى بحرية ثلاثة أبواب وبيت المال الذى فى علو الفوارة من بناء قرة.. وقيل إن بيت المال بالجامع بناه أسامة بن زيد التنوخى فى سنة تسع وتسعين وهو متولى الخراج بمصر من قبل سليمان

بن عبد الملك وأمير مصر يومئذ عبد الملك بن رواحة الفهمى وكان مال المسلمين فيه»[٤٠].

وفى زيادة قرة بن شريك أورد المقريزى «ثم أن قرة بن شريك العبسى هدمه مستهل سنة اثنتين وتسعين بأمر الوليد بن عبد الملك وهو يومئذ أمير مصر من قبله وابتدأ فى بنيانه فى شعبان من السنة المذكورة وجعل على بنائه يحيى بن حنظلة مولى بنى عامر بن لؤى وكانوا يجمعون الجمعة فى قيسارية العسل حتى فرغ من بنائه وذلك فى شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين ونصب المنبر الجديد فى سنة أربع وتسعين.. ولم يكن يخطب فى القرى إلا على العصا إلى أن ولى عبد الملك بن موسى بن نصير اللخمى مصر من قبل مروان بن محمد فأمر باتخاذ المنابر فى القرى وذلك فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة.. وزيادة قرة من القبلى والشرقى وأخذ بعض دار عمرو وابنه عبد الله بن عمرو فأدخله فى المسجد وأخذ منهما الطريق الذى بين المسجد وبينهما.. وأمر قرة بعمل المحراب المجوف.. وصار للجامع أربعة أبواب.. وبيت المال الذى فى علو الفوارة بالجامع بناه أسامة بن زيد التنوخى متولى الخراج بمصر سنة سبع وتسعين»[٤١].

مما تقدم يتضح أن الوالى قرة بن شريك أحدث محرابًا مجوفًا بالمسجد، ووضع به منبراً خشبيًا فى عام ٩٤هـ/ ٧١٢م، كما أحدث به المقصورة، وصار للمسجد أحد عشر مدخلاً وزعت أربعة فى الجدار الشرقى، ومثلها فى الجدار الغربى، وثلاثة فى الجدار الشمالى، ويذكر د. أحمد فكرى أن المسجد من المرجح أنه تكامل فى تخطيطه النهائى من صحن أوسط مكشوف وأربع ظلات تحيط به من جهاته الأربع فى عهد الوالى قرة بن شريك[٤٢].

وقال ابن دقماق فيما يتعلق بالمقاصير التى بالجامع ما نصه «أول ما عملت المقاصير بالجامع بمصر فى زمن معاوية رضى الله عنه فى سنة أربع وأربعين ولعل قرة بن شريك لما بنى الجامع بمصر عمل المقصورة»[٤٣].

هذا ولم يشر ابن عبد الحكم[٤٤] فى فتوح مصر إلى بيت المال الذى يعلو

الفوارة، كما لم يشر إليها الكندى[٤٥] فى تاريخ عام ٩٧هـ/ ٧١٥م الذى يقع فى ولاية عبد الملك بن رفاعة بن خالد وهو التاريخ الذى شيدت فيه قبة بيت المال التى ماتزال تتوسط صحن المسجد حتى اليوم، وذكر ابن دقماق روايتين كما تقدم إحداهما تنسب بيت المال إلى قرة بن شريك والى مصر والأخرى تنسبها إلى أسامة بن زيد التنوخى فى عام ٩٩هـ/ ٧١٧م، أما المقريزى فبالرغم من أنه نقل جزءا كبيراً من نص ابن دقماق، إلا أنه نسب بيت المال الذى فى علو الفوارة إلى أسامة بن زيد التنوخى متولى الخراج بمصر فى سنة ٩٧هـ/ ٧١٥م كما تقدم، لذا فإن بيت المال الذى يعلو الفوارة، وهو عبارة عن قبة أعدت لإيداع أموال اليتامى من بناء أسامة بن زيد التنوخى فى ولاية عبد الملك بن رفاعة وخلافة سليمان بن عبد الملك.

هذا فيما يتعلق بجامع عمرو بن العاص فى العصرين الراشدى والأموى من الناحية المعمارية، أما فيما يتعلق بالجامع من الجوانب الأخرى كالزخارف والأذان والمؤذن والمآذن فإنه يمكن القول فيما يتعلق بالزخارف إن جامع عمرو بن العاص كما يذكر المؤرخون كان قبل عمارة مسلمة بن مخلد الأنصارى فى عام ٥٣هـ/ ٦٧٢م أى فى العصر الراشدى غير مزخرف على الإطلاق، كما كان بسيطًا من حيث التخطيط والعمارة كما تقدم، وأن أول من زخرفه هو مسلمة بن مخلد الأنصارى، فقد تأنق فى زخرفته مسلمة، وهو الأمر الذى يتضح جليًا فيما تقدم من نصوص، حيث ذكر ابن عبد الحكم أن مسلمة كتب اسمه على المنار بالمسجد»، كما أورد ابن دقماق «وبيضه وزخرفة. . وأمر مسلمة بكتب اسمه على المنار» وقال المقريزى «ولاطه بالنورة وزخرف جدرانه وسقوفه ولم يكن المسجد الذى لعمرو جعل فيه نورة ولازخرف»، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه أن التأنق الزخرفى للمسجد صاحب التطور المعمارى فى التخطيط والعمارة الذى شهده المسجد فى هذه الزيادة.

أما فيما يتعلق بالأذان وأول من عرف على المؤذنين بمصر فيمكن القول إن المؤذن أبو مسلم سالم بن عامر بن عبد المرادى يعد أول من عرف على المؤذنين

بمصر، قال المقريزى «قال أبو عمر الكندى فى ذكر من عرف على المؤذنين بجامع عمرو بن العاص بفسطاط مصر كان أول من عرف على المؤذنين أبو مسلم سالم بن عامر بن عبد المرادى وهو من أصحاب رسول الله ﷺ وقد أذن لعمر بن الخطاب سار إلى مصر مع عمرو بن العاص يؤذن له حتى افتتحت مصر فأقام على الأذان وضم إليه عمرو بن العاص تسعة رجال يؤذنون هو عاشرهم وكان الأذان فى ولده حتى انقرضوا»[٤٦].

أول من رقى منارة فى مصر للأذان:

يعد المؤذن شرحبيل بن عامر أول من رقى منارة فى مصر للأذان، قال المقريزى «ثم عرف عليهم أخوه شرحبيل بن عامر وكانت له صحبة وفى عرافته زاد مسلمة بن مخلد فى المسجد الجامع وجعل له المنار ولم يكن قبل ذلك وكان شرحبيل أول من رقى منارة مصر للأذان وأن مسلمة بن مخلد اعتكف فى منارة الجامع فسمع أصوات النواقيس عالية بالفسطاط فدعا شرحبيل بن عامر فأخبره بما ساءه من ذلك فقال شرحبيل فإنى أمدد بالأذان من نصف الليل إلى قرب الفجر فانههم أيها الأمير أن ينقسوا إذا أذنت فنهاهم مسلمة عن ضرب النواقيس وقت الأذان ومدد شرحبيل ومطط أكثر الليل إلى أن مات شرحبيل سنة خمس وستين»[٤٧].

وفى موضع آخر أورد «فلما كثرت مساجد الخطبة أمر مسلمة بن مخلد الأنصارى فى إمارته على مصر ببناء المنار فى جميع المساجد خلا مساجد تجيب وخولان فكانوا يؤذنون فى الجامع أولاً فإذا فرغوا أذن كل مؤذن فى الفسطاط فى وقت واحد فكان لأذانهم دوى شديد»[٤٨].

أول من رزق المؤذنين

أمدنا المقريزى عند ذكره الأذان بمصر وما كان فيه من الاختلاف أن الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه يعد أول من رزق المؤذنين بما نصه «وذكر عن عثمان رضى الله عنه أنه أول من رزق المؤذنين»[٤٩].

أول نقش على المآذن (المنار- الصوامع)

أمدنا ابن عبد الحكم بنص فى غاية الأهمية نتبين منه أن مسلمة بن مخلد الأنصارى يعد أول من نقش اسمه على المآذن (المنار ـ الصوامع) التى شيدها بجامع عمرو بن العاص بالفسطاط عند زيادته فيه، حيث قال كما تقدم «فبنيت المنار وكتب عليها اسمه»، وقال ابن دقماق «وأمر مسلمة بكتب اسمه على المنار»، وقال المقريزى «وجعل مسلمة للمسجد الجامع أربع صوامع فى أركانه الأربع وهو أول من جعلها فيه ولم تكن قبل ذلك».

ولاية سعيد بن يزيد ٦٢-٦٤هـ/٦٨١-٦٨٣م

هو سعيد بن يزيد بن علقمة بن يزيد بن عوف الأزدى ثم الفهرى، قال الكندى «وتوفى مسلمة بن مخلد وهو والى عليها لخمس بقين من رجب سنة اثنتين وستين كانت ولايته عليها خمس عشرة سنة وأربعة أشهر واستخلف عابس بن سعيد عليها ثم وليها سعيد بن يزيد الأزدى على صلاتها فقدمها لمستهل شهر رمضان سنة اثنتين وستين فأقر عابسًا على الشرط»[٥٠].

ولاية عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم ٦٤-٦٥هـ/٦٨٣-٦٨٤م
«أول خندق حول الفسطاط» ٦٥هـ/٦٨٢م

هو عبد الرحمن بن عتبة بن إياس بن الحارث بن عبد أسد بن جحدم بن عمرو بن عائش بن حرب بن الحارث بن فهر، قال الكندى «ثم وليها عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم من قبل عبد الله بن الزبير دخلها فى شعبان سنة أربع وستين فأقر عابس بن سعيد على الشرط والقضاء»(٥١).

هذا وقد وردت أقدم إشارة لتحصين الفسطاط عندما أحيطت بخندق فى غرة المحرم عام ٦٥هـ/ ٦٨٤م، حفره عبد الرحمن بن جحدم عامل ابن الزبير، أيام الصراع بين ابن الزبير فى مكة والأمويين فى الشام، قال ابن تغرى بردى عند ذكره ولاية سعيد بن يزيد «ولم يزل أهل مصر على الشنآن له والأعراض عنه والتكبر عليه حتى توفى يزيد بن معاوية ودعا عبد الله بن الزبير الناس لبيعته وقامت أهل مصر بدعوته وسار منهم جماعة كثيرة إليه، فبعث عبد الله بن الزبير عبد الرحمن بن جحدم أميراً على مصر، واعتزل سعيد المذكور، فكانت ولايته سنتين إلا شهراً واحداً»(٥٢).

ويحدثنا الكندى عن الأحداث السياسية التى دعت والى مصر إلى حفر أول خندق حول الفسطاط من قبل الوالى عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم بقوله «وقدم ابن جحدم بجمع كثير من الخوارج الذين كانوا مع ابن الزبير بمكة من أهل مصر.. ثم بويع مروان بن الحكم بالشام فى ذى القعدة سنة أربع وستين.. وسار مروان إلى مصر ومعه خالد بن يزيد بن معاوية وعمرو بن سعيد وعبد الرحمن بن الحكم وزفر بن الحارث وحسان بن بحدل ومالك بن هبيرة السكونى

فى أشراف كثير ويعث ابنه عبد العزيز فى جيش إلى أبلة. . واجمع ابن جحدم على حربه ومنعه فأشار عليه الجند بحفر خندق يخندق به على الفسطاط فأمر بحفره فحفر فى شهر واحد. قال ابن أبى زمزمة الحشنى:

وما الجد إلا مثل جد ابن جحدم

وما العزم إلا عزمه يوم خندق

ثلاثـون ألـف هـم أثـاروا ترابـه

وخدوه فى شهر حديث مصدق

وهو الخندق الذى فى مقبرة الفسطاط اليوم.»[٥٣].

أيام الخندق والتراويح

سار مروان بن الحكم حتى نزل عين شمس فخرج ابن جحدم فى أهل مصر فتحاربوا ثم رجعوا إلى خندقهم فصفوا عليه فكانت تلك الأيام تسمى أيام الخندق والتراويح لأن أهل مصر كانوا يقاتلون نوبًا. . قال عبد الرحمن بن الحكم:

ألا هل أتاها على نأيها   بناء التراويح والخندق

وقام الصلح بين أهل مصر وبين مروان بن الحكم، قال الكندى «ودخلها مروان لغرة جمادى الأولى سنة خمس وستين فكانت مدة مقام ابن جحدم واليا عليها من يوم دخلها إلى دخول مروان تسعة أشهر ونزل مروان دار الفلفل»[٥٤].

ويحدثنا ابن تغرى بردى عند ذكره ولاية عبد الرحمن بن جحدم عن هذا الخندق ومدة بنائه بقوله «وليها من قبل عبد الله بن الزبير بن العوام. . فوصل إلى مصر فى شعبان سنة أربع وستين. . ولما دخل عبد الرحمن المذكور إلى مصر وتم أمره أقر عابسا على الشرطة والقضاء بمصر، فبينما هم فى ذلك وصل الخبر من الشام ببيعة مروان بن الحكم بالخلافة وأن أمره تم. ثم ركب مروان بن الحكم فى جيوشه وجموعه وقصد مصر، فلما بلغ عبد الرحمن بن جحدم ذلك

استعد لحربه وحفر خندقًا فى شهر، أو قريب من شهر، وهو الذى فى القرافة»[٥٥]. ويحدثنا المقريزى عن هذا الخندق بقوله «هذا الخندق كان بقرافة قد دثر وعلى شفيره الغربى قبر الإمام الشافعى رضى الله عنه وكان من النيل إلى الجبل حفر مرتين مرة فى زمن مروان بن الحكم ومرة فى خلافة الأمين محمد بن هارون الرشيد ثم حفره أيضًا القائد جوهر قال القضاعى الخندق هو الخندق الذى في شرقى الفسطاط فى المقابر كان الذى أثار حفره سير مروان بن الحكم إلى مصر وذلك فى سنة خمس وستين وعلى مصر يومئذ عبد الرحمن بن عقبة (عتبة) بن جحدم الفهرى من قبل عبد الله بن الزبير رضى الله عنه فلما بلغه مسير مروان إلى مصر أعد واستعد وشاور الجند فى أمره فأشاروا عليه بحفر الخندق والذى أشار عليه ربيعة بن حبشى الصدفى فأمر ابن جحدم بإحضار المحاريث من الكور لحفر الخندق على الفسطاط فلم تبق قرية من قرى مصر إلا حضر من أهلها النفر وكان ابتداء حفره غرة المحرم سنة خمس وستين فما كان شيء أسرع من فراغهم منه حفروه فى شهر واحد وكانت الحرب من ورائه يغدون إليها ويروحون فسميت تلك الأيام أيام الخندق والتراويح»[٥٦].

دار الفلفل وسبب التسمية

ذكر الكندى فى أثناء حديثه عن الخندق بالفسطاط ودخول مروان بن الحكم الخليفة الأموى مصر دارًا نزلها مروان بن الحكم تعرف بدار الفلفل، ويحدد الكندى موقع هذه الدار فى زمنه بقوله «ونزل مروان دار الفلفل التى فى قبلة مسجد الجامع اليوم وقال: إنه لا ينبغى لخليفة أن يكون ببلد ليس له فيها دار فأمر بالدار البيضاء فبنيت له ووضع العطاء فبايعه الناس إلا نفر من المعافر قالوا: لا نخلع بيعة ابن الزبير»[٥٧].

وقد ذكر ابن عبد الحكم دار الفلفل بقوله «واختط قيس بن سعد بن عبادة فى قبلة المسجد الجامع دار الفلفل وكانت فضاء فبناها لما ولى البلد ولاه إياه على بن أبى طالب.. ويقال بل كانت دار الفلفل ودار الزلابية التى إلى جنبها لنافع بن

عبد القيس الفهرى.. ويقال بل هو عقبة بن نافع فأخذها قيس بن سعد منه وعوضه منها دار الفهريين التى فى زقاق القناديل. ويقال بل كانت تلك الدار خطة عقبة بن نافع. ويقال بل كانت دار الفلفل لسعد بن أبى وقاص فتصدق بها على المسلمين واقتصر على داره التى بالموقف.. وإنما سميت دار الفلفل لأن أسامة بن زيد التنوخى إذ كان واليا على خراج مصر ابتاع من موسى بن وردان فلفلاً بعشرين ألف دينار كان كتب فيه الوليد بن عبد الملك أراد أن يهديه إلى صاحب الروم فخزنه فيها فشكا ذلك موسى بن وردان إلى عمر بن عبد العزيز حين ولى الخلافة فكتب أن يدفع إليه»(٥٨).

الدار البيضاء ٦٥هـ/٦٨٤م

أما فيما يتعلق بالدار البيضاء التى بناها مروان بن الحكم الخليفة الأموى والتى ورد ذكرها فى نص المؤرخ الكندى الذى تقدم ذكره، فقد ذكرها المؤرخ ابن عبد الحكم فقال «واختط عبد الرحمن بن عديس البلوى الدار البيضاء ويقال بل كانت الدار البيضاء صحنا بين يدى المسجد ودار عمرو بن العاص موقفا لخيل المسلمين على باب المسجد حتى قدم مروان بن الحكم مصر فى سنة خمس وستين فابتناها لنفسه داراً وقال ما ينبغى للخليفة أن يكون ببلد لا يكون له بها دار فبنيت له فى شهرين»(٥٩).

ويحدثنا ابن دقماق عند ذكره الأدر المشهورة بالفسطاط عن الدار البيضاء بما نصه «ذكر عبد الرحمن بن عبد الحكم أنها خطة عبد الرحمن بن عديس البلوى من الصحابة ويقال كانت موقفا لخيل المسلمين على باب المسجد حتى قدم مروان بن الحكم مصر فى سنة خمس وستين فبناها لنفسه فبنيت فى شهرين وقيل بنيت فى أربعين يوماً..»(٦٠).

ولاية عبد العزيز بن مروان ٦٥-٨٦هـ/ ٦٨٤-٧٠٥م

هو عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف يكنى أبا الأصبغ، قال الكندى «وجعل مروان صلاة مصر وخراجها إلى ابنه عبد العزيز بن مروان، وخرج مروان من مصر لهلال رجب سنة خمس وستين فكان مقامه بمصر من يوم دخلها إلى خروجه عنها شهرين وكان على شرطه فى مقامه بها عمرو بن سعيد بن العاص»(٦١).

وقد أورد الكندى وصية الخليفة مروان بن الحكم لابنه عبد العزيز بن مروان بما نصه «أقام مروان بمصر شهرين ثم جعل ولاية مصر إلى ابنه عبد العزيز جعل إليه صلاتها وخراجها فقال عبد العزيز: يا أمير المؤمنين كيف المقام ببلد ليس به أحد من بنى أبى فقال له مروان: يا بنى عمهم بإحسانك يكونوا كلهم بنى أبيك واجعل وجهك طلقًا تصف لك مودتهم وأوقع إلى كل رئيس منهم أنه خاصتك دون غيره يكن عينًا لك على غيره وينقاد قومه إليك..»(٦٢).

ويعد عبد العزيز بن مروان من أشهر الولاة الأمويين الذين تشهد لهم المصادر التاريخية بأعمال جليلة وعديدة بالفسطاط، حيث حكم فترة طويلة استمرت احدى وعشرين سنة، ويعود إليه الفضل فيما حدث من نهضة عمرانية كبيرة بالفسطاط فى العصر الأموى، فكان من أحسن ولاة ذلك العصر، فقد استطاع بحكمته وبمشورة أبيه الخليفة مروان بن الحكم التى تقدم ذكرها أن يهيمن على قلوب المصريين عامة(٦٣).

الطرح الأول للنيل ٦٩هـ/٦٨٨م وأثره فى الامتداد العمرانى

ظهر الطرح الأول للنيل فى العصر الأموى فى عام ٦٩هـ/٦٨٨م فى ولاية عبد العزيز بن مروان، حيث طرح النيل أرضًا جديدة اتصلت بالشاطئ القديم الأصلى فى المسافة الواقعة بين ساحل أثر النبى وبين المنطقة التى يتلاقى فيها شارع السد البرانى بسكة المذبح بقسم السيدة زينب، وبهذا الطرح تحول الشاطئ الشرقى من مكانه القديم فى المسافة المذكورة إلى الغرب، وبسببه صار النيل يمر فى ذلك الوقت تحت الشاطئ الجديد الأول فى الأمكنة التى تعرف اليوم بالأسماء الآتية:

بدأ الطرح الأول من النقطة التى بها محطة الترام بمصر القديمة الكائنة بشارع أثر النبى جنوبى مصر القديمة، فكان النيل يسير من هذه النقطة متجهًا إلى الشمال إلى أن يصل إلى النقطة التى بها اليوم جامع سليمان باشا الفرنساوى بشارع مصر القديمة، وبعد أن يمر النيل قرب الجامع المذكور يتجه بميل إلى الشرق، حيث يصل إلى النقطة التى تتلاقى فيها سكة حديد حلوان بشارع عمرو بن العاص، ومن هناك يسير النيل متجهًا إلى الشمال فى شارع أبى سيفين ثم فى شارع الديورة إلى نهايته الشمالية، ثم يسير النيل شمالاً إلى أن يتلاقى مع الشاطئ الأصلى عند نقطة تلاقى شارع السد البرانى بشارع المذبح، وقد نتج عن هذا التحول ظهور الأرض التى عليها مصر القديمة اليوم(٦٤).

ويرى د. محمود الحسينى أن الأرض التى كانت تتكون نتيجة هذه الطروحات كانت غير متماسكة وبالتالى لا تصلح للتعمير أو السكن إلا بعد سنوات طويلة من الإرساب والصلابة، ولما كان معلومًا أن الطرح الأول للنيل الذى تكون عام ٦٩هـ/ ٦٨٨م واستغلته الأسرة الأموية بمصر وأهل المدينة ومن بعدهم فى البناء والتشييد عليه فإنه يمكن القول بأن هذا الطرح لم يظهر فجأة وربما بدأ فى التكوين منذ فترة طويلة تمتد إلى ما قبل الفتح الإسلامى لمصر، إلا أنه أخذ يتبلور شكله النهائى فى صورة أرض صالحة للعمران والبناء فى عهد الأسرة الأموية بمصر(٦٥).

وبعد دراسة قام بها د. محمود الحسينى للقبائل العربية الوافدة على مصر فى العصر الأموى (قبائل عدنانية) لاحظ أن معظم القبائل والبطون الوافدة على مصر منذ العصر الأموى قد عاشت خارج الفسطاط سواء فى بلاد الصعيد كما حدث لمعظم بطون قريش الوافدة، أو فى بلبيس الشرقية كما هو الحال بالنسبة لقبائل قيس، أو فى غيرها من المدن وعلى حدود مصر، واقتصرت الإقامة بالفسطاط العاصمة على الأسرة الأموية وخاصة المروانيين منهم، وهذا أمر طبيعى فهذه الأسرة عاشت بمصر أمراء منذ بداية دولتهم حتى نهايتها ولابد بالتالى أن يقيموا فى العاصمة، وقد ازدهرت أحوال المدينة على عهدهم فقاموا بنشاط ونهضة عمرانية كبيرة، فشيدوا الدور والقصور والمساجد والحمامات والقياسر والأسواق العديدة، وكان محل إقامتهم بالفسطاط فى المنطقة المحيطة بالمسجد الجامع، حيث مقر الحكم والإدارة ومركز بنى أبيهم والقبائل والبطون العدنانية، وامتد عمرانهم من قصر الشمع جنوبًا إلى القنطرة شمالاً - قنطرة عبد العزيز بن مروان - كما استغلوا الفضاء الذى نتج عن طرح النيل جهة الغرب فى إقامة العديد من منشآتهم(٦٦).

الدار المذهبة ٦٧هـ/٦٨٦م

ذكر الكندى هذه الدار فقال «وتوفى مروان لهلال رمضان سنة خمس وستين وبويع عبد الملك بن مروان فأقر أخاه عبد العزيز عليها فأمر عبد العزيز ببنيان الدار المذهبة فى سنة سبع وستين وهى التى تدعى المدينة بسوق الحمام وهى غربى المسجد الجامع»(٦٧).

حلوان ٧٠هـ/٦٨٩م

يحدثنا الكندى عن عمارة حلوان بقوله «ووقع الطاعون بمصر فى سنة سبعين فخرج عبد العزيز منها إلى الشرقية متبديا فنزل حلوان فأعجبته فاتخذها وسكنها وجعل بها الحرس والأعوان والشرط فكان عليهم جناب بن مرثد بحلوان. وبنى

عبد العزيز بحلوان الدور والمساجد وغيرها أحسن عمارة وأحكمها وغرس كرمها ونخلها قال ابن قيس الرقيات:

سقيا لحلوان ذى الكروم وما صنف من تينه ومن عنبه

نخل مواقير بالقناء من الـ برنى يهتز ثم فى سربه

أسود سكانه الحمام فما ينفك غربانه على رطبه

حدثنى ابن قديد قال: حدثنى على بن عمرو بن خالد قال: حدثنى أسد بن ربيعة عن أبيه أن عبد العزيز لما غرس نخل حلوان وأطعم دخله والجند معه فجعل يطوف فيه ووقف على غروسه ومساقيه فقال له يزيد بن عروة الحملى: ألا قلت أيها الأمير كما قال العبد الصالح: ما شاء الله لا قوة إلا بالله. قال: ذكرتنى شكراً، يا غلام قل لاشناس يزيد فى عطائه عشرة دنانير(٦٨).

وقال ابن تغرى بردى «ولما أقام عبد العزيز بمصر وقع بها الطاعون فى سنة سبعين فخرج عبد العزيز من مصر ونزل حلوان فأعجبته فاتخذها سكنًا، وجعل بها الحرس والأعوان وبنى بها الدور والمساجد وعمرها أحسن عمارة وغرس نخلها وكرمها»(٦٩).

وفى تفصيل أكثر أورد فى موضع آخر عند ذكره السنة الخامسة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر وهى سنة سبعين «فيها كان الوباء بمصر، وقيل فيها كان طاعون الجارف المقدم ذكره فى الماضية. وفيها تحول عبد العزيز بن مروان.. من مصر إلى حلوان.. واشتراها من القبط بعشرة الاف دينار»(٧٠).

وقد أمدنا المؤرخ ابن عبد الحكم بنص هام يتعلق بحلوان، ويعد أقدم ما ذكر عن هذه المدينة حيث قال «وكان الطاعون قد وقع بالفسطاط.. فخرج عبد العزيز بن مروان من الفسطاط فنزل بحلوان داخلاً فى الصحراء فى موضع منها يقال له أبو قرقور وهو رأس العين التى احتفرها عبد العزيز بن مروان وساقها إلى نخله التى غرسها بحلوان فكان ابن حديج يرسل إلى عبد العزيز فى كل يوم يخبره ما

يحدث فى البلد من موت وغيره فأرسل إليه ذات يوم رسولا فأتاه فقال له عبد العزيز ما اسمك فقال أبو طالب فثقل ذلك على عبد العزيز وغاظه فقال له عبد العزيز أسألك عن اسمك فتقول أبو طالب ما اسمك فقال مدرك فتفاءل عبد العزيز بذلك ومرض فى مخرجه ذلك ومات هنالك فحمل فى البحر يراد به الفسطاط»(٧١).

وقد ذكر د. محمود الحسينى تاريخين لإنشاء حلوان، حيث ذكر أن عبد العزيز بن مروان اتخذ من مدينة حلوان فى عام ٧٣هـ/ ٦٩٢م داراً لإقامته بعد أن أصيب بمرض الجذام ونقل معه بيت المال مما يصح أن يعد دليلاً على أنه اتخذ حلوان حاضرة للبلاد وخاصة أنه أقام بها إلى عام ٨٦هـ/ ٧٠٥م وهى سنة وفاته، أما التاريخ الثانى فهو عام ٧٠هـ/ ٦٨٩م(٧٢).

والواقع أن التاريخ الثانى هو الصحيح وهو عام ٧٠هـ/ ٦٨٩م كما أورد الكندى وابن تغرى بردى، وحلوان ذكرها المقريزى فقال «يقال إنها تنسب إلى حلوان بن بابليون بن عمرو بن امرئ القيس..»(٧٣).

ويعلق محمد رمزى على هذا النص الذى أورده المقريزى بقوله «وكلنا يعلم أنه لا يوجد بين الملوك الذين حكموا مصر فى تاريخها الصحيح من اسمه امرئ القيس، ونعلم كذلك أن حلوان الذى كان على مقدمة جيش أبرهة لم يدخل مصر، فإذن تكون هذه الرواية غير صحيحة»(٧٤).

وحلوان ذكرها من الجغرافيين ياقوت الحموى فقال «حلوان: بالضم ثم السكون... وحلوان فى عدة مواضع: حلوان العراق، وهى فى آخر حدود السواد مما يلى الجبال من بغداد، وقيل: إنها سميت بحلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة كان بعض الملوك أقطعه إياها فسميت به.. وكانت مدينة كبيرة عامرة.. ليس بأرض العراق بعد الكوفة والبصرة وواسط وبغداد وسر من رأى أكبر منها، وأكثر ثمارها التين، وهى بقرب الجبل، وليس للعراق مدينة بقرب الجبل غيرها، وربما يسقط بها الثلج، وأما أعلى جبلها فإن الثلج يسقط به دائماً،

وهى وبئة ردية الماء وكبريتية.. وبها رمان ليس فى الدنيا مثله وتين فى غاية من الجودة.. وحواليها عدة عيون كبريتية ينتفع بها من عدة أدواء.. وحلوان أيضًا قرية من أعمال مصر، بينها وبين الفسطاط نحو فرسخين من جهة الصعيد مشرفة على النيل، وبها دير ذكر فى الديرة، وكان أول من اختطها عبد العزيز بن مروان لما ولى مصر، وضرب بها الدنانير، وكان له كل يوم ألف جفنة للناس حول داره.. وكان قد وقع بمصر طاعون فى سنة ٧٠ وواليها عبد العزيز فخرج هاربًا من مصر. فلما وصل حلوان هذه استحسن موضعها فبنى بها دوراً وقصوراً واستوطنها وزرع بها بساتين وغرس كرومًا ونخلاً..»(٧٥).

وقد بدأت بحلوان العراق فى نص ياقوت الحموى قبل حلوان مصر لأنه ذكر أن عبد العزيز بن مروان اختار هذا المكان الذى أنشأ فيه حلوان بالذات لارتفاعها عن الفسطاط مع قربها منها وحسن موقعها من النيل وجودة هوائها، والظاهر أنه اختار لها اسم حلوان لأن حالتها وموقعها يتفقان مع حالة وموقع حلوان العراق من وجوه عدة تقدم ذكرها فى نص ياقوت الحموى(٧٦).

وقال محمد رمزى «فى مصر بلدتان متجاورتان تسمى كل منهما حلوان، إحداهما وهى أقدمهما قرية حلوان التى أنشأها عبد العزيز بن مروان والى مصر سنة ٧٠هـ/ ٦٨٩م، والأخرى مدينة حلوان الحمامات التى أنشأها الخديوى إسماعيل سنة ١٨٧٤م»(٧٧).

وأورد عن حلوان البلد «هى من أقدم القرى التى أنشأها العرب فى مصر، واقعة على الشاطئ الشرقى للنيل، غربى مدينة حلوان الحمامات بمقدار ثلاثة كيلومترات، وجنوبى القاهرة على بعد عشرين كيلومترا من مصر القديمة.. وقد ذكر كل من على باشا مبارك والأستاذ أميلينو، ما يفيد أن حلوان بلدة قديمة موجودة فى مصر قبل فتح العرب لها.. وإنى أخالفهما فى ذلك لأسباب ذكرتها تفصيلاً فى نبذة خاصة، وأرجح رواية ياقوت الحموى.. وهى معتبرة من قديم الزمن ناحية مالية ذات زمام زراعى، فقد وردت ضمن نواحى مصر فى كتاب

قوانين الدواوين لابن مماتى، وفى تحفة الإرشاد وفى التحفة السنية لابن الجيعان، ضمن نواحى الأطفيحية التى تشمل اليوم بلاد مركز الصف، وهى الآن تابعة لمركز الجيزة بمديرية الجيزة، وتمتاز باسم حلوان البلد»(٧٨).

مقياس النيل بحلوان

أمدنا ابن عبد الحكم بنص مهم يتعلق بمقياس حلوان، حيث أورد «ووضع عبد العزيز بن مروان مقياسا بحلوان وهو صغير»(٧٩).

المسجد ويوم عرفة ٧١هـ/٦٩٠م

قال الكندى «وعرف عبد العزيز بن مروان بمصر وهو أول من عرف بها فى سنة إحدى وسبعين. حدثنا حسن المدينى قال: حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير قال: حدثنى ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب أن أول من أحدث القعود يوم عرفة فى المسجد بعد العصر عبد العزيز بن مروان»(٨٠).

وفى ذلك أورد ابن تغرى بردى عند ذكره السنة السابعة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر «فيها بنى عبد الملك بن مروان قبة الصخرة بالقدس والجامع الأقصى.. وصار أخوه عبد العزيز يعرف بالناس بمصر ويقف بهم يوم عرفة»(٨١).

جامع عمرو بن العاص ومنشآت أخرى

زاد عبد العزيز بن مروان فى جامع عمرو بن العاص بمصر فى عام ٧٩هـ/٦٩٨م، وقد تقدم ذكر هذه الزيادة عند ذكر جامع عمرو بن العاص منذ التأسيس حتى نهاية العصر الأموى، كما أقام فى عام ٦٩هـ/٦٨٨م قنطرة على خليج أمير المؤمنين بطرف الفسطاط، وكتب عليها اسمه، وشيد العديد من القيساريات، قال ابن عبد الحكم «وبنى عبد العزيز بن مروان القيساريات قيسارية العسل وقيسارية الحبال وقيسارية الكباش وهى فى خطة قوم من بلى يقال لهم الوحاوحة والقيسارية التى يباع فيها البز وهى التى تعرف بقيسارية عبد العزيز

وأدخل فيها من خطط الراية وكان فيها منزل كعب بن عدى العبادى فعوضه منها داره التى فى بنى وائل»[٨٢]. وبلغت عناية عبد العزيز بن مروان بعمران مصر مبلغًا عظيمًا حتى أنه شيد العديد من المنشآت، وفى عهده عمر الشاطئ الغربى للمدينة، على أننى سوف أتناول فى نهاية الحديث عن ولاة مصر فى العصر الأموى منشآته المعمارية خاصة الدور والقصور.

وفاة عبد العزيز بن مروان ٨٦هـ/٧٠٥م

قال الكندى «توفى ليلة الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ست وثمانين فحمل فى الليل من حلوان إلى الفسطاط فدفن بها.. وإنما ترك حلوان والقيسارية وثياب.. وخيلا ورقيقا وكانت ولاية عبد العزيز عليها عشرين سنة وعشرة أشهر وثلاثة عشر يوما ولم يلها منذ الإسلام إلى يومنا هذا أطول ولاية منه»[٨٣].

ولاية عبد الله بن عبد الملك ٨٦-٩٠هـ/٧٠٥-٧٠٨م

هو عبد الله بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ويكنى أبا عمر قال الكندى «ثم وليها عبد الله بن عبد الملك من قبل أبيه على صلاتها وخراجها فدخلها يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ست وثمانين.. وتوفى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان.. وبويع الوَليد بن عبد الملك.. فأقر الوليد أخاه عبد الله على صلاة مصر وخراجها»(٨٤).

تعريب الدواوين (من القبطية إلى العربية)

قال الكندى «وأمر عبد الله بن عبد الملك بالدواوين فنسخت بالعربية وكانت قبل ذلك تكتب بالقبطية وصرف عبد الله أشناس عن الديوان وجعل عليه ابن يربوع الفزارى من أهل حمص ومنع عبد الله من لباس البرانس وذلك فى سنة سبع وثمانين»(٨٥).

الشدة بمصر (أول شدة بمصر)

قال الكندى «وفى ولايته غلت الأسعار بمصر وترعت فتشاءم به المصريون وهى أول شدة رأوها.. ثم قدم عبد الله إلى أخيه الوليد فى صفر ثمان وثمانين واستخلف عليها عبد الرحمن بن عمرو بن قحزم الخولانى وأهل مصر إذ ذاك فى شدة عظيمة»(٨٦).

ومما قاله ررعة بن سعد الله بن أبى زمزمة الحشنى:

أتى مصر والمكيال وافى مغربل

فما سار حتى سار والمدفالج(٨٧).

مسجد عبد الله

قال الكندى «وابتنى عبد الله المسجد المعروف اليوم بمسجد عبد الله»[٨٨]. وقد ذكر لنا المؤرخ ابن عبد الحكم مسجد عبد الله بما نصه «مسجد عبد الله. وعبد الله الذى ينسب إليه المسجد هو عبد الله بن عبد الملك بن مروان وكان عبد الملك ولاه مصر بعد موت عبد العزيز بن مروان وكانت ولايته فى جمادى سنة ست وثمانين.. وهو أول من نقل الدواوين إلى العربية وإنما كانت بالعجمية وهو أول من نهى الناس عن لباس البرانس[٨٩].

ويحدثنا المقريزى فى خططه عن هذا المسجد بقوله «قال ابن المتوج خطة مسجد عبد الله أدركت بها آثار دار عظيمة قيل إنها كانت دار كافور الأخشيدى ويقال إن هذه الخطة تعرف بسوق العسكر»[٩٠].

وقد كان موضع هذا المسجد فضاء يجلس فيه أهل المدينة يتحدثون فيه فعندما مر عليهم عبد الله بن عبد الملك بن مروان وهو أميرهم بمصر فسألوه أن يشيد لهم فى هذا الموضع مسجداً، وشكوا إليه ما يلاقونه من شدة الشمس فشيده لهم فكانوا يجتمعون فيه، وهذا المسجد عند الموقف بأرض العسكر بالقرب من كوم الجارح، ويذكر د. محمود الحسينى أن من صفات مساجد القبائل فى خططهم أنها كانت تستعمل كمجالس لأهل الخطة وساكنيها، ويضيف أنه وردت لهذا المسجد وقفية فى غاية الأهمية عند الكندى تفيد أنه لعبد الله بن عبد الملك بن مروان وليس لعبد الله بن عمر بن الخطاب[٩١].

زيادة عبد الله بن عبد الملك فى جامع عمرو

قال ابن عبد الحكم «ثم هدم عبد العزيز بن مروان المسجد.. وبناه ثم كتب الوليد بن عبد الملك فى خلافته إلى قرة بن شريك..»[٩٢]، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه أن المؤرخ ابن عبد الحكم لم يشر هنا عند حديثه عن الزيادة فى

المسجد الجامع إلى زيادة عبد الله بن عبد الملك، وقد تقدم ذكر هذه الزيادة عند الحديث عن تأسيس جامع عمرو بن العاص والزيادات التى طرأت عليه حتى نهاية العصر الأموى.

ولاية قرة بن شريك ٩٠-٩٦هـ/ ٧٠٨-٧١٤م

هـو قـرة بن شريـك بـن مرثـد بـن الحـارث بـن حبـش بـن سفيـان بـن عبـد الله بن ناشب بن هدم بن عوذ بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بـن معـد بن قيس بن عيلان بن مضر، قال الكندى «ثم وليها قـرة بـن شريـك العبـسى لـلوليـد عـلـى صلاتهـا وخراجهـا فقدمهـا يـوم الاثنـين لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة تسعين.. ثم خرج قرة إلى رشيد..»(٩٣).

الزيادة فى جامع عمرو

أشار ابن عبد الحكم إلى عمارة جامع عمرو بن العاص من قبل الوالى قرة بن شريك فقال «ثم كتب الوليد بن عبد الملك فى خلافته إلى قرة بن شريك العبسى وهو يومئذ واليه على أهل مصر. وكانت ولاية قرة بن شريك مصر فى سنة تسعين قدمها يوم الاثنين لثلث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول وعزل عبد الله بن عبد الملك.. فهدمه كله وبناه هذا البناء وزوقه وذهب رؤوس العمد التى فى مجالس قيس وليس فى المسجد عمود مذهب الرأس إلا فى مجالس قيس وحول قرة المنبر حين هدم المسجد إلى قيسارية العسل فكان الناس يصلون فيها الصلوات ويجمعون فيها الجمع حتى فرغ من بنيانه والقبلة فى القيسارية إلى اليوم»(٩٤).

وقد تقدم ذكر عمارة قرة بن شريك فى جامع عمرو بن العاص بالتفصيل عند ذكر جامع عمرو بن العاص فى ولاية مسلمة بن مخلد الأنصارى.

اصطبل قرة بن شريك

قال الكندى «وقدم قرة من وفادته فى سنة ثلاث وتسعين فاستنبط الاصطبل لنفسه من الموات وأحياه وغرسه قصبًا فكان يسمى اصطبل قرة وسمى أيضًا اصطبل القاس يعنون القصب كما يقولون قاس مروان»(٩٥).

تدوين الديوان ٩٥هـ/٧١٣م

قال الكندى «ودون قرة الديوان فى سنة خمس وتسعين وهو المدون الثالث ثم توفى قرة بن شريك بها وهو وال عليها ليلة الخميس لست بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين ودفن فى مقبرتها.. فكانت ولاية قرة عليها ست سنين إلا أياما»(٩٦).

ولاية عبد الملك بن رفاعة ٩٦-٩٩هـ/٧١٤-٧١٧م

هو عبد الملك بن رفاعة بن خالد بن ثابت بن ظاعن بن العجلان بن عبد الله بن صبح بن والبة بن نصر بن صعصعة بن ثعلبة بن كنانة بن عمرو بن القين بن فهم بن عمرو بن سعيد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، قال الكندى «ثم ولى عبد الملك بن رفاعة على شرطة ثم توفى أمير المؤمنين الوليد.. واستخلف سليمان بن عبد الملك فأقر عبد الملك بن رفاعة على صلاتها.. وتوفى أمير المؤمنين سليمان.. وبويع عمر بن عبد العزيز بن مروان فعزل عبد الملك بن رفاعة عنها»[٩٧].

ولاية أيوب بن شرحبيل ٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م

هو أيوب بن شرجبيل بن أكسوم بن أبرهة بن الصباح بن لهيعة بن شرحبيل بن مرثد بن الصباح بن معدى كرب بن يعفر بن ينوف بن شراحيل بن أبى شمر بن شرحبيل بن ياشر بن أشعر بن ملكيكرب بن شراحيل بن يعفر بن عمى بن أبى كرب بن يعفر بن أسعد بن ملكيكرب بن سمر بن أشعر بن ينوف بن أصبح، وأمه بنت مالك بن مؤيرة بن الصباح، قال الكندى «ثم وليها أيوب بن شرحبيل من قبل أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز على صلاتها فى ربيع الأول سنة تسع وتسعين»(٩٨).

ولاية بشر بن صفوان ١٠١هـ/٧١٩م

هو بشر بن صفوان بن تويل بن بشر بن حنظلة بن علقمة بن شرحبيل بن عدس بن أبي جابر بن زهير بن جناب بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن غدرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب، قال الكندى «ثم وليها بشر بن صفوان الكلبى من قبل يزيد بن عبد الملك قدمها لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة إحدى ومائة.. وفى إمرته نزلت الروم تنيس»(٩٩).

ولاية حنظلة بن صفوان ١٠٢-١٠٥هـ/ ٧٢٠-٧٢٣م

هو حنظلة بن صفوان بن تويل بن بشر الكلبى، قال الكندى «ثم وليها حنظلة بن صفوان بإستخلاف أخيه بشر له عليها فأقره يزيد بن عبد الملك.. وبويع هشام بن عبد الملك فاستقبل بخلافته شهر رمضان ثم صرف حنظلة بن صفوان عنها فى شوال سنة خمس ومائة فكانت ولايته ثلاث سنين»(١٠٠).

ولاية محمد بن عبد الملك ١٠٥هـ/ ٧٢٣م

هو محمد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، قال الكندى «ثم وليها محمد بن عبد الملك من قبل أخيه هشام على صلاتها، دخلها يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال سنة خمس ومائة.. ووقع بمصر وباء شديد فترفع محمد بن عبد الملك إلى الصعيد هاربًا من الوباء أيامًا ثم قدم من الصعيد وخرج من مصر لم يلها إلا نحواً من شهر»(١٠١).

ولاية الحر بن يوسف ١٠٥-١٠٨هـ/٧٢٣-٧٢٦م

هو الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، قال الكندى «ثم وليها الحر بن يوسف من قبل هشام على صلاتها، دخلها لثلاث خلون من ذى الحجة سنة خمس ومائة»(١٠٢).

ولاية الحر بن يوسف الموصل وبناء الدار المنقوشة

قال ابن الأثير عند ذكره استعمال الحر على الموصل فى أحداث سنة١٠٦هـ «فى هذه السنة استعمل هشام الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم بن أبى العاص بن أمية الموصل، وهو الذى بنى المنقوشة داراً ليسكنها، وإنما سميت المنقوشة لأنها كانت منقوشة بالساج والرخام والفصوص الملونة وما شاكلها، وكانت عند سوق القتابين والشعارين وسوق الأربعاء وأما الآن فهى خربة تجاور سوق الأربعاء»(١٠٣).

قال ابن تغرى بردى «ولما عزل الحر عن إمرة مصر ولاه هشام الموصل، وهو الذى بنى المنقوشة دارا ليسكنها، وإنما سميت المنقوشة لأنها كانت منقوشة بالساج والرخام والفصوص الملونة وما شاكلها» (١٠٤).

قيسارية هشام ١٠٧-١٠٨هـ/٧٢٥-٧٢٦م

قال الكندى «وكتب الحر إلى هشام يعلمه أن النيل قد انكشف عن أرض ليست لمسلم ولا لمعاهد فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن بالبناء فيها فإن الناس مضطرون إليها. فأذن له فى بنائها قيسارية فابتدأ فى بنائها فى رجب سنة

صبع ومائة وفرغ منها فئ سنة ثمان ومائة وهى قيسارية هشام التى عند الجسر»[105].

وقد أشار ابن عبد الحكم فى فتوح مصر وأخبارها إلى هذه القيسارية بقوله «وبنى هشام بن عبد الملك قيساريته التى تعرف بقيسارية هشام يباع فيها البز الفسطاطى فى الفضاء بين القصر وبين البحر»[106].

ولاية حفص بن الوليد ١٠٨-١٠٩هـ/٧٢٦-٧٢٧م

هو حفص بن الوليد بن يوسف بن عبد الله بن الحارث بن ميل بن كليب بن عوف بن معاهر بن عمرو بن زيد بن مالك بن زيد بن الحارث بن عمروبن مجر بن قيس بن كعب بن سهل بن زيد بن حضرموت، قال الكندى «ثم وليها حفص بن الوليد من قبل هشام على صلاتها. . فصرف حفص يوم الأضحى لم يمكث إلا جمعتين. قال الليث وأبو ربيعة العامرى وابن وزير أن حفصا صرف سلخ ذى الحجة سنة ثمان ومائة»[١٠٧].

ولاية عبد الملك بن رفاعة «الثانية» ١٠٩هـ/٧٢٧م

هو عبد الملك بن.رفاعة بن خالد بن ثابت بن ظاعن، قال الكندى «ثم وليها عبد الملك بن رفاعة من قبل هشام على صلاتها»(١٠٨).

ولاية الوليد بن رفاعة ١٠٩-١١٧هـ/٧٢٧-٧٣٥م

هو الوليد بن رفاعة بن خالد بن ثابت بن ظاعن الفهمى، قال الكندى «ثم وليها الوليد بن رفاعة من قبل أمير المؤمنين هشام على صلاتها فاستقبل الوليد بولايته سنة تسع.. وفى ولاية الوليد نقلت قيس إلى مصر فى سنة تسع ومائة.. ففرض لهم ابن الحبحاب وقدم بهم فأنزلهم الحوف الشرقى وفرقهم فيه»(١٠٩).

ولاية عبد الرحمن بن خالد ١١٧-١١٩هـ/٧٣٥-٧٣٧م

هو عبد الرحمن ين خالد بن مسافر بن خالد بن ثابت بن ظاعن الفهمى يكنى أبا الوليد، قال الكندى «ثم وليها عبد الرحمن بن خالد بن مسافر من قبل هشام على صلاتها فجعل على شرطه عبد الله بن يسار الفهمى»(١١٠).

ولاية حنظلة بن صفوان «الثانية» ١١٩-١٢٤هـ/٧٣٧-٧٤١م

هو حنظلة بن صفوان بن تويل بن بشر، قال الكندى «ثم وليها حنظلة بن صفوان ولايته الثانية على صلاتها فقدمها يوم الخميس لخمس ليال خلون من المحرم سنة تسع عشرة ومائة.. ثم انتقض أهل الصعيد وحارب القبط عمالهم فى سنة إحدى وعشرين ومائة فبعث حنظلة بأهل الديوان.. وظفر بهم. وقدم إلى مصر فى سنة اثنتين وعشرين ومائة أبو الحكم بن أبى الأبيض العبسى خطيبا برأس زيد بن على رضى الله عنه»(١١١).

ولاية حفص بن الوليد «الثانية» ١٢٤-١٢٧هـ/٧٤١-٧٤٤م

هو حفص بن الوليد بن يوسف الحضرمى، قال الكندى «ثم وليها حفص بن الوليد باستخلاف حنظلة على الصلاة فأقره هشام عليها إلى ليلة الجمعة لثلاث عشرة خلت من شعبان سنة أربع وعشرين فجمع له هشام الصلاة والخراج جميعًا.. واستخلف الوليد بن يزيد بن عبد الملك فأقر حفصًا على صلاتها وخراجها.. وقدم عيسى بن أبى عطاء على أرض مصر وخراجها يوم الثلاثاء لتسع بقين من شوال سنة خمس وعشرين ومائة وصرف حفص عن الخراج وانفرد بالصلاة.. وقتل الوليد بن يزيد.. وحفص بالشام ثم بويع يزيد بن الوليد فأمر حفص بن الوليد باللحاق بجنده.. ثم توفى يزيد بن الوليد لهلال ذى الحجة سنة ست وعشرين ومائة وبويع إبراهيم بن الوليد فولى ذى الحجة والمحرم من سنة سبع وعشرين ومائة وخلعه مروان بن محمد بن مروان بن الحكم فبويع فاستقبل بخلافته صفر من سنة سبع وعشرين ومائة فكانت حفص بن الوليد إلى مروان يستعفيه من ولايته على مصر فأعفاه مروان فكانت ولاية حفص هذه الثانية عليها ثلاث سنين إلا أشهرا»(١١٢).

ولاية حسان بن عتاهية ١٢٧هـ/٧٤٤م

هو حسان بن عتاهية بن عبد الرحمن بن حسان بن عتاهية بن خزر بن سعيد بن معاوية بن جعفر بن أسلمة بن سعد بن تجيب، قال الكندى «ثم وليها حسان بن عتاهية من قبل مروان بن محمد.. ثم قدم حسان يوم السبت لاثنتى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة»[١١٣].

ولاية حفص بن الوليد الثالثة ١٢٧-١٢٨هـ/٧٤٤-٧٤٥م

قال الكندى «ثم وليها حفص بن الوليد كرها.. وسكت مروان عن أهل مصر بقية سنة سبع وعشرين ثم عزل حفصًا مستهل سنة ثمان وعشرين ومائة»[١١٤].

ولاية الحوثرة بن سهيل ١٢٨-١٣١هـ/٧٤٥-٧٤٨م

هو الحوثرة بن سهيل أخو العجلان بن سهيل بن كعب بن عامر بن عمير بن رياح بن عبد الله بن عبد بن قراض بن باهلة، قال الكندى «ثم وليها الحوثرة بن سهيل الباهلى من قبل مروان.. وكان دخول الحوثرة على الصلاة وعيسى بن أبى عطاء على الخراج يوم الأربعاء لاثنتى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة ثمان وعشرين ومائة.. ثم صرف الحوثرة عنها فى جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين ومائة»(١١٥).

ولاية المغيرة بن عبيد الله ١٣١-١٣٢هـ/٧٤٨-٧٤٩م

هو المغيرة بن عبيد الله بن المغيرةبن عبد الله بن مسعدة بن حكمة بن مالك بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جوية بن لوذان بن ثعلبة بن عدى بن فزارة بن ذبيان بن بغيض ين ريث بن غطفان، قال الكندى «ثم وليها المغيرة بن عبيد الله الفزارى من قبل مروان على صلاتها قدمها يوم الأربعاء لست بقين من رجب سنة إحدى وثلاثين ومائة»(١١٦).

ولاية عبد الملك بن مروان واتخاذ المنابر فى القرى ١٣٢هـ/٧٤٩-٧٥٠م

هو عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير مولى لخم، قال الكندى «ثم وليها عبد الملك بن مروان النصيرى من قبل مروان وجمع له صلاتها وخراجها . . وإن عبد الملك أمر باتخاذ الناس المنابر فى الكور ولم تكن قبله وإنما كانت ولاة الكور يخطبون على العصى إلى جانب القبلة»(١١٧).

قدوم مروان بن محمد إلى مصر وحريق الدار المذهبة

قال الكندى «وقدم مروان بن محمد مصر يوم الثلاثاء لثمان بقين من شوال سنة اثنتين وثلاثين ومائة.. وعزم مروان على تعدية النيل فأمر بدار آل مروان المذهبة فأحرقت فقال له زبان بن عبد العزيز: أنها دار بنى عبد العزيز وقد أعظمت فيها النفقة. فقال مروان: إن أبق ابنها لبنة من ذهب ولبنة من فضة.. ثم دخل مروان إلى الجيزة وحرق الجسرين.. وخالفت القبط برشيد.. وقدم صالح بن على بن عبد الله بن عباس وأبو عون عبد الملك بن يزيد إلى مصر يوم الثلاثاء للنصف من ذى الحجة وسار مروان إلى بوصير من كورة الأشمونين فنزلها ومعه عبد الملك فوافى صالح بن على فى جيوشه.. وقتل مروان ببوصير يوم الجمعة لسبع بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة.. ودخل صالح بن على الفسطاط يوم الأحد لثمان خلون من المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومائة وبعث برأس مروان بن محمد إلى العراق»(١١٨).

الدور والقصور الأموية بالفسطاط

دار الإمارة «دار الرمل»

اتخذ معاوية بن أبى سفيان الخليفة الأموى من الدار التى كانت تسمى دار الرمل داراً للإمارة، قال ابن عبد الحكم فى فتوح مصر وأخبارها «وجعل دار الرمل للمسلمين تنزلها ولاتهم»(١١٩).

وقد تناول المؤرخ ابن عبد الحكم هذا الدار فقال «واختط مسلمة بن مخلد دار الرمل واختط مع مسلمة فيها أبو رافع مولى رسول الله ﷺ واحتط معهم عقبة بن عامر الجهنى فلما ولى مسلمة بن مخلد سأله معوية داره فأعطاه إياها وخط له فى الفضاء داره ذات الحمام التى بسوق وردان ثم صارت إلى بنى أبى بكر بن عبد العزيز فحازها بنو العباس مع ما حيز من أموال بنى مروان»(١٢٠).

كما يذكر ابن عبد الحكم فى سبب تسميتها «ويرملة سميت دار الرمل لأنهم

كانوا يقولون دار رملة فحرفت العامة ذلك وقالوا دار الرمل. ويقال إنما سميت دار الرمل لما ينقل إليها من الرمل لدار الضرب. .»(١٢١).

وقد ذكر ابن دقماق هذه الدار بقوله «دار الرمل هى الدار التى فى قبلى الجامع وغربى الشرطة وهى منسوبة لرملة بنت معاوية. . ذكر الكندى أنها كانت لمسلمة بن مخلد الأنصارى وعقبة بن عامر الجهنى وأبى رافع مولى النبى ﷺ فلما ولى معاوية سألهم فيها فدفعوها إليه وعوضهم فى الفضاء بسوق وردان عوضها وقيل ابتنى معاوية دار الرمل لابنه يزيد وكانت الولاة تنزلها»(١٢٢).

وقد تناول هذه الدار د. محمود الحسينى وذكر نقلا عن ابن عبد الحكم أن المقداد بن الأسود اختط دارا كانت جوار دار الرمل، وكان بجانبها أيضاً داراً لعقبة بن عامر هى خطته فابتاع عقبة دار المقداد بن الأسود فهدمها وهدم داره فبناهما جميعًا داراً لرملة ابنة معاوية فكتب إليه معاوية لاحاجة لنابها فاجعلها للمسلمين(١٢٣). وقد اتخذ عمرو بن العاص من داره داراً للإمارة فلم يتخذ للإمارة دار مخصوصة، واستمر كل أمير من بعده ينزل داره حتى عهد الخليفة الأموى معاوية بن أبى سفيان الذى جعل دار الرمل داراً للإمارة بمصر منذ حوالى عام ٤٤-٤٧هـ/ ٦٦٤-٦٦٧م، واستمرت هذه الدار حتى قدوم عبد العزيز بن مروان إلى مصر فى عام ٦٥هـ/ ٦٨٤م، حيث اتخذ من داره المذهبة داراً للإمارة.

الدار المذهبة ٦٧-١٣٢هـ/٦٨٨-٧٥٠م

اتخذها عبد العزيز بن مروان داراً للإمارة بمصر، قال الكندى «وتوفى مروان لهلال رمضان سنة خمس وستين وبويع عبد الملك بن مروان فأقر أخاه عبد العزيز عليها فأمر عبد العزيز ببنيان الدار المذهبة فى سنة سبع وستين وهى التى تدعى بسوق الحمام وهى غربى المسجد الجامع»(١٢٤).

وقد شيدت هذه الدار فى الأرض التى انحسر عنها ماء النيل تجاه الجامع وقصر الشمع، واتخذها عبد العزيز داراً للإمارة منذ عام ٦٧هـ/ ٦٨٨م، ثم نزلها بنو مروان من بعده، حيث ظلت داراً للإمارة حتى نهاية العصر الأموى فى عام ١٣٢هـ/ ٧٥٠م، وقد أمدنا الكندى بنص مهم يتعلق بهذه الدار وما آلت إليه فى

نهاية العصر الأموى، حيث أمر الخليفة مروان بن محمد بإحراقها عقب قدومه مصر، قال الكندى» وقدم مروان بن محمد مصر يوم الثلاثاء لثمان بقين من شوال سنة اثنتين وثلاثين ومائة. . وعزم مروان على تعدية النيل فأمر بدار آل مروان المذهبة فأحرقت فقال له زبان بن عبد العزيز: إنها دار بنى عبد العزيز وقد أعظمت فيها النفقة. فقال مروان: إن أبق ابنها لبنة من ذهب ولبنة من فضة. . ثم دخل مروان إلى الجيزة وحرق الجسرين. . »[١٢٥].

ويتضح من هذا النص إن هذه الدار منذ تشييدها فى عهد عبد العزيز بن مروان حتى نهاية العصر الأموى كانت على درجة عظيمة من الناحيتين المعمارية والزخرفية، لذا فقد أولاها الأمويون عناية ورعاية فائقة حتى أمر الخليفة مروان بن محمد بإحراقها، وكانت هذه الدار من الكبر والاتساع كما يذكر د. محمود الحسينى حتى أطلق عليها اسم المدينة[١٢٦].

دار الضيافة

أمدنا ابن عبد الحكم بنص صريح نتبين منه أن والى مصر عبد العزيز بن مروان شيد داراً للضيافة، حيث قال «ثم ابتنى عبد العزيز دار الأضياف كانت لأضياف عبد العزيز»[١٢٧].

وقد أورد ابن عبد الحكم عند ذكره قضاة مصر «كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص أن أفرض لكل من قبلك ممن بايع تحت الشجرة فى مائتين من العطاء وأبلغ ذلك لنفسك بإمارتك وافرض لخارجة بن حذافة فى الشرف لشجاعته وأفرض لعثمن بن قيس بن أبى العاص فى الشرف لضيافته»[١٢٨].

ويعلق د. محمود الحسينى على هذا النص إنه ليس معنى ذلك أن عثمان بن قيس بن أبى العاص شيد داراً للضيافة، وربما استخدم داره لتأدية هذا الغرض، ومن هنا لا نستطيع أن نجزم بأن عثمان بن قيس قد بنى داراً للضيافة بالفسطاط[١٢٩].

أما فيما يتعلق بهذه الدار التى شيدها عبد العزيز بن مروان فهى من درب

الخشابين إلى الحمام الذى بالخشابين، ولها درب يسمى درب الضيافة على يسرة من سلك من درب السلسلة قاصداً سويقة مسجد القراء، ذكرها ابن دقماق فى الانتصار فقال «دار الأضياف بالخشابين ابتناها عبد العزيز بن مروان وهى من درب الخشابين إلى الحمام الذى بالخشابين وكانت لأضيافه ينزلون فيها»[١٣٠].

الدور (الأدر) الأموية الأخرى

وردت لنا أسماء العديد من الدور سواء التى شيدت من قبل الأمويين أو تلك التى ارتبطت بالأمويين منذ بداية العصر الأموى فى مصر سواء بالإحلال أو التجديد مثل دار الرمل التى تقدم ذكرها والدار المذهبة التى شيدها عبد العزيز بن مروان لتكون مقر الحكم، ودار الضيافة ودار الفلفل، والدار البيضاء التى شيدها مروان بن الحكم الخليفة الأموى، وقد تقدم ذكر هذه الدور، وهناك دور أخرى ارتبطت بالأمويين يمكن عرضها على النحو التالى:

دار البركة

ذكرها ابن عبد الحكم فقال عند ذكره الخطط بالفسطاط «واختط الناس. حدثنا عبد الملك بن مسلمة أخبرنا ابن وهب عن يحيى بن أزهر عن الحجاج بن شداد عن أبى صالح الغفارى قال كتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب إنا قد اختططنا لك داراً عند المسجد الجامع فكتب إليه عمر أنى لرجل بالحجاز تكون له دار بمصر وأمره أن يجعلها سوقا للمسلمين قال ابن لهيعة هى دار البركة فجعلت سوقًا للمسلمين فكان يباع فيها الرقيق»[١٣١].

وفى رواية أخرى قال ابن عبد الحكم «وأما الليث بن سعد فإن عبد الملك حدثنا عنه أن دار البركة خطة لعبد الله بن عمر بن الخطاب فسأله إياها عبد العزيز بن مروان فوهبها له فلم يثبه منها شيئًا»[١٣٢].

وقد ذكر ابن دقماق هذه الدار بقوله «دار البركة هى خطة عبد الله بن عمر بن الخطاب. فكانت فى يده حتى استوهبها منه معاوية فوهبها له وقال الليث بن سعد الذى استوهبها منه عبد العزيز بن مروان»[١٣٣].

دار خلف

ذكرها ابن دقماق فى الانتصار فقال «هى خطة أبى فاطمة الدوس من الصحابة ذكر ذلك عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم ثم صارت الى عبد العزيز بن مروان فوهبها لابنه زبان»(١٣٤)

دار إسرائيل

ذكرها ابن دقماق فى الانتصار فقال «التى تلاصق زقاق الزهرى هى خطة عبد الله بن حذافة السهمى من الصحابة ثم صارت بيد ورثته فاشتراها عتبة بن أبى سفيان منهم وبناها لنفسه دارا»(١٣٥).

دار النحاس

ذكرها ابن دقماق فى الانتصار فقال «اختطها وردان الرومى ويكنى أبا عبيد مولى عمرو بن العاص يقال إنه من روم أرمينية ويقال غير ذلك فكتب مسلمة بن مخلد أمير مصر إلى معاوية يسأله أن يجعلها ديوانا فكتب معاوية إلى وردان يسأله فيها وعوضه منها دار وردان التى بسوقه»(١٣٦).

وذكر أن هذه الدار كانت من خطة الأزد فاشتراها عمر بن مروان وبناها وظلت فى أيديهم حتى عام ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م ثم صارت إلى شمول الأخشيدى فبناها قيسارية وحماما فصارت دار النحاس قيسارية شمول، وكانت بالساحل القديم(١٣٧).

قصر عمر بن مروان

ذكره ابن عبد الحكم عند ذكره من اختط حول المسجد الجامع مع عمرو بن العاص فقال «فاختط وردان مولى عمرو القصر الذى يعرف بقصر عمر بن مروان وإنما نسب إلى عمر بن مروان أن أنتناس صاحب الجند وخراج مسلمة سأل معوية أن يجعل له منزلاً قرب الديوان فكتب معوية إلى مسلمة بن مخلد يأمره أن يشترى له منزل وردان ويخط لوردان حيث شاء ففعل فأخذ أنتناس المنزل وبعث

مسلمة مع وردان السمط مولى مسلمة وأمره أن يقطعه غلوة نشابة فخرج معه حتي وقفا على موضع مناخ الإبل وكان ذلك فناء يتوسع فيه المسلمون فيما بينهم وبين البحر... فاختطها وردان. فلما مات انتناس اقطعت عمر بن مروان.. ويقال إن قصر عمر بن مروان من خطة الأزد فابتاع ذلك عبد العزيز بن مروان فوهبه لأخيه عمر بن مروان وذلك أن ذلك الزقاق من قصر عمر بن مروان إلى الاصطبل والاصطبل من خطة الأزد»(١٣٨).

من النص يتضح أن هذا القصر كان موضعه يسمى مناخ الإبل، وهو فى خطة الأزد فى الجهة الشمالية الشرقية من جامع عمرو بن العاص، وقد ذكره ابن دقماق فى الانتصار عند ذكره المكان المعروف بين القصرين بالفسطاط(١٣٩).

دار طلحة الميثانى

ذكرها ابن دقماق فى الانتصار فقال «والدار المجاورة لها هذه خطة سباع بن كرفطة الغفارى من الصحابة وتعرف هذه الدار بدار البير كان عبد للعزيز بن مروان قد اشتراها ووهبها لجرية بن سعيد بن الأصبغ الكلبى وهو أحد أخواله»(١٤٠).

دار الحصر

ذكرها ابن دقماق فى الانتصار فقال «وتعرف بدار الأنماط القديمة هذه خطة أبى ذر جندب بن جنادة الغفارى صاحب رسول الله ﷺ فصارت هذه الخطة إلى أبنيه فاشترى هذه الخطة منهما عبد العزيز بن مروان فوهبه لابنه سهيل بن عبد العزيز»(١٤١).

ودار الأنماط أطلق على خط كان به سوق الرقيق وسكن به أكابر مصر ويسلك إليها من دويرة خلف زقاق بنى جمع، قال ابن دقماق عند ذكره دار الأنماطى «كان هذا الخط من أعمر الأخطاط وكان به سوق الرقيق وبه سكنى أكابر مصر مثل ابن الطوير ودور البلابسة وسكنه كمال الدين الحرانى..»(١٤٢).

دار عقبة بن عامر الجهنى.

ذكرها ابن دقماق فقال «من أمراء مصر صحابى ولاه معاوية بن أبى سفيان مصر سنة أربع وأربعين وعزله سنة سبع وأربعين قال ابن يونس وتوفى عقبة بن عامر سنة ثمان وخمسين ودفن فى مقبرة مصر بالمقطم ومصحفه بمصر إلى الآن بخطه قال ورأيت له خطًا جيداً قال ابن يونس رأيته عند ابن قد يد على غير تأليف مصحف عثمان وفى آخره وكتبه عقبة بن عامر بيده»(١٤٣).

وقد ذكر ابن عبد الحكم دار عقبة بما نصه «واشترى معوية أيضًا دار عقبة بن عامر وخط له فى الفضاء قبالة الطريق إلى دار محفوظ بن سليمن وكانت من الخط الأعظم إلى البحر ويقال بل مسلمة بن مخلد أقطعها عقبة فحبسها عقبة على ابنته أم كلثوم ابنة عقبة وقد يجوز أن يكون مسلمة إنما أقطعها لعقبة بأمر معوية عوضا من الذى أخذ منه من داره»(١٤٤).

دار ابن رمانة

ذكرها ابن عبد الحكم فقال «واختط قيس بن أبى العاص السهمى داره التى عند دار ابن رمانة وكانت دار ابن رمانة بينها وبين المسجد.. واختط إلى جانب قيس بن أبى العاص عبد الله بن الحرث بن جزء الزبيدى مما يلى زقاق البلاط دار ابن رمانة وما يليها فاشترى ذلك عبد العزيز بن مروان فوهب لابن رمانة حيث قدم عليه ما بنى وكان ما بقى للأصبغ بن عبد العزيز..»(١٤٥).

دار بجوار دار ابن رمانة

ذكرها ابن عبد الحكم فقال «واختط عبادة بن الصامت إلى جانب ابن رمانة وأنت تريد إلى سوق الحمام وهى الدار التى كان يسكنها جوجو المؤذن ودار إلى جنبها فابتاع أحدهما عبد العزيز بن مروان فكانت له وصارت الأخرى لبنى مسكين»(١٤٦).

دار الأصبغ بن عبد العزيز

تقع فى غربى المسجد الجامع، ذكرها ابن عبد الحكم فقال «واختط خارجة بن حذافة غربى المسجد بينه وبين دار ثوبان قبالة الميضأة القديمة إلى أصحاب الحناء إلى أصحاب السويق بينه وبين المسجد الطريق وكان الربيع بن خارجة يتيمًا فى حجر بن عبد العزيز فلما بلغ اشترى منه داره بعشرة آلاف دينار للأصبغ بن عبد العزيز..»(١٤٧).

قصر مارية

ذكره ابن عبد الحكم فقال «والقصر الذى يقال له قصر مارية خطة لابن رفاعة الفهمى فوهبه لعبد العزيز بن مروان فبناه لأم ولد له رومية يقال لها مارية فنسب إليها ويقال إنه عوضه من ذلك موضعه بالحمراء ويقال بل ذلك خطتهم ثم هدمه عيسى بن يزيد الجلودى مدخله مصر مع عبد الله بن طاهر فبناه سجنا وهو السجن الذى عند محرس بنانه عند منزل عمرو بن سواد السرمى»(١٤٨).

دار مولى عتبة بن أبى سفيان

كانت بزقاق القناديل، قال ابن عبد الحكم «ودار أبى حكيم مولى عتبة بن أبى سفيان بناها له معاوية بن أبى سفين»(١٤٩).

دار عياض بن جريبة

قال ابن عبد الحكم «دار عياض بن جريبة الكلبى وهبها له عبد العزيز بن مروان»(١٥٠).

دار نصر

قال ابن عبد الحكم «وكانت دار نصر لرجل من قريش فمات فاشتراها عبد العزيز بن مروان فوهبها للأصبغ»(١٥١).

دار يزيد بن الوليد

ذكرها ابن عبد الحكم فقال «واختط الزبير بن العوام داره التى بسوق وردان

اليوم والخطة لبلى وفيها السلم الذى كان الزبير نصبه وصعد عليه الحصن وفيها كان عبد الله بن الزبير ينزل إذا قدم مصر فيما ذكر بعض المشائخ وقد كان عبد الملك بن مروان اصطفاها فردها عليهم هشام بن عبد الملك ثم أخذها منهم يزيد بن الوليد فلم تزل فى أيديهم حتى كانت ولاية أمير المؤمنين أبى جعفر فكلمه فيها هشام بن عروة وكانت لهشام ناحية من أبى جعفر فأمر بردها»(١٥٢).

وقد ذكرها ابن دقماق فى الانتصار فقال «دار الزبير بن العوام بسوق وردان وكانت دار الزبير فى غربى دار عمرو الصغرى فجرى بين غلمانه وغلمان عمرو خصومة فتحول عنها واختط داره التى فى سوق وردان»(١٥٣).

دار عبد العزيز بن مروان بالموقف

اختلف المؤرخون حول هذه الدار فقال البعض بناها إبراهيم بن صالح بن على ثم عرفت بدار عبد العزيز، وقال آخرون بناها عبد العزيز بن مروان، ويرجح د. محمود حامد الحسينى أن هذه الدار بناها عبد العزيز بن مروان حتى أخذها العباسيون فقام بتجديدها إبراهيم بن صالح بن على وعندما آلت إلى غيره أخذت تسميتها القديمة التى كانت علما عليها، ومن هنا عرفت حتى زمن ابن حوقل باسم دار عبد العزيز وكانت بالموقف، والموقف من أرض العسكر عند كوم الجارح(١٥٤).

القيساريات والحمامات

أمدنا ابن عبد الحكم بنص مهم يتعلق بالقيساريات التى شيدها عبد العزيز بن مروان وهى القيساريات التى تقدم ذكرها، حيث قال «وبنى عبد العزيز بن مروان القيساريات قيسارية العسل وقيسارية الحبال وقيسارية الكباش وهى فى خطة قوم من بلى يقال لهم الوحاوحة والقيسارية التى يباع فيها البز (المنسوجات) وهى التى تعرف بقيسارية عبد العزيز وأدخل فيها من خطط الراية وكان فيها منزل كعب بن عدى العبادى فعوضه منها داره التى فى بنى وائل»[١٥٥].

قيسارية العسل

ورد ذكر هذه القيسارية عند ذكر زيادة الوالى قرة بن شريك فى المسجد الجامع فى عام ٩٣هـ/ ٧١٠م وذلك فى خلافة الوليد بن عبد الملك كما تقدم، فقد أورد ابن عبد الحكم ما نصه «ثم كتب الوليد بن عبد الملك فى خلافته إلى قرة بن شريك العبسى وهو يومئذ واليه على أهل مصر وكانت ولاية قرة بن شريك مصر فى سنة تسعين قدمها يوم الاثنين لثلث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول.. فهدمه كله وبناه هذا النباء وزوقة وذهب رؤوس العمد التى فى مجالس قيس وليس فى المسجد عمود مذهب الرأس إلا فى مجالس قيس وحول قرة المنبر حين هدم المسجد إلى قيسارية العسل فكان الناس يصلون فيها الصلوات ويجمعون فيها الجمع حتى فرغ من بنيانه والقبلة فى القيسارية إلى اليوم»[١٥٦].

مما تقدم يتضح أن قيسارية العسل قامت بوظيفة المسجد الجامع فى أثناء عمارة جامع عمرو بن العاص فى ولاية قرة بن شريك.

قيسارية هشام بن عبد الملك

ذكرها ابن عبد الحكم فقال «وبنى هشام بن عبد الملك قيساريته التى تعرف بقيسارية هشام يباع فيها البز الفسطاطى فى الفضاء بين القصر وبين البحر.

وبقيت بعد ذلك من الفضاء بقية بين بنى وائل والبحر فاقطعها بنو العباس الناس»[157].

قيسارية أبي مرة

قال ابن دقماق «هي في خطة كعب بن عدى العبادى اشتراها عبد العزيز بن مروان وذكر سعيد الأدم أنه عارض بها ابن كعب هذا بدار أو آدر في بنى وائل وأخذ عبد العزيز القيسارية عوضا وكان الحمام المعروفة بأبي مرة التى في هذه القيسارية خطة لرجل من تنوخ فاستوهبها منه عبد العزيز بن مروان وبناها حماما لزبان ابنه.. وسماها العامة قيسارية أبي مرة باسم الصنم الذى كان على باب الحمام..»[158].

قيسارية ابن أبي مسبح

ذكرها ابن دقماق فقال «هي من خطة ابن الحويرث السهمى ثم صارت إلى عبد الله بن الحبحاب صاحب خراج مصر لهشام بن عبد الملك ثم وهبها لابنه القاسم فاصطفاها هشام عن ابن الحبحاب»[159].

قيسارية ابن أبي الثريا وما يليها إلى درب زقاق القناديل

ذكرها ابن دقماق فقال «هي من خطة النضر بن بشير بن عمرو المزنى ثم صارت إلى ابنه بشير بن النضر وكان قاضيًا بمصر زمن عبد العزيز بن مروان..»[160].

زاد عدد الحمامات عند تزايد عمران الفسطاط في العصر الأموى، حيث يرجع الفضل إلى الأمويين بمصر في كثرة عددها وتنوعها، وتنقسم هذه الحمامات إلى عامة وخاصة، ومن الحمامات التى ارتبطت بالأمويين:

حمام أبي مرة (حمام زبان): يعد هذا الحمام من الحمامات الخاصة، ذكره ابن دقماق فقال «هي حمام زبان بن عبد العزيز بن مروان وأبو مرة هو اسم الصنم الذى على بابه وهو يعرف الآن بحمام بثينة»[161].

حمام السوق الكبير

يعد هذا الحمام من الحمامات العامة، ذكره ابن دقماق فقال «تجاور الحمام

المذكورة وهى من خطة خولان الذى حازه الوليد بن عبد الملك وتعرف الآن بحمام صافى قال ابن المتوج وهى الآن بيد بنى الجباب»(١٦٢).

حمام السيدة

ذكره ابن دقماق فقال «بحبس بنانة هى من خطة مسعود بن أوس البلوى من الصحابة وكانت هذه الخطة قد انتقلت إلى بنى عبد العزيز بن مروان..»(١٦٣).

حمام سوق وردان

يعد هذا الحمام من الحمامات العامة، قال ابن دقماق «هو من الفضاء وكان من أقطاع مسلمة بن مخلد الأنصارى من الصحابة ثم صار هذا الحمام إلى بنى أبى بكر بن عبد العزيز بن مروان من قبل أمهم..»(١٦٤).

وقد ذكر ابن عبد الحكم من هذه الحمامات حمام السوق فقال «وما كان عن يمينك من رأس الجسر القديم إلى حمام الكبش وهو الحمام الذى يعرف اليوم بحمام السوق والآخر إلى ساحل مريس فكل ذلك كان للوليد بن عبد الملك وكان للوليد أيضًا ما كان على يسارك من الجزيرة وأنت خارج إلى الجيزة والحوانيت اللاصقة بجزيرة الصناعة»(١٦٥).

كما ذكر ابن عبد الحكم حمام أبى مرة (حمام زبان) فقال «والحمام الذى يعرف اليوم بحمام أبى مرة كان خطة لرجل من تنوخ هو جد ابن علقمة أو أبوه فسأله إياه عبد العزيز بن مروان فوهبه له فبناه حمامًا لزبان بن عبد العزيز وبزبان كان يعرف وفيه يقول الشاعر

من كان فى نفسه للبيض منزلة ... فليأت أبيض فى حمام زبان

لاروح فيه ولا شفر يقلبه ... لكنه صنم فى خلق إنسان

فى أبيات له وكان فيه صنم من رخام على خلقة المرأة عجب من العجب حتى كسرت فى السنة التى أمر يزيد بن عبد الملك فيها بكسر الأصنام وكان أمر بكسرها فى سنة اثنتين ومائة.. غرس له عبد العزيز نخله التى بالجيزة اليوم تعرف بجنان كعب عوضا من ذلك»(١٦٦).

حمام سهل

يعد هذا الحمام من الحمامات الخاصة، وهو من الحمامات التى ذكرها ابن

عبدالحكم، حيث قال «ودار سهل التى فيها السراجين وحمام سهل كان ذلك لعبد الله بن عمرو بن العاص اشتراها فوهبها لابنته أم عبد الله بنت عبد الله بن عمرو فتزوجها عبد العزيز بن مروان فأولدها سهلا وسهيلا فورثاها من أمهما»(١٦٧).

أما فيما يتعلق بحمام سوق وردان فقد ذكره ابن عبد الحكم بقوله فكانت دار مسلمة من رحا الكعك إلى حمام سوق وردان مما صار لعبد العزيز ولأبى بكر بن عبد العزيز وكان لأبى بكر من منية أم سهل ما ورثه عن امرأته»(١٦٨).

حمام القبو

ذكره ابن دقماق فقال «هو من فضاء الراية وكان بشر بن مروان قد حازه فيما حازه ثم اقطع ذلك كله المهدى لمنارة مولى أبى جعفر المنصور..»(١٦٩).

مسجد العيثم (الحكم بن أبى بكر)

يعد مسجد العيثم من المساجد التى شيدت فى العصر الأموى بمصر. وقد تقدم ذكر جامع عمرو بن العاص والزيادات التى طرأت عليه فى العصر الأموى، كما تقدم ذكر مسجد عبد الله بن عبد الملك الذى شيد عند الموقف بأرض العسكر بالقرب من كوم الجارح، أما فيما يتعلق بمسجد العيثم فقد ذكره ابن عبدالحكم فى فتوح مصر وأخبارها بقوله «ومسجد العيثم بناه الحكم بن أبى بكر بن عبد العزيز بن مروان فهو من الاصطبل وكان الاصطبل للأزد فاشتراه منهم الحكم فبناه.. والحكم بن أبى بكر الذى بنى المسجد المعروف اليوم بقبة سوق وردان»(١٧٠).

وقد ذكر ابن دقماق فى الانتصار هذا المسجد بقوله «مسجد معلق هو مسجد العيثم بن أيوب ويقال إن الحكم بن أبى بكر بن عبد العزيز بن مروان بناه»(١٧١).

قنطرة عبد العزيز بن مروان ٦٩هـ/٦٨٨م

كان خليج أمير المؤمنين الذى أعاد حفره والى مصر عمرو بن العاص بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يقل أهمية عن نهر النيل وذلك بغرض حمل الطعام والقمح من مصر إلى الحجاز، قال ابن عبد الحكم «إن الناس بالمدينة أصابهم جهد شديد فى خلافة عمر بن الخطاب فى سنة الرمادة فكتب إلى

عمرو بن العاص وهو بمصر. . فياغوثاه ثم ياغوثاه يردد قوله فكتب إليه عمرو بن العاص. . فيا لبيك ثم يا لبيك قد بعثت إليك بعير أولها عندك وآخرها عندى. . فبعث إليه بعير عظيمة فكان أولها بالمدينة وآخرها بمصر يتبع بعضها بعضًا فلما قدمت على عمر وسع بها على الناس ودفع إلى أهل كل بيت بالمدينة وما حولها بعيرًا بما عليه من الطعام. . فوسع الله بذلك على الناس. فلما رأى ذلك عمر حمد الله وكتب إلى عمرو بن العاص يقدم عليه هو وجماعة من مصر معه فقدموا عليه فقال عمر يا عمرو إن الله قد فتح على المسلمين مصر وهى كثيرة الخير والطعام وقد ألقى فى روعى لما أحببت من الرفق بأهل الحرمين والتوسعة عليهم حين فتح الله عليهم مصر وجعلها قوة لهم ولجميع المسلمين أن أحفر خليجًا من نيلها حتى يسيل فى البحر فهو أسهل لما نريد من حمل الطعام إلى المدينة ومكة»[١٧٢].

وأضاف ابن عبد الحكم «. . فقال له انطلق يا عمرو بعزيمة منى حتى تجد فى ذلك ولا يأتى عليك الحول حتى تفرغ منه إن شاء الله فانصرف عمرو وجمع لذلك من الفعلة ما بلغ منه ما أراد ثم احتفر الخليج الذى فى حاشية الفسطاط الذى يقال له خليج أمير المؤمنين فساقه من النيل إلى القلزم فلم يأت الحول حتى جرت فيه السفن فحمل فيه ما أراد من الطعام إلى المدينة ومكة فنفع الله بذلك أهل الحرمين وسمى خليج أمير المؤمنين ثم لم يزل يحمل فيه الطعام حتى حمل فيه بعد عمر بن عبد العزيز ثم ضيعته الولاة بعد ذلك فترك وغلب عليه الرمل. .»[١٧٣].

وتعد قنطرة عبد العزيز بن مروان التى شيدها فى عام ٦٩هـ/٦٨٨م من أهم القناطر التى أقيمت على الخليج، وقد كتب عبد العزيز بن مروان اسمه عليها، وتوالت عليها الإصلاحات، فزاد فيها تكين أمير مصر فى سنة ٣١٨هـ/ ٩٣٠م، ثم زاد فيها الأخشيد فى سنة ٣٣١هـ/٩٤٢م، كما عمرت فى عهد الخليفة الفاطمى العزيز بالله، وكان تستعمل لربط بر الخليج الشرقى ـ حيث الفسطاط ـ ببر الخليج الغربى حيث النيل، وقد اندثرت هذه القنطرة فى بداية العصر الأيوبى عندما انحسر النيل من ساحل مصر وشيدت قنطرة السد عند فم النيل بدلا منها،

قال المقريزى عند ذكره قناطر الخليج الكبير «قال القضاعى القنطرتان اللتان على هذا الخليج يعنى خليج مصر الكبير أما التى فى طرف الفسطاط بالحمراء القصوى فإن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بناها فى سنة تسع وستين وكتب عليها اسمه وابتنى قناطر غيرها وكتب على هذه القنطرة المذكورة هذه القنطرة أمر بها عبد العزيز بن مروان الأمير اللهم بارك له في أمره كله وثبت سلطانه على ما ترضى وأقر عينه فى نفسه وحشمه آمين»(١٧٤).

هذا وقد أمدنا المقريزى بنص مهم نتبين منه اسم القائم بالبناء ثم الإصلاحات التى طرأت عليها، حيث قال «وقام ببنائها أسعد أبو عثمان وكتب عبد الرحمن فى صفر سنة تسع وستين ثم زاد فيها تكين أمير مصر فى سنة ثمان عشرة وثلثمائة ورفع سمكها ثم زاد عليها الإخشيد فى سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة ثم عمرت فى أيام العزيز بالله وقال ابن عبد الظاهر وهذه القنطرة ليس لها أثر فى هذا الزمان قلت موضعها الآن خلف خط السبع سقايات وهذه القنطرة هى التى كانت تفتح عند وفاء النيل فى زمن الخلفاء فلما انحسر النيل عن ساحل مصر اليوم أهملت هذه القنطرة وعملت قنطرة السد عند فم بحر النيل»(١٧٥).

جزيرة الروضة ودور الصناعة والمقياس

ذكرها المقريزى فقال «أعلم أن الروضة تطلق فى زماننا هذا على الجزيرة التى بين مدينة مصر ومدينة الجيزة وعرفت فى أول الإسلام بالجزيرة وبجزيرة مصر ثم قيل لها جزيرة الحصن وعرفت إلى اليوم بالروضة وإلى هذه الجزيرة انتقل المقوقس لما فتح الله تعالى على المسلمين القصر وصار بها هو ومن معه من جموع الروم والقبط وبها أيضًا بنى أحمد بن طولون الحصن وبها كانت الصناعة يعنى صناعة السفن الحربية أى كانت بها دار الصناعة»(١٧٦). وفى نص أكثر تفصيلا يتعلق بدار الصناعة وتشييدها من قبل الوالى مسلمة بن مخلد من قبل الخليفة معاوية يذكر المقريزى نقلاً عن القضاعى» وقال القضاعى جزيرة فسطاط مصر قال الكندى بنيت بالجزيرة الصناعة فى سنة أربع وخمسين»(١٧٧). ويحدثنا عن الجزيرة

فى عهد والى مصر عبد العزيز بن مروان بقوله «وكان بالجزيرة يعنى بعد فتح مصر فى أيام عبد العزيز بن مروان أمير مصر خمسمائة فاعل معدة لحريق يكون فى البلد أو هدم»[١٧٨].

وفى موضع آخر قال المقريزى «صناعة الجزيرة هذه الصناعة كانت بجزيرة مصر التى تعرف اليوم بالروضة وهى أول صناعة عملت بفسطاط مصر بنيت فى سنة أربع وخمسين من الهجرة وكان قبل بنائها هناك خمسمائة فاعل تكون مقيمة أبدا معدة لحريق يكون فى البلاد أو هدم ثم اعتنى الأمير أبو العباس أحمد بن طولون بإنشاء المراكب الحديثة فى هذه الصناعة وأطافها بالجزيرة ولم تزل هذه الصناعة إلى أيام الملك الأمير أبى بكر محمد بن طغج الأخشيد فأنشأ صناعة بساحل فسطاط مصر»[١٧٩].

وكانت جزيرة الروضة معروفة عند الفتح باسم الجزيرة لوقوعها فى مجرى النيل، وبجزيرة مصر. وبجزيرة الصناعة لوجود الصناعة بها وقد كانت لصناعة مصر شأن عظيم منذ نشأتها ولا سيما فى العصر الأموى، حيث كان لديها الكثير من الصناع والملاحين المهرة من أهل البلاد الأصليين الذين أمدت بهم دور الصناعة فى المشرق والمغرب، وقاموا بدور عظيم فى المشروعات البحرية العامة للدولة الإسلامية، ولما ولى الخلافة عبد الملك بن مروان بعث إلى حسان بن النعمان عامله فى أفريقية يأمره بأن يتخذ صناعة تونس وكتب إلى أخيه عبد العزيز بن مروان والى مصر أن يوجه إليها ألف قبطى بأهلهم وأولادهم لإنشاء دار الصناعة بها[١٨٠]. كما عرفت بجزيرة الفسطاط لوقوعها تجاه مدينة الفسطاط وبجزيرة المقياس، حيث يوجد بها مقياس النيل الذى أنشأه أسامة بن زيد التنوخى العامل على خراج مصر بأمر الخليفة الأموى سليمان بن عبد الملك الأموى فى سنة ٩٧هـ/ ٧١٥م[١٨١].

المقياس

قال ابن عبد الحكم فيما يتعلق بالمقياس بجزيرة الروضة «ووضع أسامة بن زيد التنوخى فى خلافة الوليد مقياسًا بالجزيرة وهو أكبرها»[١٨٢]

الإهراءات (مخازن الغلال)

كانت الإهراءات تقع غربى مسجد القرون، ويتم فيها خزن القمح للجند، قال ابن دقماق فى الانتصار عند ذكره دار الفهريين» المعروفة بدار السلسلة هذه الدار من مسجد القرون إلى حمام الخشابين وكان غربى مسجد القرون الأهراء التى يخزن فيها القمح للجند من زمن معاوية إلى خلافة بنى هاشم..»(١٨٣).

ويذكر د. محمود الحسينى أن هذه الأهراءات كانت بالحمراء وتتصل حتى النيل، ثم يتحدث نقلاً عن ابن عبد الحكم عن هرى آخر، ولكن فى رأيه أنه ليس بالمعنى الذى حدده عند الحديث عن الإهراءات التى تقع غربى مسجد القرون ، ويتمثل فى دار الفلفل التى تقدم ذكرها، وقد ذكر ابن عبد الحكم هذه الدار بقوله «وإنما سميت دار الفلفل لأن أسامة بن زيد التنوخى إذ كان واليا على خراج مصر ابتاع من موسى بن وردان فلفلا بعشرين ألف دينار كان كتب فيه الوليد بن عبد الملك أراد أن يهديه إلى صاحب الروم فخزنه فيها فشكا ذلك موسى بن وردان إلى عمر بن العزيز حين ولى الخلافة فكتب أن يدفع إليه»(١٨٤).

البيمارستانات

يعد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك أول من اتخذ البيمارستانات فى العصر الإسلامى، فقد شيد بيمارستاناً فى دمشق وسبله على المرضى، وذلك فى سنة ٨٨هـ/٧٠٧م، وجعل فى البيمارستان الأطباء وأجرى عليهم الأرزاق وأمر بحبس المجذومين لكى لا يخرجوا فيختلطوا بالناس وأجرى عليه وعلى العميان الأرزاق، وكذلك المعقدين(١٨٥).

وقد عرفت مصر البيمارستانات فى العصر الأموى، حيث أقام الأمويون أول بيمارستان فى مصر فى دار أبى زبيد بزقاق القناديل بالفسطاط، قال ابن دقماق فى الانتصار «وقيل إنه كان فى الدولة الأموية مارستان فى زقاق القناديل دار أبى زبيد»(١٨٦). غير أن ابن دقماق يرى أن المارستان العتيق بمصر والذى يعرف

بالأعلى كان أول مارستان فى مصر، حيث يذكر «المارستان العتيق بمصر ويعرف بالأعلى هذا المارستان يعرف بالأعلى أنشأه أحمد بن طولون فى سنة تسع وخمسين ومائتين وقيل فى سنة إحدى وستين ومائتين وذكر أن مبلغ ما أنفق عليه وعلى مستغله ستون ألف دينار وحبس عليه سوق الرقيق وغيره ولم يكن قبل ذلك بمصر مارستان. .»(١٨٧).

ومن المرجح أن هذا البيمارستان شيد فى ولاية عبد العزيز بن مروان أسوة بمارستان دمشق الذى شيده الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان، كما يذكر د. فريد شافعى أن الإشارة إلى دار أبى زبيد هذه تنبهنا إلى احتمال تأثر تخطيط البيمارستان بمسقط الدور والمنازل وهو الأمر الذى يتضح لنا فيما بعد فى العصر المملوكى(١٨٨).

هوامش وتعليقات الفصل الثالث

(١) د. إبراهيم العدوى: مصر الإسلامية (سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية)، مشروع المائة كتاب ١٧، وزارة الثقافة، هيئة الآثار المصرية، ١٩٩١م، ص ص ٧٣-٧٤.

(٢) د. إبراهيم العدوى: مصر الإسلامية، ص ص ٧٤-٧٦.

(٣) د. إبراهيم العدوى: مصر الإسلامية، ص ص ٧٦-٧٧.

(٤) الكندى (أبى عمر محمد بن يوسف): تاريخ ولاة مصر، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ٢٢. ، د. إبراهيم العدوى: مصر الإسلامية، ص ص ٧٧-٧٨.

(٥) الكندى تاريخ ولاة مصر، ص ص ٢٣-٢٥. ، د. إبراهيم العدوى: مصر، ص ص ٧٨-٨٠.

(٦) الكندى: تاريخ ولاة مصر، ص ٣١، د. إبراهيم العدوى: مصر، ص ص ٨٧-٨٨.

(٧) د. إبراهيم العدوى: مصر، ص ص ٨٧-٨٨.

(٨) مزيد من التفاصيل انظر: د. محمود حامد أحمد الحسينى: التطور العمرانى لعواصم مصر الإسلامية ـ الفسطاط . العسكر. القطائع ـ حتى نهاية العصر الفاطمى، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص ١٩٢.

(٩) د. محمود حامد: التطور العمرانى، ص ص ١٦٣-١٦٤.

(١٠) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٨٠.

انظر عن فضل مقبرة مصر: ابن الكندى (عمر بن محمد بن يوسف). فضائل مصر المحروسة تحقيق د. على محمد عمر، مكتبة الخانجى، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص ٤٤، ابن زولاق: فضائل مصر وأخبارها وخواصها، تحقيق د. على محمد عمر، مكتبة الخانجى، القاهرة، ص ٩٤.

(١١) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٨٣. ، السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عثمان) ت ٩١١هـ/١٥٠٥م: حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة، دارالكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م مج٢، ص ٧.

(١٢) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ٢٥٣.

(١٣) د. محمود حامد: التطور العمرانى، ص ص ٥٤٣-٥٤٤.

(١٤) الكندى: تاريخ ولاة مصر، ص ٣٤، السيوطى: حسن المحاضرة؛ مج٢، ص٨.

أنظر أيضًا: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة. ١٢٢-١٢٤.

(١٥) الكندى: تاريخ ولاة مصر، ص ٣٥، د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الإسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٢م، ص ص ٩٦-٩٧. كان من الطبيعى أن يزود ساحل الإسكندرية بالمحارس والأبراج والحصون لإقامة هؤلاء المرابطة، خاصة بعد أن تخربت أسوار الإسكندرية عند الفتح الثانى، وكان يتولى مرابطة الإسكندرية رئيس يشرف على شؤونهم، وينظم أمورهم، ومن هؤلاء الرؤساء علقمة بن يزيد الغطيفى الذى عقد له عتبة على الإسكندرية، وظلت

الإسكندرية دائمًا موضع العناية من الخلفاء وولاة مصر، فقد كانت فى نظرهم جميعًا ثغرًا من أهم الثغور الإسلامية التى يجب العناية بها وبحصونها وبوسائل الدفاع عنها، وكانت حامية الإسكندرية مقسمة إلى عرافات، ولكل عريف قصر ينزل فيه بمن معه من أصحابه، وكانت المنارة الكبرى فى جزيرة فاروس أعلى أبراج الإسكندرية وأهمها لإشرافها على البحر مباشرة، ومن معالم المدينة دار الإمارة التى تقدم الإشارة إليها، ودار الصناعة التى شيدت فى عهد الى عبد الله بن سعد بن أبى سرح، ودار الطراز.

مزيد من التفاصيل انظر:

د. جمال الدين الشيال: تاريخ مدينة الإسكندرية فى العصر الإسلامى، دار المعارف، القاهرة، ص ص ٣٦-٣٨. ، د. السيد عبد العزيز سالم؛ تاريخ الإسكندرية وحضارتها، ص ص ٩٦-٩٧.

(١٦) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٥، ص ٢١٨.

(١٧) الكندى: تاريخ ولاة مصر، ص ص ٣٤-٣٥.

(١٨) ابن تغرى بردى النجوم، جـ١، ص ١٢٤.

(١٩) الكندى: تاريخ ولاة مصر، ص ٣٥، السيوطى: حسن المحاضرة، مج٢، ص٨.

(٢٠) ابن تغرى بردى: النجوم، جـ١، ص ١٢٧.

(٢١) ابن تغرى بردى: النجوم، جـ١، ص ١٢٨.

(٢٢) الكندى: تاريخ ولاة مصر، ص ٣٦، السيوطى: حسن المحاضرة، مج٢، ص٨.

(٢٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٣١.

(٢٤) الكندى: تاريخ ولاة مصر، ص ٣٧.

(٢٥) ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى): الانتصار لواسطة عقد الأمصار فى تاريخ مصر وجغرافيتها، المكتب التجارى، بيروت، ق١، ص ص ٦٢-٦٣.

(٢٦) المقريزى الخطط، جـ٢، ص ٢٧٠.

(٢٧) ابن دقماق: الانتصار، ق٢، ص ص ٥٩.

(٢٨) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص٢٤٦.

(٢٩) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ٢٤٧. انظر عن هذه العمارة أيضًا: Organization of Islamic Capitals and Cities: principles of Architectural Design And Urban planning During Different Islamic Eras Analytical Study for Cairo City), Organization of Islamic Capitals And Cities, 1412 A.H / 1992 A.D, P. 13.

(٣٠) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٣١.

(٣١) الكندى: تاريخ ولاة مصر، ص ٤٦.

(٣٢) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص ٦٣.

(٣٣) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ٢٤٨، حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م، ص ٢٤.

(٣٤) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٣١.

(٣٥) الكندى: تاريخ ولاة مصر، ص ص ٥٢-٥٣.

(٣٦) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص ٦٣.

(٣٧) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ٢٤٨.

(٣٨) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٣١.

(٣٩) الكندى: تاريخ ولاة مصر، ص ٥٦، انظر عن هذه العمارة أيضا:

Organization of Islamic Capitals And Cities: Principles of Architectural Design, P.13.

(٤٠) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص ص ٦٣-٦٥.

قال ابن دقماق فيما يتعلق بالمنبر «وقيل إن زكريا بن مرقنى ملك النوبة أهداه إلى عبد الله بن سعد بن أبى سرح وبعث معه نجاره حتى ركبه واسم هذا النجار بقطر من أهل دندرة فلم يزل هذا المنبر فى المسجد حتى زاد فيه قرة بن شريك فنصب منبراً سواه على ما تقدم شرحه ولم يكن يخطب فى القرى إلا على العصى إلي أن ولى عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير اللخمى مصر من قبل مروان بن محمد فأمر باتخاذ المنابر فى القرى وذلك سنة اثنين وثلاثين ومائة وَذكر أنه لا يعرف منبر أقدم منه يعنى منبر قرة بن شريك بعد منبر رسول الله ﷺ فلم يزل إلى أن قلع وكسر فى أيام العزيز بالله فى وزارة يعقوب بن كلس فى يوم الخميس لعشر بقين من شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين وثلثمائة..».

ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص ص ٦٣-٦٤.

وأذكر هنا تعليقًا على مَا ذكره ابن دقماق.. «وأمير مصر يومئذ عبد الملك بن رواحة الفهمى» أنه عبد الملك بن رفاعة بن خالد بن ثابت بن ظاعن بن الفجلان بن عبد الله بن صبح بن والبة بن نصر بن صعصعة بن ثعلبة بن كنانة بن عمرو بن القين بن فهم بن عمرو بن سعيد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

الكندى: تاريخ، ص ٥٧.

(٤١) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ص ٢٤٨-٢٤٩.

(٤٢) د. أحمد فكرى: المدخل، ص ٦٩.

(٤٣) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص٦٨.

(٤٤) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ص ١٣١-١٣٢.

(٤٥) الكندى: تاريخ ولاة مصر، ص ص ٥٧-٥٨.

(٤٦) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ٢٧٠.

(٤٧) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ٢٧٠.

(٤٨) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ٢٧٠.

(٤٩) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ٢٧٠.

(٥٠) الكندى: تاريخ، ص ٣٨.

(٥١) الكندى: تاريخ، ص ٣٩.

(٥٢) ابن تغرى بردى: النجوم، جـ١، ص ١٥٨.

(٥٣) الكندى: تاريخ، ص ص ٣٩-٤٠.

(٥٤) الكندى: تاريخ، ص ص ٤٠-٤١.

(٥٥) ابن تغرى بردى: النجوم، جـ١، ص٦٥.

(٥٦) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ١٥٨.

(٥٧) الكندى: تاريخ ولاة مصر، ص ٤١.

(٥٨) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ص ٩٨-٩٩.

(٥٩) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٠٧.

(٦٠) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص ٥.

(٦١) الكندى: تاريخ، ص ص ٤٢-٤٤.

(٦٢) الكندى: تاريخ، ص ٤٣.

(٦٣) د. محمود الحسينى: التطور، ص ٢١٧.

(٦٤) د. محمود حامد: التطور العمرانى، ص ٢٠٢.

(٦٥) د. محمود حامد: التطور العمرانى، ص ٢٠٢.

(٦٦) د. محمود حامد: التطور العمرانى، ص ٢١٦.

(٦٧) الكندى: تاريخ، ص ٤٤.

(٦٨) الكندى: تاريخ، ص ص ٤٤-٤٥.

(٦٩) ابن تغرى بردى: النجوم، جـ١، ص ١٧٣.

(٧٠) ابن تغرى بردى: النجوم، جـ١، ص ١٨٥، انظر أيضًا: ابن اياس (محمد بن أحمد): بدائع الزهور فى وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، جـ١، ق١، ص ١٢٢.

(٧١) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ٢٣٦.، السيوطى: حسن المحاضرة، مج٢، ص٩.

(٧٢) د. محمود الحسينى: التطور العمرانى، ص ص ٢١٨, ٤٣٠.

(٧٣) المقريزى: الخطط، جـ١، ص ٢٠٩.

(٧٤) محمد رمزى: القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م، القسم الثانى (البلاد الحالية)، الجزء الثالث (مديريات الجيزة وبنى سويف والفيوم والمنيا)، ص ١٢.

(٧٥) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص ص ٢٩٠-٢٩٤.

(٧٦) محمد رمزى: القاموس الجغرافى، ق٢، جـ٣، ص ١٣، د. محمود حامد: التطور العمرانى، ص ص ٤٣٢-٤٣٣.

(٧٧) محمد رمزى: القاموس الجغرافى، ق٢، جـ٣، ص ١٢.

(٧٨) محمد رمزى: القاموس الجغرافى، ق٢، جـ٣، ص ص ١٢-١٤.

(٧٩) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٦.

(٨٠) الكندى: تاريخ، ص ٤٥.

(٨١) ابن تغرى بردى: النجوم، جـ١، ص ١٨٨.

(٨٢) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٣٦.

(٨٣) الكندى: تاريخ، ص ص ٤٨-٤٩.

(٨٤) الكندى: تاريخ، ص ٥١، جاء فى معجم الأنساب والأسرات الحاكمة أن عبد الله بن عبد الملك ولى سنة ٨٤هـ.

انظر: زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى، دار الرائد العربى، بيروت، لبنان، ص ٣٨.

(٨٥) الكندى: تاريخ، ص ٥٢.

(٨٦) الكندى: تاريخ، ص ٥٢.

(٨٧) الكندى: تاريخ، ص ٥٢.

(٨٨) الكندى: تاريخ، ص ٥٢.

(٨٩) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٢٢.

(٩٠) المقريزى: الخطط، جـ١ ص ٣٣١.

(٩١) مزيد من التفاصيل انظر:

د. محمود حامد: التطور العمرانى، ص ص ٢٢٣-٢٢٤.

(٩٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ٣١.

(٩٣) الكندى: تاريخ، ص ٥٥.

(٩٤) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٣١.

(٩٥) الكندى: تاريخ، ص ٥٦. وفى ذلك قال ابن تغرى بردى «ولما كان قرة على مصر أمره الوليد بهدم ما بناه عمه عبد العزيز بن مروان لما كان أمير مصر ففعل قرة ذلك، ثم أخذ بركة الحبش وأحياها وغرس بها القصب فقيل لها اسطبل قرة».

ابن تغرى بردى: النجوم، جـ١، ص ٢١٩. أنظر أيضًا عن اسطبل: د. محمد محمد أمين، ليلى على إبراهيم: المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية (٦٤٨-٩٢٣هـ) (١٢٥٠-١٥١٧م) دار النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م، ص ص ١٣-١٤.

(٩٦) الكندى: تاريخ، ص ص ٥٦-٥٧.

(٩٧) الكندى: تاريخ، ص ٩٧.

(٩٨) الكندى: تاريخ، ص ٥٨.

(٩٩) الكندى: تاريخ، ص ٦٠.

(١٠٠) الكندى: تاريخ، ص ٦١.

(١٠١) الكندى: تاريخ، ص ص ٦١-٦٢.

(١٠٢) الكندى: تاريخ، ص ٦٢.

(١٠٣) ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ١٧٤.

(١٠٤) ابن تغرى بردى: النجوم، جـ١، ص ٢٥٩.

(١٠٥) الكندى: تاريخ، ص ٦٣.

(١٠٦) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٣٦.

(١٠٧) الكندى: تاريخ، ص ٦٣.

(١٠٨) الكندى: تاريخ، ص ٦٤.

(١٠٩) الكندى: تاريخ، ص ٦٤.

(١١٠) الكندى: تاريخ، ص ٦٤.

(١١١) الكندى: تاريخ، ص ص ٦٧-٦٨.

(١١٢) الكندى: تاريخ، ص ص ٦٩-٧١.

(١١٣) الكندى: تاريخ، ص ٧١.

(١١٤) الكندى: تاريخ، ٧٢.

(١١٥) الكندى: تاريخ، ص ص ٧٣-٧٦.

(١١٦) الكندى: تاريخ، ص ٧٧.

(١١٧) الكندى: تاريخ، ص ٧٧.

(١١٨) الكندى: تاريخ، ص ص ٧٨-٨٠.

(١١٩) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٠١.

(١٢٠) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٠٠.

(١٢١) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٠١.

(١٢٢) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص ٥.

(١٢٣) د. محمود الحسينى: التطور، ص ص ٥٣٧-٥٣٨.

(١٢٤) الكندى: تاريخ، ص ٤٤.

(١٢٥) الكندى: تاريخ، ص ص ٧٨-٨٠.

(١٢٦) د. محمود الحسينى: التطور العمرانى، ص ٥٤١.

(١٢٧) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٣٣.

(١٢٨) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ص ٢٣٠-٢٣١.

(١٢٩) د. محمود حامد: التطور العمرانى، ص ٥٤٤

(١٣٠) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص ١١.

(١٣١) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ٩٢.

(١٣٢) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ٩٢.

(١٣٣) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص ٦.

(١٣٤) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص ٦.

(١٣٥) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص ٦.

(١٣٦) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص ٦.

(١٣٧) مزيد من التفاصيل عن هذه الدار انظر: د. محمود حامد: التطور، ص ٢٢٠.

(١٣٨) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ٩٨.

(١٣٩) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص٧.

(١٤٠) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص٧.

(١٤١) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص٧.

(١٤٢) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص ١٢. د. محمود حامد: التطور، ص ص ٢٢٠-٢٢١.

(١٤٣) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص١١.

(١٤٤) ابن عد الحكم: فتوح، ص ١٠٠.

(١٤٥) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ص ١٠٢-١٠٣.

(١٤٦) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٠٤.

(١٤٧) قال ابن عبد الحكم «فلما ولى عمر بن عبد العزيز ركب إليه وأخرج له

كتاب حبس الدار فردها عليه بعد أن يدفع إليه الثمن فسأله أن يعطى كراءها فقال أما الكراء فلا الكراء بالضمان فردها عليه ولم يأمر له بالكراء. قال الليث بن سعد فرأيت الربيع فيها وأنا إذ ذاك غلام. ثم خاصم فيها الأصبغ إليه وابن شهاب قاضيه يومئذ فقضا ابن شهاب لابن خارجة بالدار وقبضها أنه لا يجوز اشتراء الولى ممن يلى أمره ثم خاصم إلى يزيد بن عبد الملك بعد عمر فقضا له بالكراء فسلمها له بنو الأصبغ حتى مات يزيد ثم رفعوا إلى هشام بن عبد الملك فقضا الاكراء عليهم فرد الكراء إلى بنى الأصبغ.

انظر: ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٠٤.

(١٤٨) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١١٢.

(١٤٩) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١١٢.

(١٥٠) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١١١.

(١٥١) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١١٢.

(١٥٢) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١١٤.

(١٥٣) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص ١١.

(١٥٤) د. محمود حامد: التطور، ص ص ٢٢٥-٢٢٦.

(١٥٥) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٣٦، انظر عن مصطلح القياسر: د. رفعت موسى محمد، الوكالات والبيوت الإسلامية فى مصر العثمانية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص ص ٣٧-٣٨.

(١٥٦) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٣١، شحاتة عيسى إبراهيم: القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م، ص ٣٠، د. محمد محمد الكحلاوي: آثار مصر الإسلامية فى كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص ١٤٦.

(١٥٧) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٣٦.

(١٥٨) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص ٣٩.

(١٥٩) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص ٣٩.

(١٦٠) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص ٣٩.

(١٦١) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص١٠٥.

(١٦٢) ابن دقماق: إلانتصار، ق١، ص ١٠٥.

(١٦٣) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص ١٠٦.

(١٦٤) ابن دقماق: الانتصار، ق ١، ص ١٠٦.

(١٦٥) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ص ١٣٦-١٣٧.

(١٦٦) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ص ١١٣-١١٤.

(١٦٧) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١١٢.

(١٦٨) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٠٠.

(١٦٩) ابن دقماق: الانصار، ق١، ص ١٠٦.

(١٧٠) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ص ١٦٢-١٦٣.

(١٧١) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص ١٨٤.

(١٧٢) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ص ١٦٢-١٦٣.

(١٧٣) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٦٤.

(١٧٤) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ١٤٦، د. محمود حامد: التطور العمرانى، ص ٥٥٤.

(١٧٥) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ١٤٦.

(١٧٦) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ص ١٧٧-١٧٨.

(١٧٧) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ١٧٨.

(١٧٨) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ١٧٨.

(١٧٩) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ص ١٩٦-١٩٧.

(١٨٠) د. محمود الحسينى: التطور، ص ٥٦٢.

(١٨١) د. محمود حامد: التطور العمرانى، ص ص ٣٨٧-٣٨٨.

(١٨٢) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٦.

(١٨٣) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص ص ١١-١٢.

(١٨٤) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ٩٩.

(١٨٥) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ٤٠٥، د. محمود حامد: التطور العمرانى، ص ٥٧٣.

(١٨٦) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص ٩٩، د. أحمد عبد الرازق: الحضارة الإسلامية، ص ١٧٠.

(١٨٧) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص٩٩.

(١٨٨) مزيد من التفاصيل انظر: د. محمود حامد: التطور العمرانى، ص ٥٧٤.

الفصل الرابع

الآثار والإضافات والتجديدات المعمارية الأموية فى المغرب

تشمل بلاد المغرب شمال القارة الأفريقية، وتتضمن حاليا البلاد الليبية بولاياتها الثلاث (برقة وطرابلس وفزان)، وتونس، والجزائر، بصحرائها المترامية إلى تخوم السودان، ثم المغرب ـ الذى كان يعرف إلى عهد قريب باسم مراكش نسبة إلى عاصمته الجنوبية ـ ويمتد طبيعيًا نحو الجنوب، إلى تخوم السنغال والنيجر، وانطلاقاً من هذا التعريف للبلاد المتفق على تسميتها بالمغرب نهج فريق من المؤرخين والجغرافيين على تقسيمها إلى أربعة أقسام يشمل الأول برقة وطرابلس وهى أول كور المغرب من جهة الشرق، وبعض المؤرخين يدمج هذه الكورة إلى إفريقية، وبعضهم يفصلها عن المغرب، ويشمل الثانى إفريقية وهى الولاية الشرقية من مجموع بلاد أطلس، وهى البلاد التى تمتد من خليج سرت الكبير شرقًا إلى المحيط الأطلسى غربًا، وقد أطلق العرب عليها المغرب الأدنى لأنها أقرب إلى بلاد العرب ودار الخلافة بالحجاز والشام وتمتد من طرابلس شرقا حتى بجاية أو تاهرت غربا، وقاعدة إفريقية مدينة القيروان، ويشمل الثالث المغرب الأوسط ويمتد من تاهرت حتى وادى ملوية وجبال تازة غربا وقاعدته تلمسان وجزائر بنى مزغنه، أما القسم الرابع فهو المغرب الأقصى وقد عرف بذلك لأنه أبعد أقسام المغرب عن ديار العرب ودار الخلافة، ويمتد من وادى ملوية شرقا حتى مدينة أسفى على المحيط الأطلسى غربا وجبال درن جنوبا[1].

فتح برقة وطرابلس

أدرك عمرو بن العاص أهمية فتح المغرب عقب معاهدة الاسكندرية ١٦ شوال ٢١هـ/ ١٧ سبتمبر ٦٤٢م للقضاء على الخطر البيزنطى وتأمين حدود مصر الغربية من جهة، وتطبيق سياسة الاستمرار فى الفتح نحو الغرب ونشر الإسلام من جهة أخرى، لذا بدأ عمرو بن العاص بفتح برقة الإقليم وكانت تمتد من نهاية

حدود مصر الغربية حتى تاورغا، قال اليعقوبى عند ذكره سرت «وأهل مدينة سرت من مداسة ومحنحا وقنطاس وغيرهم، وآخر منازلهم على مرحلتين من مدينة سرت بموضع يقال تورغة وهو آخر حد برقة»[٢].

بدأت أحداث فتح برقة من قبل عمرو بن العاص بإرسال القائد عقبة بن نافع الفهرى لاستطلاع أحوال هذه البلاد، قال ابن عذارى «ووجه منها عقبة بن نافع الفهرى إلى لوبية وإفريقية»[٣].

وبعد أن وصلت عمرو أخبار مشجعة من قائده عقبة توجه إليها فى عام ٢٢هـ/ ٦٤٢م لفتحها ونشر الإسلام فيها وتأمين حدود مصر الغربية[٤].

قدم عمرو بن العاص فصالح أهلها من البربر من قبيلة لواته على الجزية وهى ثلاثة عشر ألف دينار، وكان أهل برقة يبعثون بالجزية إذا جاء وقتها فلم يدخل برقة يومئذ. جابى خراج، وبعد فتح برقة شرع عمرو فى فتح طرابلس تمهيداً لفتح إفريقية، وقام عمرو بتقسيم الجيش إلى قسمين أحدهما بقيادته وسار بحذاء الساحل لفتح طرابلس وما يليها من مدن ساحلية والآخر بقيادة عقبة بن نافع وسار نحو جوف البلاد حيث الواحات الداخلية أهمها فزان حتى بلغ زويلة فأصبحت المنطقة ما بين برقة وزويلة مأمونة الجانب، قال ابن عبد الحكم «ووجه عمرو بن العاص عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين»[٥].

تمكن عمرو بن العاص من فتح طرابلس فى عام ٢٣هـ/ ٦٤٣م ورغب فى فتح إفريقية فأرسل إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه «ان الله قد فتح علينا اطرابلس وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أيام فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل»[٦]. وكان الخليفة على دراية بأحوال إفريقية فآثر أن يتوقف عمرو عند هذا الحد من الفتوحات لاستقرار الفتوحات الإسلامية والأحوال الاقتصادية، وفى ذلك أيضًا يذكر ابن عبد الحكم سببًا آخر، حيث قال «فأتى عمرو بن العاص كتاب المقوقس يذكر له فيه أن الروم يريدون نكث العهد

ونقض ما كان بينهم وبينه. وكان عمرو قد عاهد المقوقس على أن لا يكتمه أمراً يحدث فانصرف عمرو راجعًا مبادرا لما أتاه»[7].

وفى ذلك يذكر ابن عذارى «فأمر عمرو العسكر بالرحيل قافلا إلى مصر[8]».

هذا وقد استقبلت برقة والى مصر عبد الله بن سعد عندما خرج إلى إفريقية يريد فتحها، فقد أصبح منذ عام ٢٥هـ/٦٤٥م حاكما على ما بقى للمسمين من فتوحاتهم فى إفريقية قائدا على من يخرج من الجند إليها، حيث اعتبرت إفريقية جزء ملحقًا بولاية مصر، وقد مهد عبد الله بن سعد لحملته فأخذ يرسل المسلمين فى جرائد النخل كما كانوا يفعلون فى عهد عمرو بن العاص، ووصل عبد الله إلى طرابلس وحاصرها أياما ثم انصرف عنها، ثم حاصر قابس وانصرف عنها، حيث أفضى إلى سَهل تونس وانتصر على الروم فى المعركة التى دارت على مقربة من حصن عقوبة فقتل جريجوريوس، وتقدم عبد الله إلى سبيطلة وبعث السرايا حتى بلغت قصور قفصة، ثم عاد إلى مصر بعد أن طلب الروم الصلح، وهنا يذكر ابن عبد الحكم نصا هاما يتعلق باستقرار الفتح، حيث قال «ورجع إلى مصر ولم يول عليهم أحدا ولم يتخذ بها قيروانا»[9].

وفى ذلك أورد البلاذرى «لما صالح عبد الله بن سعد بطريق إفريقية رجع إلى مصر ولم يول على إفريقية أحدا، ولم يكن لها يومئذ قيروان ولا مصر جامع»[10]، وقد انتهت هذه الحملة فى عام ٢٨هـ/٦٤٧-٦٤٨م، وعاد عبد الله بن سعد لغزو إفريقية فى عام ٣٣هـ/٦٥٣م، حيث نقض الروم العهد[11].

أثرت الأحوال السياسية التى سادت العالم الإسلامى عقب فتنة الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه وما تلاها من أحداث فى نشاط الفتوحات الإسلامية فى إفريقية خلال الفترة الممتدة بين سنتى ٣٥و ٤١هـ/ ٦٥٥و٦٦١م، ثم عادت سيرتها الأولى بعد أن استقرت الأمور لمعاوية بن أبى سفيان بعد عام الجماعة، وكان عمرو بن العاص قد تولى مصر من قبل معاوية فى عام ٣٨هـ/٦٥٨م فقام ببعث الجند إلى إفريقية يفتحون فيها ما يقدرون عليه ويغنمون من نواحيها[12].

إفريقية ولاية قائمة بذاتها

اعتبر معاوية بن أبى سفيان ولاية إفريقية ولاية قائمة بذاتها يولى عليها واليا من قبله يتبعه مباشرة دون أن يكون لوالى مصر دخل فى شئون بلاده، وذلك عقب وفاة عمرو بن العاص فى عام ٤٤هـ/ ٦٦٤م، فأقام على مصر بعد عزل عبد الله بن عمرو عقبة بن عامر الجهنى، وتولى معاوية بن حديج قيادة الفتوح فى إفريقية والإمارة على ما يفتحه من بلادها[١٣].

قيروان معاوية بن حديج

ناقش د. حسين مؤنس تحديد تاريخ غزوة معاوية بن حديج لإفريقية، ورجح أن يكون قد قام بحملته فى عام ٤٥هـ/٦٦٦م، كما رجح أن يكون مداها قد استمر إلى نهاية عام ٤٦هـ/ ٦٦٧م، وربما امتدت إلى أوائل عام ٤٧هـ/٦٦٨م، كذلك ناقش المكان الذى خرجت منه الحملة، ورجح أن يكون قد خرج من مصر وليس من دمشق فى نفس الطريق الذى سلكه عبد الله بن سعد[١٤]

سار معاوية بن حديج بالقرب من الساحل وتقدم حتى أفضى إلى سهل تونس ونزل فى قمونية، ثم تقدم حتى استقر فى مكان يسمى القرن، قال ابن عبد الحكم «فافتتح قصورا وغنم غنائم عظيمة واتخذ قيروانا عند القرن»[١٥].

وأقام معاوية بن حديج بقيروانه مدة إقامته بإفريقية، وحفر آباراً عند باب تونس من ناحية الجبل منه منحرفا للشرق بالقرب من مصلى الجنائز تسمى للآن آبار حديج غلب عليها اسم أبيه حديج وذلك قبل تأسيس مدينة القيروان[١٦].

ويذكر د. حسين مؤنس أن حملة معاوية بن حديج على إفريقية لم تكن فتحًا منظمًا، وإنما غارة استولى العرب فيها على ثلاث مدن، ويعدها إحدى المقدمات الطويلة التى سبقت الفتح الحقيقى، إذ كانت آخر الغارات على إفريقية، غير أنه صاحبتها فكرة تأسيس مدينة إسلامية فى قلب إفريقية يتخذها قائد الجند قاعدة له ولجنده ومركزا لانطلاق الجيش لتحقيق أهدافه، وهى الفكرة التى عمل عقبة بن نافع على تنفيذها عند غزوه إفريقية، ويرجح د. حسين مؤنس أن معاوية بن

حديج رجع من حملته فى أوائل سنة ٤٨هـ/ ٦٦٩م، وشرع عقبة بن نافع فى المسير إليها فى سنة ٤٩هـ/ ٦٦٩م، إذ لا يتفق القول بأن معاوية بن أبى سفيان سير عقبة فى ذات الوقت الذى كان فيه معاوية بن حديج على غزو إفريقية(١٧).

حملة عقبة بن نافع وتأسيس القيروان

يحدد د. حسين مؤنس مسير عقبة بن نافع إلى إفريقية فى أوائل سنة ٤٩هـ/ ٦٦٩م، وقد اتخذ عقبة طريقه فى داخل البلاد مبتعداً عن الساحل، وهو الطريق الذى سلكه منذ البداية عندما قدم عمرو بن العاص إلى برقة، وعلى ما يبدو فإنه ألف منذ البداية التعامل مع جوف البلاد وأهل إفريقية من جهة، وآثر الابتعاد عن الخط الساحلى حيث الحصون والمحارس، وهو أول من اتخذ هذا الطريق، حيث اتجه كل من تقدمه من القادة المسلمين إلى الخط الساحلى(١٨).

عقبة بن نافع يتحول عن قيروان معاوية بن حديج

سار عقبة بجيشه متنقلا بين أقاليم الواحات، وأخذ إلى أرض مزاتة فافتتح كل قصر بها، ثم بعث خيلا إلى غدامس فافتتحت، ثم فتح قفصه وقسطيلية، ومن ثم أفضى إلى إفريقية وانضم إلى جيشه من أسلم من البربر فى تلك البلاد فاتجه رأسا إلى قمونية، حيث أقام معاوية بن حديج قيروانه، وهنا يذكر ابن عبد الحكم «ثم انصرف إلى القيروان فلم يعجب بالقيروان الذى كان معاوية بن حديج بناه قبله فركب والناس معه حتى أتى موضع القيروان اليوم»(١٩).

أدرك عقبة بن نافع نتيجة خبرته بأحوال إفريقية، حيث ظل مقيما ببرقة ونواحيها خلال الفترة الممتدة من ٢١-٤٩هـ/ ٦٤٢-٦٦٩م فكان على دراية كاملة بأحوالها السياسية والجغرافية والاجتماعية والثقافية، إن فتح إفريقية لن يثبت إلا بإقامة مدينة للمسلمين فيها، وهو الأمر الذى يتضح جليا فيما أورده د. حسين مؤنس نقلا عن النويرى ونصه «إن إفريقية (إذا دخلها امام) تحوموا بالإسلام، فإذا خرج منها رجع من كان أسلم بها، وارتد عن الكفر، وارى لكم

ـ يا معشر المسلمين ـ أن تتخذوا بها مدينة لجعل فيها عسكرا وتكون عز الإسلام إلى أول الدهر»[٢٠].

ويذكر د. محمد[٢١] زيتون تعليقا على هذا النص أن تأسيس القيزوان كان لهدف دينى ولهدف عسكرى حربى، وقد جمع عقبة وجوه أصحابه وأهل العسكر ودار بهم حول مدينته وأقبل يدعو لها ويقول فى دعائه «اللهم املأها علما وفقها وأعز بها الإسلام وامنعها من جبابرة الأرض»، كما يتضح من النص إلمام عقبة بن نافع بأحوال إفريقية من كافة النواحى، فقد استقامت له الأمور فى برقة، حيث ظل وحاميته العسكرية مقيما بها، متنقلا بين قبائلها، ملتفتا إلى عمارتها وكافة أحوالها، بينما خرجت طرابلس بمجرد عودة عمرو بن العاص إلى مصر بسببُ أن عمرو لم يول عليها أحداً وبالتالى لم تكن هناك حامية عسكرية إسلامية لاستقرار أحوالها وضمان تبعيتها للخلافة الإسلامية، وهو الأمر الذى نلحظه بوضوح عندما رجع والى مصر عبد الله بن سعد من حملته على إفريقية إلى مصر ولم يول عليها أحدا، ولم يتخذ بها قيروانا، حيث عادت الحصون والمحارس إلى سيرتها الأولى قبل حملته، وعاد النفوذ البيزنطى على الرغم من مقتل جريجوريوس الذى يعرف لدى العرب باسم جرجير ومعظم جيشه فى حملة عبدالله بن سعد بن أبى سرح.

وأغلب الظن أن كل هذه الأحداث التى مرت بها الفتوحات الإسلامية فى إفريقية كانت ماثلة أمام القائد عقبة بن نافع حيث كان مراقبا لها عن كثب أثناء إقامته ببرقة ونواحيها وهو يقوم بحملته التاريخية التى تمثل مرحلة انتقالية من عهد الغارات السريعة والعودة إلى برقة ثم الفسطاط إلى عهد الفتح المنظم والتمركز فى المدينة الجديدة التى رغب عقبة فى تشييدها بحيث تتوسط إفريقية، فأدرك بثاقب بصره ضرورة إقامة مدينة القيروان.

الموقع

حتمت الظروف السياسية وطبيعة عقبة التى تميل إلى جوف البلاد، حيث يقيم

البربر من جهة، وتفوق الروم فى البحر وتحكمهم فيه وسيادتهم عليه من خلال قواعدهم البحرية. وأسطولهم الضخم من جهة أخرى أن تكون القيروان بعيدة عن البحر الأبيض المتوسط فى موقع يتوسط الساحل والهضبة لكى تتمكن من القيام برسالتها الدينية والاجتماعية والحربية التى أنشئت من أجلها، وقد ارتاد عقبة المنطقة بكاملها على نحو ما فعل المسلمون فى الأمصار الإسلامية التى شيدت قبل القيروان بصفة عامة ومدينة الكوفة بصفة خاصة، حيث كان الارتياد بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فيما يتعلق بالكوفة فوقع اختيار عقبة على الموقع الحالى للقيروان، حيث يتلاءم والظروف التى تقدم ذكرها.

ويحدثنا ابن عبد الحكم عن موقع المدينة فيقول «حتى أتى إلى موضع القيروان اليوم وكان واديا كثير الشجر كثير القطف تأوى إليه الوحوش والسباع والهوام ثم نادى بأعلى صوته يا أهل الوادى ارتحلوا رحمكم الله فإنا نازلون نادى بذلك ثلثة أيام فلم يبق من السباع شيء ولا الوحوش والهوام إلا خرج وأمر الناس بالتنقية والخطط ونقل الناس من الموضع الذى كان معاوية بن حديج نزله إلى مكان القيروان اليوم وركز رمحه وقال هذا قيروانكم»(٢٢).

وفى رواية أخرى قال ابن عبد الحكم «فأتى وادى القيروان فبات عليه هو وأصحابه حتى إذا أصبح وقف على رأس الوادى فقال يا أهل الوادى اطعنوا فإنا نازلون قال ذلك ثلاث مرات فجعلت الحيات تنساب والعقارب وغيرها مما لا يعرف من الدواب تخرج ذاهبة وهم قيام ينظرون إليها من حين أصبحوا.. وحتى لم يروا فيها شيئا فنزلوا الوادى عند ذلك»(٢٣).

وفى نفس هذا المعنى تقريبًا أورد البلاذرى «وكان موضع القيروان غيضة ذات طرفاء وشجر لا يرام من السباع والحيات والعقارب القتالة وكان ابن نافع رجلاً صالحًا مستجاب الدعوة. فدعى ربه فاذهب ذلك كله، حتى أن كانت السباع لتحمل أولادها هاربة بها»(٢٤).

ويذكر د. حسين مؤنس نقلا عن المالكى فيما يتعلق بالموقع أنه كان «حصنا

لطيفا للروم، وكان فيه كنيسة وفيها الساريتان الحمراوان اللتان هما اليوم فى المسجد»[٢٥].

غير أن المقدسى يأخذ على موقع القيروان قلة الماء، حيث أورد ما نصه «إلا أن ماءهم ضعيف.. الماء مخزون فى مواجين.. وشربهم من مواجين وصهاريج يجتمع فيها ماء المطر»[٢٦]، ورغم أهمية وجود الماء بالنسبة لنشأة ونمو وتطور المدينة إلا أن تعود عقبة وأصحابه على حياة الصحراء جعلهم يغلبون الأهمية الدينية والاجتماعية والحربية للمدينة على هذه المشكلة، حيث رأوا أنه يمكن التصرف فيها من خلال تخزين المياه فى مواجل وترشيد استخدامها، خاصة ماء الشرب، حيث أنشئت الآبار للحصول على الماء اللازم للاستعمال اليومى كبئر أم عياض على سبيل المثال بين المسجد ودار الإمارة، ولا تبعد عنها أكثر من ١٥م من ناحية الشرق وتعرف اليوم بئر نكفة، وقد وجدنا هذه المشكلة فى مدينة البصرة التى تقدم ذكرها كأول حاضرة إسلامية خارج شبه الجزيرة العربية عندما أمر الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه واليه أبا موسى الأشعرى أن يحفر لأهل البصرة نهراً.

ويناقش د. حسين مؤنس هذه النصوص الخاصة بالموقع قائلاً لعل قول المالكى هو الصواب، إذ من المعقول أن يكون هذا الحصن اللطيف الكروم قد أدركه الخراب فى أوائل القرن السابع الميلادى وهجرة أهله فسكنت إلى كرومه بعض الذئاب والضباع وما إلى ذلك من الوحوش التى تجاور العمران، فلما أقبل القائد عقبة وقع اختيارهم على موقع ذلك الحصن، وأخذوا يستعدون لتخطيط المدينة إلى جواره ففزعت هذه الذئاب والضباع من العسكر، وبذلك يمكن تفسير ما اجتمع عليه رأى المؤرخين من وقوف عقبة على الموضع الذى تخيره لاختطاط القيروان ومناداته «أيتها الحيات والسباع نحن أصحاب رسول الله ﷺ، ارحلوا عنا إنا نازلون ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه فنظر الناس فى ذلك اليوم إلى السباع تحمل أشبالها والذئاب تحمل أجراها والحيات تحمل أولادها، فأسلم كثير من البربر»[٢٧].

ويذكر د. السيد عبد العزيز سالم فى تعليقه على رأي د. حسين مؤنس أنه لا يوافقه فى أن موضع القيروان كان حصنا لطيف الكروم، ولا فى تفسيره لخروج الوحوش من الشعراء فإن المصادر العربية تجمع على أن الموضع كان «دجلة مشتبكة» أو واديًا كثير الشجر كثير القطف تأوى إليه الوحوش والسباع والهوام أو شعارى وغياض لاترام أو غيضة كثيرة الأشجار مأوى الوحوش والحيات، ولم يكن موضع القيروان حصنا لطيف الكروم، ويضيف لعل د. حسين مؤنس قرأ «حصنا لطيفا للكروم» بدلا من «حصن لطيف للروم» وهى العبارة الواردة فى رياض النفوس بدليل أن صاحب هذا الكتاب يذكر أن موضع القيروان كان واديا تسكنه الوحوش والحيات ولا يعنى هذا عدم وجود حصن، فإن موضع القيروان كان قريبًا من حصن رومانى قديم(٢٨).

ويستبعد د. سالم الطريقة التى شرحها د. حسين مؤنس بالنسبة لخروج الوحوش والسباع، ويرجح رأى د. سعد زغلول عبد الحميد الذى اعتمد على رواية الواقدى، فقد ذكر الواقدى أن موضع القيروان كان كثير الأشجار، فاقترح أصحاب عقبة أن يحرقوه بالنار ويبنون فيه المدينة فرفض عقبة وقال إذا كان آخر النهار أنادى فى هذا الموضع بأعلى صوتى أيتها الوحوش الساكنة فى هذا المكان ارحلوا منه، فإنى أريد حرق أشجاره بالنار لأن المسلمين يريدون أن يبنوا فيه بلدة، وفى آخر النهار نادى عقبة فى الوحوش بالارتحال، فما أتم النداء حتى رفعت الوحوش أولادها فى أفواهها من غزلان وذئاب وغور وغير ذلك وانتظر ثلاثة أيام وفى الرابع أمر بالنار فأطلقت، ويستنتج د. سعد أن خروج الوحوش والهوام فزعة جاء نتيجة للحريق، وهذا ما يظنه تفسيراً مقبولاً لأصل الأسطورة(٢٩).

ويذكر ياقوت الحموى القيروان من حيث الموقع فيقول «القيروان فى الإقليم الثالث طولها إحدى وثلاثون درجة وأربعون دقيقة»(٣٠).

ويذكر الأصطخرى المسافات بين القيروان والمدن الأخرى بما نصه «واما

المسافات بالمغرب فإن من مصر إلى برقة ٢٠ مرحلة، ومن برقة إلى طرابلس مثلها، ومن طرابلس إلى القيروان مثلها، فذلك من مصر إلى القيروان ٦٠ مرحلة، ومن القيروان إلى سطيف ١٦ مرحلة.. فمن القيروان إلى السوس الأقصى ١١٦ مرحلة فجميع المسافة من مصر إلى أقصى المغرب فى شرق بحر الروم نحو ٦ أشهر.. ومن القيروان إلى زويلة نحو شهر ومن القيروان إلى المهدية مسيرة يومين ومن القيروان إلى تونس ٣ مراحل.. ومن القيروان إلى سجلماسة فى البرية نحو من ٨٠ مرحلة وفى العمارة ١٢٠ مرحلة»(٣١).

القيروان لغة

أما لفظ قيروان فهو فارسى معرب، أصله كروان أو كربان ومعناه قافلة أو مراحُ القوافل، وقد كان مستعملاً حتى فى الجاهلية بهذا المعنى، إذ روى أن إمرئ القيس قال فى وصف غارة له.

وغارة ذات قيروان   كأن أسرابها الرعال

وقال ابن الأثير فى معنى هذا اللفظ كما نقل د. حسين مؤنس أن معناه «معظم العسكر والقافلة من الجماعة، كما نقل عن الدباغ فى تفسيره «واختلف فى لغة العرب فى لفظ القيروان، فقيل هى موضع اجتماع الناس والجيش، وقيل محط أثقال الجيش، وقيل هى الجيش نفسه والمعنى متقارب»(٣٢).

وانطلاقا من هذا التعريف فإن لفظ قيروان يعنى مدينة ذكر ابن عبد الحكم على لسان عقبة بن نافع ما نصه «وقال هذا قيروانكم»(٣٣).

وقال ابن الأثير «ثم رأى أن يتخذ مدينة يكون بها عسكر المسلمين وأهلهم وأموالهم، ليأمنوا من ثورة تكون من أهل البلاد، فقصد موضع القيروان»(٣٤).

ويناقش د. حسين مؤنس لفظ يقرب من قيروان وهو «تكيروان» أو «دكرور» أو «تكرور»، فقد ورد أن دينارا أبا المهاجر اختار موضعا يعرف بذلك قال ابن

عبد الحكم «فلما قدم أبو المهاجر إفريقية كره أن ينزل فى الموضع الذى اختطه عقبة بن نافع ومضى حتى خلفه بميلين فابتنى ونزل»[٣٥].

وقد عرفت هذه المدينة بتكيروان أو تكرور أو دكرور، وينتهى د. حسين[٣٦] مؤنس إلى أن لفظ قيروان ليس تحريفًا من لفظ تكيروان، حيث لم يعثر على أثر للألفاظ السابقة قيروان، تكيروان، تكرور، دكرور فى اللهجات البربرية، مما لا يجعل سبيلاً إلى الأخذ بهذا الرأى، وليس هناك ما يؤيد القول بأن «قيروان» كان علمًا على مدينة قديمة بإفريقية، اختطت مكانها، فلم يبق إلا القول بأن عقبة وأصحابه أرادوا به محطًا لقوافلهم ومراحًا لعسكرهم أى مدينة على غرار مدن البصرة والكوفة والفسطاط.

تأسيس القيروان

شرع عقبة بعد أن استقر على الموقع فى تمهيد المكان للبناء فأزال الأشجار وأخرج ما فيه من حيوانات وحيات وغير ذلك، وبدأ فى تخطيط المدينة وبناء عمائرها، وكان ذلك فى عام ٥٠هـ/ ٦٧٠م، وقد استخدم فى تشييد عمائرها قراميد الآجر لوجود الطين المناسب وخلوها من الحجارة.

وتعد القيروان رابع مدينة مصرت خارج شبه الجزيرة العربية بعد مدن البصرة والكوفة والفسطاط، والواقع أن المسلمين منذ بدء الفتوحات الإسلامية فى العراق والشام ومصر اهتموا اهتمامًا بالغًا ببناء مراكز انطلاق لجيوشهم التى خرجت من شبه الجزيرة العربية رافعة راية الدين الإسلامى لنشر الإسلام فى كافة أرجاء المعمورة، وقد أراد العرب أن تكون هذه المدن الجديدة موطنًا لهم ومراكزًا إدارية للأقاليم التى تم فتحها من قبلهم، وكذلك أن تكون بمثابة نقاط إشعاع للعلم والمعرفة ومراكز للتجارة والصناعة والزراعة، لذا فإن الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه حرص على أن يضع شروطًا واضحة لاختيار المكان المناسب لها وأوضح خريطة تخطيطها، وأمر أن يشارك المهندسون الولاه فى تنفيذ التخطيط بعد إختيار الموقع الذى تنطبق عليه الشروط الموضوعية،

وهى الشروط التى روعيت عند اختيار موقع القيروان وبناء منشآتها الدينية والمدنية والحربية من قبل عقبة بن نافع.

فرغ عقبة من تشييد القيروان فى عام ٥٥هـ/ ٦٧٥م أى أن بناء المدينة استغرق خمس سنوات، قال ابن الأثير «وأمر ببناء المدينة فبنيت وبنى المسجد الجامع وبنى الناس مساجدهم ومساكنهم وكان دورها ثلاثة آلاف باع وستمائة باع، وتم أمرها سنة خمس وخمسين وسكنها الناس، وكان فى أثناء عمارة المدينة يغزو ويرسل السرايا. . ودخل كثير من البربر فى الإسلام واتسعت خطة المسلمين وقوى جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان، وأمنوا واطمأنوا على المقام، فثبت الإسلام فيها»[٣٧].

وجاء فى فتوح البلدان ما نصه «وقال الواقدى: قلت لموسى بن على: رأيت بناء إفريقية المتصل المجتمع الذى نراه اليوم من بناه؟ فقال أول من بناها عقبة بن نافع الفهرى، اختطها ثم بنى وبنى الناس معه الدور والمساكن، وبني المسجد الجامع بها»[٣٨].

مما تقدم تتضح أهمية نص المؤرخ ابن الأثير فقد أمدنا بالسنة. التى بدأ فيها عقبة البناء ثم بالسنة التى فرغ فيها من عمارتها وهى فترة طويلة إذ ما قورنت بتأسيس الأمصار الأولى فى العراق ومصر، خاصة وأن عقبة تفرغ لعمارتها والإشراف على منشآتها الدينية والمدنية والحربية، وربما استغرق البناء كل هذه الفترة الطويلة بسبب استحكاماتها الحربية، حيث رغب عقبة أن تكون مدينة وحصنًا فى آنٍ واحد، فقد ذكر د. حسين[٣٩] مؤنس نقلا عن الباجى فى الخلاصة النقية «إنه ـ أى عقبة ـ جعل دور سورها اثنى عشر ميلاً»، وعلى الرغم من أن المؤرخين لم يذكروا أن عقبة بن نافع شيد بها أسواراً إلا أن إشارة الباجى تتفق وفكر عقبة بن نافع فى تأمين مدينته، خاصة وأن الأخطار محدقة به من جانبين الروم والبربر.

والواقع أن القيروان تختلف عن مدن البصرة والكوفة والفسطاط فى اشتمالها

على تحصينات حربية تحيط بالمدينة، حيث خلت هذه الأمصار من التحصينات الحربية، خاصة بعد استقرار الفتوحات الإسلامية، ففى مصر على سبيل المثال يعد الحصن الذى أنشأه عمرو بن العاص بالجيزة فى عام ٢٢هـ/٦٤٣م بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، لتأمين همدان ومن والاها عندما أحبوا المقام بالجيزة، أول حصن داخلى يشيد بمصر الإسلامية(٤٠).

وكان أن ظهر فى الفسطاط نوع من العمائر الحربية أطلق عليها اسم «المحارس» منها محرس عمار، محرس بنانة، محرس الحريص، محرس النخل، محرس قسطنطين، محرس خوى بن خوى، ومن المرجح أن هذه المحارس كانت منشآت بسيطة بوسط خطط القبائل أو على حدودها، يعمل بها رجال يتولون حراسة كل قبيلة، أو أنها كانت نقاط متفرقة فى الفسطاط لإقامة الجند لحراستها، إلا أنها لم تكن حصونًا أو قلاعًا كبيرة، وعلى القياس فإن مدينتى البصرة والكوفة اشتملتا على هذه المحارس، كذلك اشتملت مدينة القيروان على هذا النوع من العمائر الحربية، قال البكرى «وللقيروان من القديم سبعة محارس أربعة خارجها وثلاثة داخلها»(٤١).

هذا وقد وردت أقدم إشارة إلى تحصين الفسطاط عندما أحيطت بخندق فى غرة المحرم عام ٦٥هـ/ ٦٨٥م، حفره عبد الرحمن بن جحدم عامل ابن الزبير على مصر، أيام الصراع بين ابن الزبير فى مكة والأمويين فى الشام(٤٢).

هذا وقد شيد عقبة بن نافع المسجد الجامع فى الوسط من المدينة وشيدت القبائل مساجدها على نحو يتفق ومساجد البصرة والكوفة والفسطاط، حيث تعد القيروان امتدادًا لها كما تقدم، كما شيدت المنشآت المدنية المتمثلة فى دار الإمارة قال ياقوت الحموى «ثم اختط دارًا للإمارة»(٤٣)، وكان موقع دار الإمارة إلى الجنوب من المسجد الجامع، نزل بها الولاة فى العصرين الأموى والعباسى إلى أن انتقل عنها إبراهيم بن الأغلب عندما شيد بجوار القيروان مدينة العباسية (القصر القديم) تعبيرًا عن ولائه للعباسيين، ثم آل أمرها بعد ذلك أن أصبحت مقرًا للدواوين، وتتمثل المنشآت المدنية إلى جانب دار الإمارة فى دور المدينة، قال ابن

الأثير «دورها ثلاثة آلاف باع وستمائة باع»[٤٤]، ويحددها ابن عذارى بالذراع فيقول «دورها ثلاثة عشر ألف ذراع»[٤٥]، ويعلق د. محمد محمد زيتون على دار الإمارة ودور المدينة بأن دار الإمارة أجريت بها حفائر أثرية، كما أن القيروان ربما تكون عند نشأتها أقل من أن تشغل كل هذه المساحة[٤٦].

وتتفق دار الإمارة ودور المدينة فى توزيعها على المخطط العام للمدينة مع مثيلاتها فى مدن البصرة والكوفة والفسطاط، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه أن الخطط فى مدن البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان جاءت قبائلية وأن عقبة بن نافع تأثر فى تخطيط مدينته بتخطيط الأمصار الإسلامية الأولى فى العراق ومصر، خاصة مدينة الفسطاط بحكم تبعية عقبة وولايته برقة خلال الفترة الممتدة من ٢١-٤٩هـ/ ٦٤٢-٦٦٩م.

جامع القيروان فى عهد عقبة بن نافع

فيما يتعلق بالمسجد الجامع فقد جاء بسيطًا من حيث التخطيط والعمارة فى عهد عقبة بن نافع شأنه فى ذلك شأن المسجد النبوى ومساجد البصرة والكوفة والفسطاط فى مرحلتها الأولى، وأرجح أنه كان من صحن وظلة للقبلة، وهو التخطيط الذى كانت عليه المساجد الأولى عن تأسيسها، وهو التخطيط أيضا الذى ظل عليه الجامع فترة طويلة حتى زاد فيه الأمير إبراهيم بن أحمد بن الأغلب الظلات الجانبية فى عام ٢٦١هـ/ ٨٧٥م فأصبح المسجد يتكون من صحن وأربع ظلات، وهو الأمر الذى سوف أتناوله لاحقًا بالتفصيل.

ويذكر د. أحمد فكرى، أنه يغلب على ظنه أن المسجد لم يكن يشتمل على عقود أيام عقبة بن نافع وأن السقف كان قائمًا مباشرة على الأعمدة وتيجانها، كما يروى المؤرخون حصول رؤيا لعقبة بن نافع تحدد لهم قبلة المسجد بما يقطع أمر الاختلاف الذى حدث لعقبة ولأصحابه، وبما يعطى لتحديد هذه القبلة منزلة روحية[٤٧].

ويذكر د. السيد عبدالعزيز سالم أنه قد وصل إلينا اسم أحد من ساهم فى

بناء الجامع وهو اسماعيل بن عبيد الأنصارى، وقيل إن عبد الله بن الزبير أسس مسجد القيروان، وكان ممن اختط فى القيروان من التابعين أبو عبد الله على بن رباح بن نصير اللخمى، الذى اختط بالقيروان داراً ومسجداً، ومسجده عند باب نافع، ومنهم أبو رشيد حنش بن عبد الله السبأى الصنعانى الذى اختط بالقيروان داراً ومسجداً ينسب إليه، وكان يقع بالقرب من باب الريح، ومنهم زياد السفيانى الذى اختط بالقيروان داراً ومسجداً بالقرب من باب نافع(٤٨).

وهناك مسجد ينسب إلى الصحابى رويفع بن ثابت الأنصارى يعرف بمسجد الأنصارى، يقع بمحرس الأنصار، وعمرت القيروان، وشد الناس إليها الرحال من كل حدب وصوب، واتسعت بالأسواق والمرافق، ومن ثم ازدهرت الحركة التجارية بها(٤٩).

عزل عقبة بن نافع وأثر ذلك على القيروان

بدأت إفريقية كما يذكر د. حسين مؤنس تصبح ولاية ذات أهمية بعد تشييد القيروان، إذ كانت القيروان نواة إفريقية الإسلامية، كما كانت عاصمة وحاضرة مصر الفسطاط نواة مصر الإسلامية فعمل والى مصر مسلمة بن مخلد الأنصارى على أن تتبعه القيروان وسعى فى عزل عقبة بن نافع فكان له ما أراد وتم عزل عقبة فى عام ٥٥هـ/ ٦٧٥م أى فى السنة التى فرغ فيها من مدينته القيروان، قال ابن عبد الحكم «عزله مسلمة بن مخلد الأنصارى وهو يومئذ والى البلد من قبل معاوية بن أبى سفيان ومسلمة بن مخلد أول من جمعت له مصر والمغرب»(٥٠).

هذا وقد كانت مدينة القيروان سببًا رئيسيًا فى عزل عقبة بن نافع، عندما تفرغ تمامًا لعمارتها وتوقف عن الاستمرار فى الفتوحات إيمانا منه بأهمية عمارة المدينة أولاً ثم الانطلاق منها للغزو والفتح ثانيًا، ولما عزل عقبة جمعت لمسلمة مصر والمغرب، وولى مسلمة أبا المهاجر دينارا مولى الأنصار، وقد كان النزاع على الولاية والشرف والغنيمة بين مسلمة بن مخلد وعقبة بن نافع(٥١).

أصبح دينار أبو المهاجر أميراً على إفريقية خلال الفترة الممتدة من

٥٥-٦٢هـ/ ٦٧٥-٦٨٢م، قال ابن عبد الحكم «فلما قدم أبو المهاجر أفريقية كره أن ينزل فى الموضع الذى اختطه عقبة بن نافع ومضى حتى خلفه بميلين فابتنى ونزل. وكان الناس قبل أبى المهاجر كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن أبى لهيعة وأحمد بن عمرو عن ابن وهب عن أبى لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب يغزون إفريقية ثم يقفلون منها إلى الفسطاط وأول من أقام بها حين غزاها أبو المهاجر مولى الأنصار أقام بها الشتاء والصيف واتخذها منزلا..»(٥٢).

وفي اعتقادى أن دينارا أبا المهاجر تعمد عدم نزول القيروان بأمر من والى مصر مسلمة بن مخلد الأنصارى لكون القيروان تنسب إلى عقبة بن نافع، وهو الأمر الذى أدى إلى تشييد مدينة جديدة من قبل دينار أبى المهاجر من جهة، وإهمال القيروان من جهة أخرى مما ترتب عليه تأثر منشآتها الدينية والمدنية والحربية تأثراً كبيرا، حيث تركت فترة طويلة بلغت سبع سنوات حتى عاد إليها عقبة بن نافع.

ولاية عقبة بن نافع وتجديد القيروان

تولى عقبة بن نافع إفريقية بعد وفاة مسلمة بن مخلد فى عام ٦٢هـ/ ٦٨١م قال ابن عبد الحكم «ثم قدم عقبة على معاوية بن أبى سفيان فقال له فتحت البلاد وبنيت المنازل ومسجد الجماعة ودانت لى ثم أرسلت عبد الأنصار فأساء عزلى فاعتذر إليه معاوية وقال قد عرفت مكان مسلمة بن مخلد من الإمام المظلوم وتقديمه إياه وقيامه بدمه وبذل مهجته وقد رددتك إلى عملك»(٥٣).

وقال ابن عبد الحكم فى رواية أخرى «إن معاوية ليس هو الذى رد عقبة بن نافع ولكنه قدم على يزيد بن معاوية بعد موت أبيه فرده واليًا على إفريقية وذلك أصح لأن معاوية توفى سنة ستين»(٥٤).

وقد ترتب على عودة عقبة بن نافع وولايته إفريقية أن استردت مدينة القيروان مكانتها وازدهرت ازدهارًا كبيرًا فعمرت وعظم شأنها وجددت منشآتها الدينية والمدنية والحربية، وقد تخلف من عهد عقبة بجامع القيروان المحراب، فقد أورد البكرى أن زيادة الله بن الأغلب هدم الجامع وأراد هدم المحراب فقيل له إن من تقدمك من الولاة توقفوا عن ذلك لما كان واضعه عقبة ومن كان معه، وظل على رغبته حتى أدخله البناة بين جدارين(٥٥).

وقد أجرى د. أحمد فكرى أبحاثًا فى جامع القيروان فى أعوام ١٣٥٠-١٣٥٣هـ/ ١٩٣١-١٩٣٤م، ثم فى عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م أيدت ما أجمع عليه المؤرخون من أن محراب المسجد الذى ركز عقبة بن نافع لواءه مازال باقيًا إلى اليوم وإن كانت قد ألصقت حوله فى عهد زيادة الله فى عام

٢٢١هـ/ ٨٣٦م كسوة من الرخام المزخرف بزخارف رائعة أخفت من وراءها معالم المحراب العتيق، وهكذا يرجع إلى عهد عقبة من عناصر تخطيط المسجد موضع المحراب وتخطيط جدار القبلة(٥٦).

ترك عقبة على القيروان زهير بن قيس البلوى على رأس حامية صغيرة من الجند وتوجه لفتح المغرب الأقصى فكان أول أمير مسلم تطأ خيله المغرب الأقصى، وقد كان دينار أول أمير مسلم تطأ خيله المغرب الأوسط، فاستطاع عقبة أن يفتح بلاد المغرب حتى أشرف بجنده على المحيط الأطلسى، وعندما أراد العودة إلى القيروان قتل بالقرب من تهودة على يد كسيلة زعيم البربر وذلك فى عام ٦٣هـ/ ٦٨٣-٦٨٤م(٥٧).

أهمية برقة بالنسبة للقيروان

انسحب زهير بن قيس من القيروان إلى برقة عقب استشهاد عقبة بن نافع ودخل كسيلة القيروان، وقد انطلق زهير من برقة فى عام ٦٩هـ/ ٦٨٨-٦٨٩م بعد أن وصلته الإمدادات من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان، وهنا قال كسيلة «فإن بالقيروان خلقا كثيراً من المسلمين، ولهم علينا عهد فلا نغد ربهم، ونخاف أن قابلنا زهيراً أن يثب هؤلاء من ورائنا، فإذا نزلنا ممس أمناهم»(٥٨).

سار زهير بحذاء الساحل حتى أفضى إلى جوار القيروان، ثم التقى بكسيلة فى ممس وانتصر على البربر، وبذلك تم القضاء على مقاومة البرانس، وعاد زهير إلى القيروان، وكان أن وقع زهير فى خطأ فادح حيث لم يخلف فى برقة أو طرابلس من يؤمن طريق عودته فخرج الروم من جزيرة صقلية فى مراكب كثيرة وقوة عظيمة وهاجموا برقة فى أثناء قدوم زهير إليها فاشتبك معهم واستشهد على غرار ما كان لعقبة بن نافع، وكان لمقتل زهير على يد الروم أثر عظيم فى مسير الفتوح، حيث أدرك المسلمون خطر الروم فعملوا على إزالته نهائيًا(٥٩).

مما تقدم يتضح أن مدينة برقة أو إقليم برقة كان يمثل القاعدة الأولى الأمامية

لجيش المسلمين فى غرب مصر قبل تشييد القيروان، وغدت برقة تمثل القاعدة الخلفية القوية للقيروان بعد تشييدها فقد لجأ إليها زهير بن قيس بعد أن ترك القيروان، وفيها انطلق للأخذ بثأر عقبة بن نافع واسترداد مدينته التى غدت رمزاً للإسلام فى أفريقية، فقد علا الإسلام باستردادها وازدهرت البلاد الواقعة بين القاعدتين برقة والقيروان، خاصة مدينة طرابلس.

أدرك المسلمون ضرورة القضاء على البيزنطيين وحصونهم بافريقية بعد مقتل زهير بن قيس، وكان أن توجه حسان بن النعمان لفتح أفريقية وهنا يناقش د. حسين مؤنس تاريخ حملة حسان وينتهى إلى ترجيح سنة ٧٦هـ/ ٦٩٥م، وهو أول أمير شامى يدخل أفريقية، سار حسان فاجتاز برقة وطرابلس حتى أفضى إلى سهل تونس، ثم دخل القيروان ومنها أعد العدة لفتح قرطاجنة مقر بطريق الروم، وتمكن من فتحها ثم عاد إلى القيروان مسرعًا فعاد الروم والبربر مرة أخرى إليها وحصنوها تحصينا قويًا فعاد إليها حسان مرة ثانية وفتحها وعمل على هدمها، ثم توجه لقتال الروم والبربر فى صطفورة وبنزرت فانتصر عليهم وعاد إلى القيروان، وقال حسان «دلونى على أعظم من بقى من ملوك أفريقية؟ فدلوه على أمرأة تملك البربر تعرف بالكاهنة، وكانت الكاهنة تقود قبيلة جراوة إحدى قبائل البتر الحضر المقيمين فى الأوراس، وكانت مسموعة الكلمة فى قومها، مهيبة الجانب بين ذويها(٦٠).

قصور حسان:

أنتقلت الكاهنة من الجبل إلى باغاية وهى مدينة حصينة على سطح الأوراس، وخرج حسان من القيروان إليها ماراً بواد فكاوتبسة على المجرى الأعلى لواد ملج، وفيها اتجه شمالا بشرق حتى أدرك واد نينى واشتبك معها فى معركة نين فدارت الدائرة على حسان واضطر إلى التقهقر بعد قتال شديد وتتبعته الكاهنة حتي أخرجته من حدود افريقية، إلا أنها لم تدخل القيروان التى كانت فى ذلك الوقت عامرة بالمسلمين، وأرسل حسان إلى أهل القيروان أبا صالح أحد رجاله،

واتجه هو إلى قابس ثم استقر فى برقة قال البلاذرى «ثم ولى حسان بن النعمان الغسانى، فغزا ملكة البربر الكاهنة فهزمته. فأتى قصورا فى حيز برقة فنزلها. وهى قصور يضمها قصر سقوفة ازاج، فسميت قصور حسان(٦١).

عمارة تونس :

ظل حسان مقيما ببرقة خمس سنوات حتى أتته الأمدادات فى عام ٨١هـ/ ٧٠٠م؛ ثم انطلق من برقة فقضى على الكاهنة، ثم استطاع القضاء على البيزنطيين الذين استولوا على قرطاجنة بقيادة البطريق يوحنا عندما كان حسان ببرقة، وسقطت قرطاجنة وبهذا خلصت أفريقية لحسان، وأدرك حسان بثاقب بصره ضرورة السيطرة على الساحل، وان يشيد محرسًا قويًا حصينًا يلقى الروم إذا حاولوا النزول إلى البر، وكان قد إستولى على داخل البلاد بالقضاء على الكاهنة(٦٢).

وللمرة الثانية تبرز أهمية برقة الإقليم كقاعدة آمنه قوية خلف الميرو ـ ِ بحيث يلجأ إليها المسلمون عند تعرضهم لصعوبات الفتح فى أفريقية فقد لجأ إليها حسان بن النعمان وظل بها يعد ما بقى معه من جيشه وينتظر الامدادات الواصلة إليه من الخلافة الأموية وبعد أن فرغ من كل ذلك إنطلق منها فقضى على الخطر البربرى البيزنطى وخلصت له افريقية، وأغلب الظن أنه خلال الفترة التى قضاها فى برقة وهى فترة طويلة بلغت خمس سنوات استقر على خطة حربية تستقر بتنفيذها الفتوحات الإسلامية نهائيا فى افريقية بحيث يقضى على خطر البربر ويشغل المناطق الداخلية ثم يقضى على الروم وحصونهم ومدنهم الساحلية من جهة، ويشغل هذا الساحل ويشيد محرسا قويا من جهة أخرى فيقضى بذلك على الخطر الثانى من حيث ترتيب الأحداث فى حملته الثانية والأول من حيث تاريخ الفتوحات الإسلامية فى افريقية.

دار الصناعة بتونس

بدأ حسان تنفيذ مشروعه الحربى الهام فى افريقية للقضاء على الخطر البيزنطى

والذى يتمثل فى انشاء ميناء جديدة بدلا من قرطاجنة التى عانى منها المسلمون كثيرا خلال فتوحاتهم فى افريقية ثم بناء الأسطول من أجل مبادرة الروم بالهجوم عليهم فوقع اختياره على بلدة قديمة تقع إلى الجنوب من قرطاجنة تطل على سبخة فسيحة لا يفصلها عن البحر غير برزخ صغير، وهو الأمر الذى يجعلها فى مأمن من غارات الروم المفاجئة وزاد حسان اعجابا بموقعها أن كان لها فرضة صغيرة على البحيرة تسمى آديس (Ades) ، وبدأ بحفر البرزخ الذى يفصل البحيرة عن البحر ثم حفر فى ماء البحيرة الضحلة قناة عميقة تسير فيها السفن حتى تصل إلى البلد وبهذا تتصل البحيرة بالبحر وتصبح تونس ميناء بحرية تحميها البحيرة الواسعة من أمواج البحر، ثم اعقب ذلك بإنشاء ميناء بحرية «دار صناعة» واستعان حسان بأهل مصر، فى إنشاء الميناء فأرسل إلى الخليفة عبد الملك بن مروان بهذا المعنى، فكتب عبد الملك إلى أخيه والى مصر عبد العزيز أن يوجه إلى تونس ألف قبطى بأهله وولده، وأن يحملهم من مصر ويحسن عونهم حتى يصلوا إلى ترشيش وهى تونس، وبهذا استطاع حسان أن يشيد مدينة ثانية بافريقية بعد القيروان(٦٣).

وتعد مدينة تونس التى عمرت شمالى القيروان العمارة الثانية فى عمارة افريقية بعد القيروان التى تمثل العاصمة و الحاضرة الأولى.

جامع القيروان فى عهد حسان بن النعمان (شكل ٧٣)

أما فيما يتعلق بالمسجد الجامع فى القيروان فى عهد حسان بن النعمان فنجد إشارة هامة تتعلق به فى فتوح مصر وأخبارها فقد أورد ابن عبد الحكم بعد مقتل الكاهنة ما نصه «ثم أنصرف حسان فنزل موضع قيروان افريقية اليوم وبنى مسجد جماعتها ودون الدواوين ووضع الخراج على عجم افريقية وعلي من آقام معهم على النصرانية من البربر وعامتهم من البرانس إلا قليلاً من البتر وأقام حسان بموضعه حتى استقامت له البلاد(٦٤).

ويتضح من النص أن حسان بن النعمان أعاد عمارة جامع القيروان والواقع أن تخطيط المسجد فى عهده (٧٦-٨٥هـ/ ٦٩٥-٧٠٤م) يعد أقدم تخطيط وصل

إلينا فى عمارة المسجد وهو التخطيط الذي جاء من مساحة مستطيلة قسمها المعمار إلى صحن فسيح وظلة للقبلة، ويماثل هذا التخطيط تخطيط مساجد المدينة المنورة وصنعاء وذمار والجند باليمن والبصرة والكوفة بالعراق والفسطاط بمصر فى مرحلتها الأولى وقد جاءت ظلة القبلة من أربع بلاطات، وجاءت البلاطة الأولى أكثر إتساعاً من بقية البلاطات حيث جاءت ٥,٥م، بينما تراوح اتساع بقية البلاطات ما بين ٣,٥-٤,٢٥م، وتمتد عقود البائكة الأولى من الشرق إلى الغرب موازية لجدار القبلة وتشرف ظلة القبلة على الصحن من خلال بائكة تمتد عقودها أيضاً موازية لجدار القبلة، وتحصر البائكتان بينهما ثمانى عشرة بلاطة تفصلها بائكات تمتد عقودها عمودية من الشمال إلى الجنوب على إتجاه جدار القبلة، وتقع المئذنة بجدار المسجد الشمالى الغربى أقرب إلى شرقيه منها إلى غربيه.

ويذكر لنا البكرى نصاً هاماً يتعلق بالجامع فى عهد حسان بن النعمان، حيث قال «قد تقدم أن أول من وضع محرابه وبناه عقبة بن نافع ثم هدمه حسان حاشى المحراب وبناه وحمل إليه الساريتين الحمراوين الموشاتين بصفرة اللتين لم ير الراؤون مثلهما من كنيسة كانت للأول فى الموضع المعروف اليوم بالقيسارية بسوق الضرب، ويقولون ان صاحب القسطنطينية بذل لهم فيهما قبل نقلهما إلى الجامع زنتهما ذهبا فابتدروا الجامع بهما، ويذكر كل من رآهما انه لم ير فى البلاد ما يقترن بهما»[٦٥].

دار الضرب ودار الضيافة بالقيروان

كما يتضح من النص أن حسان اهتم بالناحية الإدارية فدون الدواوين وكان مقر الدواوين عند إنشائها مجاوراً لدار الإمارة، وهى تتكون من «ديوان الجند ـ ديوان الخراج ـ ديوان الرسائل كما كان فى المدينة داراً لضرب النقود وتعديل الأوزان وضبطها، وكانت جوار باب الطراز وبها تصنع النقود وتعدل الأوزان يضاف إلى ذلك ان انشئت الدولة لاستقبال الوفود القادمة والرسل داراً تسمى «دار الضيافة»[٦٦].

هذا فيما يتعلق بالمسجد الجامع والدواوين ودار الضرب ودار الضيافة، أما فيما يتعلق بالمدينة بصفة عامة فإنه يتضح فى النص السابق أن المدينة شهدت إزدهاراً عظيمًا فى عهد حسان فى كافة أحوالها ومنشآتها الدينية والمدنية، والحربية، ومن ثم إزدهرت بها الحضارة الإسلامية ازدهاراً عظيماً، ويذكرد. محمد محمد زيتون نقلاً عن حسن حسنى فيما يتعلق بأرباضها ودروبها «اما داخل المدينة فكان ينقسم إلي ارباض آهله وحارات وشوارع وأزقة وأسواق عامرة، فمن أشهر إرباضها ربض السورة، ثم ربض الدوحا قرب أبى الربيع، وربض البقرية، ثم حارة القرشيين وحارة القرانصة قرب السور وربض المفلس وربض الريدان، ومن الدروب درب السكه ودرب الهذلى ودرب الفرسان بجوار سوق اليهود وغيرها كدرب ازهر قرب باب تونس، ودرب ابن سوادة، ودرب أم أيوب قرب سوق الأحد، ومن ذلك نرى أن المدينة كانت محصنة داخلياً وخارجياً، ولم يمر نصف القرن على تأسيس القيروان حتى أصبحت أم القرى المغربية.

هذا وقد إستقرت أحوال افريقية بشكل عام نتيجة سياسة حسان وأشرف المسلمون بالمغرب من خلال ميناء تونس علي غربى البحر الأبيض المتوسط ومنها خرجوا إلى صقلية وسردانية وايطاليا، ثم توفى حسان بعد أن خرج من المغرب فى عام ٨٥هـ/ ٧٠٤م أو فى بداية عام ٨٦هـ/ ٧٠٥م إلى الخلافة بدمشق، ثم تولى بعده افريقية موسى بن نصير بتدخل من والى مصر عبد العزيز بن مروان، وتعد ولاية موسى آخر مظهر من مظاهر تدخل ولاة مصر فى شئون المغرب إذ حرص الخلفاء أشد الحرص على إن تتبع ولاية افريقية الخلافة مباشرة(٦٨).

عمارة الكتاتيب

شهدت افريقية نوعاً من العمائر الدينية التعليمية تتمثل فى عمارة الكتاتيب، فقد أورد ابن الأثير فى أسد الغابة عند ذكره سفيان بن وهب مانصه «وروى عنه غياث بن أبى شيب من أهل بيت جبرين قال، كان يمر بنا سفيان بن وهب صاحب رسول الله ﷺ ونحن بالقيروان ونحن غلمة، فيسلم علينا ونحن فى

الكتاب وهو معتم بعمامة قدأ أرخاها من خلفه وكان سفيان[٧٠] قد سكن مصر وشهد بعض معارك الفتح الإسلامى بالمغرب وقد ولاه أمير مصر عبد العزيز بن مروان أحد البعوث المتوجهة إلى افريقية سنة ٧٨هـ/ ٦٩٧م، وقد أسهمت هذه الكتاتيب إلى جانب المساجد بدور كبير فى تحفيظ القرآن الكريم، وتلقين مبادئ اللغة العربية لصغار أطفال افريقية، وأغلب الظن أن عمارة الكتاتيب نشأت بالقيروان منذ إنشاء المدينة نفسها.

وقد دخلت الحملات الإسلامية لفتح افريقية مراحلها النهائية فى عهد موسى بن نصير الذى تولى فى عام ٨٥هـ/ ٧٠٤م، فقد استطاع ضم الجزر البيزنطية التى كانت تمثل خطراً كبيراً على المسلمين، وفى عهده دخل أول سبى القيروان وذلك عندما فتح قلعة زغوان فى أواخر عام ٨٥هـ/ ٧٠٤م وهى منطقة جبلية تقع ما بين القيروان وتونس وأصبحت ولاية موسى تمتد من برقة إلى المحيط ومن ساحل البحر الأبيض المتوسط إلى واحات الصحراء، واعتنق البربر الدين الإسلامى نتيجة سياسته[٧١].

فتح الأندلس

تم فتح الأندلس فى عهد موسى بن نصير، فقد أبحرت حملة طارق بين زياد من ميناء طنجة فى رجب ٩٢هـ/ ١٩ يوليو ٧١١م، وانتصر المسلمون، ثم كانت المعركة الفاصلة بين موسى بن نصير وطارق بن زياد من جهة وبين لذريق فى عام ٩٤هـ/ ٧١٣م من جهة أخرى، وفيها قتل لذريق ودخل موسى بن نصير طليطلة، وقد غدت القيروان منذ هذا التاريخ وربما قبل ذلك عزاً للإسلام، كما أراد لها عقبة بن نافع مؤسسها ورباطاً للمجاهدين، وحاضرة للعلوم والثقافة فانتشر من خلالها الإسلام وعم المغرب بأجزائه تونس والجزائر والمغرب الأقصى، ثم إمتد إلى الأندلس وجزر البحر الأبيض المتوسط ليصل إلى أوربا وامتد جنوباً ليصل إلى أعماق وغرب القارة الأفريقية، وبذلك تحققت كل الأهداف المرجوة

من تشييد القيروان في أقل من نصف قرن من تاريخ الفراغ من كافة منشاتها الدينية والمدنية والحربية(٧٣).

مسجد الزيتونة بالقيروان

ويحدثنا د. محمد محمد زيتون عن مسجد يعرف بمسجد الزيتونة يقع بمحرس الأنصار يشتمل علي نص تأسيس يتضمن اسم المنشىء وتاريخ الأنشاء ٩٣هـ/ ٧١٢م بما نصه «اسسه إسماعيل تاجر الله»، وهو مسجد جليل يشتمل على ماجل مستطيل فى وسطه شيده إسماعيل بن عبيد الأنصارى، وقد كان هذا المسجد يقوم بصلاة الجمعة فى أثناء تعرض جامع القيروان للتجديد والعمارة.

قدم موسى بن نصير إلى القيروان من الأندلس ثم توجه إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك فى دمشق (٨٦-٩٦هـ/ ٧٠٥-٧١٥م) بعد أن أقام ابنه عبد العزيز علي الأندلس فى عام ٩٥هـ/ ٧١٤م، واختار له أشبيلية حاضرة، واستخلف ابنه عبد الله وهو الاكبر على افريقية، وكان عبد الله قد تولاها منذ أن غادرها موسى إلى الأندلس، واستخلف ابنه عبد الملك على طنجة وسبتة وما إليها، وقيل انه لم يترك على افريقية وطنجة والسوس إلا ابنه الأكبر عبد الله، وقد ابقى الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ/ ٧١٥-٧١٧م) على عبد العزيز بن موسى على ولاية الأندلس لمآثره العديدة، وعزل عبد الله بن موسى من ولاية افريقية واستخلف عليها بدلا منه محمد بن يزيد وذلك فى عام ٩٧هـ/ ٧١٥م(٧٤).

استقرت احوال افريقية فى عهد واليها محمد بن يزيد كما اتسم عهده بالفتح، حيث قام بفتح المناطق الداخلية من المغرب الأقصى، كما أرسل السرايا إلى ثغور أفريقية والجزر المجاورة لها، وترتب على عدله وتسامحه أن دخل كثير من البربر فى الإسلام.

ولاية عمر بن عبد العزيز ومآثر دينية ومعمارية دينية ومدنية (بعثة الفقهاء)

وفى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/ ٧١٧-٧١٩م) تولى افريقية أسماعيل بن عبد الله بن أبى المهاجر دينار فى عام ١٠٠هـ/ ٧٢٠م،

وكان تابعاً جليلاً وإماماً زاهداً يعد من أعظم ولاة العصر الأموي على أفريقية، وأرسل معه الخليفة عمر بن عبد العزيز عشرة من التابعين لتفقيه البربر فى علوم الدين وهم: أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المعافرى المعروف بالجبلى الذى شارك فى فتح افريقية، وشهد فتح الأندلس، واختط بالقيروان داراً ومسجداً وكتاباً جهة باب تونس، وكانت وفاته بالقيروان عام ١٠٠هـ/ ٧٢٠م ودفن بباب تونس، وابو مسعود سعيد بن سعد التجيبى الكندى سكن القيروان وبث فيها علما كثيراً، وشارك مع غيره من الفقهاء فى معاونة والى افريقية حنظلة بن صفوان فى مقاومة الخوارج وقد أورد المالكى له كتاباً كتبه فقهاء البعثة ليرسله إلى الخوارج وهو يبين نظرتهم إلى الكتاب والسنة، وقد توفى بالقيروان ودفن بها، وإسماعيل بن عبيد الأنصارى المعروف بتاجر الله الذى تلقى علمه ومعرفته وفقهه عن جمع من الصحابة منهم عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وقد عرف بتاجر الله لأنه جعل ثلث كسبه لله تعالى يصرفه فى وجوه الخير، وإليه تنسب السوق المعروف، بسوق إسماعيل، وإليه ينسب المسجد الكبير بالقيروان الذى تقدم ذكره والذى شيد فى عام ٩٣هـ/ ٧١٢م، وهو أحد المساجد السبعة المشهورة بالقيروان، بل أنه يمكن إعتباره المسجد الثانى بالقيروان، وخرج متطوعا للجهاد فى غزوة عطاء بن رافع إلى صقلية فغرق ومات وهو معانق للمصحف فى عام ١٠٧هـ/ ٧٢٥م، وعبد الرحمن بن رافع التنوخى الذى تولى القضاء بالقيروان لموسى بن نصير، وهو أول من تولى القضاء بها، وقد توفى بالقيروان فى عام ١١٣هـ/ ٧٣١م، وأبو سعيد جعثل بن هامان بن عمير الرعينى، ولاه الخليفة هشام بن عبد الملك القضاء بين الجند إضافة لتعليم القرآن والفقه والسنة، وقد توفى حوالى عام ١١٥هـ/ ٧٣٣م، وحيان بن أبى جبلة القرشى مولى بنى عبد الدار الذى تلقى العلم على جماعة من الصحابة منهم عمرو بن العاص وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن عباس، سكن القيروان وتوفى بها فى عام ١٢٥هـ/ ٧٤٢م، وموهب المعافرى الذى صحب ابن عباس وروى عنه وعن غيره من الصحابة، شارك فى غزو المغرب حتى توفى فى

فيها، وطلق بن جابان الفارسى كان علي الفقه بمصر ثم وجه إلى افريقية، وبكر بن سوادة الجذامى، وكان فقيها مفتيا سكن القيروان وتوفى بها فى عام ١٢٨هـ/ ٧٤٥م، وفى رواية انه غرق بمجاز الأندلس، وإسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر المخزومى الذى اسندت إليه، رئاسة بعثة الفقهاء، توفى بالقيروان فى عام ١٣٢هـ/ ٧٤٩م[٧٦].

وقد ولى الأندلس في عهد إسماعيل بن ابى المهاجر السمح بن مالك الخولانى إزدهرت بلاد المغرب والأندلس إزدهاراً عظيماً فى خلافة عمر بن عبد العزيز خاصة من الناحية الدينية فدخل البربر جميعاً فى الإسلام وفى عهد يزيد بن عبد الملك الخليفة الأموى (١٠١-١٠٥هـ/ ٧٢٠-٧٢٤م) ولى افريقية يزيد بن ابى مسلم مولى الحجاج بن يوسف الثقفى، وكان كاتبه وصاحب شرطته، وذلك فى عام ١٠٢هـ/ ٧٢٠م، وتشبه يزيد بالحجاج فى معاملة البربر، ثم قتل بعد شهر واحد من ولايته من قبل حراسه ثم أقام البربر على أفريقية محمد بن يزيد وكاتبوا الخليفة يزيد بذلك فأذعن لرغبتهم[٧٧].

ولاية بشربن صفوان وعمارة جامع القيروان والتطورات التى طرات عليه (شكل ٧٣)

فى عام ١٠٣هـ/ ٧٢١م ولى افريقية بشر بن صفوان من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك، وكان واليا علي مصر، وقد استقرت أحوال افريقية فى عهده إستقراراً كبيراً، حيث قامت سياسته على أساس المساواة بين العرب والبربر وسار فيهم سيرة حسنة، وقد استمر بشربن صفوان على ولاية افريقية فى عهد الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/ ٧٢٤-٧٤٣م) وكان قد ولي الأندلس عنبسة بن سحيم الكلبى، وفى عام ١٠٧هـ/ ٧٢٥م ولى الأندلس يحيى بن سلمة الكلبى، وقد غزا بشر صقلية، وتوفى عند عودته إلى القيروان فى عام ١٠٩هـ/ ٧٢٧م، وكان بشر قد استخلف على المغرب أثناء مرضه العباس بن باضعة الكلبى فظل العباس يقوم بالولاية حتى تولى افريقية عبيدة بن عبد الرحمن السلمى من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك فى عام ١١٠هـ/٧٢٨م[٧٨]. ومن مآثر بشربن صفوان عمارته الكبيرة فى جامع القيروان

فى سنة ١٠٥هـ/٧٢٣م ولم تغير هذه الزيادة من جوهر تخطيط المسجد حيث أضاف بشر ثلاث بلاطات إلى ظلة القبلة، وتشرف هذه الزيادة على الصحن من خلال بائكة تمتد عقودها موازية لجدار القبلة على غرار البائكة الأولى والرابعة فى عمارة حسان بن النعمان التى تقدم ذكرها وقسمت هذه الزيادة إلي ثمانى عشرة بلاطة عمودية علي نفس محور بلاطات المسجد فى عهد حسان بن النعمان فاصبح المسجد يتكون من صحن فسيح متسع مقاييسه حوالى ٦٠ X ٧٠م، وظلة للقبلة تتكون من سبع بلاطات موازية لجدار القبلة وثمانى عشرة بلاطة عمودية عليه.

ويذكر د. أحمد فكرى أن عناصر بنيان المئذنة نفسها تعد خير وسيلة نستعين بها على تحديد بناء المسجد وتاريخه إذ أنه تقوم فى ناصيتى المسجد القبلية دعامتان ضخمتان احداهما تكسوها طبقة من الجير والأخرى ازيلت عنها هذه الطبقة فظهرت دقائق بناءها وبدا تنسيق حجارتها وتمهيدها منطبقا على المئذنة تمام الانطباق حتى ليخيل أن هذه الدعامة جزء يتصل بها، ولا شك أنهما اقيمتا معاً فى عهد بناء واحد عهد بشر بن صفوان، وهو ما يدل على ان المسجد في عام ١٠٥هـ/ ٧٢٤م كان يمتد من قبلة عقبة إلى مئذنة هشام، وكان يحد جدار القبلة من بيت الصلاة هاتان الدعامتان اللتان ما زالتا تحدانه من شرقه ومن غربه، وهو ما يبين أيضاً أن سقف بيت الصلاة كان يرتفع إلى المستوى الذى ترتفع إليه هاتان الدعامتان. وكانت عقود المسجد قائمة على أعمدته، وإذا كان الأمر كذلك فكيف نفسر ما ادعاه المؤرخون من هدم يزيد وزيادة الله للمسجد، وبنائهما له من جديد فى سنتى ١٥٥هـ/ ٧٧٢م و ٢٢١هـ/ ٨٣٦م والأقرب إلى الصواب أن نعلل رواية المؤرخين للهدم، باصلاح البناء وإدخال التحسينات عليه، فيكون تدخل يزيد بن حاتم مقتصراً علي إصلاح السقوف والأبواب، وترميم العقود والجدران كما أن الغالب على الظن أن أعمال زيادة الله في المسجد لم تتعد توسيعه للرواق الأوسط واقامته لمحرابه الثمين، وللقبة البديعة التى تعلوه، وتغطيته بيت الصلاة بمجموعة من السقوف فريدة الصناعة، وهذه الأعمال كبيرة هامة شملت أجزاء عديدة من المسجد كله، أما أن نفسر رواية المؤرخين، بهدم المسجد أعمدته

وعقوده وأساطينه وجدرانه وأبوابه وسقوفه، مع أن العقود وحدها تمتد على أكثر من سبعمائة متر، ثم بناء كل هذا من جديد، وأن يكون ذلك قد تم مرتين، ولما يمضى على المرة الأولى منها خمسين سنة، فهو مغالاة ظاهرة، وادعاء لا يستقيم مع طبيعة الأمور ولا يقبله النقد السليم(٧٩).

اما فيما يتعلق بمئذنة القيروان فقد اختلفت الآراء بشأنها، حيث يرى البعض أن الطابقين الأول والثانى يرجعان إلى فترة واحدة إعتماداً على مادة البناء، بينما القسم العلوى الذى يتكون من الطابق الثالث والقمة يرجع إلى فترة متأخرة، ويرى البعض الأخر أن المئذنة كلها تنتمى إلي فترة متأخرة، ويرى البعض الأخر أن المئذنة كلها تنتمى إلي فترة واحدة، ويذكر د. فريد شافعى أن المئذنة تنسب إلي الوالى بشر بن صفوان في عام ١٠٥هـ/ ٧٢٣م على أساس الأدلة التاريخية، وتنسب إلى زيادة الله الأغلبى فى عام ٢٢١هـ/ ٨٣٦م على أساس الأدلة المعمارية، وهى فى الحالة الأولى تعد أقدم مثال باق للمآذن في العمارة الإسلامية، وفى الحالة الثانية تعد ثان الأمثلة الباقية، إذ تسبقها منارة قصر الحير الشرقى بالشام ١١٠هـ /٧٢٩م التى لم يتبق فيها سوى القاعدة المربعة(٨٠).

ويذكر د. أحمد فكرى أن البكرى يحدثنا أن ضلع المئذنة كانت تمتد على خمس وعشرين ذراعاً، وأن إرتفاعها كان ستين ذراعاً ، فإذا علمنا أن طول هذا الضلع هو عشرة أمتار وسبع وستون سنتيمتراً وجب أن يكون هذا الإرتفاع خمسا وعشرين متراً، ويذكر كريزويل ان المئذنة الحالية تتكون من ثلاثة طوابق كلها مربعة الشكل، يبلغ طول ضلع الطابق الأول ١٠,٦٧م عند الأساس وارتفاعه ١٨,٨٧م، والطابق الثانى ٥م أما الطابق الثالث حوالى ٧,٥م، والارتفاع الكلى بدون التيجان ٣١,٥م، ويتناقص الطابق الأول تدريجياً، أما الثانى والثالث فعلى مستوى واحد، وجاء المدخل بإتساع ام وبإرتفاع ١,٨٥م يتوجه عقد حدوى، ويرى كريزويل كما أشار مارسيه أن المقاسات التى ذكرها البكرى، والتى تقدم ذكرها تتناسب مع الطابقين الأول والثانى لأنه إذا كانت ٢٥ ذراعاً تساوى ١٠,٦٣م، وهو البعد المتوسط لجوانب القاعدة، فان ٦٠ ذراعاً تساوى ٢٥,٥١م للطابقين الأول والثانى مقابل الارتفاع الذى وجد كما يذكر كريزويل وهو

٢٥,٣م وهو الأمر الذى أوجه تقاربا شديداً هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يضيف كريزويل أن القمة المقببة المشيدة بالاجر والحنايا من التجديدات الحفصية التى ترجع إلى عام ٦٩٣هـ/ ١٢٩٤م ويضيف كريزويل فيما يتعلق بتاريخ المئذنة أن هذه المئذنة التى وصفها يمكن فى الحقيقة أن تشكل جزءً من المسجد الذى شيده زيادة الله بن الأغلب فى عام ٢٢١هـ/ ٨٣٦م، ويعلق د. أحمد فكرى انه إذا كنا نعتقد أن أبا عبيد الله البكرى كان دقيق البحث، صادق النقل وأن وصفه لمسجد القيروان مطابق للحالة التى نشاهده عليها اليوم، لوجب علينا أن نأخذ بتقديره لارتفاع المئذنة، ونوافق العالمين مارسيه وكريزويل على ما أتفقا عليه من أن الطابق الثالث قد أضيف إلى المئذنة التى أقامها بشر بن صفوان فى خلافة هشام بن عبد الملك إلا أنه يصعب علينا الأخذ بهذا الرأى لثلاثة أسباب يمكن عرضها كما يلى:

السبب الأول ان لمسجد سفاقس مئذنة اشتقت من مئذنة القيروان وانها شيدت سنة ٣٧٠هـ/ ٩٨١م وأن هذه المئذنة تشتمل على طابق أعلى تتوجه قبة صغيرة، ويشابه الطابق الأعلى لمئذنة القيروان، فالغالب أن هذه المئذنة الأخيرة، كانت تضم هذا الطابق الأعلى فاتخذها بناء مسجد سفاقس أنموذجاً لمئذنته.

والسبب الثانى أن أسلوب بنيان مئذنة القيروان كلها متحد المظهر وثيق التناسق، وأن الطابق الثانى منه، وهو الذى تتراجع جدرانه عن جدارن الطابق الأول لا تستقيم مكانته من غير الطابق الأعلى، ولا يكتمل مظهره إلا به.

والسبب الثالث أنه إذا كان العدد الذى ذكره البكرى عن ارتفاع المئذنة، وهو ستون ذراعاً، لا يطابق ارتفاعها اليوم، فقد يكون هذا راجعاً إلى خطأ فى التقدير أو فى نقل أحد النساخين لكتابه، ذلك أن فى وضعه خطأ آخر وهو تقديره لطول المسجد بمائتين وعشرين ذراعاً، ولعرضه بمائة وخمسين فاذا كان الذراع يعادل اثنين وأربعين سنتيمتراً، كما قدر كريزويل، يكون طول المسجد ثلاثاً وتسعين متراً تقريبا أو أقل ثلاثين متراً عن طوله الحقيقى، وينقص عرضه أيضا عن سبعة أمتار ولا يصح بهذا الحساب إلا طول ضلع المئذنة فيبقى على ما هو عليه وهو عشرة أمتار وسبعة وستون سنتيمتراً، فيوافق طول المسجد على هذا الحساب مائة وعشرة

أمتار ويوافق عرضه خمساً وسبعين متراً، وارتفاع المئذنة ثلاثين وعرض ضلعها اثنى عشر متراً ونصف متر، إلا أنه أقرب إلى الصواب أن نظن أن عدد الستين ذراعاً المذكورة فى كتاب البكرى قد وقع خطأ عند نقل أحد الناسخين لكتابه أو كان نتيجة لخطأ تقدير أحد الرحالة الذى نقل عنه البكرى وصفه للمسجد، ولايد هشنا أن يكون أحدهم قد أخطأ فى تقدير لارتفاع مئذنة المسجد في هذه العصور التى اختلفت فيها المقاييس، ولم تصل معداتها إلى الدقة الحاسمة، ويضيف د. أحمد فكرى أنه سواء أصح مانظن، أم لم تقو حجتنا فيه، فإن مئذنة القيروان ترتسم أمامنا فى الفضاء كتلة متماسكة متحدة الأجزاء، وتتناسق نسبها تناسقًا يشعر بالعظمة، ولا يخلو من الجمال، وإذا خلعنا عن الطابقين العلويين، ذلك الغطاء الجيرى الذى يكسوها، حتى تظهر معالم بنيانهما كما هى الحال في الطابق الأول، لتبين لنا إرتقاء مظهر هذا الطابق حتى قمة المئذنة، ولاقتنعنا بوحدة أسلوب البناء، وتطابق عناصر البنيان وانسجام الفكرة التى أخرجت هذا البناء كله[٨١]. (لوحة ٢٢، ٢٣).

اما فيما يتعلق بالتكوين المعمارى للمئذنة فقد جاء من ثلاثة طوابق مربعة تتوجها قبة مضلعة، وتفصيل ذلك أن الطابق الأول يمثل القاعدة التى جاءت مربعة يبلغ طول ضلعها ١٠,٦٧ عند الأساس و التى ترتفع بمقدار ١٨,٨٧م وقد اعتنى بتشييدها ، فجمعت لها لوحات كبيرة من الحجارة المتساوية القطع، وتنتظم هذه المداميك فوق بعضها حتى تبلغ إلى مستوى يرتفع من سطح الأرض بمقدار ثلاثة أمتار ونصف أما الحجارة التى تعلو هذا المستوى حتى نهاية الطابق الأول فمسطحاتها مستطيلة وتتميز الجدران بسمكها الذى يبلغ عند أساسها ثلاثة أمتار ونصف، وتتناقص القاعدة، تدريجيا كلما ارتفعت لأعلى تشتمل على ثلاث نوافذ مستطيلة أعلى المدخل، تتوجها عقود حدوية فى الجهة الجنوبية الشرقية جهة الصحن، وتقابل هذه النوافذ طوابق السلم الثلاثة داخل المئذنة، كما تشتمل في الجهة الشمالية الغربية على ثلاث فتحات تشبه المزاغل، كذلك تشتمل فى الجهة الجنوبية الغربية على فتحتين وقد أوجد المعمار هذه الفتحات بغرض الاضاءة

والتهوية داخل المئذنة وتتسع جوانب هذه الفتحات كلما نفذت في جوف الجدران، وتتوجها عقود حدوية وتتوج القاعدة شرفة أذان مربعة المسقط، يتوصل إليها من الطابق الثانى أو الطابق الأول أعلى القاعدة، ويرتفع هذا الطابق بمقدار ٥م، ويرتد إلى الداخل، ويتكون من هذا الإرتداد ممر الشرفة الأولى، وتحدد هذا الممر شرافات ترتفع بمقدار ١٩,١م، ويزدان الطابق فى كل ظلع من أضلاعه بثلاث دخلات تتوجها عقود حدوية مصمتة، أما الطابق الثالث فقد جاء مربعاً يرتفع بمقدار ٤٢,٥م حتى الكورنيش، ويرتد هذا الطابق إلى الداخل قليلاً عن الطابق الثانى، ويتكون من هذا الإرتداد ممر الشرفة الثانية، وهى مربعة تحددها شرافات تماثل فى هيئتها شرافات الشرفة الأولى، وترتفع بمقدار ١٦,١م، ويزدان هذا الطابق فى كل ضلع من أضلاعه بثلاث دخلات تتوجها عقود حدوية، الوسطى نافذة يتوصل من خلالها إلى أرضية الشرفة، وترتكز على عمودين، وتتوج هذا الطابق خمس حنايا فى كل ضلع الوسطى فيها نافذة، ثم تتوج المئذنة قبة نصف كروية مضلعة بإرتفاع ٢م. (شكل ٧٤)

وقد أورد لنا البكرى نصاً هاماً يتعلق بعمارة بشر بن صفوان فى جامع القيروان حيث ذكر «فلما كانت خلافة هشام بن عبد الملك كتب إليه عامله على القيروان يعلمه ان الجامع يضيق بأهله وأن بجوفيه جنة (رحبة) كبيرة لقوم من فهر فكتب إليه هشام يأمره بشرائها وان يدخلها فى المسجد الجامع، ففعل وبنى فى صحنه ما جلا وهو المعروف بالماجل القديم بالقرب من البلاطات، وبنى الصومعة فى بئر الجنان ونصب اساسها على الماء، واتفق ان وقعت في نصف الحائط الجوفى وأهل الورع يكرهون الصلاة فى هذه الزيادة ويقولون أنه اكره أهل الجنة (الرحبة) على بيعها. والصومعة اليوم (شكل ٧٥ ـ ٧٦) على بنائه طولها ستون ذراعاً وعرضها خمس وعشرون، ولها بابان شرقى وغربى وعضائد بابيها رخام منقش (منقوش) وكذلك عتبتهما»[٨٢].

وفى عام ٢٢١هـ/ ٨٣٦م غيرّ زيادة الله بن الأغلب من تخطيط ظلة القبلة،

حيث هدم صف الأعمدة الذى كان يتوسط ظلة القبلة أمام المحراب وجعل من البلاطتين اللتين كان يفصل بينهما هذا الصف بلاطة واحدة واسعة، وذلك حتى يتمكن من اقامة قبة كبيرة تعلو محرابه الجديد، وقد ترتب على هذا التعديل أن أصبحت ظلة القبلة تتكون من سبع عشرة بلاطة بدلا من ثمانى عشرة وأصبح المسجد يشتمل فى ظلة القبلة على بلاطة وسطى عمودية على المحراب كما أضاف زيادة الله إلى ظلة القبلة بلاطة تشرف على الصحن من خلال بائكة تمتد عقودها موازية لجدار القبلة على غرار البائكة الأولى والرابعة والسابعة من جهة جدار القبلة إلى الصحن واصبحت ظلة القبلة بعد عمارة زيارة الله بن الأغلب تتكون من ثمانى بلاطات غير أن عمارة زيادة الله لم تغير من جوهر التخطيط، حيث ظل المسجد يتكون من صحن وظلة للقبلة.

وقد تطور تخطيط المسجد فى عهد إبراهيم بن أحمد الأغلبى فى عام ٢٦١هـ/ ٨٧٥م، حيث أصبح المسجد يتكون من صحن أوسط مكشوف وأربع ظلات فقد أضاف إبراهيم بن أحمد بلاطتين إلى الصحن فى جوانبه الأربعة فأصبحت ظلة القبلة تتكون من عشر بلاطات ثم شيد إبراهيم بن احمد قبة البهو على نهاية البلاطة الوسطى من جهة الصحن، وبذلك تكامل تخطيط المسجد النهائى، وهو الأمر الذى يؤكده د. أحمد فكرى الذى يذكر وإن يكن هنالك من يرجعها إلى عهد أبى إبراهيم فى سنة ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م ولكن لنا من وحدة البناء وتناسق شكل هذه المجنبات مع الزيادات التى أدخلها إبراهيم بن أحمد ما يحملنا على الأعتقاد أنها ترجع كلها إلى عهد هذا الوالى(٨٣).

وإضافة للعمارة الدينية ازدهرت المنشآت التجارية والأسواق فى القيروان فى خلافة هشام بن عبد الملك، فقد وصف لنا البكرى سوق القيروان الكبير (السماط) فى عهده وصفارائعا يستدل منه انه كان يبدأ من المسجد إلى باب الربيع، ومن المسجد إلى باب تونس مما يدل على أنه قد روعى عند تخطيط عقبة للمدينة أهمية السوق والتجارة والصناعات فقد قال البكرى عند ذكره مدينة القيروان يصف سوقها «وكان سماط سوق القيروان قبل نقله إلى المنصورية

متصلا من القبلة إلى الجوف، وطوله من باب أبى الربيع إلي الجامع ميلان غير ثلث ومن الجامع إلى باب تونس ثلثا ميل، وكان سطحا متصلا فيه جميع المتاجر والصناعات، وكان امر بترتيبه هكذا هشام بن عبد الملك[٨٤].

وكان فى المدينة إلى جانب هذا السوق الكبير المشتمل على جميع أنواع المتاجر والصناعات أسواق أخرى متخصصة الأغراض، «للحرف والصنائع الخاصة (كسوق الصيارفة) والمظنون أنه كان معدا للعمليات المالية وسوق الجوهريين وسوق البركة يعرض فيه الرقيق والجوارى وسوق الأحد للمنسوجات الصوفية وسوق الكتانين وسوق الغزل، وهذه الثلاثة الأخيرة كانت متلاصقة، وسوق السراجين وسوق البزازين وسوق الدجاج جوار باب تونس وسوق الرهادرة أو الزهاد، وسوق اليهود إلي غير ذلك من الأسواق، وان ابواب المسجد لتوصف بأسماء صناعات وتجارات فى كتب الاقدمين مما يدل دلالة واضحة على ان هذه الأبواب سميت باسم الاماكن التى تفتح عليها لكثرة وجودها فى ذلك المكان فمنها باب السباغين.. باب سوق الخميس.. باب اللحامين.. وسوق الرماحين»[٨٥].

ولى عبيدة بن عبد الرحمن السلمى افريقية كما تقدم فى عام ١١٠هـ/ ٧٢٨م من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك وكان قيسيًا متعصبا فتحامل على عمال بشر بن صفوان، ثم ولى على الأندلس أربعة ولاه هم عثمان الخثعمى فى عام ١١٠هـ/ ٧٢٨م، وحذيفة القيسى ١١١هـ/ ٧٢٩م، والهيثم بن عبيد ١١٢هـ/ ٧٣٠م، وعبد الرحمن بن عبد الله الغافقى ١١٣هـ/ ٧٣١م، كما وجه المستنير بن الحارث إلى صقلية، ثم عزل عبيدة فاستخلف أحد أصحابه هو عقبة بن قدامة حتى ولى الخليفة هشام بن عبد الملك عبيد الله بن الحبحاب فى عام ١١٤هـ/ ٧٣٢م، وكان واليا على مصر[٨٦].

استخلف عبد الله بن الحبحاب على مصر ابنه القاسم، وولى الأندلس عقبة بن الحجاج السلوك القيسى، واستعمل على طنجة وما والاها من المغرب الأقصى

ابنه إسماعيل ثم عمر بن عبد الله المرادى، وكان عبيد الله قيسيًا متعصباً، كما كان متعصباً أيضاً للعرب على البربر، وقد أرسل حملة إلى بربر السوس الأقصى بقيادة حبيب بن أبى عبده بن عقبة بن نافع فى عام ١١٦هـ/ ٧٣٤م، كما سير جيشاً إلي صقليه، وفى عهده ساءت أحوال البربر واضطربت الأمور فى افريقية وانقسم العرب إلى عصبتين يمنية وقيسية فى الوقت الذى كثر فيه وفود الخوارج إلى بلاد المغرب واستغلالهم هذه الأحوال المضطربة فتقبل بربر القسم الشمالى من المغرب الأقصى والمغرب الأوسط المذهب الأباضى بينما تقبل بربر القسم الجنوبى من المغرب الأقصى فى المناطق الجبلية الممتدة من السوس الأدنى إلى جبل درن، مذهب الصفرية، وقد سير البربر وفداً إلى الخليفة هشام لإصلاح الوضع المتردى فى البلاد، ولكنهم لم يتمكنوا من مقابلته فقاموا بالثورة بقيادة ميسرة المضغرى البترى الذى تولى دعوة الصفرية وانضم إليه الأفارقة فى طنجة بزعامة عبد الأعلى بن جريج، وثار البربر فى المغرب الأقصى فى عام ١٢٢هـ/ ٧٣٩م وخرج ميسرة فاستطاع قتل عمر بن عبد الله المرادى بطنجة، وسار إلى السوس فهزم إسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب وقتله، ثم قتل ميسرة علي يد البربر عندما التقى بجيش خالد بن حبيب من قبل عبيد الله بن الحبحاب، وولى أمر البربر خالد بن حميد الزناتى الذى استطاع قتل خالد بن حبيب وهزيمة جيش عبيد الله بن الحبحاب فى موقعة عرفت غزوة الأشراف، وانتقلت الثورة إلى بربر الأندلس الذين ثاروا على عاملهم عقبة بن الحجاج وعزلوه فى عام ١٢٣هـ/ ٧٤٠م، وولوا عبد الملك بن قطن الفهرى، فاجتمع أعيان العرب فى القيروان وتم عزل ابن الحبحاب، وأرسل الخليفة هشام يستدعيه فخرج من افريقية في جمادى الأولى ١٢٣هـ/ ٧٤٠م(٨٧).

جامع الزيتونة ١١٧هـ/ ٧٣٥م (شكل ٧٧، ٧٨)

رأى والى إفريقية حسان بن النعمان بعد ان فرغ من أمر الكاهنة ملكة البربر أن يقيم مدينة عربية إسلامية تجاه قرطاجنة بحيث تشرف على مدخل قرطاجنة، فشيد تونس على بعد نحو ١٢ ميلاً شرقيها، وجعلها قاعدة بحرية، وأنشأ بها داراً لصناعة الأسطول واستعان لذلك بالمصريين، فقد أرسل للخليفة عبد الملك بن مروان يطلب منه أن يزوده بجماعة من الأقباط يستخدمهم فى تأسيس دار الصناعة، فكتب الخليفة عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز والى مصر يأمره أن يوجه إلى معسكر تونس ألف قبطى بأهله وولده، وشيد حسان فيها مسجداً جامعًا وداراً للإمارة وثكنات للجند للمرابطة، وقدر لهذه المدينة أن تصبح أعظم ثغور أفريقية بعد ذلك بثلاثين عامًا على يدى عبيد الله بن الحبحاب[88].

ازدهرت المدينة ازدهاراً عظيمًا فى عهد عبيد الله بن الحبحاب، فقد نمت واتسع عمرانها، ويعد جامعها المعروف بالزيتونة نسبة إلى القديسة زيتونة التى عاشت فى زمن الوندال من أهم مساجد أفريقية لقدم عهده من جهة، واحتفاظه بعناصره المعمارية والزخرفية الأولى من جهة أخرى، وقد اشتهر كجامعة علمية عريقة مازالت تدرس فيها علوم اللغة والتاريخ والفقه[89].

يذكر ابن عبد الحكم أن عبيد الله بن الحبحاب ولى إفريقية فى عام ١١٦هـ/ ٧٣٤م فى خلافة هشام بن عبد الملك، فقد أورد «وكتب إلى عبيد الله بن الحبحاب وهو عامله على مصر بالمسير إلى أفريقية وولاه إياها وذلك فى شهر ربيع الآخر من سنة ست عشرة ومائة»[90].

وقد نقل د. السيد عبد العزيز سالم[91] عن المؤرخ ابن الأثير أن عبيد الله بن

الحبحاب قدم واليًا على أفريقية فى عام ١١٤هـ/ ٧٣٢م، وذكر بناء المسجد فى هذا العام، وجاء فى تاريخ جامع الزيتونة أن المسجد شيد فى عام ١١٤هـ/ ٧٣٣م(٩٢).

والواقع أن ابن الأثير ذكر فى حوادث سنة ست عشرة ومائة ما نصه «وفيها عزل هشام عبيد الله بن الحبحاب الموصلى عن ولاية مصر واستعمل على إفريقية، فسار إليها.. وقيل بل ولى عبيد الله بن الحبحاب إفريقية سنة سبع عشرة.. وهذا أصح»(٩٣)، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه أن المسجد شيد فى عام ١١٧هـ/ ٧٣٥م.

يذكر د. أحمد فكرى أن المسجد تعرض للعمارة والإضافة من الناحيتين المعمارية والزخرفية خلال عصوره الإسلامية المتعاقبة، وسجل كل هذا بدقة فى نصوص تاريخية منقوشة على الحجارة، ذكر فيها وصف هذه الأعمال وتاريخها، بل وذكر فى بعضها أسماء الصناع الذين تولوا عملها، حتى أن الباحث فى آثار هذا المسجد يستطيع أن يحدد فى ثقة تامة مراحل تطوره، سواء من حيث تخطيطه، أو من حيث بنيانه وزخرفته، ويضيف إنه ينقصنا النقش الذى يسجل تاريخ عمارة عبيد الله بن الحبحاب للمسجد(٩٤).

ويعتقد د. فكرى من خلال دراساته الأثرية فى المسجد أنه فى ذلك التاريخ كانت له الحدود الخارجية التى احتفظ بها منذ إنشائه، وأن المسجد كان يشتمل على صحن وظلة للقبلة كانت تتكون من أربع بلاطات جاءت متأثرة فى تكوينها وتخطيطها بظلة القبلة فى جامع القيروان فى عهد الوالى حسان بن النعمان، ثم قام الأمير أبو إبراهيم أحمد (٢٤٢-٢٤٩هـ/ ٨٥٦-٨٦٣م) بتجديد المسجد فى عام ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م فزاد فى عدد بلاطات ظلة القبلة، ثم أتم أخوه زيادة الله الثانى وهو أبو محمد زيادة الله بن محمد (٢٤٩-٢٥٠هـ/ ٨٦٣-٨٦٤م) ذلك التجديد وتلك العمارة، ويحدد هذه الأعمال ويوضحها نقشان تاريخيان يحملان سنة ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م، ويدور أحد هذين النقشين حول قبة المحراب، ويمتد الآخر

على واجهة البلاطة السابعة المطلة على الصحن، من أولها إلى آخرها، وتمثلت هذه الزيادة فى إضافة ثلاث بلاطات إلى ظلة القبلة، وتطابق هذه الزيادة فى المسجد زيادة الوالى بشر بن صفوان فى جامع القيروان، وفى هذه الزيادة تم هدم صف الأعمدة الذى أمام المحراب لعمل بلاطة وسطى عمودية على المحراب، وذلك لإقامة قبة تعلو المحراب على غرار عمارة زيادة الله بن الأغلب فى جامع القيروان، أى أن معمار مسجد الزيتونة تأثر تماما بتخطيط جامع القيروان بحيث جاء مطابقًا فى تخطيطه العام تخطيط جامع القيروان فيما عدا أن بلاطات جامع القيروان العمودية على جدار القبلة فى ظلة القبلة كانت تتكون قبل وجود البلاطة الوسطى من ثمانى عشرة بلاطة، وبعد هدم صف الأعمدة الذى كان يتوسط ظلة القبلة واستحداث المجاز القاطع أصبحت هذه البلاطات من سبع عشرة بلاطة، أما فى جامع الزيتونة فجاءت هذه البلاطات تتكون من ست عشرة بلاطة قبل هدم صف الأعمدة الذى كان يتوسط ظلة القبلة، وبعد هدمه أصبحت هذه البلاطات تتكون من خمس عشرة بلاطة، أى أن الاختلاف بين المسجدين تمثل فى عدد البلاطات العمودية فقط، حيث جاءت البلاطات الموازية مطابقة من سبع بلاطات فى المسجدين، كذلك جاء التطابق فى امتداد البائكات الأولى والرابعة والسابعة فى المسجدين.

ويذكر د. أحمد فكرى[٩٥] أن المسجد فى عام ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م كان يتكون من مستطيل غير منتظم الأضلاع، طول جدار القبلة الخارجى فيه ٦١م، والجدار الشرقى ٦٥م، والجدار الشمالى ٥٧م، والجدار الغربى ٧٦م وقد شيدت الجدران بالحجر الجيرى المصقول ترتفع بمقدار ٩م بسمك ١,٢٠م، وتتميز البلاطة الأولى كما فى جامع القيروان بأنها أكثر اتساعًا من بقية البلاطات، حيث جاءت باتساع ٤,٣٠م، أما بقية البلاطات فجاءت باتساع حوالى ٣م، أما البلاطة الوسطى العمودية على المحراب فجاءت باتساع ٤,٨٠م، ويتوسط جدار القبلة محراب تعلوه قبة، وقد فتح المعمار فى هذه البلاطة الأولى مدخلاً يتوصل منه إلى مقصورة من قاعتين مستطيلتين، وتمتد هذه المقصورة إلى جدود البلاطة الرابعة،

وتبرز خارج ظلة القبلة بمقدار ٥م، وإلى الشرق من المحراب أوجد المعمار فتحة باب تؤدى إلى قاعة صغيرة هى بيت المنبر.

أما المئذنة فتقع فى الركن الشمالى الغربى أقيمت فى عام ٧١٢هـ/ ١٣١٢م على أنقاض المئذنة القديمة، ويشتمل المسجد على خمسة مداخل: إثنتان فى الجدار الغربى، وثلاثة فى الشرقى، منها مدخل فى البلاطة الثانية من ظلة القبلة، وفى تاريخ لاحق تغير تخطيط المسجد إلى صحن وأربع ظلات، وذلك من خلال إضافة بائكة حول الصحن، ونتج عن هذه البائكة استحداث قبة للبهو فى مدخل البلاطة الوسطى وذلك فى عام ٣٨١هـ/ ٩٩١م، وتعد من أروع القباب التونسية جميعًا لتناسق تخطيطها، ودقة تفاصيلها المعمارية، وتوافق نسبها وزخارفها، وقد شيدت هذه القبة على غرار قبة البهو فى جامع القيروان.

ومن الإضافات التى أوردها الحشائشى فيما يتعلق بالجامع عمارته على يد يحيى بن المنتصر الحفصى فى عام ٦٧٦هـ/ ١٢٧٨م، ثم عمارته على يد السلطان زكريا الحفصى فى عام ٧١٦هـ/ ١٣١٧م، وشملت هذه العمارة عمل عوارض وأبواب من خشب لظلة القبلة، وسجل تاريخ هذه العمارة أعلى باب البهو، ثم أنشأ فيه السلطان أبا عبد الله الحفصى مقصورة يلى بابها صحن الجنائز، ثم شيد السبيل أسفلها، كما شيد إمام الجامع الشيخ محمد تاج العارفين البكرى فى عام ١٠٣٧هـ/ ١٦٢٨م المجنبة الشرقية بصحن الجامع، وسجل اسمه فى سقفها، وقد تعرض المسجد للعديد من أعمال الترميم والإصلاح كان آخرها فى عهد الدولة الصادقية فى الجانب الغربى من صحنه، وعلى عهد الدولة العلوية بمدخل صحن الجنائز(٩٦).

ويشتمل المسجد على منبر يرجع تاريخه إلى عام ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م، ويماثل منبر جامع القيروان، غير أنه أصغر منه حجمًا، تزدان حشواته بزخارف نباتية وهندسية(٩٧).

ولى إفريقية بعد ابن الحبحاب كلثوم بن عياض القشيرى من قبل الخليفة هشام،

وكان قيسيًا متعصبًا، وقد وصل إفريقية فى عام ١٢٣هـ/ ٧٤٠م ولم يدخل القيروان، وأقام على القيروان عبد الرحمن بن عقبة الغفارى ومسلمة بن سوادة القرشى، وزحف بجيشه إلى تلمسان، ويذكر ابن عبد الحكم أنه استخلف على القيروان عبد الرحمن بن عقبة الغفارى، وعلى الحرب مسلمة بن سوادة القرشى، ثم رحل من إفريقية إلى طنجة وساءت أحوال العرب فى أفريقية، واشتبك كلثوم مع البربر بقيادة حامد بن حميد الزناتى بالقرب من تاهرت فى عام ١٢٤هـ/ ٧٤١م فقتل كلثوم وانهزم العرب، فأمر الخليفة هشام واليه على مصر حنظلة بن صفوان بالسير إلى المغرب(٩٨).

ولى حنظلة أفريقية فى عام ١٢٤هـ/ ٧٤١م واستقر بالقيروان ثم اشتبك مع جيش البربر بقيادة عكاشة بن أيوب الفزارى الصفرى وانتصر عليه، ثم التقى بجيش آخر للبربر بقيادة عبد الواحد الهوارى وانتصر حنظلة، وفى ذلك الوقت توفى الخليفة هشام وخلفه الخليفة الوليد بن يزيد ١٢٥هـ/٧٤٣م فأقر حنظلة على ولاية أفريقية، وكان أن نزل عبد الرحمن بن حبيب الفهرى بتونس فى عام ١٢٦هـ/ ٧٤٤م ودعا إلى نفسه بها وطلب ولاية أفريقية، وآثر والى أفريقية حنظلة بن صفوان ترك القيروان وأفريقية على محاربة عبد الرحمن، حيث خرج منها فى عام ١٢٧هـ/ ٧٤٥م متوجها إلى دمشق، ودخل عبد الرحمن بن حبيب القيروان، وظل يلى أفريقية حتى قامت الخلافة العباسية فأرسل إلى الخليفة أبى العباس السفاح يعلن طاعته فأقره السفاح على أفريقية(٩٩).

هوامش وتعليقات الفصل الرابع

(١) د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص ص ٤٠-٤١، د. على منصور نصر: أضواء على الفتح الإسلامى للمغرب (بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق حتى أواخر القرن الخامس عشر للميلاد «التاسع الهجرى»)، اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص ص ١٧-١٨.

(٢) د. محمد يوسف نجم، د. إحسان عباس: ليبيا فى كتب الجغرافية والرحلات، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازى، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص ٩.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.س كولان، ليفى بروفنسال، دار الثقافة ببيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م، جـ١، ص ٨.

(٤) د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص ٥٥.، د. عبد الله كامل موسى عبده: مدينة برقة وآثارها الإسلامية (عبق التاريخ وطرز العمارة)، مدن تراثية، ٦، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص ص ٣٣-٣٧.

(٥) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٧١.

(٦) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٧٣.

(٧) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٧٣.، د. حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، الثقافة الدينية، القاهرة، ص ٦٧.

(٨) ابن عذارى: البيان، مج١، ص ٨٧.

(٩) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٨٣.، د. حسين مؤنس: فتح، ص ص ٨٢-١٠٥.

(١٠) البلاذرى: فتوح، ق١، ص ٢٦٨.

(١١) د. محمد محمد زيتون: القيروان، ص ص ٣٠-٣١.

(١٢) د. حسين مؤنس: فتح، ص ص ١١٠-١١١.

(١٣) د. حسين مؤنس: فتح، ص ص ١١١-١١٢.

(١٤) د. حسين مؤنس: فتح، ص ص ١١٥-١١٩.

(١٥) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٩٣.

(١٧) د. حسين مؤنس: فتح، ص ص ١٢٧-١٣٧.

(١٨) د. حسين مؤنس: فتح، ص ١٣٧.

(١٩) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٩٦.، د. حسين مؤنس: فتح، ص ١٣٩.

(٢٠) د. حسين مؤنس: فتح، ص ١٤٠.

(٢١) د. محمد محمد زيتون: القيروان، ص ص ٧٢-٧٣.

(٢٢) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٩٦.

(٢٣) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٩٦.

(٢٤) البلاذرى: فتوح، ق١، ص ٢٦٩.

(٢٥) د. حسين مؤنس: فتح، ص ص ١٤٠-١٤١.

(٢٦) المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولى، القاهرة، الطبعة الثالثه ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ٢٢٥.

(٢٧) د. حسين مؤنس: فتح، ص ص ١٤٢-١٤٣.، د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص ص ١١٧-١١٩.

(٢٨) د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص ص ١١٧-١١٨

(٢٩) د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص ص ١١٨-١١٩

(٣٠) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ص ٤٢٠.

(٣١) الاصطخرى (ابن اسحق إبراهيم بن محمد الفارسى): المسالك والممالك، تحقيق د. محمد جابر عبد العال الحينى، محمد شفيق غربال، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م، ص ص ٣٧-٣٨.

(٣٢) د. حسين مؤنس: فتح، ص ١٥٣.

(٣٣) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٩٦.

(٣٤) ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص ٦٣.

(٣٥) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٩٧.

(٣٦) د. حسين مؤنس: فتح، ص ص ١٥٣-١٥٤.

(٣٧) ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص ٦٣.

(٣٨) البلاذرى: فتوح، ق١، ص ٢٩٦.

(٣٩) د. حسين مؤنس: فتح، ص ١٤٥.

(٤٠) د. حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ٥٦، د. عبد الله كامل موسى عبده: الاستحكامات الحربية بالثغور المصرية فى عصر الحروب الصليبية، مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادى، العدد الرابع، ١٩٩٥م، ص ٢٤٦.

(٤١) البكرى: المسالك، جـ٢، ص ٦٧٥.، د. فريد شافعى: العمارة العربية، ص ٥١٩.

(٤٢) يعد الخندق من العناصر الدفاعية الهامة فى العمارة الحربية لتحصين المدن

والقلاع، وقد عرف المسلمون حفر الخنادق منذ فجر الإسلام، إذ أحيطت المدينة المنورة بخندق فى عام ٥هـ/٦٢٦م، وشاع استخدام الخندق بعد ذلك، خاصة خلال الحروب الصليبية لما يؤديه من دور دفاعى هام.

المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ٤٥٨.، د. فريد شافعى: العمارة العربية، ص ٥١٨.، د. عبد الرحمن زكى: العمارة العسكرية فى العصور الوسطى بين العرب والصليبيين، المجلة التاريخية المصرية، المجلد السابع، ١٩٥٨م، ص ١٠٧.

(٤٣) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ص ٤٢١.

(٤٤) ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص ٦٣.

(٤٥) د. محمد محمد زيتون: القيروان، ص ٨٠.

(٤٦) د. محمد محمد زيتون: القيروان، ص ٨٠.

(٤٧) د. أحمد فكرى: مساجد الإسلام ـ مسجد القيروان، مطبعة المعارف بمصر، ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م، ص ٦٤.

(٤٨) د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص ص ١٢٠-١٢١.، د. محمد محمد زيتون: القيروان، ص ص ٨٧-٨٨.

(٤٩) د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص ١٢١.، د. محمد محمد زيتون: القيروان، ص ٨٧.

(٥٠) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٩٧.

(٥١) د. حسين مؤنس: فتح، ص ص ١٤٧-١٥٢.

(٥٢) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ص ١٩٧-١٩٨.

(٥٣) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٩٨.

(٥٤) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٩٨.

(٥٥) ابى عبيد البكرى: المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب (جزء من كتاب المسالك والممالك)، دار الكتاب الإسلامى، القاهرة، ص ص ٢٢-٢٣.

(٥٦) د. أحمد فكرى: المدخل، ص ٢٠٥.، سليمان مصطفى زبيس: المحاريب فى العمارة الدينية بالمغرب الإسلامى، المؤتمر الرابع للآثار فى البلاد العربية، تونس ١٨-٢٩ مايو، ١٩٦٣م، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٥م، ص ٥٥٣.

(٥٧) د. حسين مؤنس: فتح، ص ص ١١٩-٢٠٥.

(٥٨) د. حسين مؤنس: فتح، ص ص ٢١٠-٢١٣.

(٥٩) د. حسين مؤنس: فتح، ص ص ٢١٨-٢٣٠.

(٦٠) د. حسين مؤنس: فتح، ص ص ٢٣٦-٢٤٥.

(٦١) البلاذرى: فتوح، ق١، ص٢٧٠.، د. حسين مؤنس: فتح، ص ص ٢٤٦-٢٥٠.

(٦٢) د. حسين مؤنس: فتح، ص ص ٢٥٥-٢٦٠.

(٦٣) د. حسين مؤنس: فتح، ص ص ٢٦٠-٢٦٢. د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص ص ١٦٣-١٦٥.، د. صفى على: مدن مصر الصناعية، ص ص ١٦٧-١٦٨.

(٦٤) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ٢٠١.

(٦٥) البكرى: المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن واندرى فيرى، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٢م، جـ٢، ص ٦٧٣. وهنا يشير د. أحمد فكرى إلى عقود المسجد فيقول إنه لا يدرى إذا كان رفع هذه العقود يرجع إلى بناء حسان بن النعمان، الذى قيل إنه هدم المسجد ما عدا المحراب، وبناه من جديد، أو يرجع إلى بناء يزيد بن حاتم، الذى قيل أيضًا أنه هدم المسجد

حاشا المحراب، وبناه واشترى العمود الأخضر بمال عريض جزل، ووضعه فيه.

د. أحمد فكرى: مسجد القيروان، ص ٦٤.

(٦٦) د. محمد محمد زيتون: القيروان، ص ص ٨٩-٩٠.

(٦٧) د. محمد محمد زيتون: القيروان، ص ص ٨٢-٨٣.

(٦٨) د. حسين مؤنس: فتح، ص ص ٢٧٠-٢٧٢.

(٦٩) سفيان بن وهب الخولانى: يكنى أبا أيمن، وفد على الرسول ﷺ وحضر حجة الوداع، وشهد فتح مصر وأفريقية، وسكن المغرب، روى عنه أبو الخير مرثد بن عبد الله، وأبو عشانه، ومسلم بن يسار. حدث عبد الله بن وهب، عن عبد الرحمن بن شريح عن سعيد بن أبى شمر السبائى، قال: سمعت سفيان بن وهب الخولانى يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تأتى المائة وعلى الأرض أحد باق، وقد توفى سفيان فى عام ٨٢هـ.

ابن الأثير: أسد الغابة فى معرفة الصحابة، تحقيق محمد إبراهيم البنا، محمد أحمد عاشور، محمود عبد الوهاب فايد، دار الشعب، المجلد الثانى، ص ٤١٠.، الذهبى (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان) ت ٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م: سير أعلام النبلاء، تحقيق محمد نعيم العرقسوس، مأمون صاغرجى، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ، جـ٣، ص ص ٤٥٢-٤٥٣.، د. محمد جبر أبو سعده: العلاقات الثقافية بين مصر الإسلامية وبلاد المغرب فى القرن الثانى الهجرى، (العلاقات المصرية المغربية - الندوة الثانية القاهرة ٢٥-٢٧ يناير ١٩٩٠م)، وزارة الثقافة، مصر، الإدارة المركزية للعلاقات الثقافية الخارجية، ص ص ١٨٤.

(٧٠) ابن الأثير: أسد الغابة، مج٢، ص ٤١٠.

(٧١) ابن عذارى: البيان، جـ١، ص ٤٢.، د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص ١٦٤.

(٧٢) د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص ص ١٧٧-١٩٢.، د. محمد محمد زيتون: القيروان، ص ٧٣.، د. أحمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص ١٣.، مانويل جوميث مورينو: الفن الإسلامى فى إسبانيا، ترجمة د. السيد عبد العزيز سالم، د. لطفى عبد البديع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص ٤.

(٧٣) د. محمد محمد زيتون: القيروان، ص ص ٨٧-٨٨.

(٧٤) د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص ص ١٩٥-٢٠٢.، فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٥م، ص ١٢.

د. محمد محمد زيتون: القيروان، ص ص ١٠٤-١٠٥.

(٧٥) د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص ص ٢٠٢-٢٠٣.

(٧٦) د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص ٢٠٤، د. محمد محمد زيتون: القيروان، ص ص ١٩٠-١٩٦.

(٧٧) د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص ص ٢٠٨-٢٠٩.، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس (من الفتح العربى حتى سقوط الخلافة بقرطبة، مؤسسة شباب الجامعة؛ الإسكندرية، ص ص ١٣٧-١٣٨.

(٧٨) د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص ص ٢٠٩-٢١٠.

(٧٩) د. أحمد فكرى: مسجد القيروان، ص ص ٦٦-٦٧.

(٨٠) د. فريد شافعى: العمارة العربية، ص ٦٤٠.، د. صالح بن قربة: المئذنة المغربية الأندلسية فى العصور الوسطى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص ص ٢٨-٣٤.

(٨١) كريزويل: الآثار، ص ص ١٥٢-١٥٤.، د. أحمد فكرى: مسجد القيروان، ص ص ١٠٧-١٠٩.

(٨٢) البكرى: المسالك، جـ٢، ص ص ٦٧٣-٦٧٤.

(٨٣) د. أحمد فكرى: القيروان، ص ٢٦.

(٨٤) البكرى: المسالك، جـ٢، ص ٦٧٧.

(٨٥) د. محمد محمد زيتون: القيروان، ص ص ٩٣-٩٤.

(٨٦) د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص ص ٢١٠-٢١٢.

(٨٧) د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص ص ٢١٢-٢٢١.

(٨٨) د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى؛ مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص ص ١٦٣-١٦٥.

(٨٩) د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص ١٦٣.

(٩٠) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص ٢١٧.، الكندى: تاريخ ولاة مصر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ٦٤.

(٩١) د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص ٣٥٠.

(٩٢) الحشائشى: تاريخ جامع الزيتونة، تحقيق الجيلانى بن الحاج يحيى، تونس، ١٩٧٤م، ص ٢١.

(٩٣) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربى، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، جـ٤، ص ٢٢٠.

(٩٤) د. أحمد فكرى: مساجد القاهرة، المدخل، ص ص ٢٥٦-٢٥٨.

(٩٥) د. أحمد فكرى: مساجد القاهرة، المدخل، ص ص ٢٥٦-٢٥٨.

(٩٦) الحشائشى: تاريخ جامع الزيتونة، ص ٢١.

(٩٧) د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص ٣٥٦.

(٩٨) د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص ص ٢٢١-٢٢٧.

(٩٩) د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص ص ٢٢٧-٢٣٧.، د. محمد محمد زيتون: القيروان، ص ١٠٢.

الخاتمة

وبعد فهذه دراسة تطرقت إلى موضوعات تاريخية وحضارية وأثرية فى مجال العمارة الإسلامية فى الشام والعراق خلال الفترة الممتدة من ٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٥٠م، وفى مصر وإفريقية خلال الفترة الممتدة من ٣٨-١٣٢هـ/ ٦٥٨-٧٥٠ م خلال عصر الولاة، وفيما يلى عرض بعض ما تحقق من نتائج من خلال فصول الكتاب.

جاء الفصل الأول بعنوان الآثار والإضافات والتجديدات المعمارية الأموية فى الشام وبعض الأقطار العربية والإسلامية، وتطرق الفصل إلى دراسة تمهيدية تناولت بداية ظهور معاوية على مسرح الأحداث السياسية والمراحل التى مر بها حتى أصبح خليفة للمسلمين منذ عام ٤١هـ/ ٦٦١م.

تناولت الدراسة فى هذا الفصل التحصينات الساحلية فى أثناء ولاية معاوية، وهى التحصينات التى تمثلت فى أنطاكية واللاذقية، وطرابلس، وهى تحصينات رأى المسلمون ضرورة الاحتفاظ بها، حيث إنها تحصينات رومانية وبيزنطية وصلت إليهم فى حالة جيدة، ثم تحصينات بلدة، وأنطرطوس، ومرقية، وبلنياس، وصيدا، وعرقة، وجبيل، وبيروت، وهى التحصينات التى رأى المسلمون ضرورة إعادة بنائها وتدعيمها، ثم عكا، وصور، وجبلة، وعسقلان، وهى مدن أعيد تشييدها، كما رأى المسلمون استحداث حصون جديدة مثل حصن سفيان الذى شيد فيما بين سنتى ٢٣ و ٢٥هـ/ ٦٤٤ و ٦٤٦م.

وقد تتبعت الدراسة هذه التحصينات الحربية فى خلافة معاوية سواء تلك التى

ترجع إلى العصرين الروماني والبيزنطي أو تلك التي ترجع إلى العصر الإسلامي، حيث كشفت عن حصون جديدة مثل مدينة مرعش، وقنسرين، ومنبج، وحصون الفرات التي تتمثل في سميساط، وملطية، وشمشاط، وكمخ، وقاليقلا (أرضروم)، وفي المنطقة الوسطى الواقعة بين الخطين الساحلي والنهري إلى جانب مرعش الذي تقدم ذكره حصن الحدث، وكان أول من شيدها.

تناولت الدراسة الجامع الأموي وقصر الخضراء في عهد معاوية من خلال النصوص التاريخية، وذلك لإلقاء الضوء عليهما من خلال إلقاء الضوء على جوانب مهمة من مدينة دمشق عاصمة وحاضرة العالم الإسلامي في العصر الأموي.

تناولت الدراسة موضوع مقاصير الصلاة، من حيث النشأة والنسبة، وانتهت إلى ترجيح ما ذهب إليه د. محمد محمد الكحلاوي من حيث النشأة والنسبة.

تتبعت الدراسة الحصار الأول ثم الحصار الثاني للكعبة المشرفة في عهد يزيد بن معاوية ثم عبد الملك بن مروان، ثم عملية عمارة الكعبة بعد الحصار الأول من قبل عبد الله بن الزبير، وبعد الحصار الثاني من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي بأمر من الخليفة عبد الملك بن مروان.

هذا وقد تتبعت الدراسة الجامع الأموي في عهد عبد الملك بن مروان من خلال النصوص التاريخية، حيث رغب هذا الخليفة في زيادة المسجد مثلما رغب من قبل معاوية بن سفيان غير أن النصارى أبوا عليهما ذلك.

وقد ألقت الدراسة الضوء على الاستحكامات الحربية (الدفاعية) في الشام مثل حصن طرندة، وحصن المصيصة، وعسقلان، وقيسارية، وصور، وعكا.

كما تناولت عمارة المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وتعريب النقود والدواوين وفي خلافة الوليد بن عبد الملك تناولت الدراسة الجامع الأموي ٨٧هـ/٧٠٦م من كافة النواحي التاريخية والحضارية والأثرية المعمارية والزخرفية من خلال النصوص التاريخية من جهة، والتوصيف الأثري من جهة أخرى في دراسة

جديدة شاملة، ثم الإضافات والتجديدات التى تعرض لها المسجد عبر عصوره التاريخية حتى عام ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م. كما تناولت الدراسة قصر الوليد الذى يقع بالقرب من الشاطئ الشمالى الشرقى لبحيرة طبرية وهى دراسة جديدة من خلال المسقط الأفقى له، حيث قمت بدراسة وصفية مستفيضة لمخططه المعمارى.

وتناولت الدراسة حصراً لأعمال الوليد بن عبد الملك مثل عمارة المسجد النبوى بالمدينة على يد واليه عمر بن عبد العزيز، وقد دعمت هذه العمارة بعدة نصوص تاريخية فى أثناء وبعد عمارة الوليد، ثم عمارة المسجد الأقصى، ثم عمارة جامع صنعاء الكبير فى ضوء النصوص التاريخية والمخططات، ثم عمارة دار الضيافة، والبيمارستان ببلاد الشام، إضافة لعمارة البيت الحرام ومآثر أخرى مثل الاستحكامات الحربية التى تتمثل فى عمارة حصن سلوقية، وبغراس، وعين السلور وبحيرتها، والاسكندرونة، وعمارة مرعش ومسجدها الجامع، وخوارزم وسمرقند ومسجدها الجامع.

وقد أفردت دراسة وصفية لقصير عمرة من منطلق أنه يؤرخ بعصر الوليد بن عبد الملك فى حوالى عام ٩٥هـ/ ٧١٥م.

وفى ولاية سليمان بن عبد الملك تناولت الدراسة مدينة الرملة ومنشآتها والمراحل التاريخية التى مرت بها من خلال النصوص التاريخية، ثم جامع حلب الذى يعد أول مسجد جامع يشيد بمدينة حلب والتطورات المعمارية التى طرأت عليه عبر عصوره المتعاقبة والتى غيرت كثيراً من معالمه من حيث التخطيط والعناصر المعمارية والزخرفية، ثم مدينة جرجان التى شيدت من قبل المسلمين.

وقد تطرقت الدراسة إلى مسجد البصرى ١٠٢هـ/ ٧٢٠م فى خلافة يزيد بن عبد الملك ١٠١-١٠٥هـ/ ٧٢٠-٧٢٤م.

وفى خلافة هشام بن عبد الملك تطرقت الدراسة إلى مدينة الرصافة وقصورها (القصر الشرقى ومسجده، وقصر الحير الغربى) ١١٠هـ/٧٢٨م، ثم قصر خربة

المفجر الذى يقع على بعد ثلاثة أميال شمال أريحا بالقرب من البحرالميت، ثم الاستحكامات الحربية مثل حصن مورة، وحصن بغراس، وحصن قطرغاش، وحصن بوقا (بوقة)، كما أفردت دراسة لحمام الصرخ الذى يؤرخ بخلافة هشام بن عبد الملك فى حوالى ١١٥هـ/ ٧٢٨م.

وفى خلافة الوليد بن يزيد تطرقت الدراسة إلى القصور الأموية التى شيدت فى عهده، وقد تناولت قصرين بدراسة تفصيلية هما قصر المشتى وقصر الطوبة حوالى ١٢٥هـ/ ٧٤٣م.

وفى خلافة مروان بن محمد القت الدراسة الضوء على مدينة حران التى اتخذها عاصمة وحاضرة للدولة الأموية، كما ألقت الضوء على الاستحكامات الحربية مثل مرعش، وحصن منصور، ثم تناولت ثلاثة مساجد صغيرة هى قصير الحلابات، وخان الزبيب، وأم الوليد.

وفى الفصل الثانى الذى جاء بعنوان الآثار والإضافات والتجديدات المعمارية الأموية فى العراق ألقت الدراسة الضوء على مدينة البصرة ومسجدها الجامع، ومدينة الكوفة ومسجدها الجامع فى العصر الأموى، كما ألقت الضوء على مدينة واسط وعمائرها الدينية والمدنية (القصر والمسجد الجامع)، ثم أعمال الحجاج بن يوسف المعمارية مثل مسجد بنى سلمة بالمدينة المنورة، والمناظر من واسط إلى قزوين، وفتح السند والهند وتأسيس المسجد الجامع، كما تناولت المسجد الجامع فى حران ١٢٦-١٣٢هـ/ ٧٤٤-٧٥٠م، ثم قصر الشعيبة بالقرب من البصرة.

وفى الفصل الثالث الذى جاء بعنوان الآثار والإضافات والتجديدات المعمارية الأموية فى مصر تناولت الدراسة الفسطاط فى العصر الأموى، ثم مقبرة المقطم، وألقت الضوء على دار الإمارة بالإسكندرية فى ولاية عتبة بن أبى سفيان، كما ألقت الضوء على جامع عمرو بن العاص منذ تأسيسه حتى نهاية العصر الأموى من خلال النصوص التاريخية والدراسة الأثرية، وذلك عند ذكر زيادة مسلمة بن مخلد الأنصارى فى المسجد فى عام ٥٣هـ/ ٦٧٢م، كما ألقت الدراسة الضوء على عدة جوانب أخرى مثل الزخارف والأذان والمؤذن.

هذا وقد ألقت الدراسة الضوء على أول خندق حول الفسطاط في عام ٦٥هـ/ ٦٨٤م في ولاية عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم، ثم تناولت دار الفلفل وسبب التسمية، والدار البيضاء ٦٥هـ/ ٦٨٤م في عهد مروان بن الحكم، وفى ولاية عبد العزيز بن مروان تناولت الدراسة الطرح الأول للنيل ٦٩هـ/٦٨٨م وأثره في التطور العمراني، والدار المذهبة ٦٧هـ/٦٨٦م، ومدينة حلوان ٧٠هـ/ ٦٨٩م ومقياس النيل بها، والمسجد يوم عرفة ٧١هـ/ ٦٩٠م، وجامع عمرو بن العاص ومنشآت أخرى تناولتها عند نهاية الفصل، كما تناولت الدراسة مسجد عبد الله في ولاية عبد الله بن عبد الملك، واسطبل قرة في ولاية قرة بن شريك، وقيسارية هشام في ولاية الحر بن يوسف، وحريق الدار المذهبة بعد قدوم مروان بن محمد إلى مصر، وتناولت في نهاية الفصل دراسة شملت الدور والقصور الأموية في مصر، ومن بينها الدار المذهبة ٦٧-١٣٢هـ/ ٦٨٨-٧٥٠م، ودار الضيافة، والقيساريات والحمامات، ومسجد العيثم (مسجد الحكم بن أبى بكر)، وقنطرة عبد العزيز بن مروان ٦٩هـ/٦٨٨م، وجزيرة الروضة ودور الصناعة والمقياس، والإهراءات (مخازن الغلال) والبيمارستان.

وفى الفصل الرابع والأخير الذى جاء بعنوان الآثار والإضافات والتجديدات المعمارية الأموية في شمال أفريقية تناولت الدراسة قيروان معاوية بن حديج من الناحية التاريخية، ثم تأسيس القيروان ودراستها من حيث الموقع، واللغة، والعمارة، والمراحل التاريخية التى مرت بها من حيث التجديد والعمارة، كما تناولت الدراسة جامع القيروان من حيث النشأة والتطور، أى منذ تأسيسه حتى نهاية العصر الأموى، كذلك ألقت الدراسة الضوء على قصور حسان، وعمارة مدينة تونس ودار الصناعة بها، ثم تناولت جامع الزيتونة ١١٧هـ/ ٧٣٥م.

المصادر والمراجع العربية وغير العربية

القرآن الكريم

أولاً: المصادر

ابن الأثير (عز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد أبى عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى) ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م:

- الكامل فى التاريخ، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربى، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- أسد الغابة فى معرفة الصحابة، تحقيق محمد إبراهيم البنا، محمد أحمد عاشور، محمود عبد الوهاب فايد، دار الشعب.

ابن إياس (محمد بن أحمد الحنفى)

- بدائع الزهور فى وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، مركز تحقيق التراث الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف الأتابكى) ت ٨٧٤هـ/ ١٤٤٣م:

- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة (طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب)، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة.

ابن جبير (أبى الحسن محمد بن أحمد) ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م:

- رسالة اعتبار الناسك فى ذكر الآثار الكريمة والمناسك المعروف برحلة ابن جبير، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

ابن حوقل:

- صورة الأرض، ليدن، الطبعة الثانية، ١٩٣٨م.

ابن خلدون (أبو زكريا يحيى بن أبى بكر محمد بن محمد) ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م:

- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، مطبعة مؤسسة الإعليمى، بيروت.

- المقدمة (مقدمة ابن خلدون)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى) ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م:

- الانتصار لواسطة عقد الأمصار فى تاريخ مصر وجغرافيتها، المكتب التجارى، بيروت.

ابن زولاق:

- فضائل مصر وأخبارها وخواصها، تحقيق د. على محمد عمر، مكتبة الخانجى، القاهرة.

ابن سعد

- الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م.

ابن عبد الحكم (أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرشى المصرى) ت ٢٥٧هـ/ ٨٦٧م.

- فتوح مصر وأخبارها (صفحات من تاريخ مصر - ١٠)، مكتبة مدبولى، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

ابن عذارى:

- البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.س كولان، ليفى بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.

ابن العمرانى (محمد بن على بن محمد) ت ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م

- الأنباء فى تاريخ الخلفاء، تحقيق د. قاسم السامرائى، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

ابن الكندى (عمر بن محمد بن يوسف)

- فضائل مصر المحروسة، تحقيق د. على محمد عمر، مكتبة الخانجى، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

ابن منظور:

- لسان العرب، دار المعارف.

ابن هشام:

- السيرة النبوية، دار الكتاب العربى، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

أبو الفدا:

- التبر المسبوك فى تواريخ الملوك، تحقيق د. محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

الإدريسى (أبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودى الحسنى)

- نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

الاصطخرى (ابن اسحق إبراهيم بن محمد الفارسى المعروف بالكرخى)

- المسالك والممالك، تحقيق د. محمد جابر عبدالعال الحينى، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

البكرى (أبى عبيد عبد الله بن عبد العزيز) ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م.

- المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب (جزء من كتاب المسالك والممالك)، دار الكتاب الإسلامى، القاهرة.
- المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن واندرى فيرى، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٢م.

البلاذرى (أبو الحسن):

- فتوح البلدان، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- فتوح البلدان، تحقيق د. صلاح منجد، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٥٦م.

جعفر بن السيد اسماعيل المدنى البرزنجى:

- نزهة الناظرين فى تاريخ مسجد سيد الأولين والآخرين، تحقيق أحمد سعيد بن سلم، مكتبة بن سلم، المدينة المنورة، مكتبة الرفاعى، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

الحشائشى (محمد بن عثمان) ت ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م:

- تاريخ جامع الزيتونة، تحقيق الجيلانى بن الحاج يحيى، المعهد القومى للآثار، تونس، ١٩٧٤م.

الذهبى (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان) ت ٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م:

- سير أعلام النبلاء، تحقيق محمد نعيم العرقسوسى، مأمون صاغرجى، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.

الرازي (أحمد بن عبد الله بن محمد) ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م

- تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق د. حسين بن عبد الله العمري، دارالفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

الزركشي (محمد بن عبد الله) ت ٧٩٤هـ:

- إعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق الشيخ أبو الوفا مصطفى المراغي، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

زين الدين بن زين التقاة (محمد بن عيسى بن كنان الصالحي الدمشقي الحنبلي) ت ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م

- المواكب الإسلامية في الممالك الشامية، تحقيق أيمن عبد الجابر البحيري، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

السمهودي:

- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، مطبعة الآداب والمؤيد بمصر، ١٣٢٦هـ.

- وفاء الوفا، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عثمان) ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م:

- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

السيوطى (أبى عبد الله محمد بن شهاب الدين أحمد بن على بن عبد الخالق المنهاجى)

- اتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، تحقيق د. أحمد رمضان أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م.

الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير) ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م:

- تاريخ الطبرى (تاريخ الأمم والملوك) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

الكندى (أبى عمر محمد بن يوسف): ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م:

- تاريخ ولاة مصر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

المقدسى (شمس الدين أبو عبد الله) ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م:

- أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولى، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

المقريزى (تقى الدين أبى العباس أحمد بن على) ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م:

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.

النعيمى (عبد القادر بن محمد) ت ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م

- الدارس فى تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسنى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٨٨م.

ياقوت الحموى (شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى) ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م:

- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.

يحيى بن الحسين:

- غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى، تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتاب العربى، القاهرة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

اليعقوبى (أحمد بن أبى يعقوب بن واضح الكاتب) ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م:

- تاريخ اليعقوبى، دار الفكر، بيروت، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م.
- كتاب البلدان (السلسلة الجغرافية ٦)، دار إحياء التراث العربى، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

ثانيا: المراجع العربية

د. إبراهيم العدوى:

- مصر الإسلامية درع العروبة ورباط الإسلام (سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية ـ مشروع المائة كتاب ١٧)، وزارة الثقافة، هيئة الآثار المصرية، ١٩٩١م.

د. أحمد رجب محمد على:

- المسجد الحرام بمكة المكرمة ورسومه فى الفن الإسلامى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- تاريخ وعمارة المساجد الأثرية فى الهند، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- المسجد النبوى بالمدينة المنورة ورسومه فى الفن الإسلامى، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

د. أحمد عبد الرازق أحمد:

- الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى، دار الفكر العربى، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

د. أحمد فكرى

- مساجد القاهرة ومدارسها (المدخل)، دار المعارف بمصر.
- مساجد الإسلام - ١ - مسجد القيروان، مطبعة المعارف بمصر، ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م.

د. أحمد محمود الساداتى:

- تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية، مكتبة الأدب ومطبعتها بالجماميز، القاهرة.

د. أحمد مختار العبادى:

- دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

جرجى زيدان:

- تاريخ التمدن الإسلامى، مؤسسة دار الهلال، ١٩٦٨م.

د. جمال الدين الشيال:

- تاريخ مدينة الإسكندرية فى العصر الإسلامى، دار المعارف، القاهرة.

حسان على حلاق:

- تعريب النقود والدواوين فى العصر الأموى، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، دار الكتاب المصرى، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

د. حسن إبراهيم حسن:

- تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، دار الجيل، بيروت مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة عشرة، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

د. حسن الباشا:

- مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٩م.

حسن عبد الوهاب:

- تاريخ المساجد الأثرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م.

د. حسين مؤنس:

- أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربى، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٩٧م.
- المساجد، ١٩٩٤م.
- فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

د. رأفت النبراوى:

- عمارة قبة الصخرة بالقدس الشريف، مجلة بريزم، العلاقات الثقافية الخارجية، وزارة الثقافة المصرية، العدد السابع، ٢٠٠١م.

د. ربيع حامد خليفة:

- زخارف قبة الصخرة، مجلة بريزم، العلاقات الثقافية الخارجية، وزارة الثقافة المصرية، العدد السابع، ٢٠٠١م.

د. رفعت موسى محمد:

- الوكالات والبيوت الإسلامية فى مصر العثمانية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

د. زكى محمد حسن:

- فنون الإسلام، دار الرائد العربى، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨١م.

د. سارة حسن منيمنة:

- مورفولوجيا مدينة دمشق، (مسألة المدينة والمدينة العربية)، معهد الإنماء العربى، بيروت، لبنان، الهيئة القومية للبحث العلمى، طرابلس، تشرين

الأول (أكتوبر)، تشرين الثانى، (نوفمبر)، ١٩٨٢م، العدد التاسع والعشرون، السنة الرابعة.

سليمان مصطفى زبيس:

- المحاريب فى العمارة الدينية بالمغرب الإسلامى، المؤتمر الرابع للآثار فى البلاد العربية، تونس ١٨-٢٩ مايو ١٩٦٣، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٥م.

د. السيد عبد العزيز سالم:

- طرابلس الشام فى التاريخ الإسلامى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٦٦م.
- تاريخ الإسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٢م.
- فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٥م.
- دراسات فى تاريخ العرب (تاريخ الدولة العربية (٢))، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٣م.
- تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.
- تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس (من الفتح العربى حتى سقوط الخلافة بقرطبة)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

شحاتة عيسى إبراهيم:

- القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م.

شريف يوسف:

- تاريخ فن العمارة العراقية فى مختلف العصور، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، ١٩٨٢م.

د. صالح بن قربة:

- المئذنة المغربية الأندلسية فى العصور الوسطى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

د. صفى على محمد عبد الله:

- مدن مصر الصناعية فى العصر الإسلامى إلى نهاية عصر الفاطميين (تاريخ المصريين ١٦٩)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م.

طه الولى:

- المدينة فى الإسلام (مسألة المدينة والمدينة العربية ١) (مجلة الفكر العربى)، معهد الإنماء العربى، بيروت، لبنان، الهيئة القومية للبحث العلمى، طرابلس، تشرين الأول (أكتوبر) - تشرين الثانى (نوفمبر)، ١٩٨٢م، السنة الرابعة.

عارف باشا العارف:

- تاريخ القدس، دار المعارف بمصر.

د. عبد الله كامل موسى عبده:

- تطور المئذنة المصرية بمدينة القاهرة من الفتح العربى وحتى نهاية العصر المملوكى - دراسة معمارية زخرفية مقارنة مع مآذن العالم الإسلامى، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

- الاستحكامات الحربية بالثغور المصرية فى عصر الحروب الصليبية، مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادى، العدد الرابع، ١٩٩٥م.

- مدينة برقة وآثارها الإسلامية ـ عبق التاريخ وطرز العمارة ـ (مدن تراثية ـ ٦)، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
- دراسات فى الحضارة والآثار الإسلامية فى ليبيا، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
- العباسيون وآثارهم المعمارية فى العراق ومصر وإفريقيا، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

عبد الحى الكتانى:

- نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، بيروت.

د. عبد الرحمن زكى

- العمارة العسكرية فى العصور الوسطى بين العرب والصليبيين، المجلة التاريخية المصرية، المجلد السابع، ١٩٥٨م.

د. عبد المجيد وافى:

- المآذن فى آفاق المدن الإسلامية، مجلة الفيصل، الرياض، المملكة العربية السعودية، العدد (١٩١)، جمادى الأولى ١٤١٣هـ/ نوفمبر ١٩٩٢م.

د. عبد المنعم ماجد:

- التاريخ السياسى للدولة العربية وعصر الخلفاء الأمويين، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٦م.

د. عبد المنعم النمر:

- تاريخ الإسلام فى الهند، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

على الطنطاوى

- الجامع الأموى فى دمشق، دار المنارة، جدة السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

د. على منصور نصر:
- أضواء على الفتح الإسلامى للمغرب (بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق حتى أواخر القرن الخامس عشر للميلاد «التاسع الهجرى»، اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
د. عيسى سلمان وآخرون:
- العمارات العربية الإسلامية فى العراق، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، ١٩٨٢م.
د. فريد شافعى:
- العمارة العربية فى مصر الإسلامية، عصر الولاة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.
د. قتيبة الشهابى:
- مشيدات دمشق ذوات الأضرحة وعناصرها الجمالية، وزارة الثقافة، الجمهوريةالعربية السورية، دمشق، ١٩٩٥م.
د. كمال الدين سامح
- العمارة فى صدر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م.
محمد بن أحمد كنعان:
- الخلافة الراشدة - خلاصة: تاريخ ابن كثير -، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
محمد الياس عبد الغنى:
- المساجد الأثرية فى المدينة النبوية، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
د. محمد جبر أبو سعدة:
- العلاقات الثقافية بين مصر الإسلامية وبلاد المغرب فى القرن الثانى الهجرى

(العلاقات المصرية المغربية ـ الندوة الثانية، القاهرة ٢٥-٢٧ يناير ١٩٩٠م، وزارة الثقافة، مصر، الإدارة المركزية للعلاقات الثقافية الخارجية.

د. محمد حسين محاسنة:

- تاريخ مدينة دمشق خلال الحكم الفاطمى، الأوائل، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

محمد رمزى:

- القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م.

د. محمد عبد الستار عثمان:

- المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٢٨، ذو الحجة ١٤٠٨هـ، أغسطس/آب ١٩٨٨م.

د. محمد عبد الهادى شعيرة:

- من تاريخ التحصينات العربية فى القرنين الأول والثانى للهجرة، (دراسات فى الآثار الإسلامية)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ١٩٧٩م.

محمد كامل فارس:

- الجامع الأموى الكبير بحلب تاريخه ومعالمه الأثرية، دار العلم العربى بحلب، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

د. محمد محمد أمين، ليلى على إبراهيم:

- المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية (٦٤٨-٩٢٣هـ) (١٢٥٠-١٥١٧م)، دار النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

د. محمد محمد زيتون:

- القيروان ودورها فى الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

د. محمد محمد الكحلاوى:

- مقاصير الصلاة فى العصر الإسلامى «دراسة أثرية معمارية، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، العدد الثالث، ١٩٨٩م.

- آثار مصر الإسلامية فى كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

محمد مختار باشا:

- التوفيقات الالهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الأفرنكية والقبطية، المطبعة الميرية ببولاق مصر المحمية، الطبعة الأولى، ١٣١١هـ.

محمد مطيع الحافظ:

- حريق الجامع الأموى وبناؤه ١٣١١-١٣٢٠هـ نصوص ووثائق للقاسمى وواصف وكردعلى والعظمى، دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

د. محمد هزاع الشهرى:

- عمارة المسجد النبوى منذ إنشائه حتى نهاية العصر المملوكى، دار القاهرة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

د. محمد يوسف نجم، د. احسان عباس:

- ليبيا فى كتب الجغرافية والرحلات، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازى، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

د. محمود حامد أحمد الحسينى:

- التطور العمرانى لعواصم مصر الإسلامية ـ الفسطاط ـ العسكر ـ القطائع ـ حتى نهاية العصر الفاطمى، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

د. مصطفى عبد الله شيحة:

- مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية فى الجمهورية اليمنية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

ثالثًا: المراجع الأجنبية المعربة

جوميث مورينو:

- الفن الإسلامى فى أسبانيا، ترجمة د. السيد عبد العزيز سالم، د. لطفى عبد البديع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

زامباور:

- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى، أخرجه د. زكى محمد حسن بك وحسن أحمد محمود وآخرون، دار الرائد العربى، بيروت، لبنان.

غوستاف لوبون:

- حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م.

كريزويل:

- الآثار الإسلامية الأولى، ترجمة عبد الهادى عبلة، دار قتيبة، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

رابعًا: المراجع الأجنبية:

Abū `Seif (D.B.):

- The Minarets of Cairo, the American university in Cairo Press, 1985.

Bloom (J.):

- Minaret Symbol of Islam, Published by Oxford university press.

Creswell (K.A.C):

- The evolution of the Minaret, Burlington, 1926.
- Ashort Account of Early Muslim Architecture, The American University in Cairo Press, 1989.

Organization of Islamic Capitals and Cities:

Principles of Architectural Design and Urban Planning During Different Islamic Eras, Organization of Islamic Capitals and Cities, 1412 A.H./ 1992 A.D.

Sauvaget (J.):

- La Mosq uée Omeyyade De Medine, Paris, 1947..

الخلفاء الأمويون

معاوية بن أبى سفيان	٤١ ـ ٦٠هـ/ ٦٦١ ـ ٦٨٠م
يزيد بن معاوية	٦٠ ـ ٦٤هـ/ ٦٨٠ ـ ٦٨٣م
معاوية بن يزيد	٦٤هـ/ ٦٨٣م
مروان بن الحكم	٦٤ ـ ٦٥هـ/ ٦٨٣ ـ ٦٨٥م
عبد الملك بن مروان	٦٥ ـ ٨٦هـ/ ٦٨٥ ـ ٧٠٥م
الوليد بن عبد الملك	٨٦ ـ ٩٦هـ/ ٧٠٥ ـ ٧١٥م
سليمان بن عبد الملك	٩٦ ـ ٩٩هـ/ ٧١٥ ـ ٧١٧م
عمر بن عبد العزيز	٩٩ ـ ١٠١هـ/ ٧١٧ ـ ٧٢٠م
يزيد بن عبد الملك	١٠١ ـ ١٠٥هـ/ ٧٢٠ ـ ٧٢٤م
هشام بن عبد الملك	١٠٥ ـ ١٢٥هـ/ ٧٢٤ ـ ٧٤٣م
الوليد بن يزيد	١٢٥ ـ ١٢٦هـ/ ٧٤٣ ـ ٧٤٤م
يزيد بن الوليد بن عبد الملك	١٢٦هـ/ ٧٤٤م
إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك	١٢٦هـ/ ٧٤٤م
مروان بن محمد	١٢٧ ـ ١٣٢هـ/ ٧٤٤ ـ ٧٥٠م

ولاة مصر فى العصر الأموى

عمرو بن العاص (الولاية الثانية)	٣٨ ـ ٤٣هـ/ ٦٥٨ ـ ٦٦٣م
عتبة بن أبى سفيان	٤٣ ـ ٤٤هـ/ ٦٦٣ ـ ٦٦٤م
عقبة بن عامر	٤٤ ـ ٤٧هـ/ ٦٦٤ ـ ٦٦٧م
معاوية بن حديج	٤٧هـ/ ٦٦٧م
مسلمة بن مخلد الأنصارى	٤٧ ـ ٦٢هـ/ ٦٦٧ ـ ٦٨١م
محمد بن مسلمة	٦٢هـ/ ٦٨١م
سعيد بن يزيد	٦٢ ـ ٦٤هـ/ ٦٨١ ـ ٦٨٣م
عبد الرحمن بن جحدم	٦٤ ـ ٦٥هـ/ ٦٨٣ ـ ٦٨٤م
عبد العزيز بن مروان	٦٥ ـ ٨٦هـ/ ٦٨٤ ـ ٧٠٥م
عبد الله بن عبد الملك	٨٦ ـ ٩٠هـ/ ٧٠٥ ـ ٧٠٨م
قرة بن شريك	٩٠ ـ ٩٦هـ/ ٧٠٨ ـ ٧١٤م
عبد الملك بن رفاعة	٩٦ ـ ٩٩هـ/ ٧١٤ ـ ٧١٧م
أيوب بن ترحبيل	٩٩ ـ ١٠١هـ/ ٧١٧ ـ ٧١٩م
بشر بن صفوان	١٠١هـ/ ٧١٩م
ابن عزيز بن خالد الكلبى	
أسامة بن زيد	١٠٢هـ/ ٧٢٠م
حنظلة بن صفوان	١٠٢ ـ ١٠٥هـ/ ٧٢٠ ـ ٧٢٣م
محمد بن عبد الملك	١٠٥هـ/ ٧٢٣م
الحر بن يوسف	١٠٥ ـ ١٠٨هـ/ ٧٢٣ ـ ٧٢٦م

حفص بن الوليد	١٠٨ ـ ١٠٩هـ/ ٧٢٦ ـ ٧٢٧م
عبد الملك بن رفاعة (الثانية)	١٠٩هـ/ ٧٢٧م
الوليد بن رفاعة	١٠٩ ـ ١١٧هـ/ ٧٢٧ ـ ٧٣٥م
الحكم بن قيس (نائبه عبد الله بن الحبحاب)	١١١هـ/ ٧٢٩م
عبد الرحمن بن خالد	١١٧ ـ ١١٩هـ/ ٧٣٥ ـ ٧٣٧م
حنظلة بن صفوان (الثانية)	١١٩ ـ ١٢٤هـ/ ٧٣٧ ـ ٧٤١م
حفص بن الوليد (الثانية)	١٢٤ ـ ١٢٧هـ/ ٧٤١ ـ ٧٤٤م
حسان بن عتاهية	١٢٧هـ/ ٧٤٤م
حفص بن الوليد (الثالثة)	١٢٧ ـ ١٢٨هـ/ ٧٤٤ ـ ٧٤٥م
الحوثرة بن سهيل	١٢٨ ـ ١٣١هـ/ ٧٤٥ ـ ٧٤٨م
المغيرة بن عبيد الله	١٣١ ـ ١٣٢هـ/ ٧٤٨ ـ ٧٤٩م
عبد الملك بن مروان	١٣٢هـ/ ٧٤٩ ـ ٧٥٠م

ثبت الأشكال واللوحات

أولا: ثبت الأشكال

ثانياً: ثبت اللوحات

(لوحة ٧) تفصيل من واجهة ظلة القبلة على الصحن (باب الزيادة) عن د. قتيبة الشهابى

(لوحة ٨) ظلة القبلة من الداخل عن على الطنطاوى

(لوحة ٩) المنبر والمحراب فى ظلة القبلة عن على الطنطاوى

(لوحة ١٠) الظلة الغربية عن كريزويل

(لوحة ١١) الباب الشرقى المشرف على حى النوفرة عن د. قتيبة الشهابى

(لوحة ١٢) الباب الشمالى الذى يفتح فى حى الكلاسة عن د. قتيبة الشهابى

(لوحة ١٣) الباب الغربى باتجاه سوق المسكية عن د. قتيبة الشهابى

(لوحة ١٤) زخارف الفسيفساء بالظلة الغربية عن كريزويل

(لوحة ١٥) زخارف الفسيفساء بالظلة الغربية عن كريزويل

(لوحة ١٦) منظر عام لحمام قصير عمرة من الجهة الشمالية الغربية عن كريزويل

(لوحة ١٧) نقوش من حمام قصير عمرة عن كريزويل

(لوحة ١٨) صورة أعداء الإسلام عن كريزويل

(لوحة ١٩) المسجد الجامع بحلب عن محمد كامل فارس

(لوحة ٢٠) زخارف جصية من قصر خربة المفجر عن كريزويل

(لوحة ٢١) زخارف الفسيفساء من قصر خربة المفجر عن كريزويل

(لوحة ٢٢) مئذنة جامع القيروان عن كريزويل

(لوحة ٢٣) جامع القيروان عن كريزويل

بحوث وكتب صدرت للمؤلف

قائمة البحوث:

- الجامع الكبير بصنعاء «رؤية تاريخية أثرية فيما أثير حول عمارة الرواق الشرقى، الإكليل ١٩٩٢م.
- متنزه سرياقوس فى العصر المملوكى، مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادى. العدد الثالث ١٩٩٤م.
- الأستحكامات الحربية بالثغور المصرية فى عصر الحروب الصليبية ـ مجلة كلية الآداب بقنا ـ جامعة جنوب الوادى. العدد الرابع ١٩٩٥م.
- أضواء جديدة على بعض منشآت أمراء المماليك فى القرنين السابع والثامن للهجرة (الثالث عشر والرابع عشر للميلاد) ـ منشآت الأمير الجاولى وسلار فى مصر والشام، مجلة المؤرخ العربى، إتحاد المؤرخين العرب، العدد الرابع، المجلد الأول، مارس ١٩٩٦م.
- دراسة أثرية وثائقية للمنصورة منذ نشأتها وحتى نهاية القرن السابع عشر، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، العدد الثامن ١٩٩٧م.
- منزل وقف السادات الوفائية «دراسة أثرية وثائقية»، مجلة كلية الآداب بقنا ـ جامعة جنوب الوادى، العدد السابع ١٩٩٧م.
- المبخرة. . من روائع العمارة الإسلامية، مجلة المنهل، العدد ٥٥٠، المجلد ٩٠، العام ٦٤، يونية ١٩٩٨م.
- سلطنة عمان فى كتابات الجغرافيين المسلمين فى العصور الوسطى، مجلة المنهل، العدد ٥٥٩، المجلد ٦١، العام ٦٥، يوليو وأغسطس ١٩٩٩م.

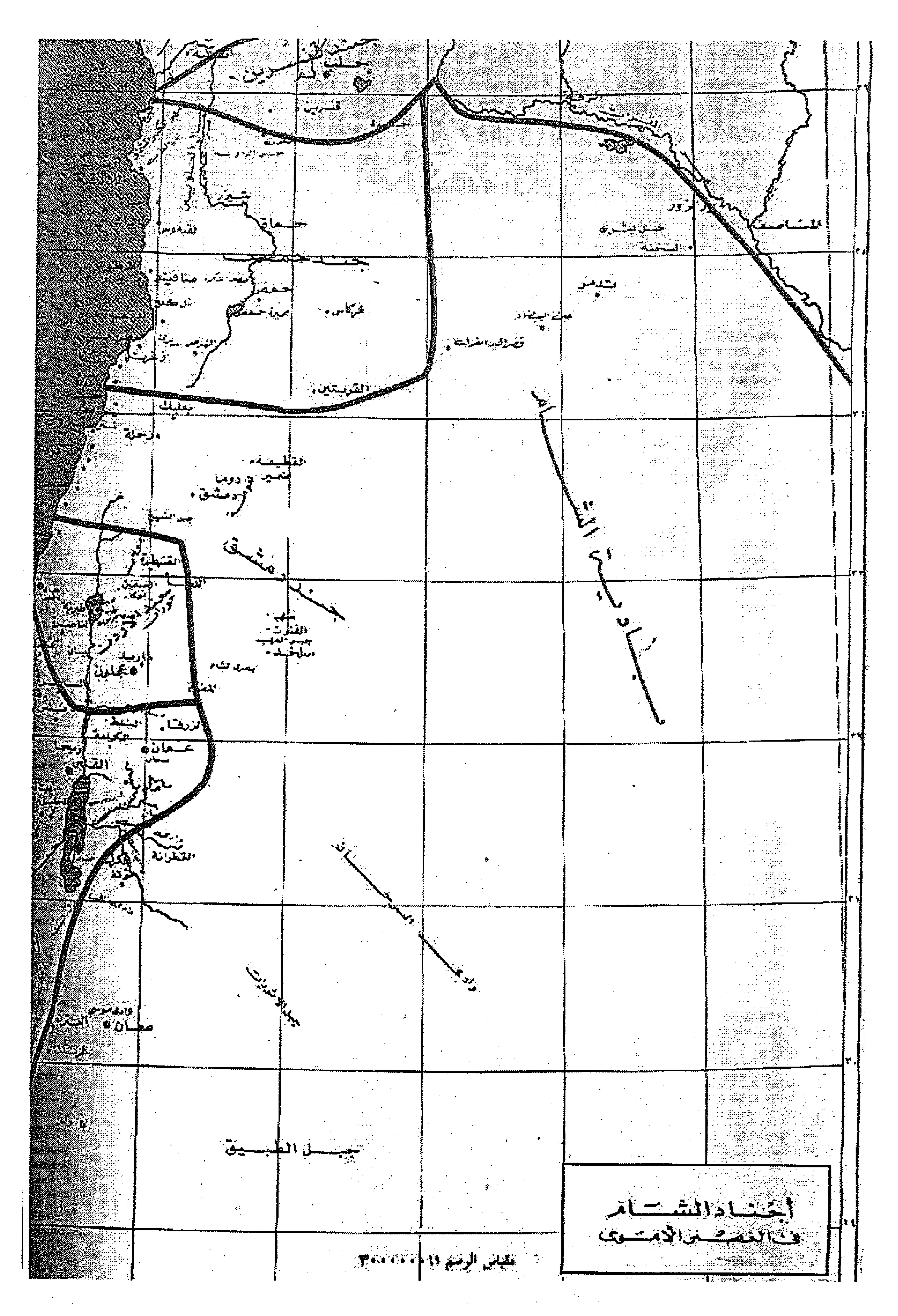
- نصوص كتابية فاطمية من برقة محفوظة بمتحفى البيضاء وطلميثة بليبيا، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، كلية الآذاب جامعة المنيا، يناير ٢٠٠٠م.
- دراسة أثرية معمارية لقلعتين ليبيتين من العصر العثمانى الثانى (١٢٥١ ـ ١٣٢٩هـ/ ١٨٣٥ ـ ١٩١١م) دراسة أثرية معمارية ـ دراسات فى آثار الوطن العربى، كتاب الملتقى الثالث لجمعية الأثاريين العرب ـ الندوة العلمية الثانية (١٦ ـ ١٧ شعبان ١٤٢١هـ/ ١٢ ـ ١٣ نوفمبر ٢٠٠٠م ـ الجزء الثانى. القاهرة، ٢٠٠٠م المجلس العربى للدراسات العليا والبحث العلمى، جمعية الأثاريين العرب.
- المنشآت التجارية والصناعية بمدينة قوص منذ العصر العثمانى حتى نهاية القرن ١٣هـ/ ١٩م «دراسة أثرية وثائقية» مجلة المؤرخ العربى، إتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، العدد التاسع، المجلد الأول، مارس ٢٠٠١م.
- أثر العوامل البيئية على الأثار الإسلامية ـ دراسة تطبيقية على منزل السادات الوفائية، بحث ألقى فى الندوة القومية الأولى نحو تفعيل آليات دور السياحة فى الإقتصاد القومى ـ ٢ ـ ٣ أكتوبر ٢٠٠١م، كلية السياحة والفنادق ـ جامعة المنوفية.
- المستشرقون والحضارة الإسلامية ترجمة ودراسة نقدية لدراسة كريسويل «تطور المئذنة» بحث ألقى فى مؤتمر «الترجمة تقنيات وتطبيقات»، القاهرة ٢٤ ـ ٢٥ أكتوبر ٢٠٠١م. جامعة ٦ أكتوبر، المعهد العالى للغات.
- طرز المساجد الليبية منذ العصر العثمانى الأول حتى نهاية العصر العثمانى الثانى (٩٥٨ ـ ١٣٢٩هـ/ ١٥٥١ ـ ١٩١١م)، بحث ألقى فى مؤتمر «دراسات فى آثار الوطن العربى (٢)، القاهرة ٢٧ ـ ٢٩ أكتوبر ـ ٢٠٠١م، جمعية الأثاريين العرب، المجلس العربى للدراسات العليا والبحث العلمى، إتحاد الجامعات العربية.

- مآذن القاهرة بين الترميم والصيانة الدورية، المؤتمر الدولى لترميم الآثار الإسلامية، القاهرة ١٦ ـ ٢٠ فبراير ٢٠٠٢م، وزارة الثقافة، المجلس الأعلى للآثار، مركز معلومات القاهرة التاريخية.
- العمارة الإسلامية فى القرن الأول الهجرى بين فلسفة العقيدة والفكر الإستشراقى، المؤتمر الدولى السابع للفلسفة الإسلامية بعنوان «الإسلام والغرب» ٢٠ ـ ٢١ إبريل ٢٠٠٢م ـ كلية دار العلوم ـ قسم الفلسفة الإسلامية ـ جامعة القاهرة.

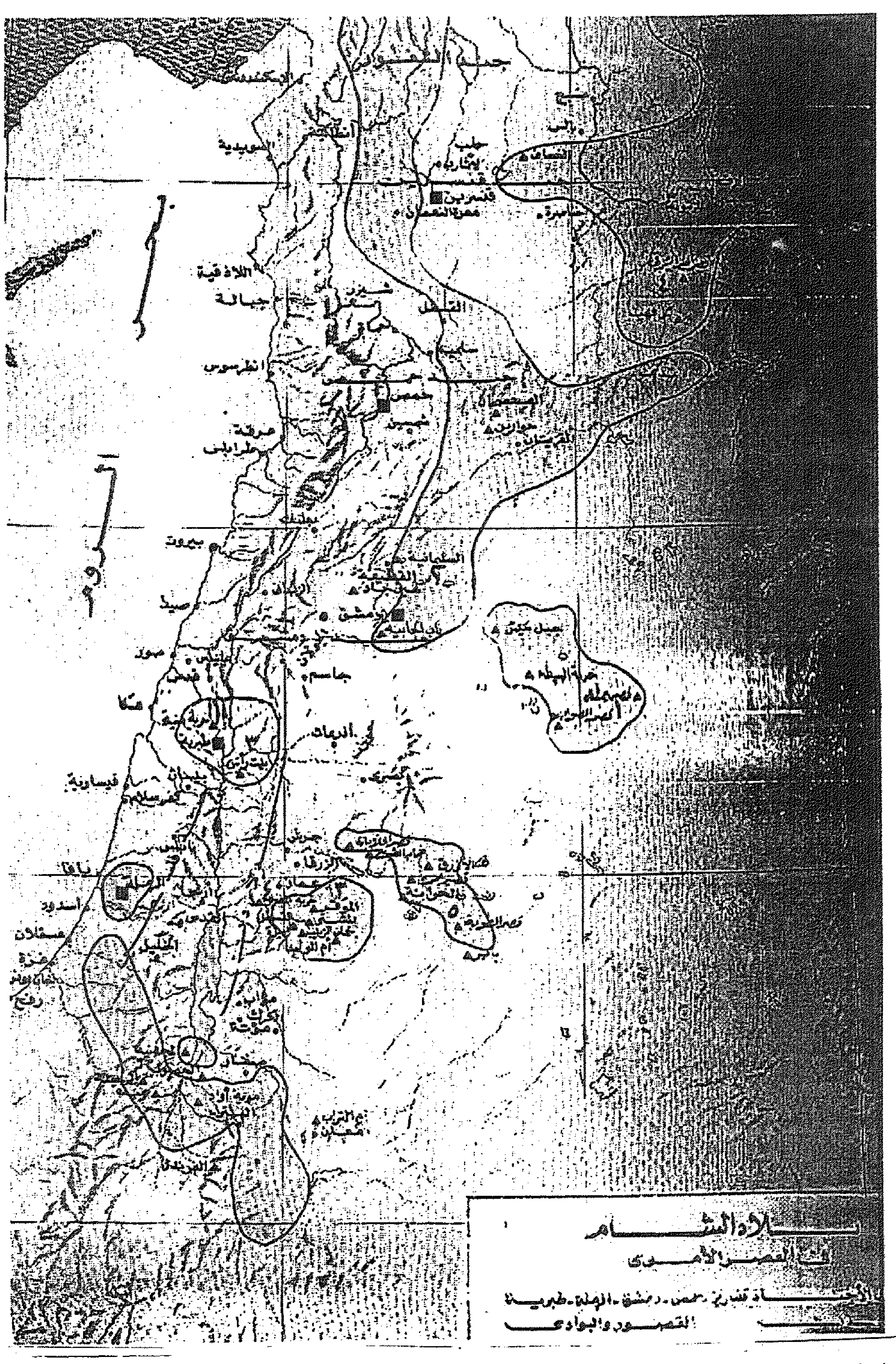
قائمة الكتب

The Fatimid Architecture in Cairo, General Egyptian Book Organization.

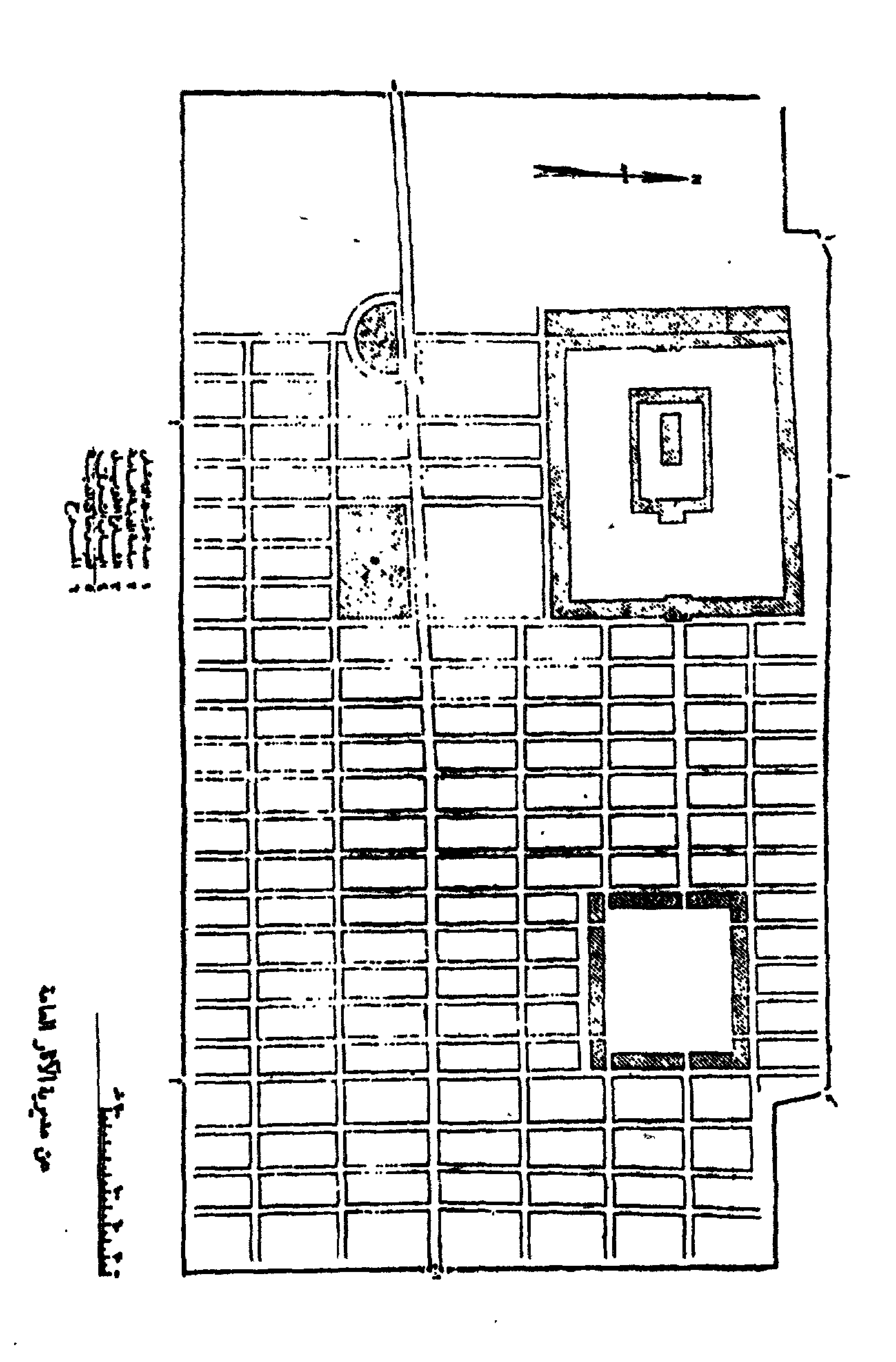
- مدينة برقة وآثارها الإسلامية ـ عبق التاريخ وطرز العمارة، (مدن تراثية ٦) دار الآفاق العربية ـ القاهرة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
- الفاطميون وآثارهم المعمارية فى إفريقية ومصر واليمن، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- العباسيون وآثارهم المعمارية فى العراق ومصر وأفريقيا ـ دار الآفاق العربية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
- دراسات فى الحضارة والآثار الإسلامية فى ليبيا، دار الآفاق العربية. القاهرة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
- المآذن فى العمارة المصرية والعالم الإسلامى ـ قيد النشر.
- كريسويل: تطور المنارة، ترجمة ودراسة نقدية للدكتور/ عبد الله كامل موسى عبده، قيد النشر.
- درنة الليبية «مدينة الصحابة» ـ عبق التاريخ وطرز العمارة (مدن تراثية) ـ قيد النشر (دار الآفاق العربية).



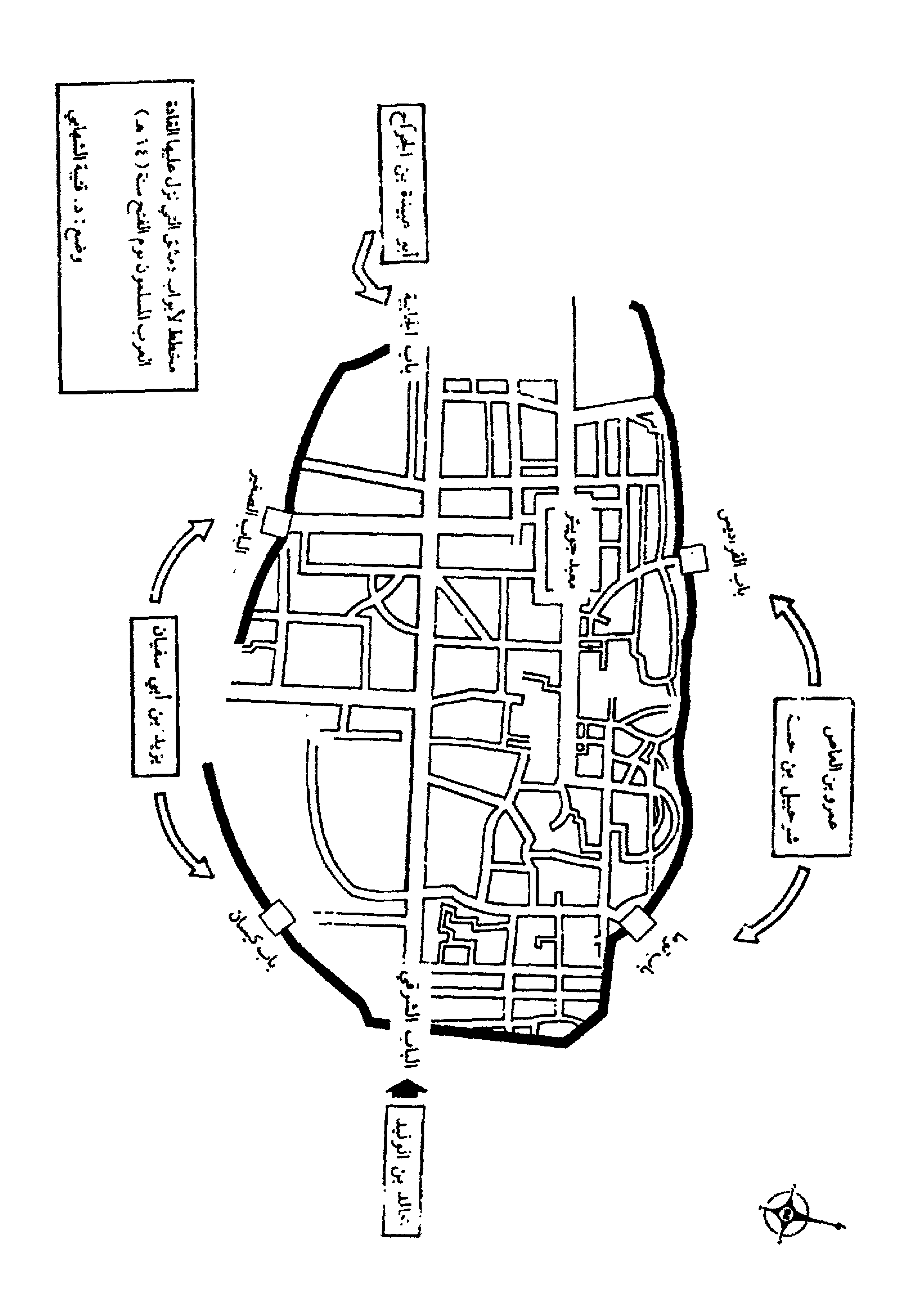
(شكل ١) أجناد الشام فى العصر الأموى عن د. حسين مؤنس



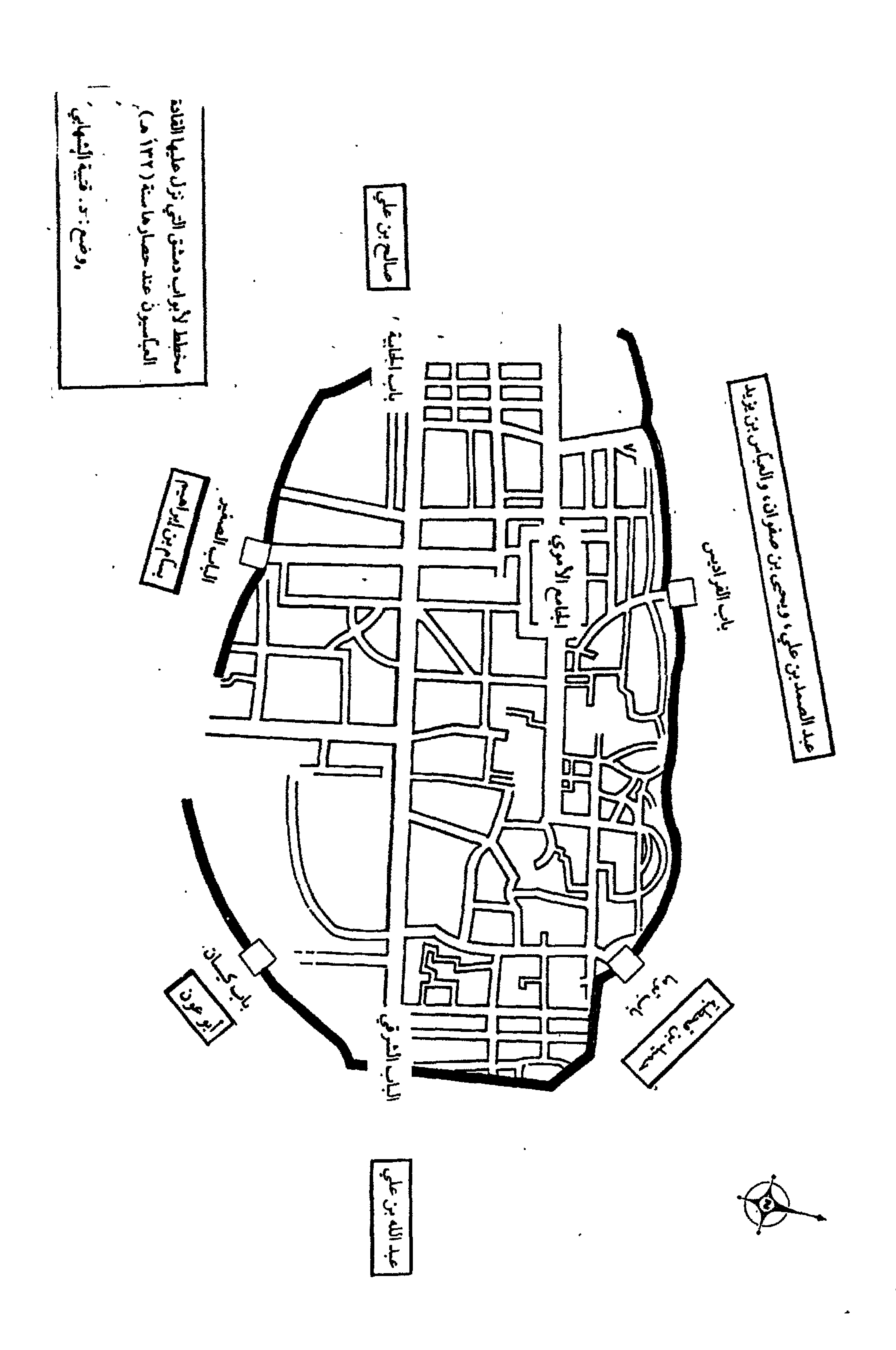
(شكل ٢) بلاد الشام فى العصر الأموى (القصور والبوادى) عن د. حسين مؤنس



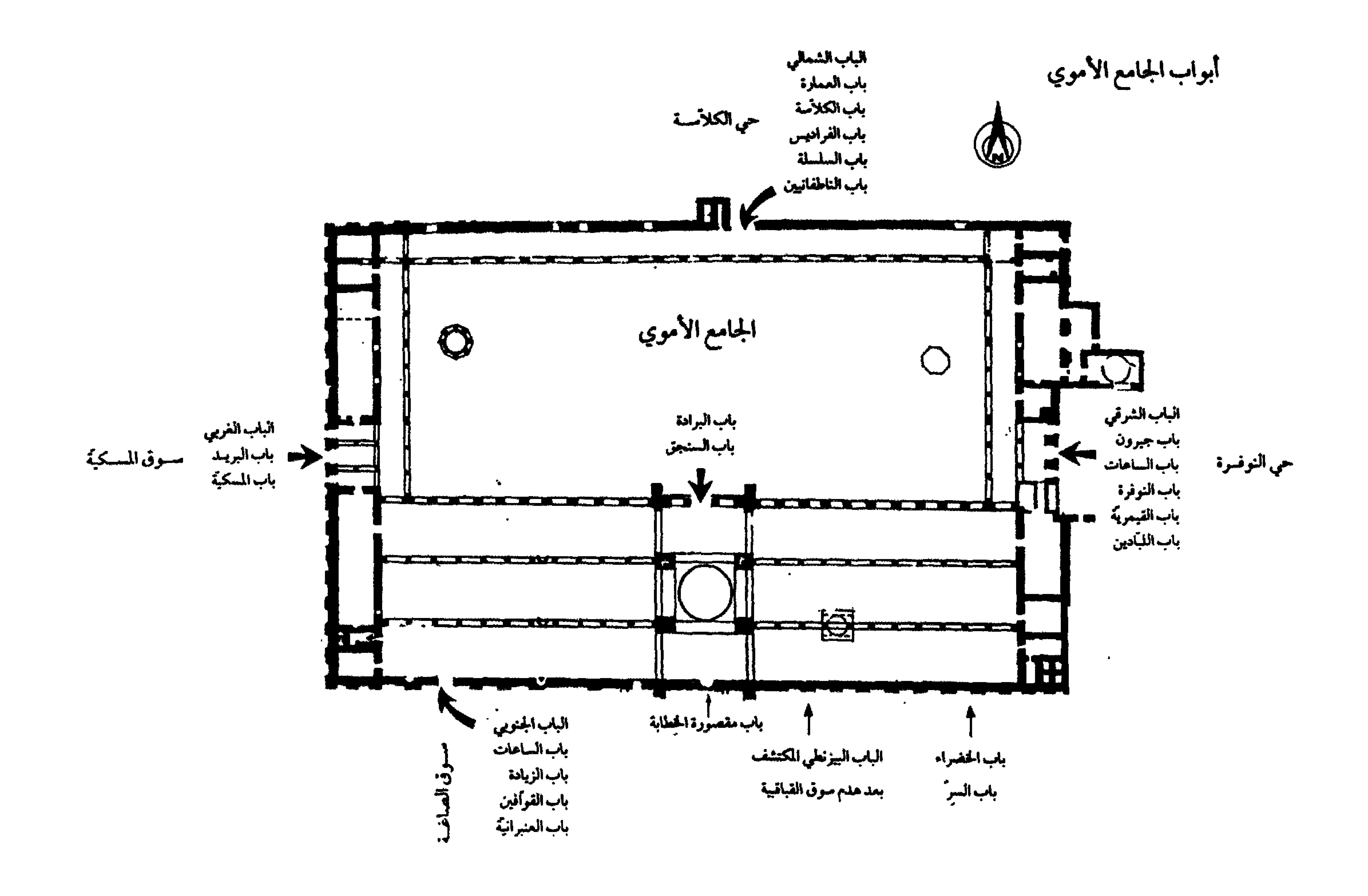
(شكل ٣) مخطط مدينة دمشق فى العصر الرومانى عن د. سارة منيمنة



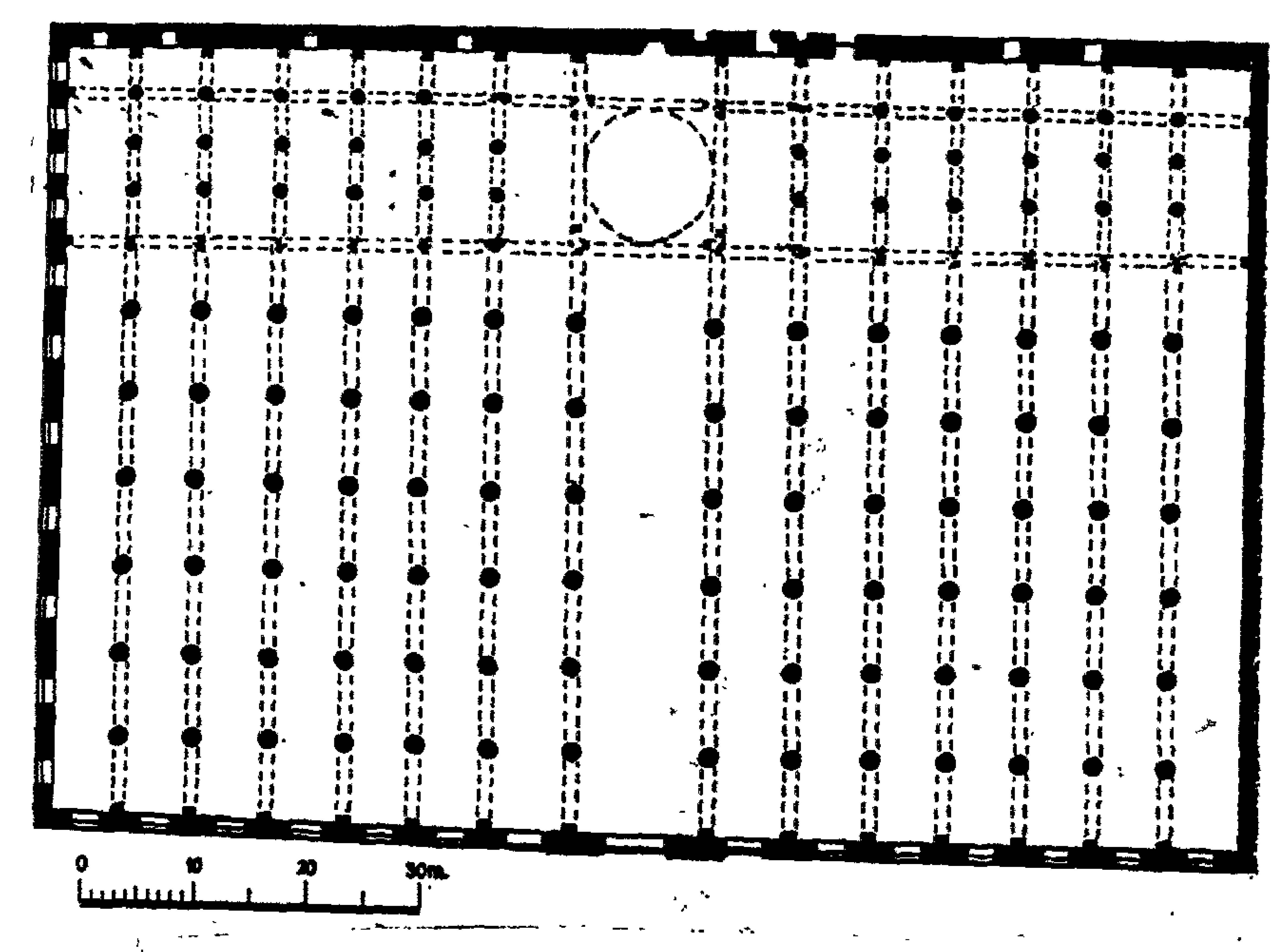
(شكل ٤) مخطط لأبواب دمشق يوم الفتح عن د. قتيبة الشهابي



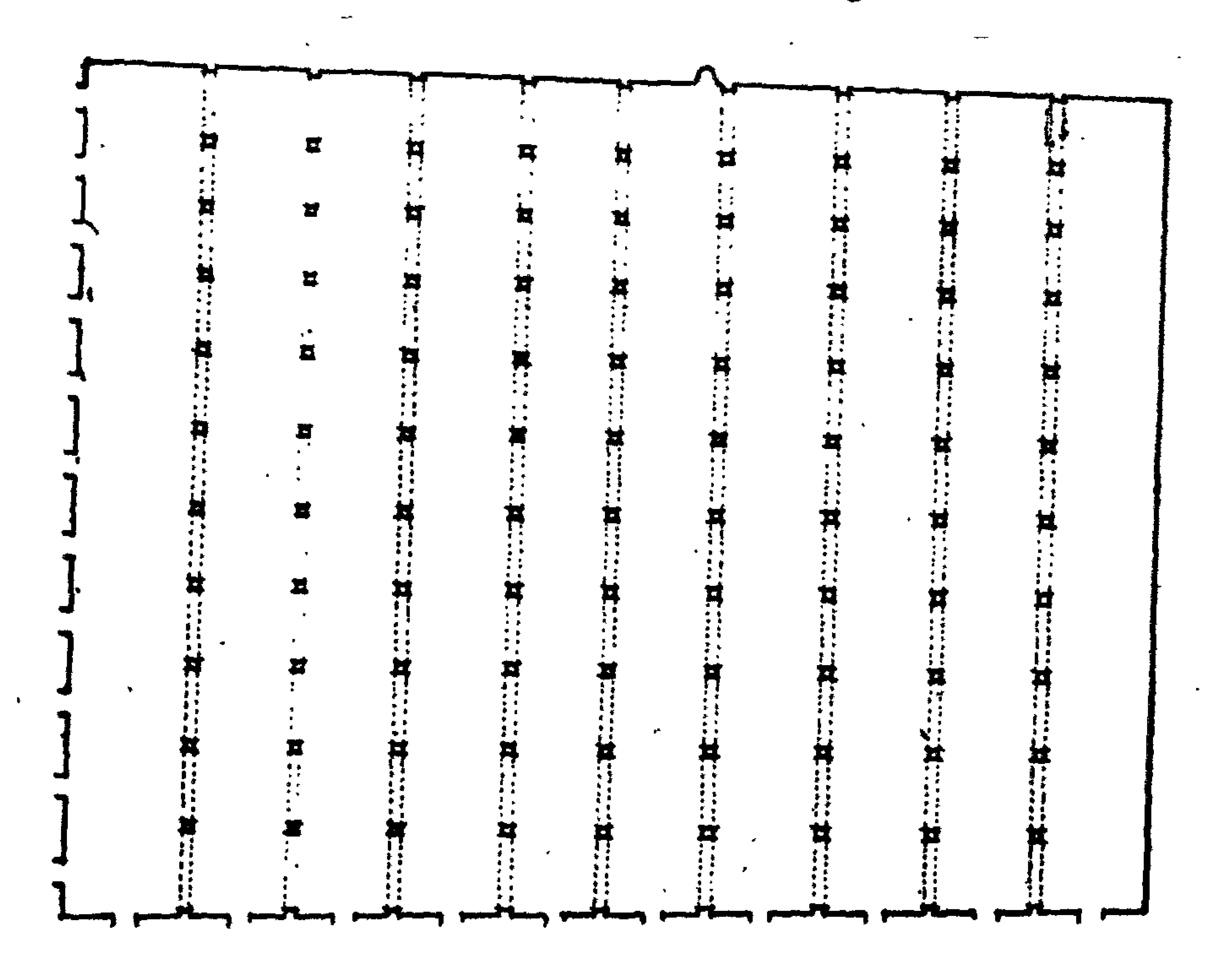
(شكل ٥) مخطط مدينة دمشق فى العصر الاموى عن د. قتيبة الشهابي.



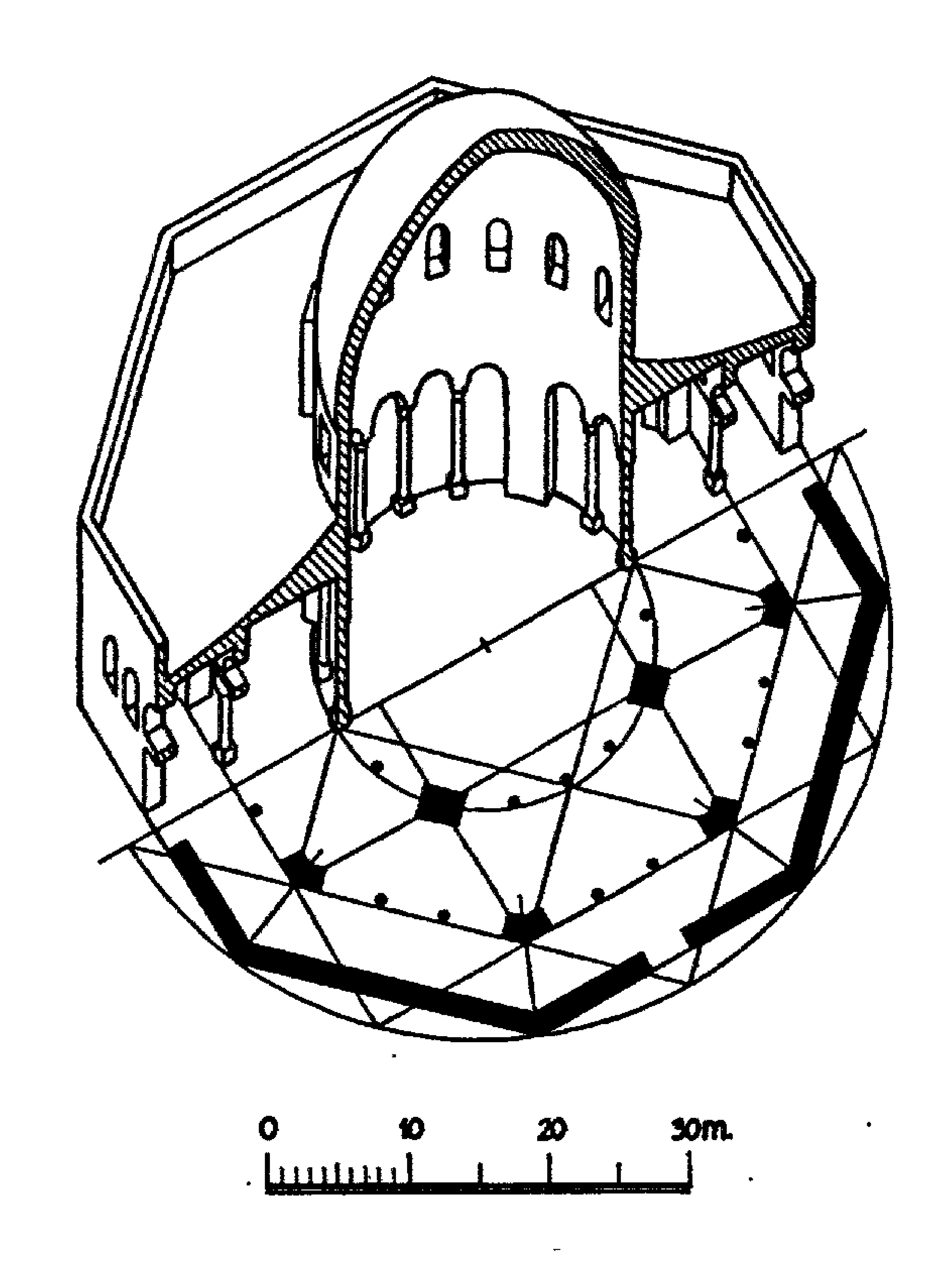
(شكل ٦) مخطط الجامع الأموى بدمشق عن د. قتيبة الشهابى



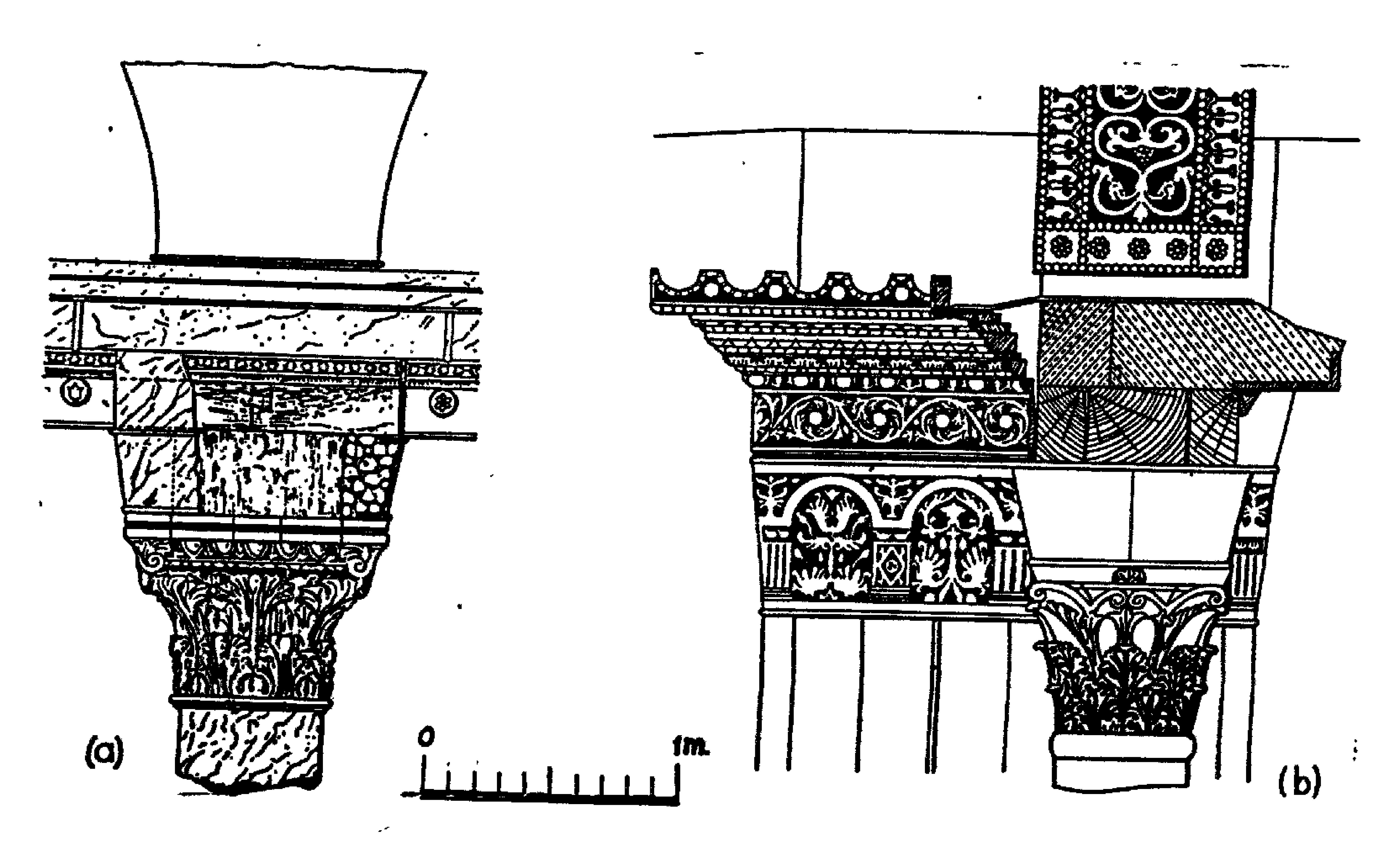
(شكل ٧) مخطط المسجد الأقصى عن كريزويل



(شكل ٨) مخطط المسجد الأقصى عن د. احمد فكرى



(شكل ٩) مخطط قبة الصخرة نقله كريزويل عن شويزى



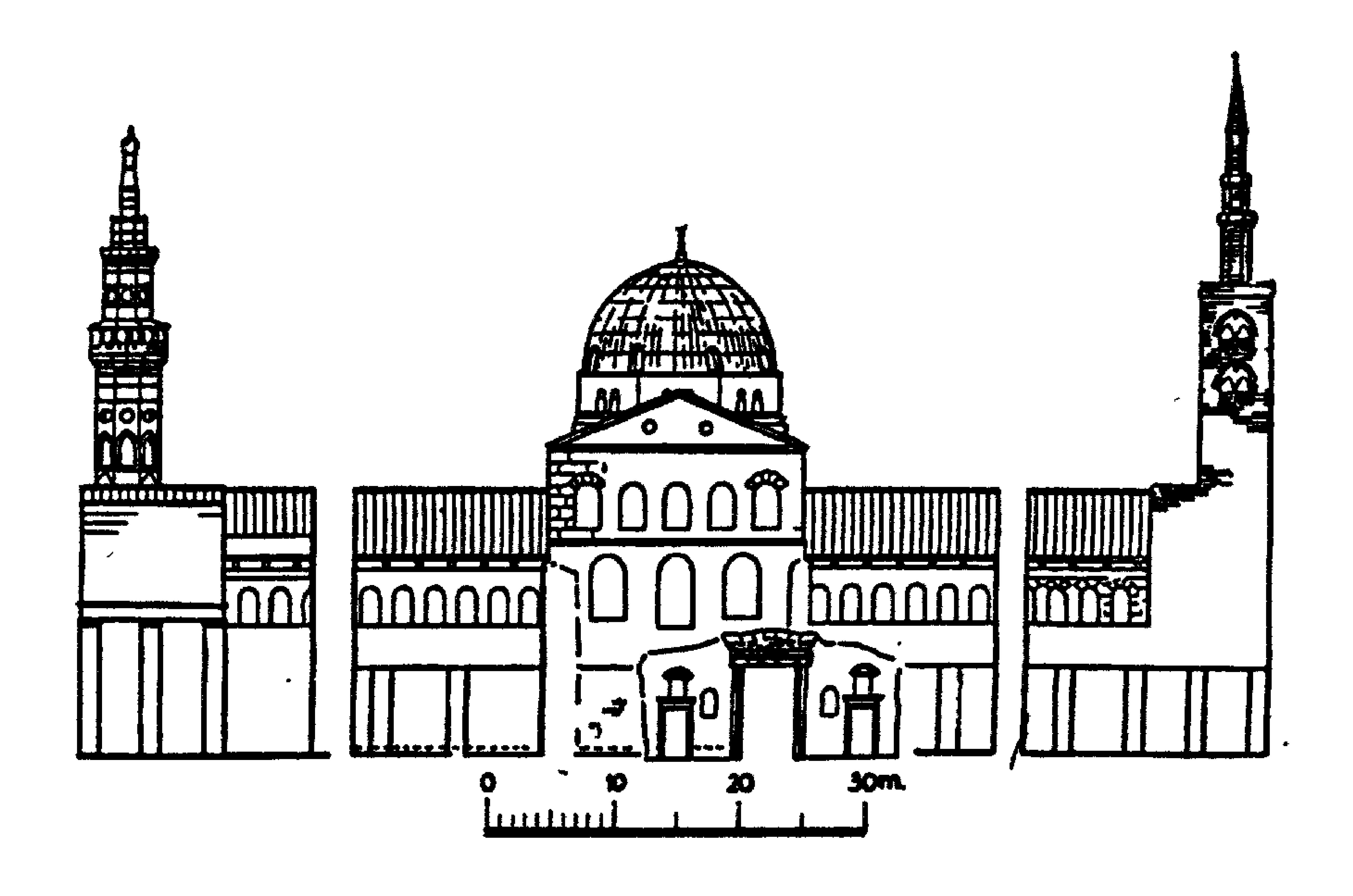
(شكل ١٠) تفصيل من الروابط وتيجان الأعمدة فى المثمن الأوسط عن كريزويل

PRE - MUSLIM
AL - WALID
MALIK SHAH
12TH C.
14TH C.
MODERN
INDETERMINATE

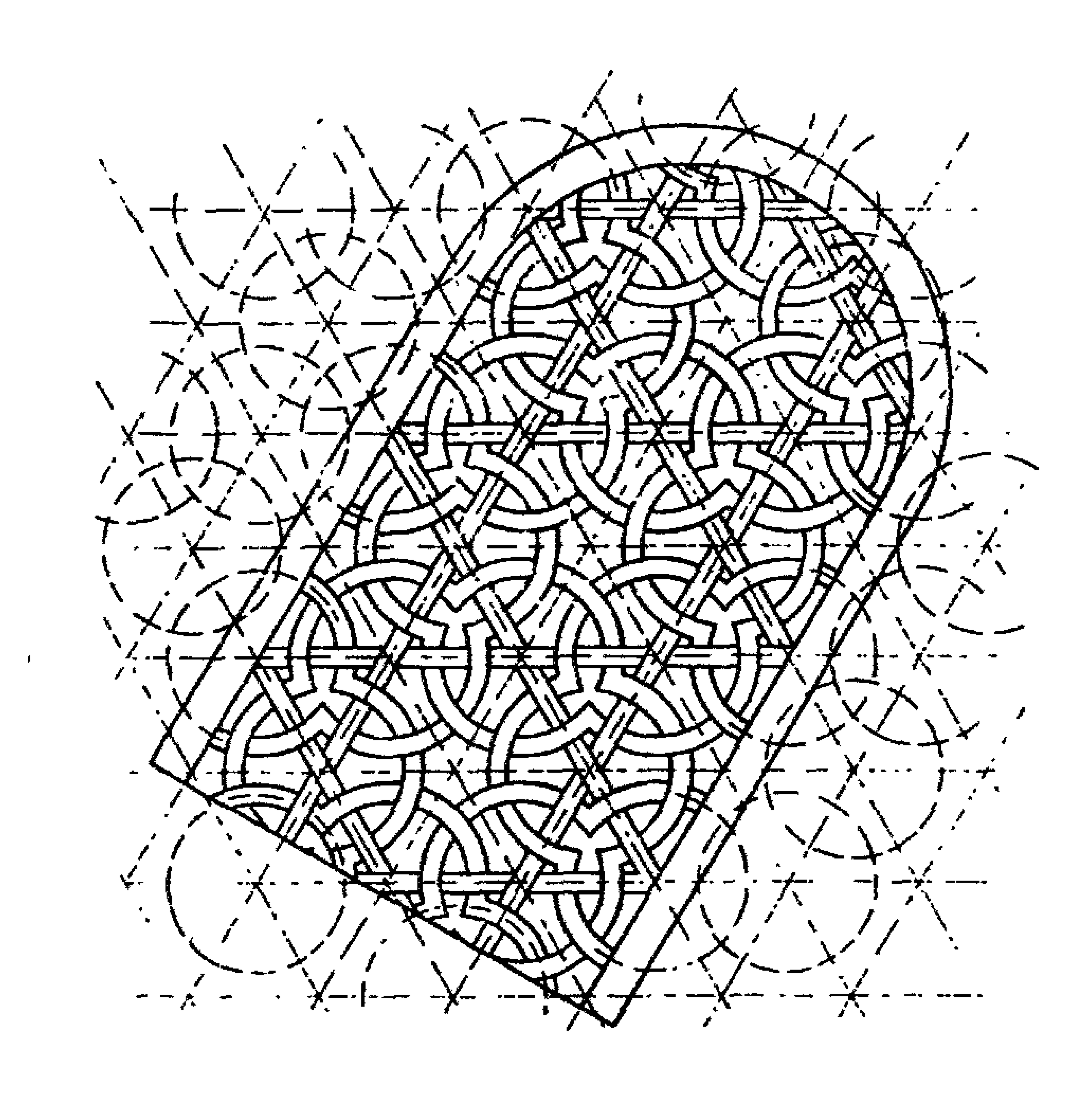
N

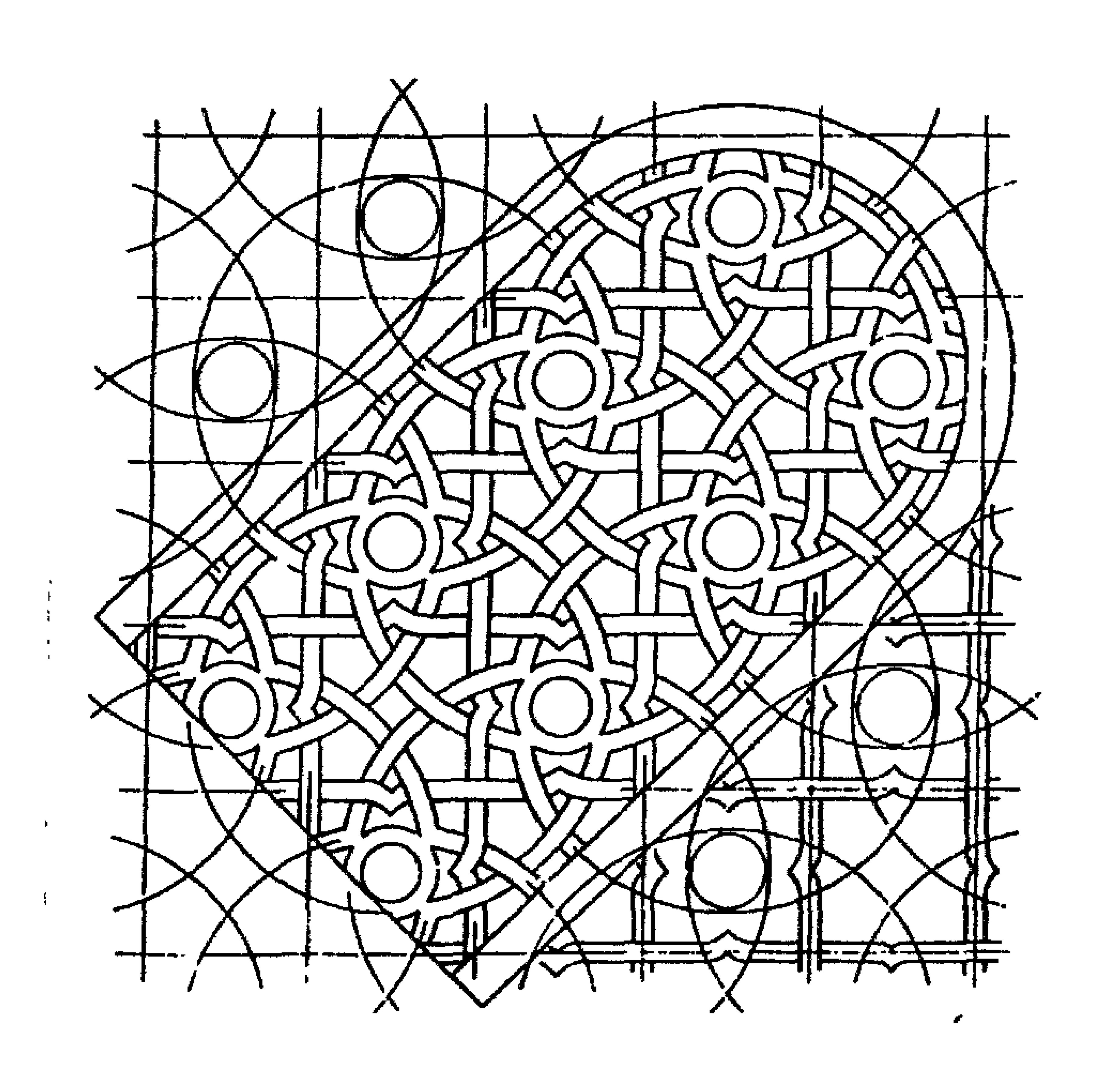
0 10 20 30m.

(شكل ١١) مخطط المسجد الأموى عن كريزويل

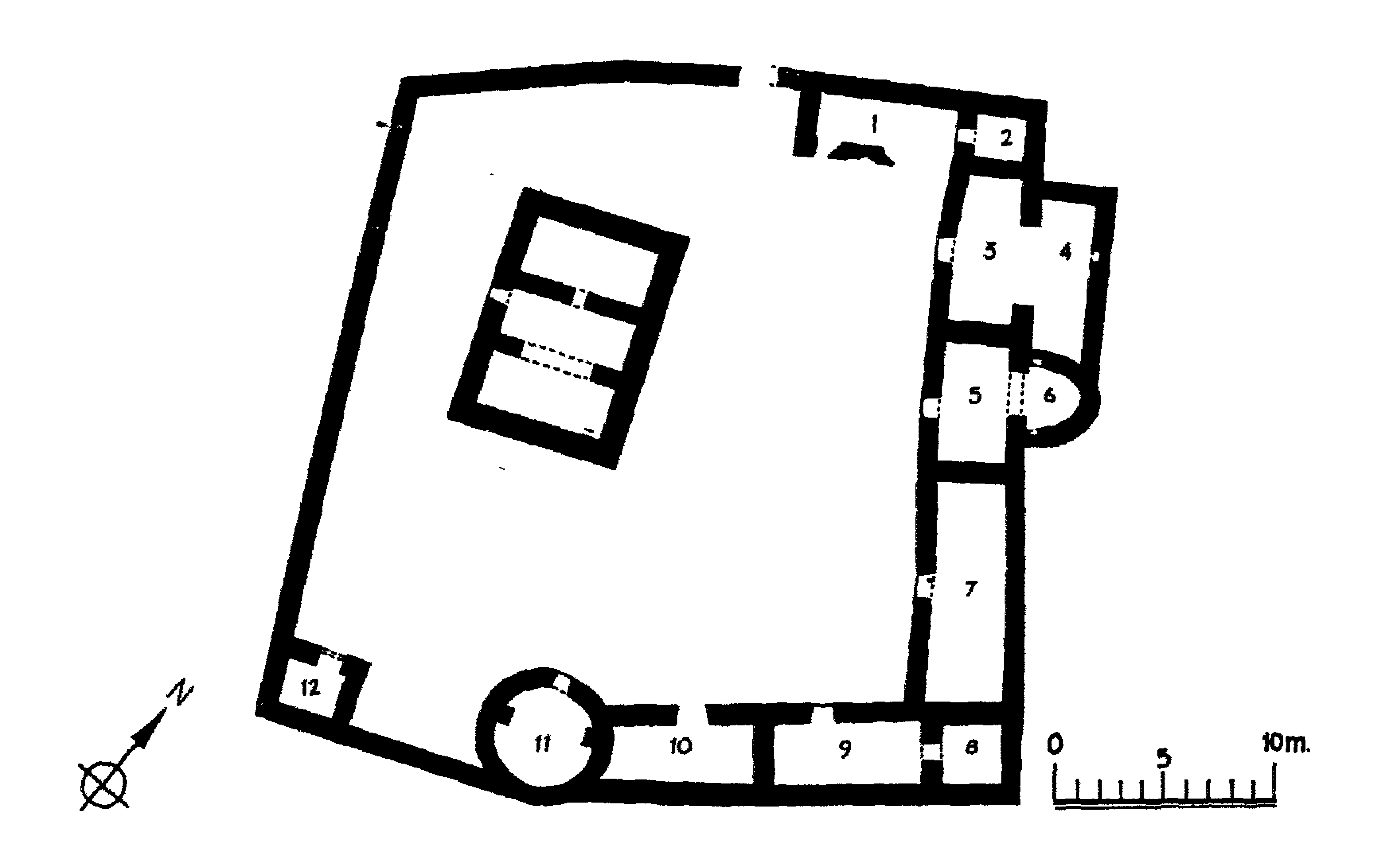


(شكل ١٢) الجانب الغربى من الجامع الأموى عن كريزويل

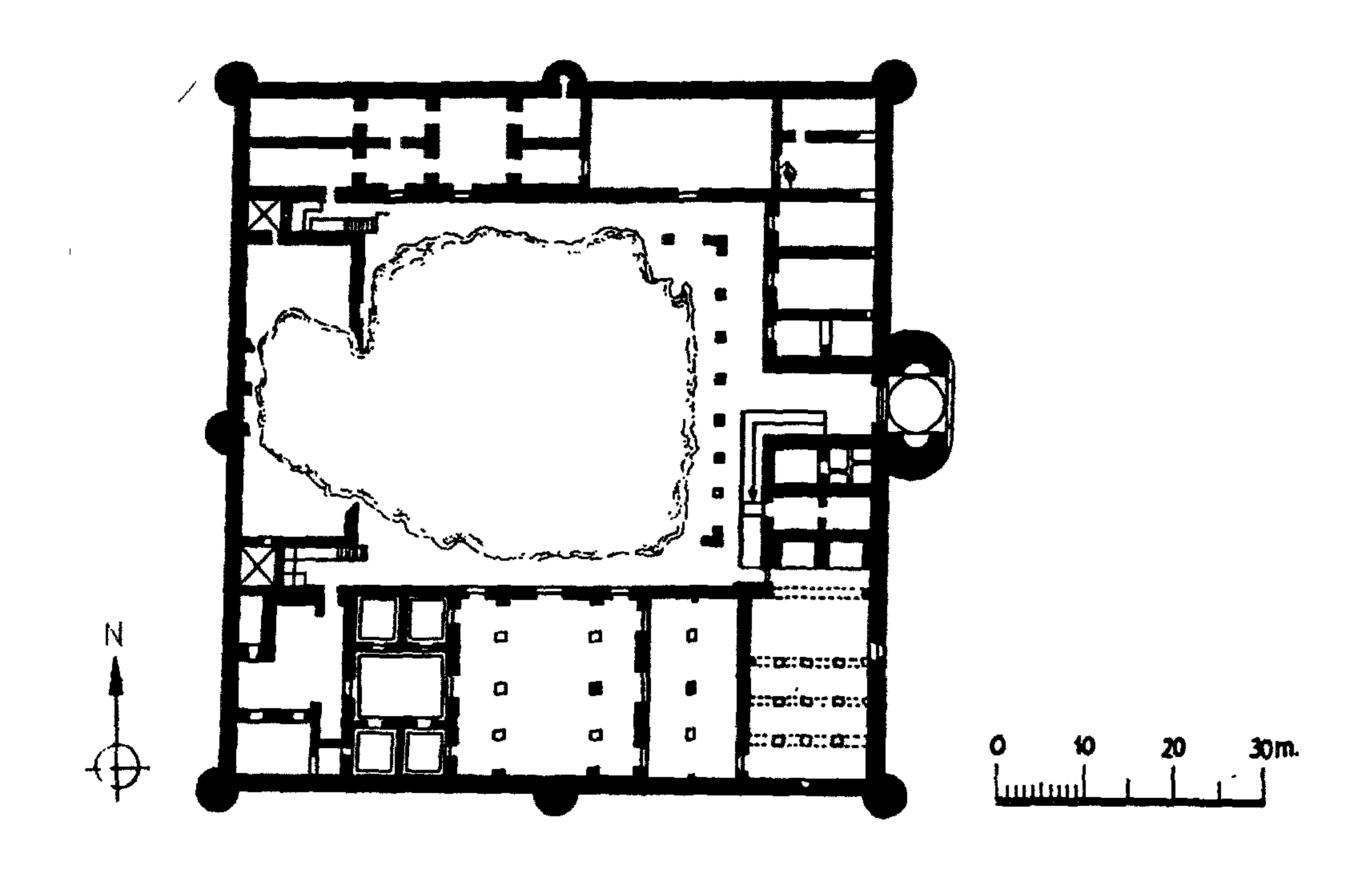




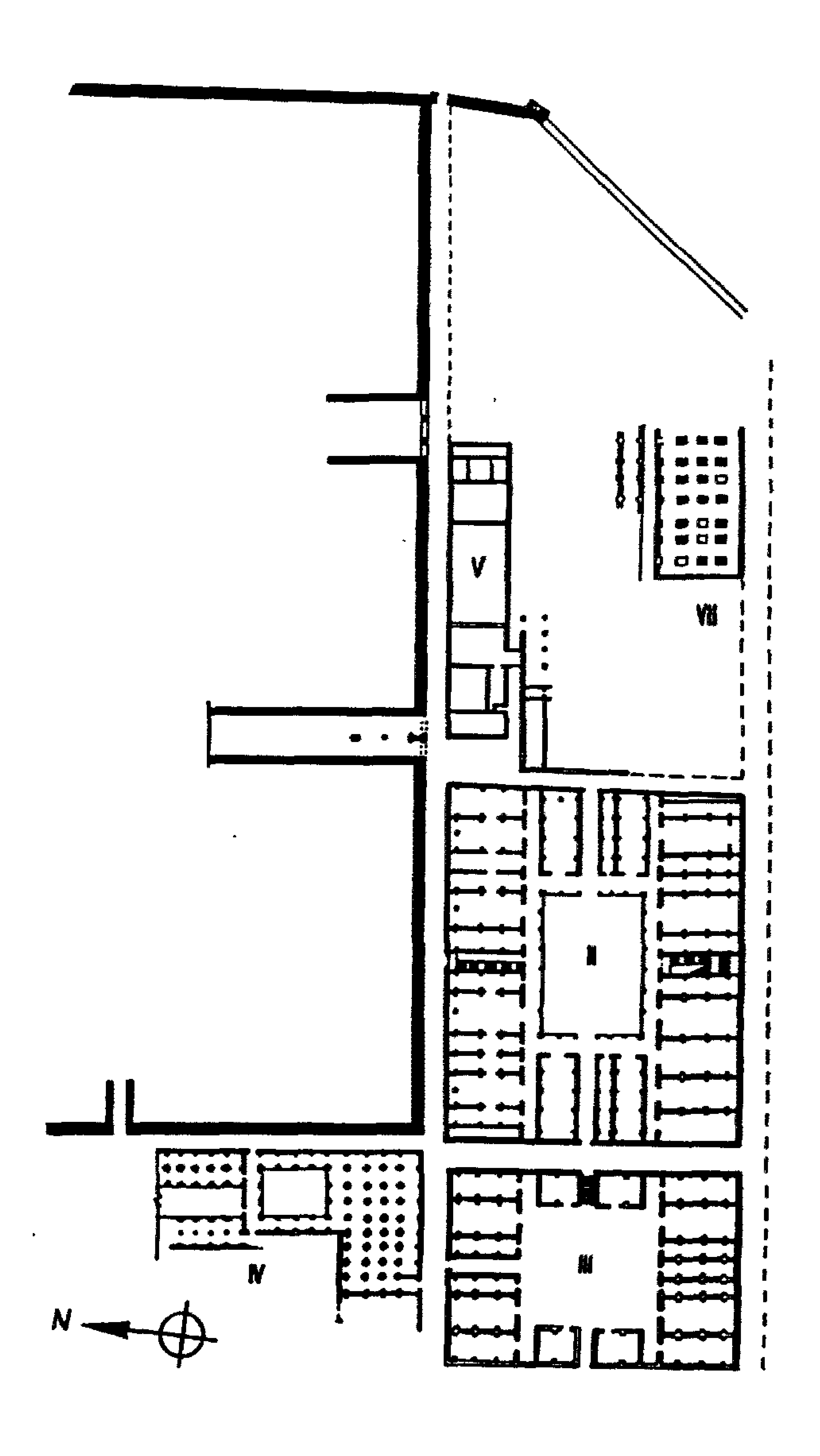
(شكل ١٣) نافذتان رخاميتان من الجامع الأموى عن كريزويل



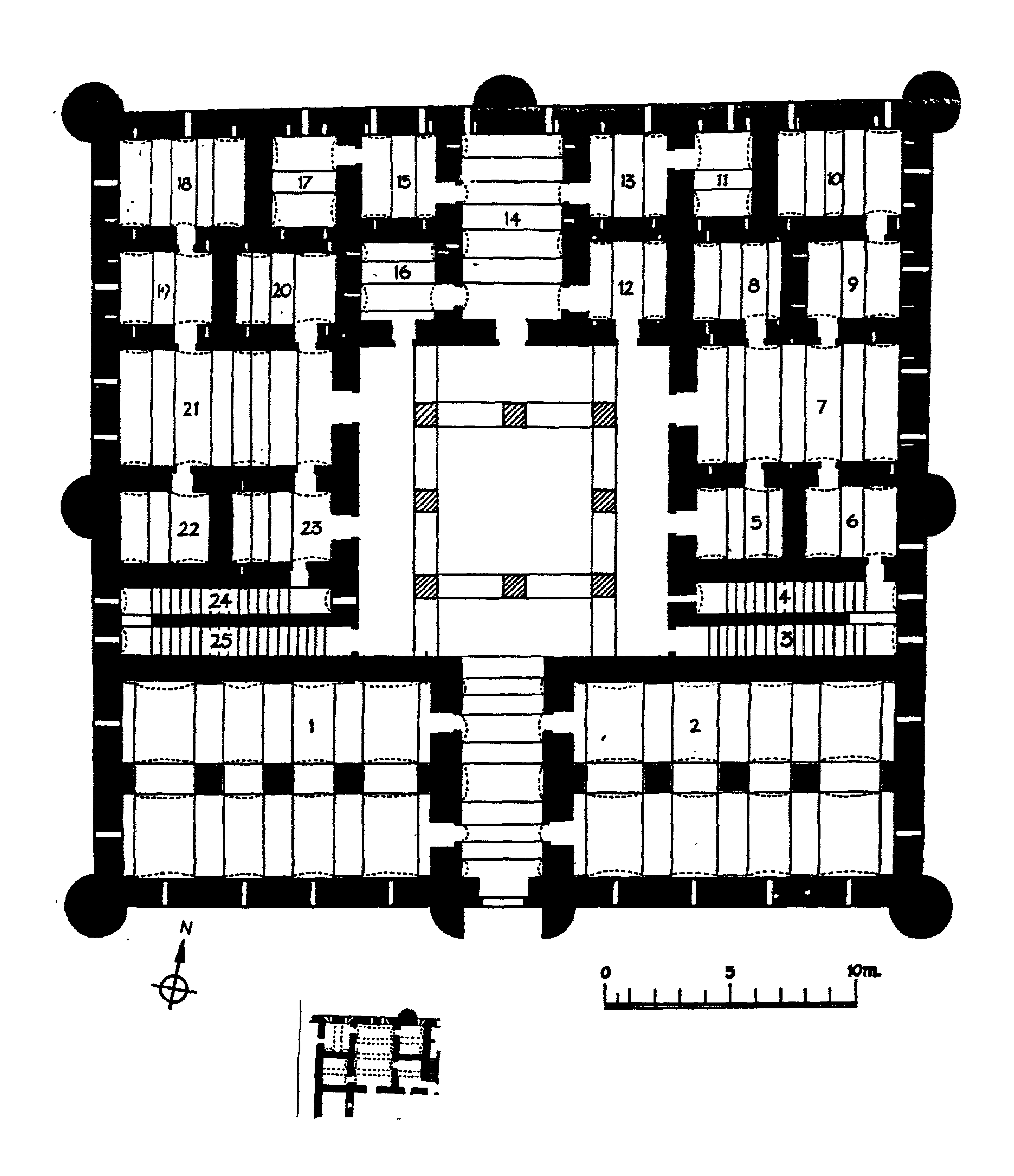
(شكل ١٤) مخطط قصر البرقع عن كريزويل



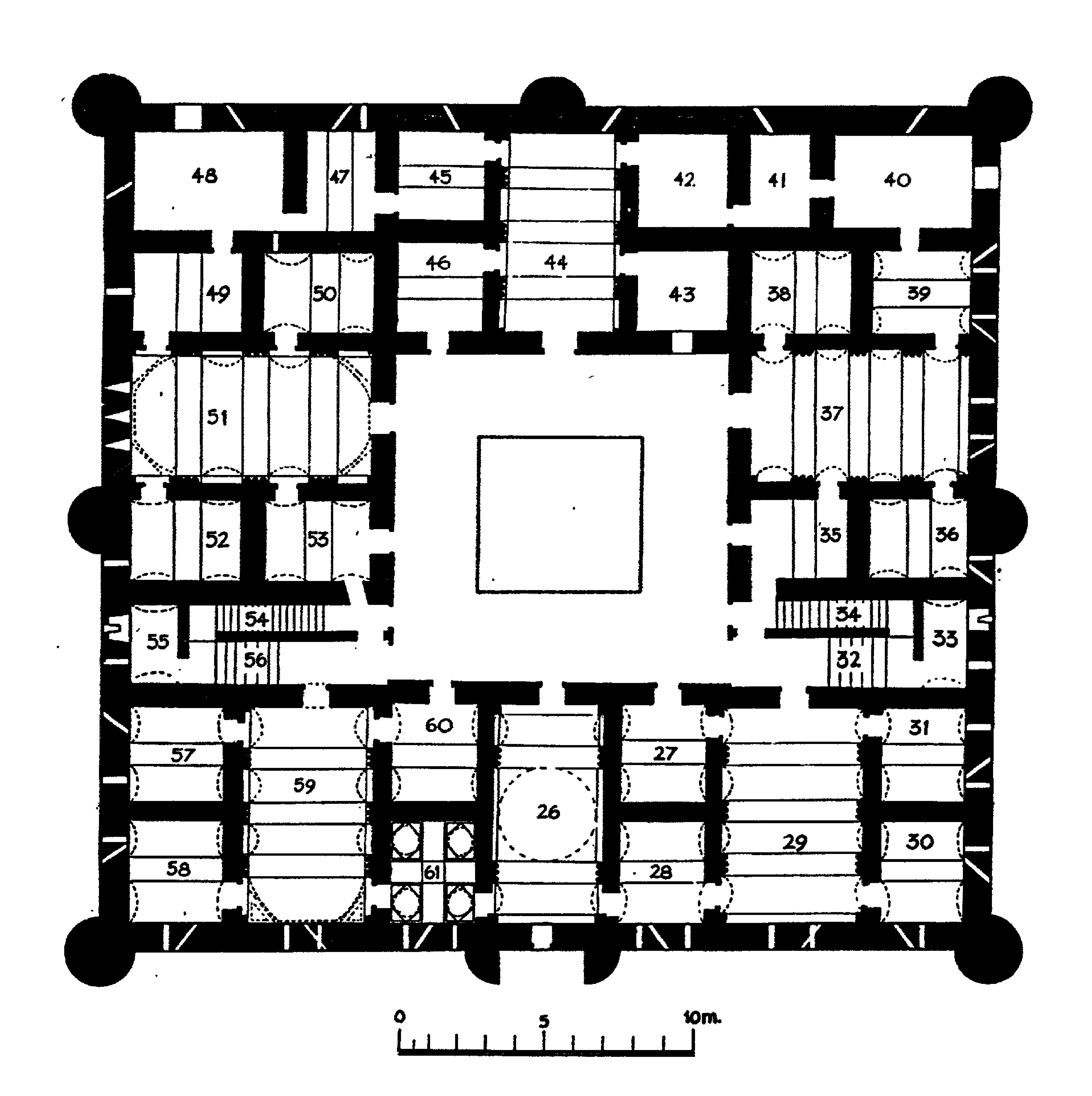
(شكا ١٥) مخطط قصر الوليد بالمنية عن كريزويل



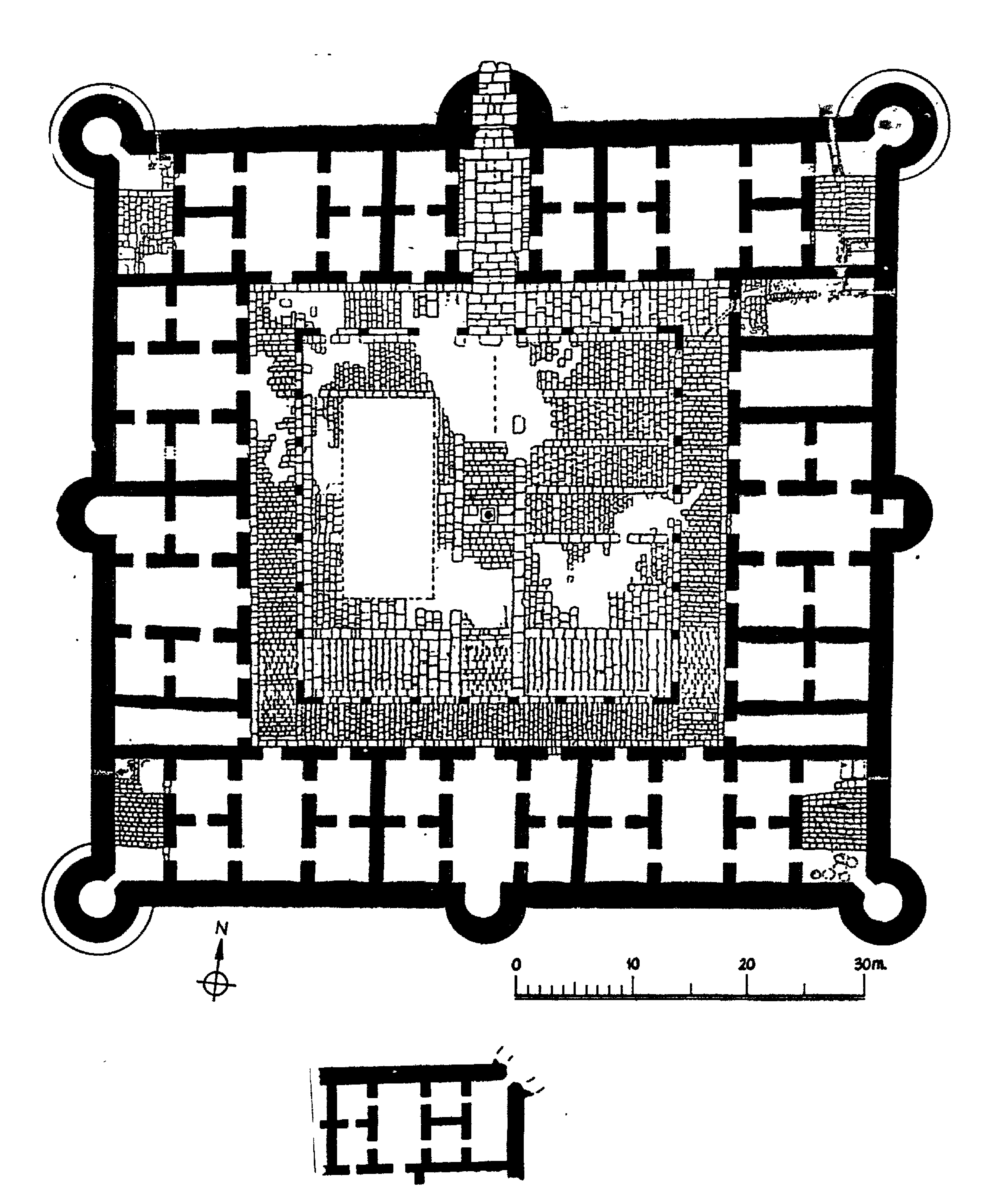
(شكل ١٦) المجموعة المعمارية الأموية بالقدس عن كريزويل.



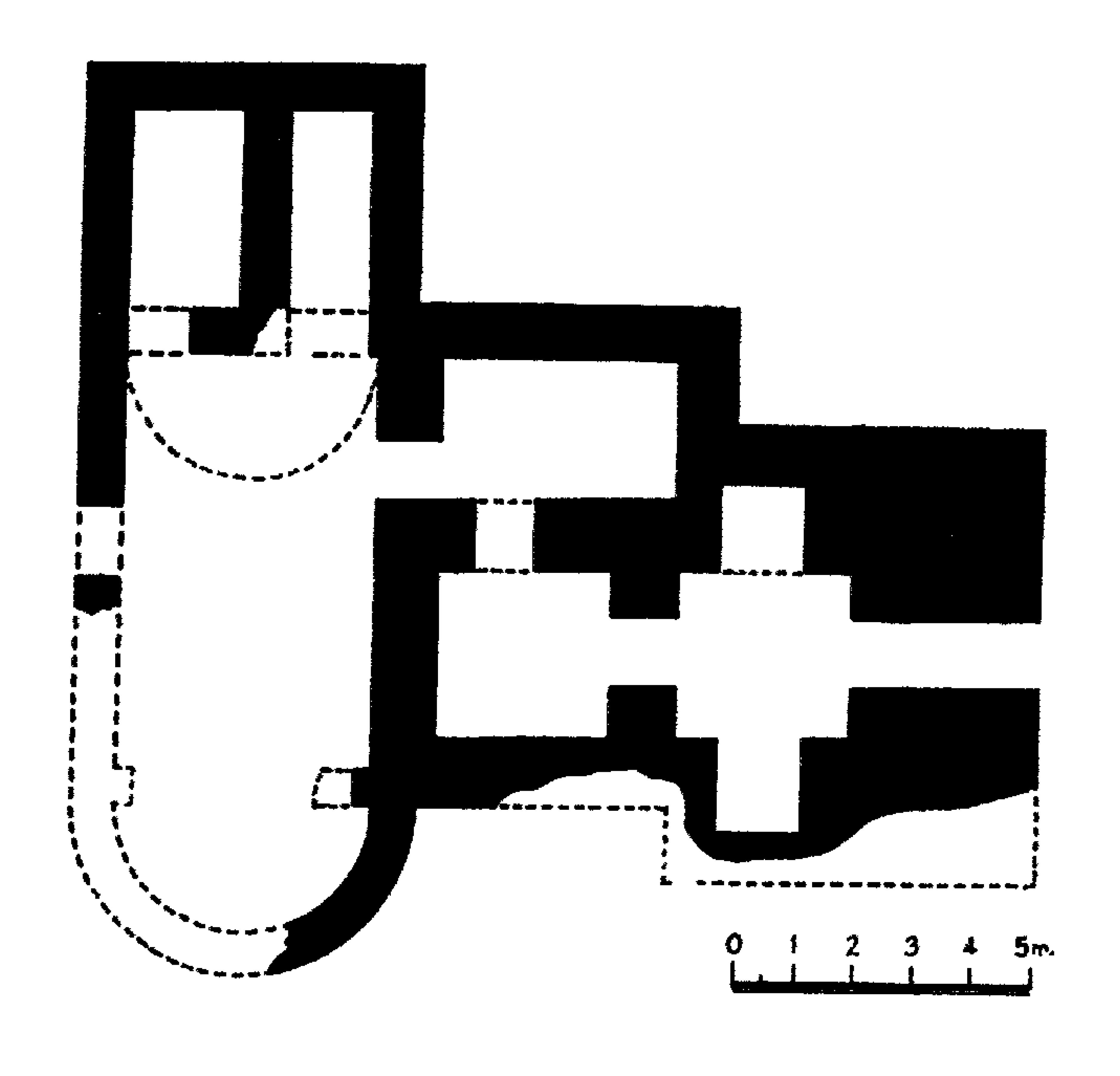
(شكل ١٧) مخطط قصر الحرانة عن كريزويل



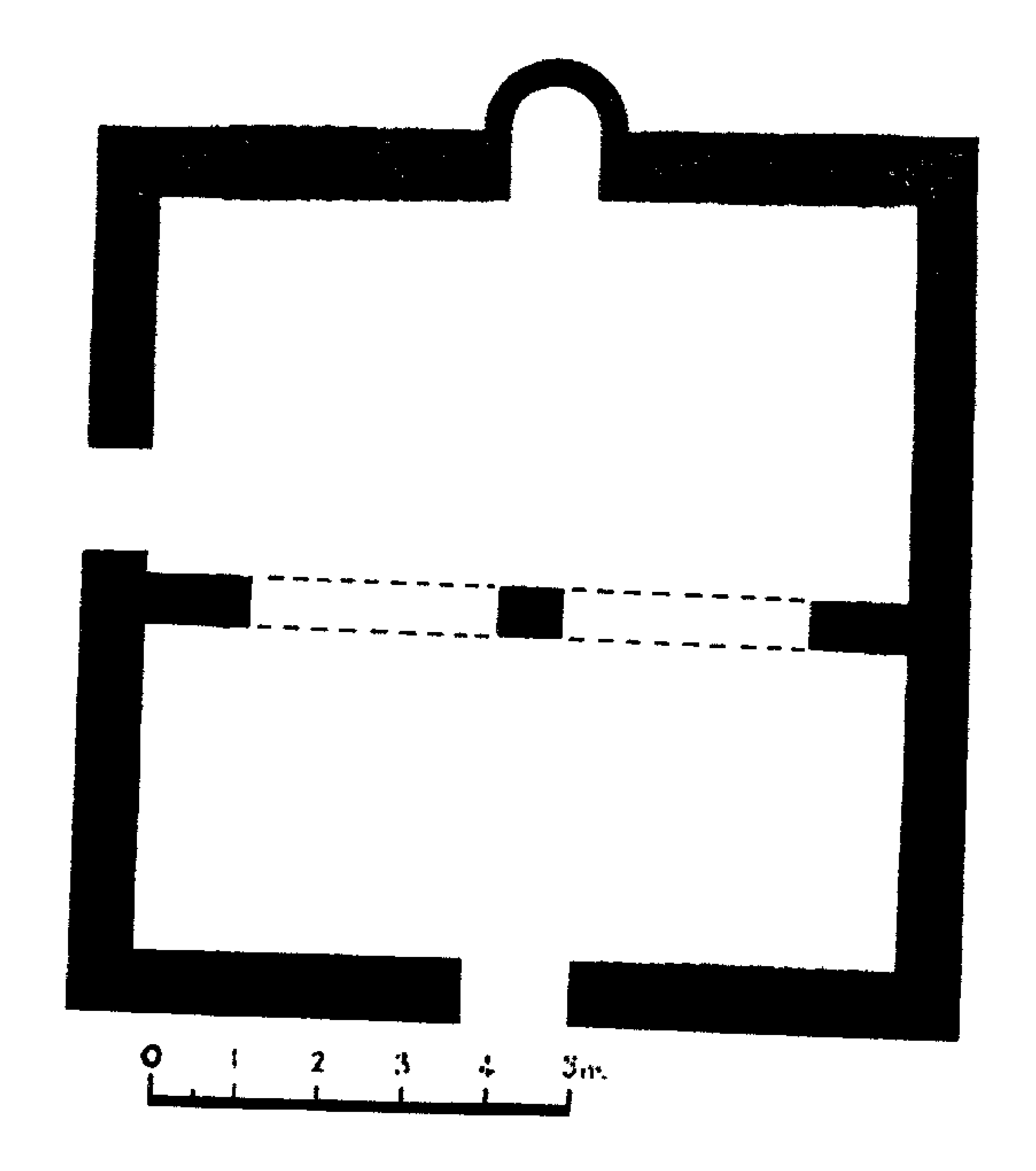
(شكل ١٨) مخطط قصر الحرانة | الطابق الأول عن كريزويل



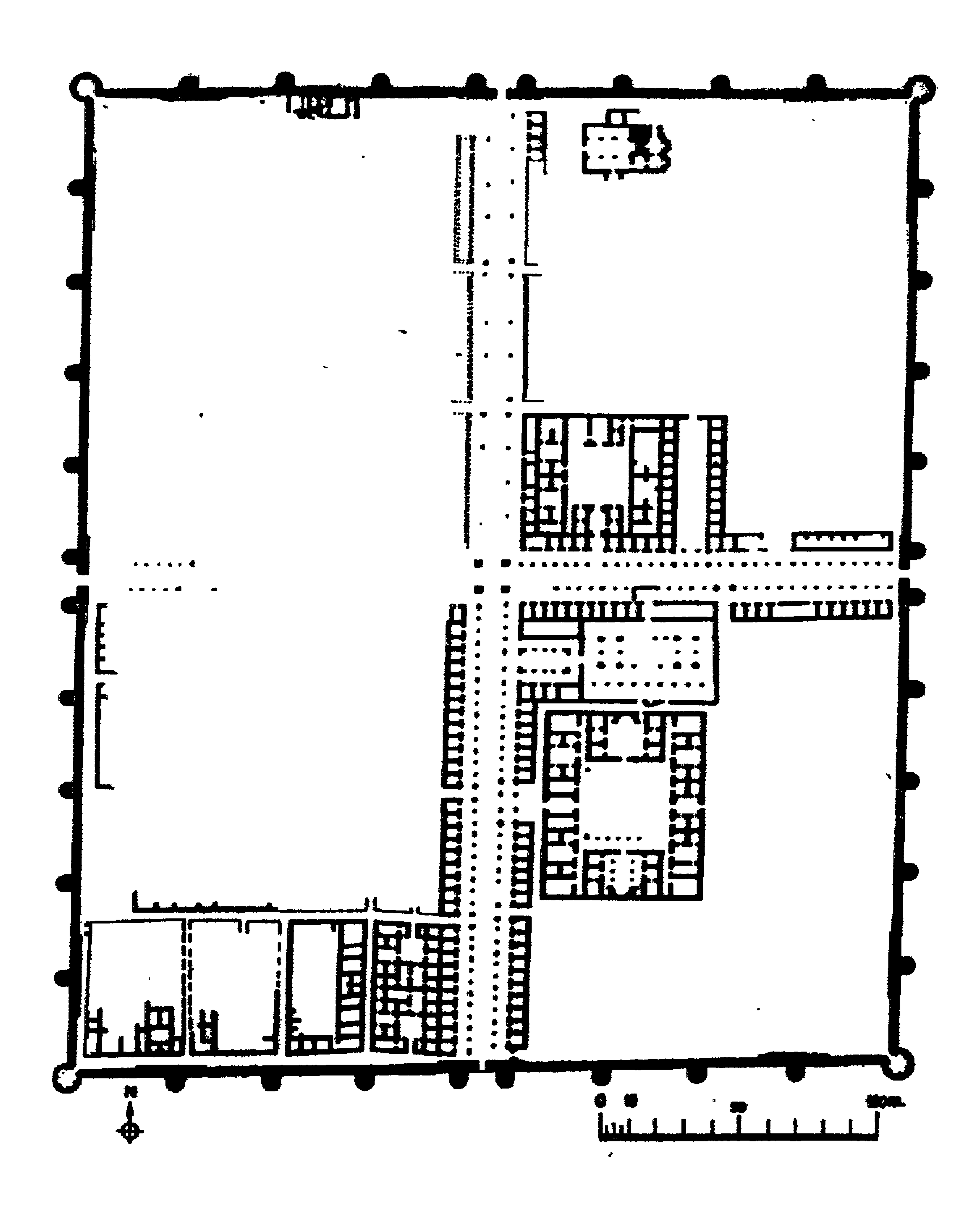
(شكل ١٩) مخطط القصر جنوب شرقى دمشق من أعمال الوليد عن كريزويل



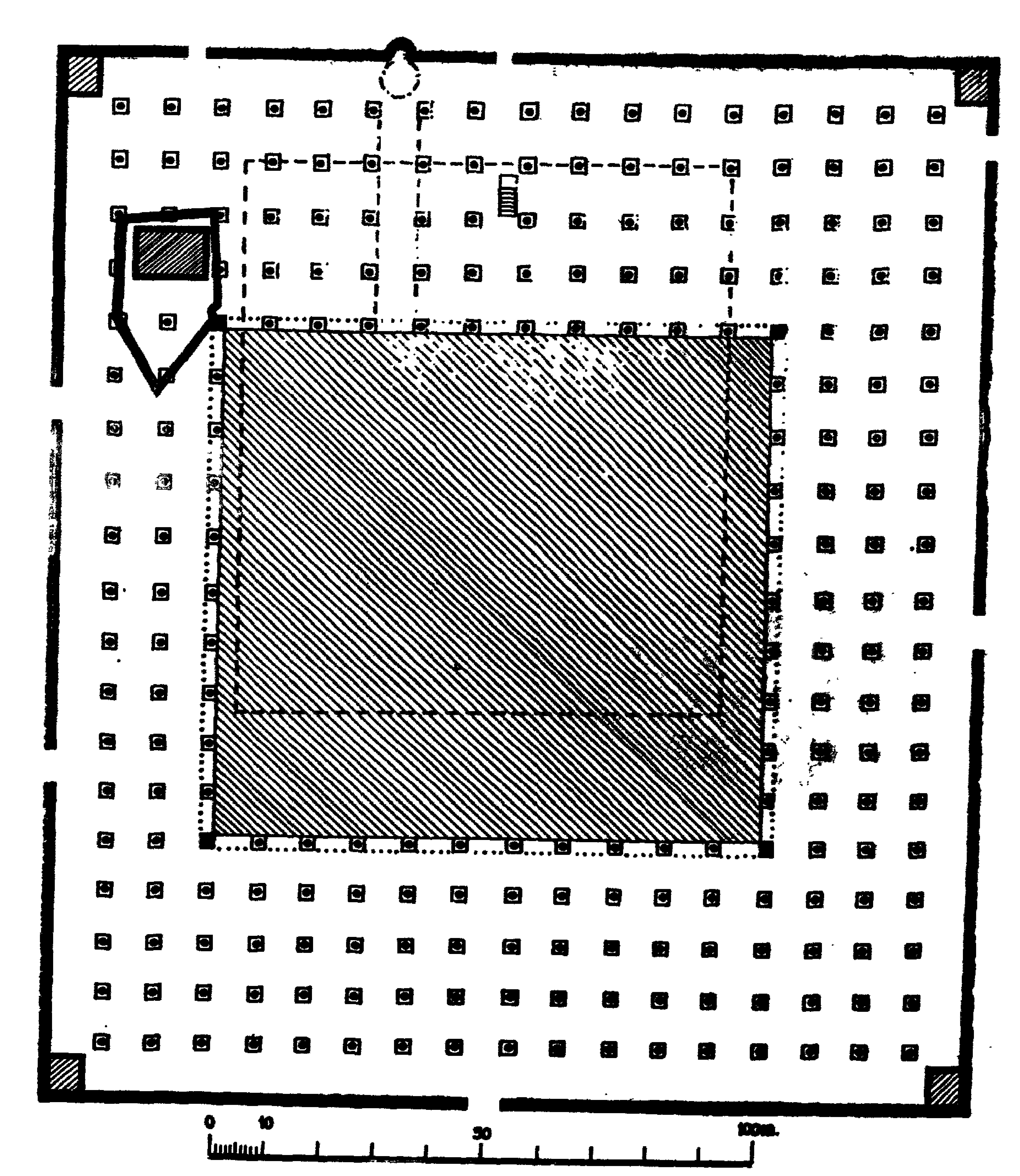
(شكل ٢٠) مخطط الحمام عن كريزويل



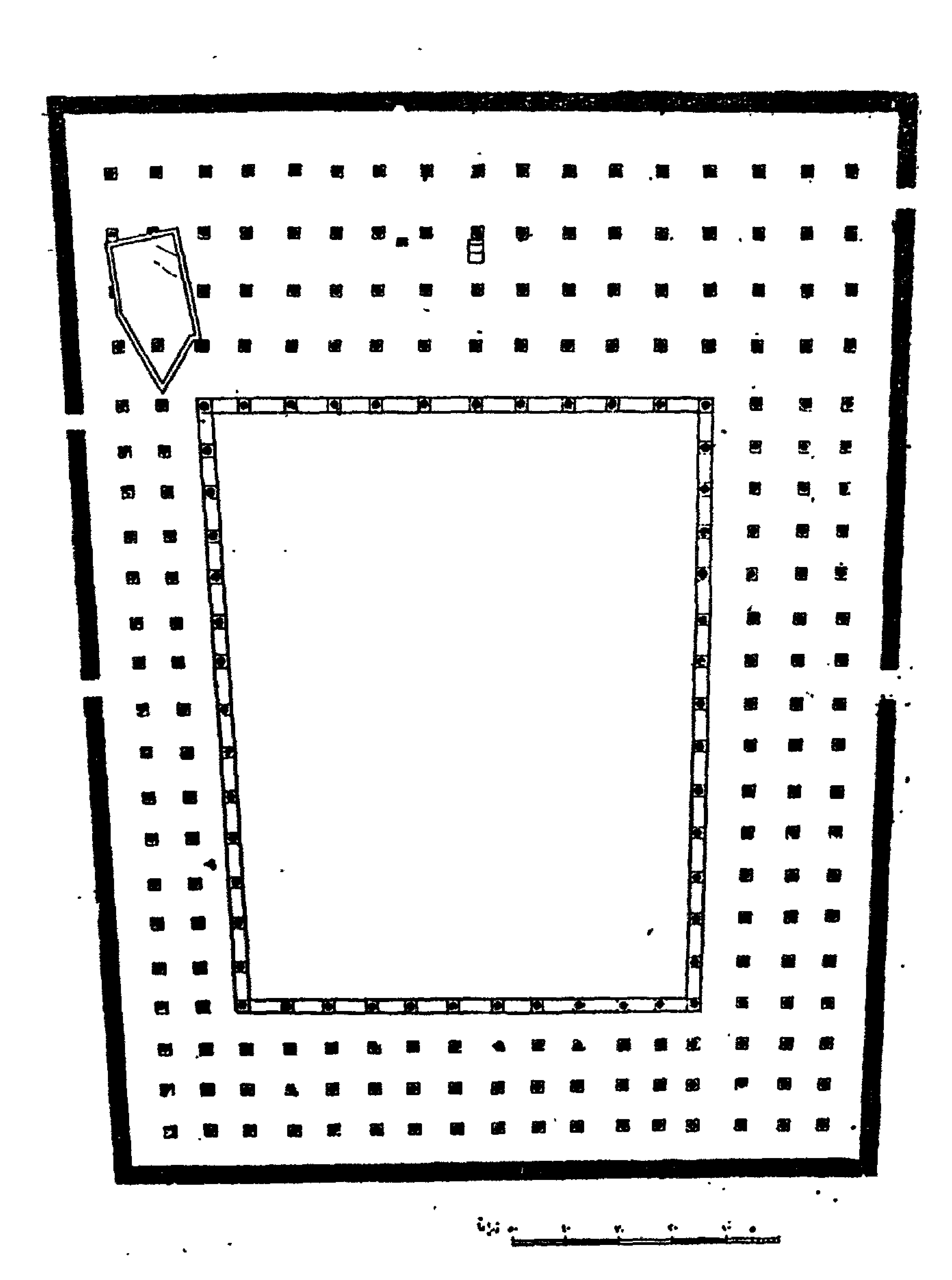
(شكل ٢١) مخطط المسجد عن كريزويل



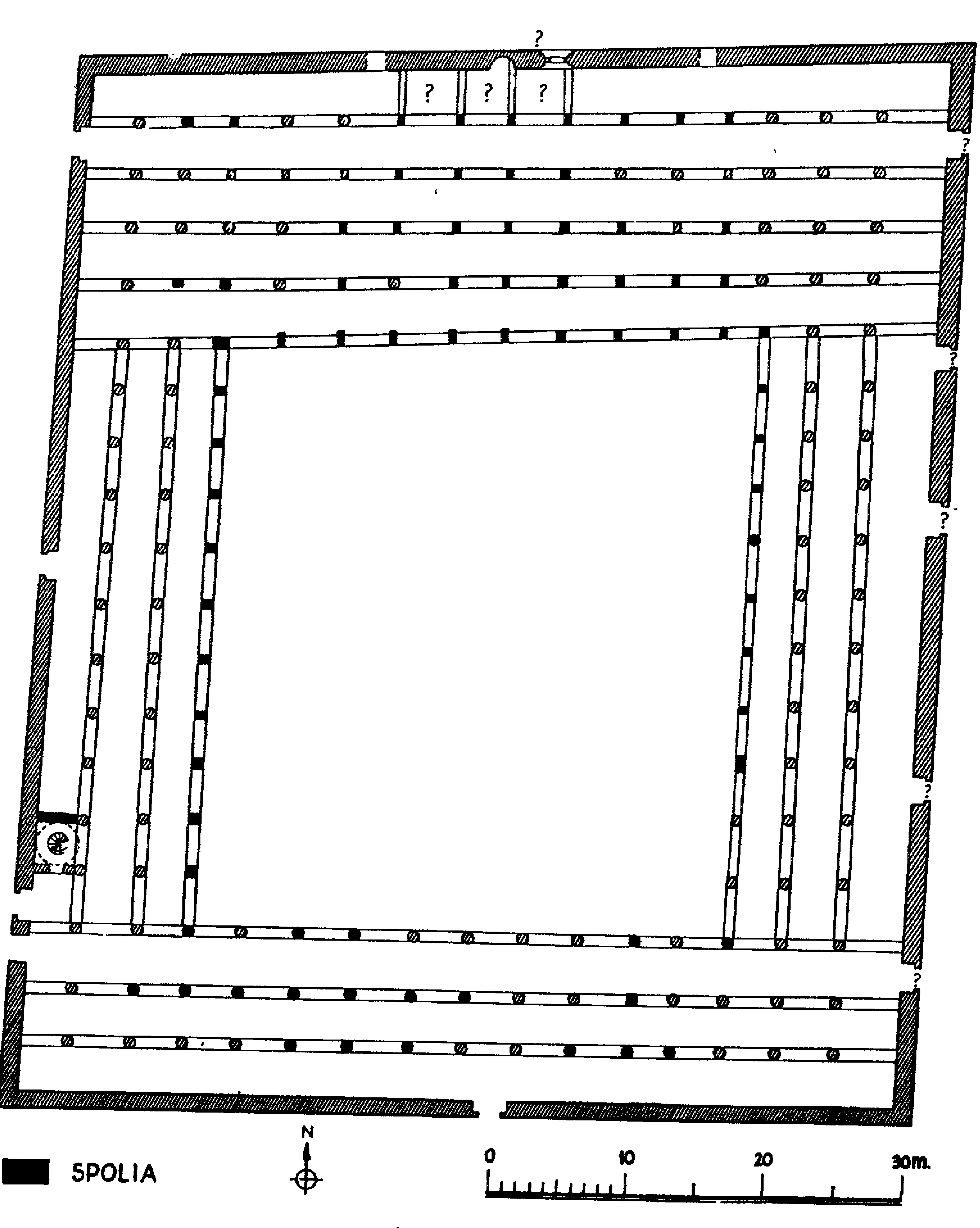
(شكل ٢٢) مخطط قصر عنجر (عين الجر) عن كريزويل



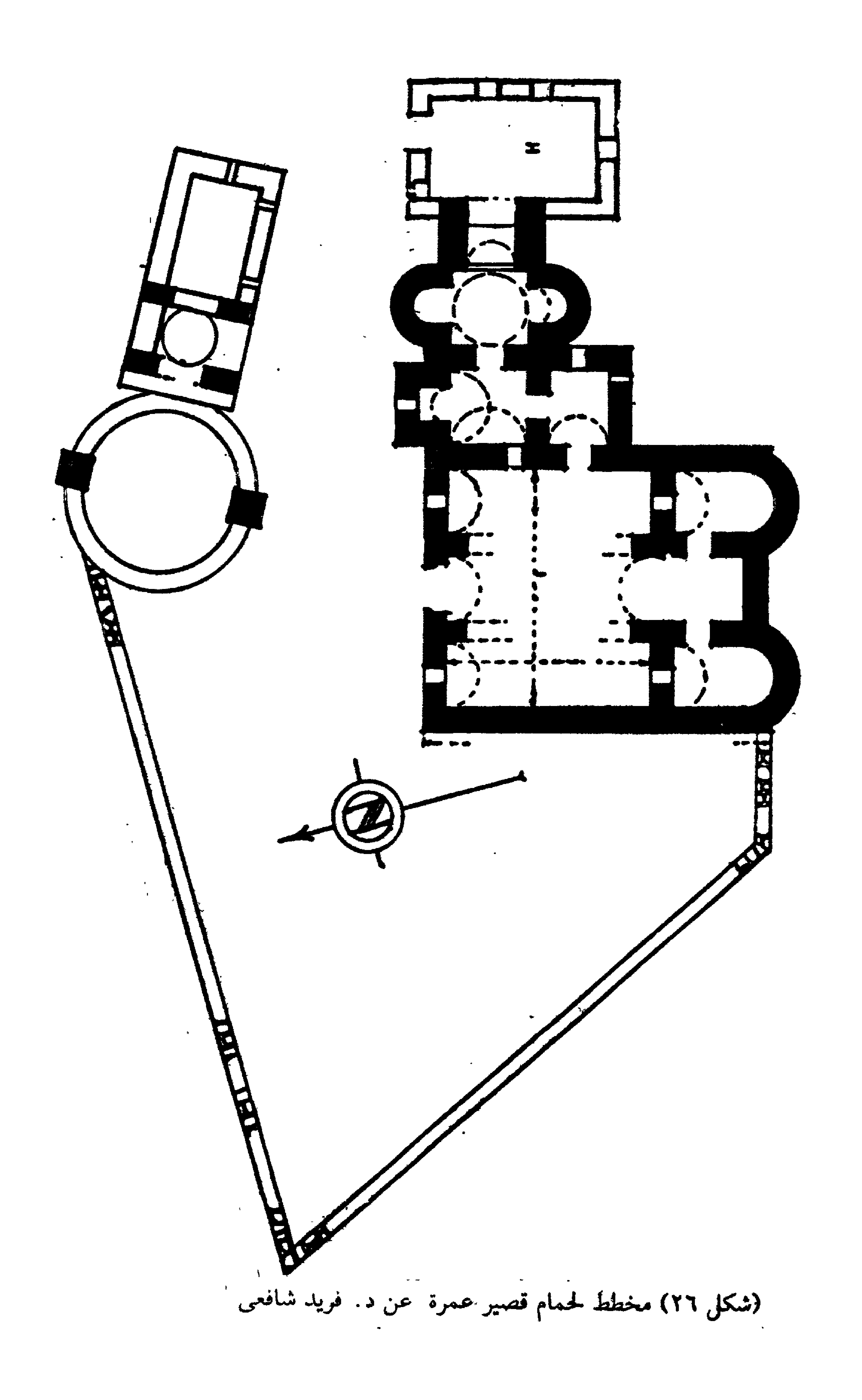
(شكل ٢٢) مخطط المسجد النبوى فى المدينة المنوره فى عهد الوليد نقله كريزويل عن سوفاجيه



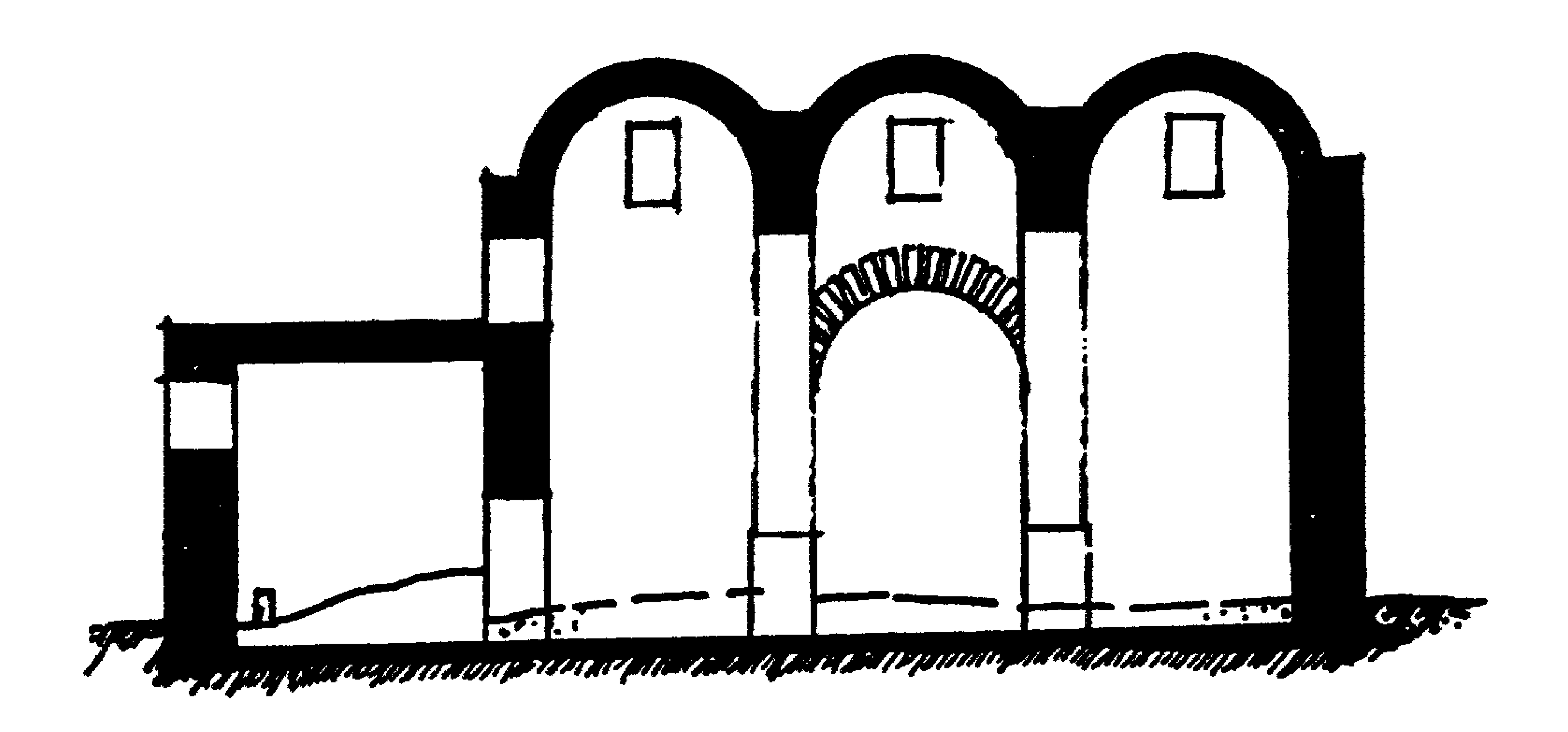
(شكل ٢٤) مخطط المسجد النبوى فى عهد الوليد عن د. أحمد فكرى



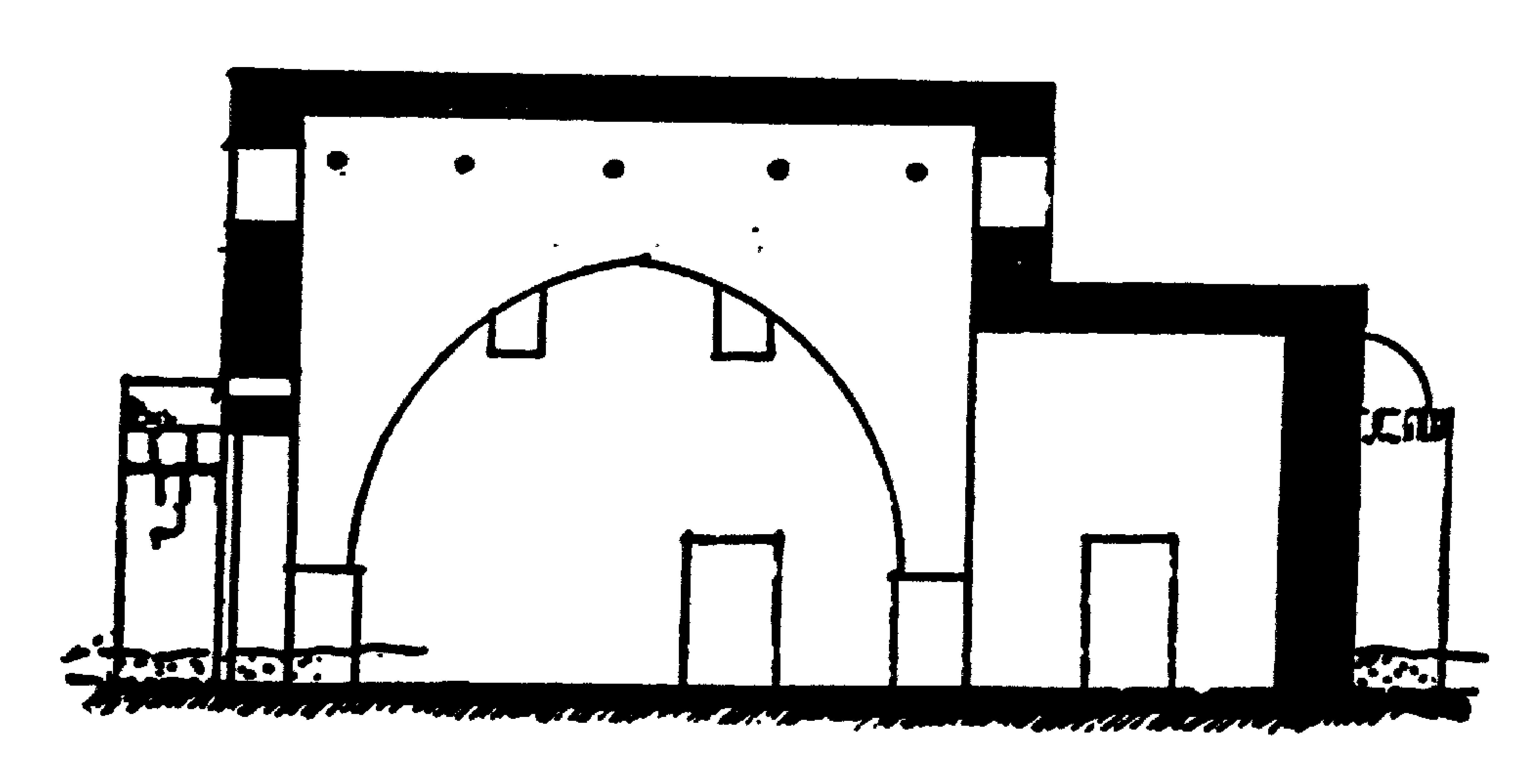
(شكل ٢٥) مخطط جامع صنعاء الكبير فى عهد الوليد عن كريزويل



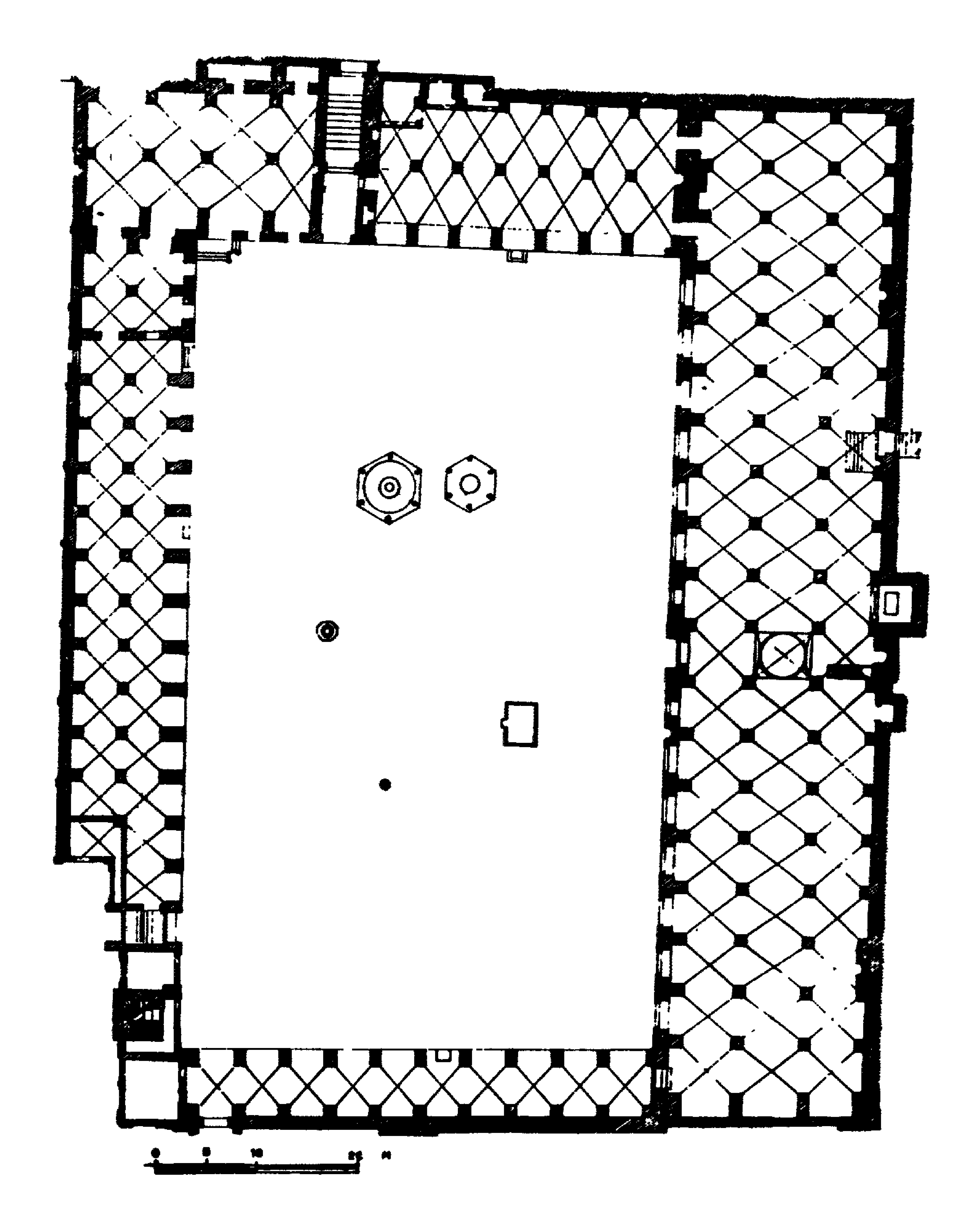
(شكل ٢٦) مخطط لحمام قصير عمرة عن د. فريد شافعى



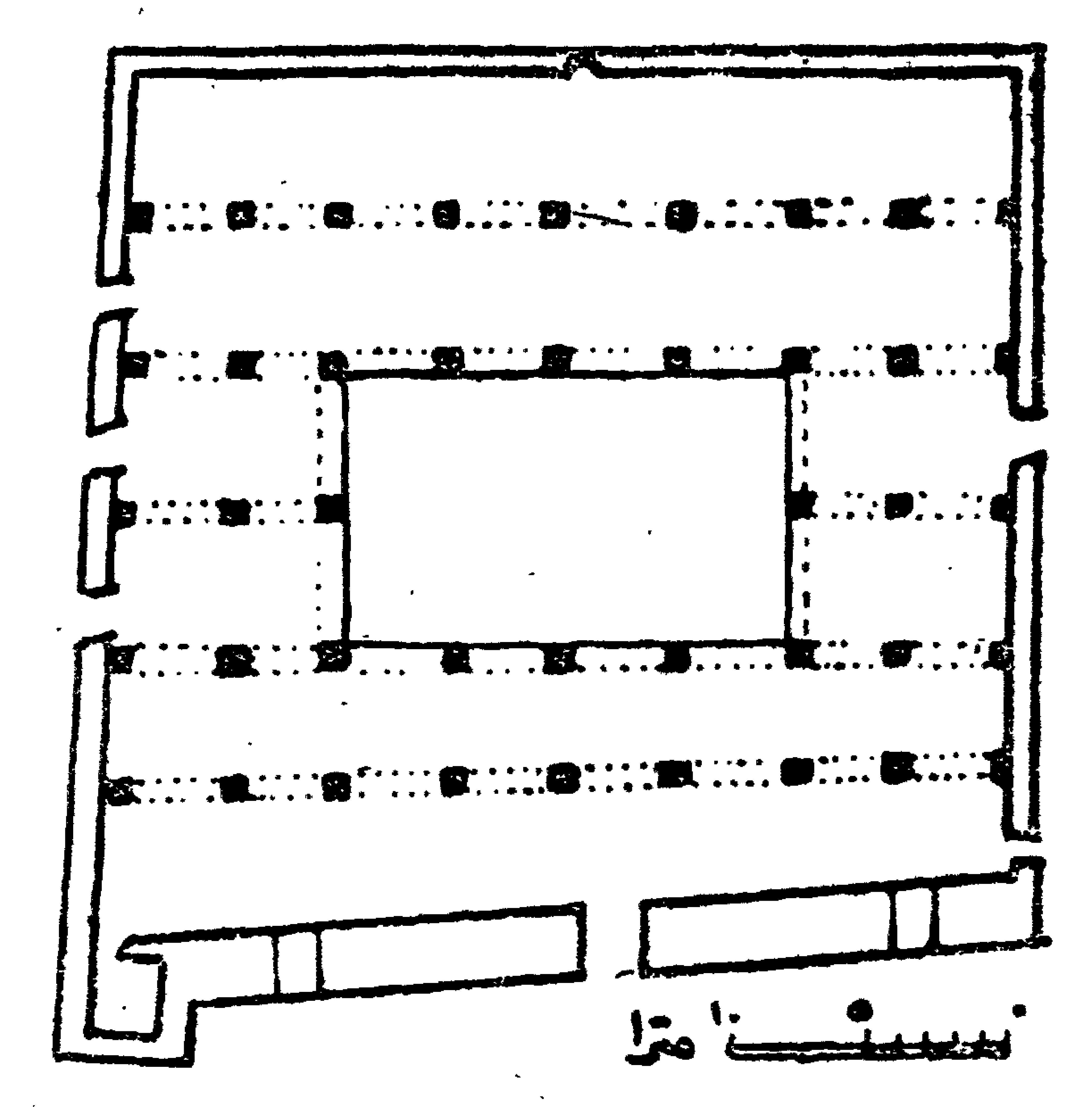
(شكل ٢٧) حمام قصير عمرة عن د. فريد شافعي



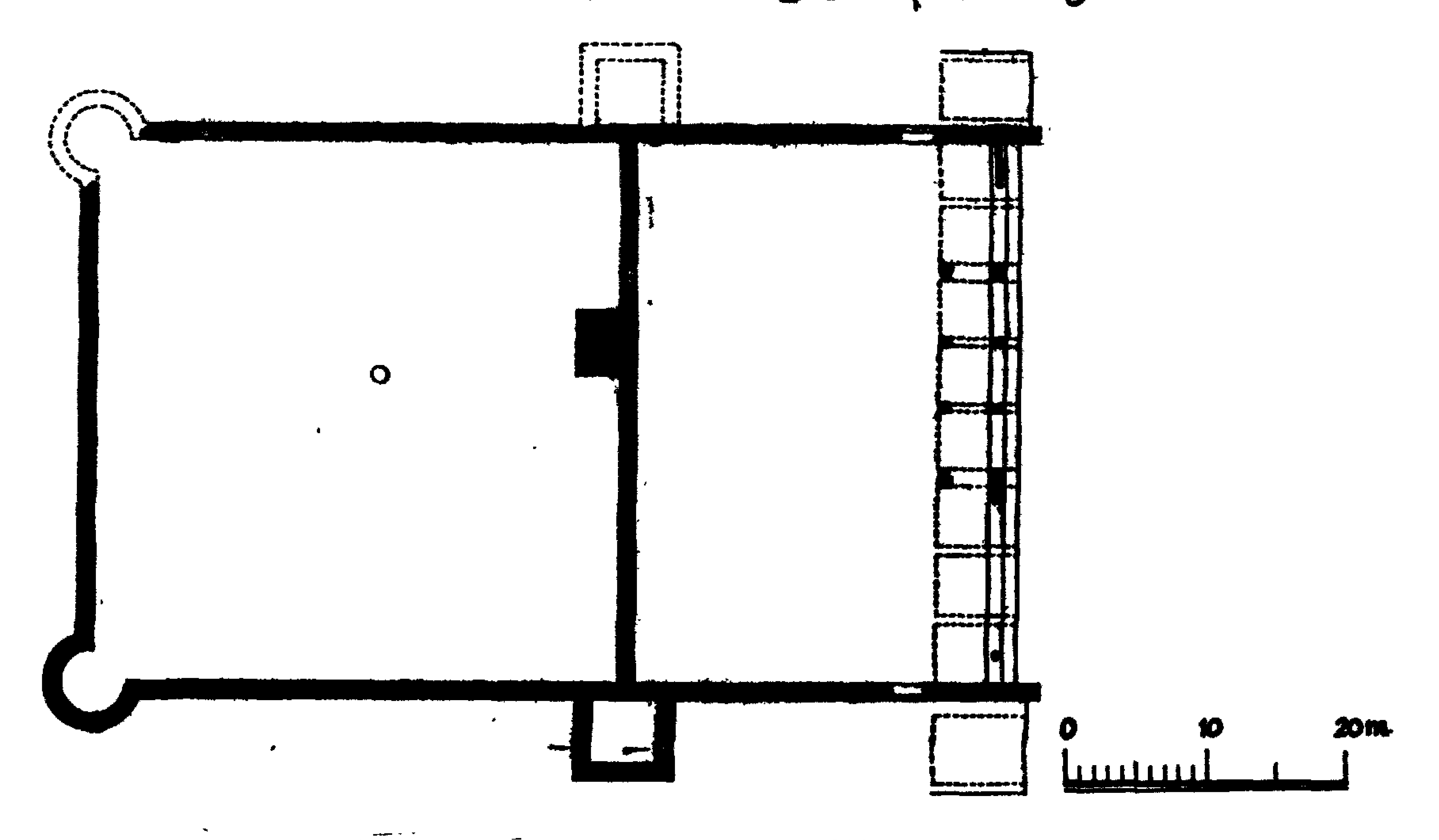
(شكل ٢٨) حمام قصير عمرة عن د. فريد شافعي



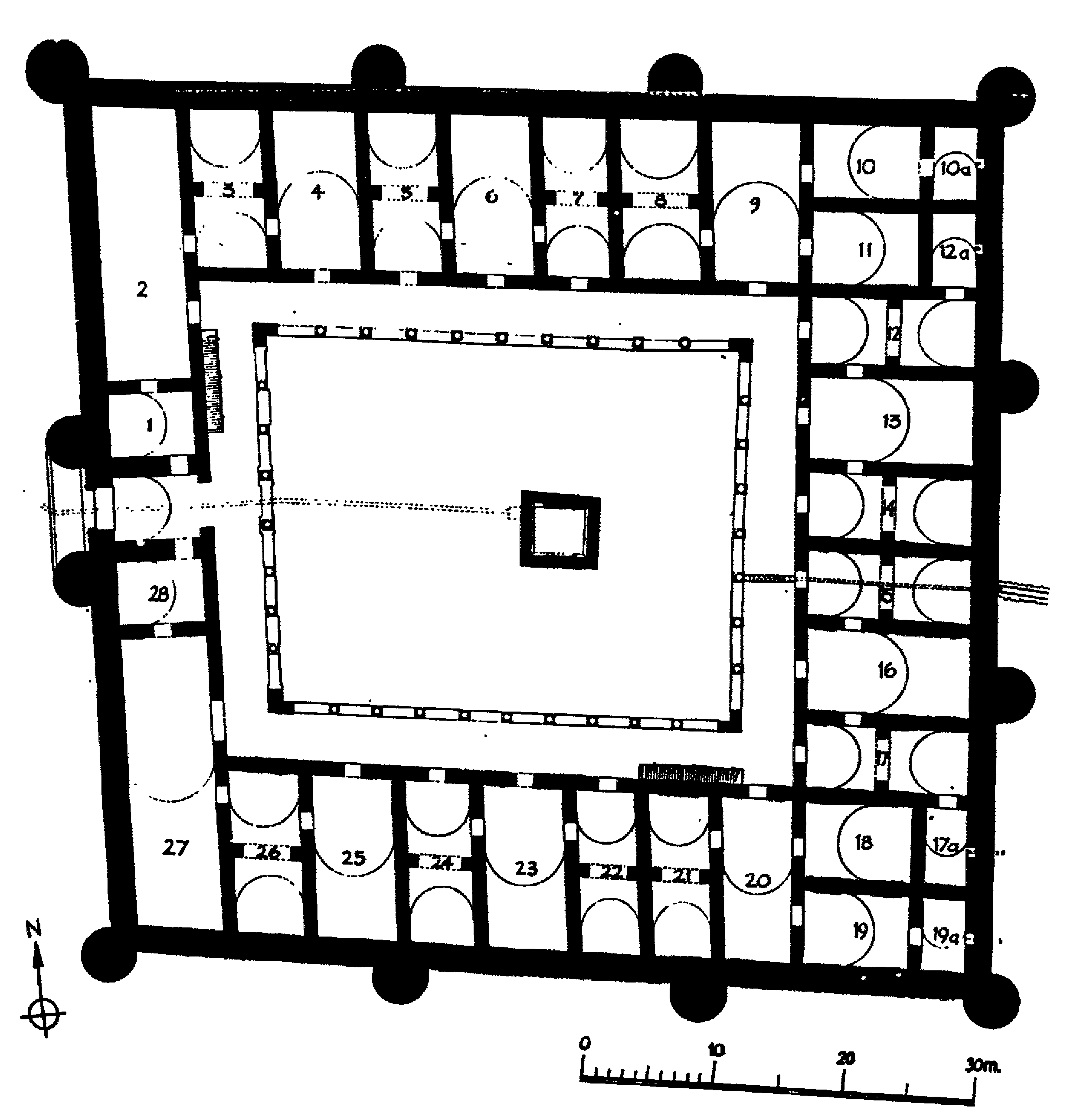
(شكل ٢٩) المسجد الجامع بحلب عن محمد كامل فارس



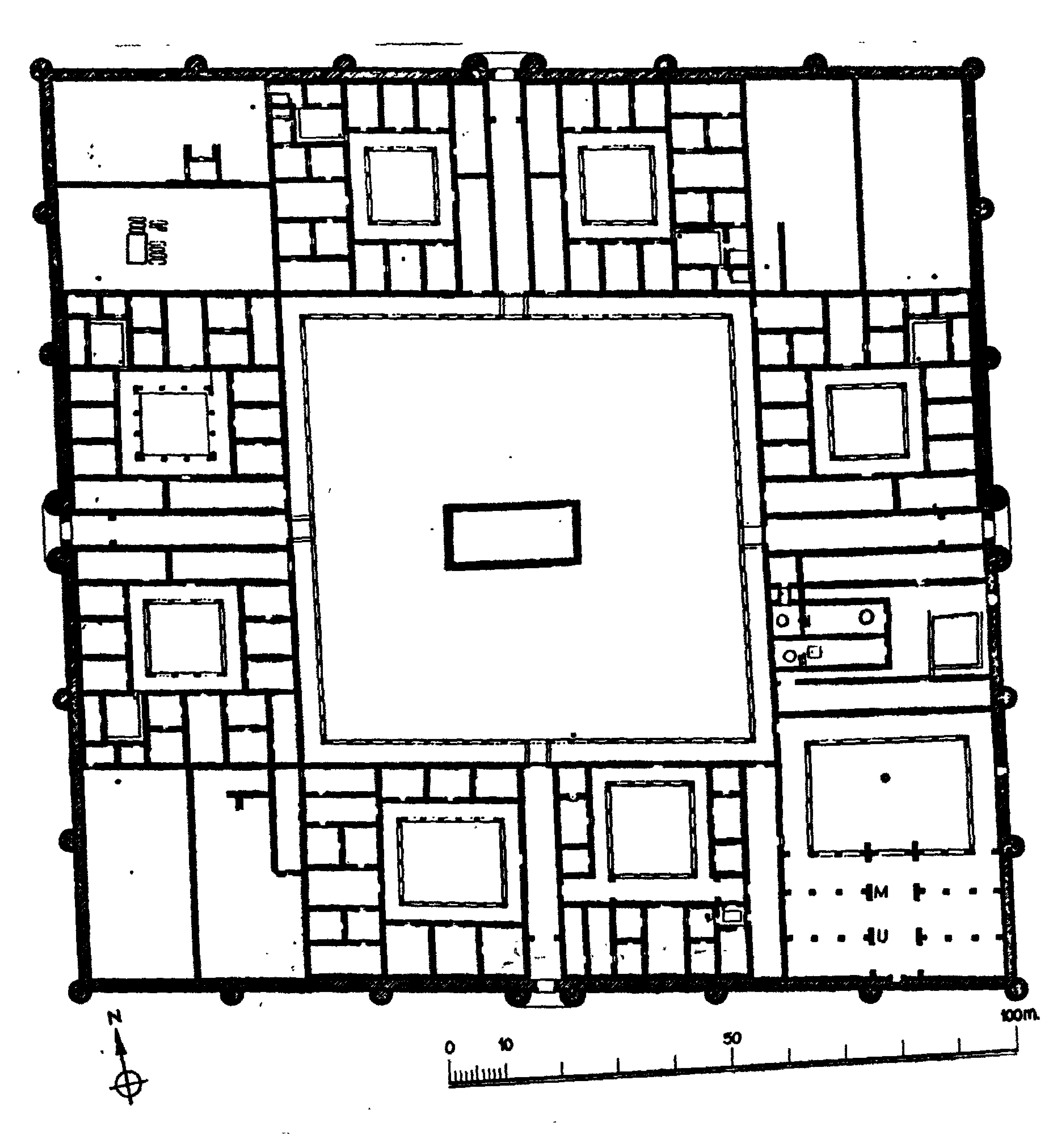
(شكل ٣٠) رسم تخطيطى لمسجد البصرى عن د. أحمد فكرى



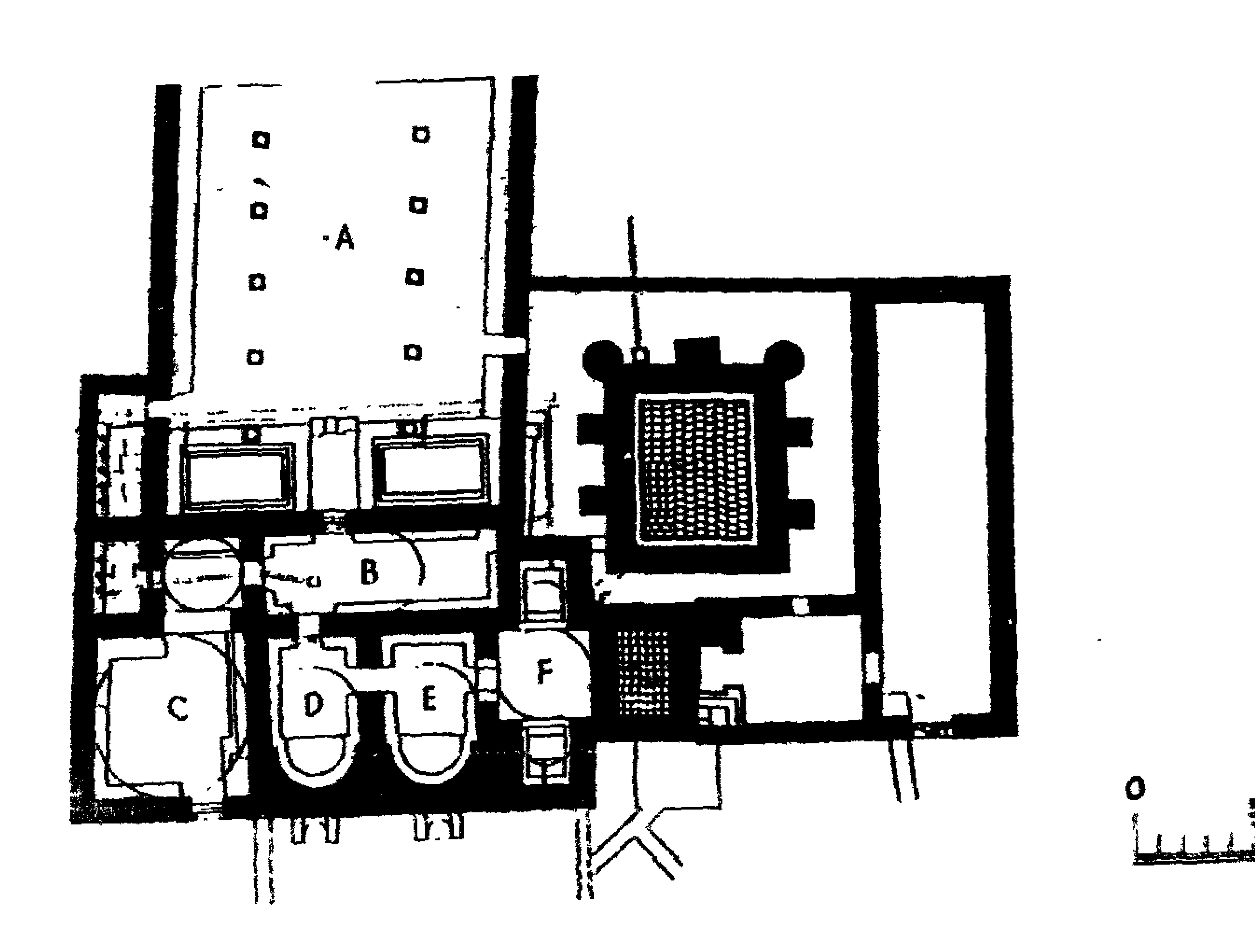
(شكل ٣١) مخطط قصر الموقر عن كريزويل



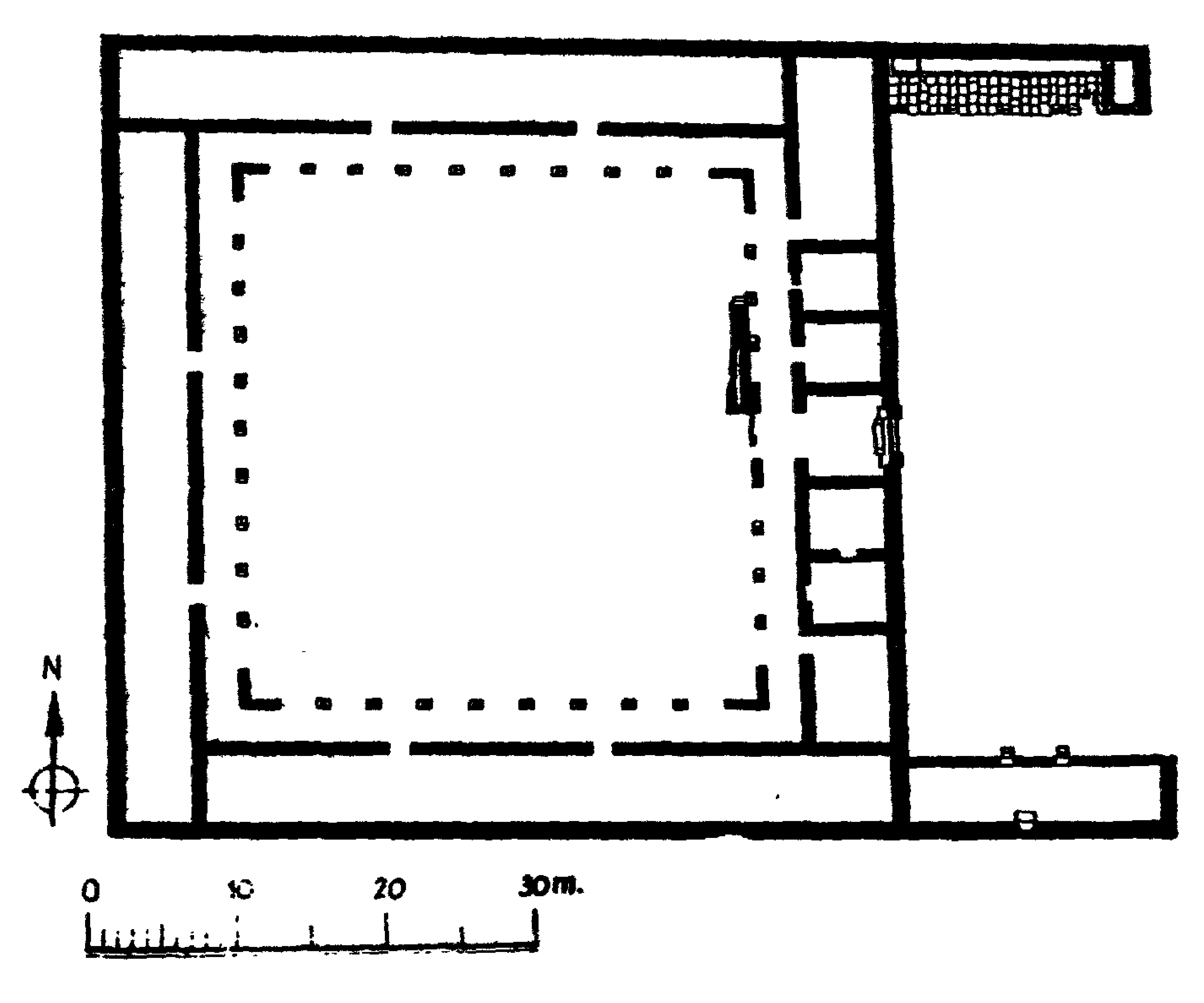
(شكل ٣٢) مخطط قصر الحير الشرقى عن كريزويل .



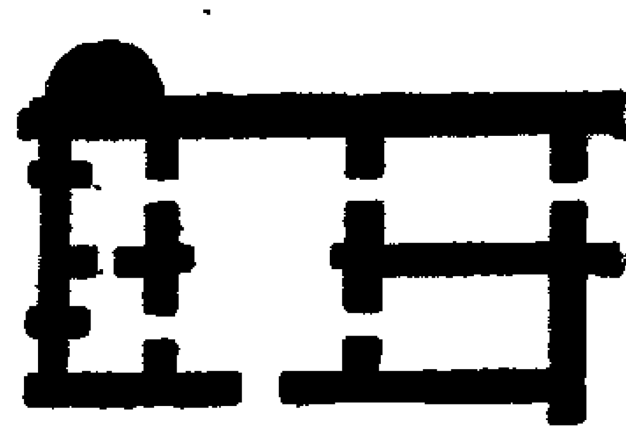
(شكل ٣٣) مخطط قصر الحير الشرقى (إعادة بناء للفناء الأكبر) عن كريزويل



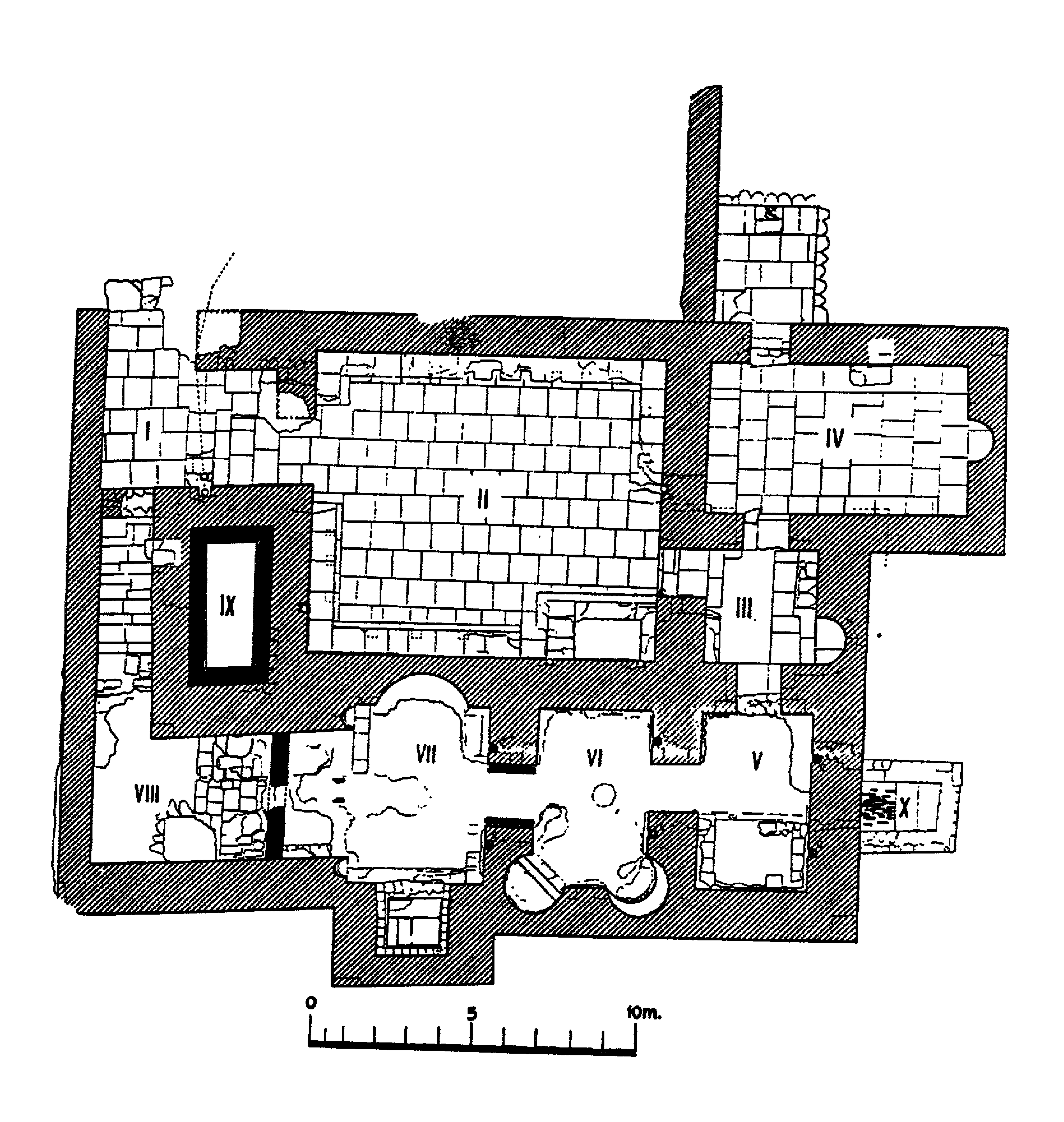
(شكل ٣٤) مخطط حمام قصر الحير الشرقى عن كريزويل



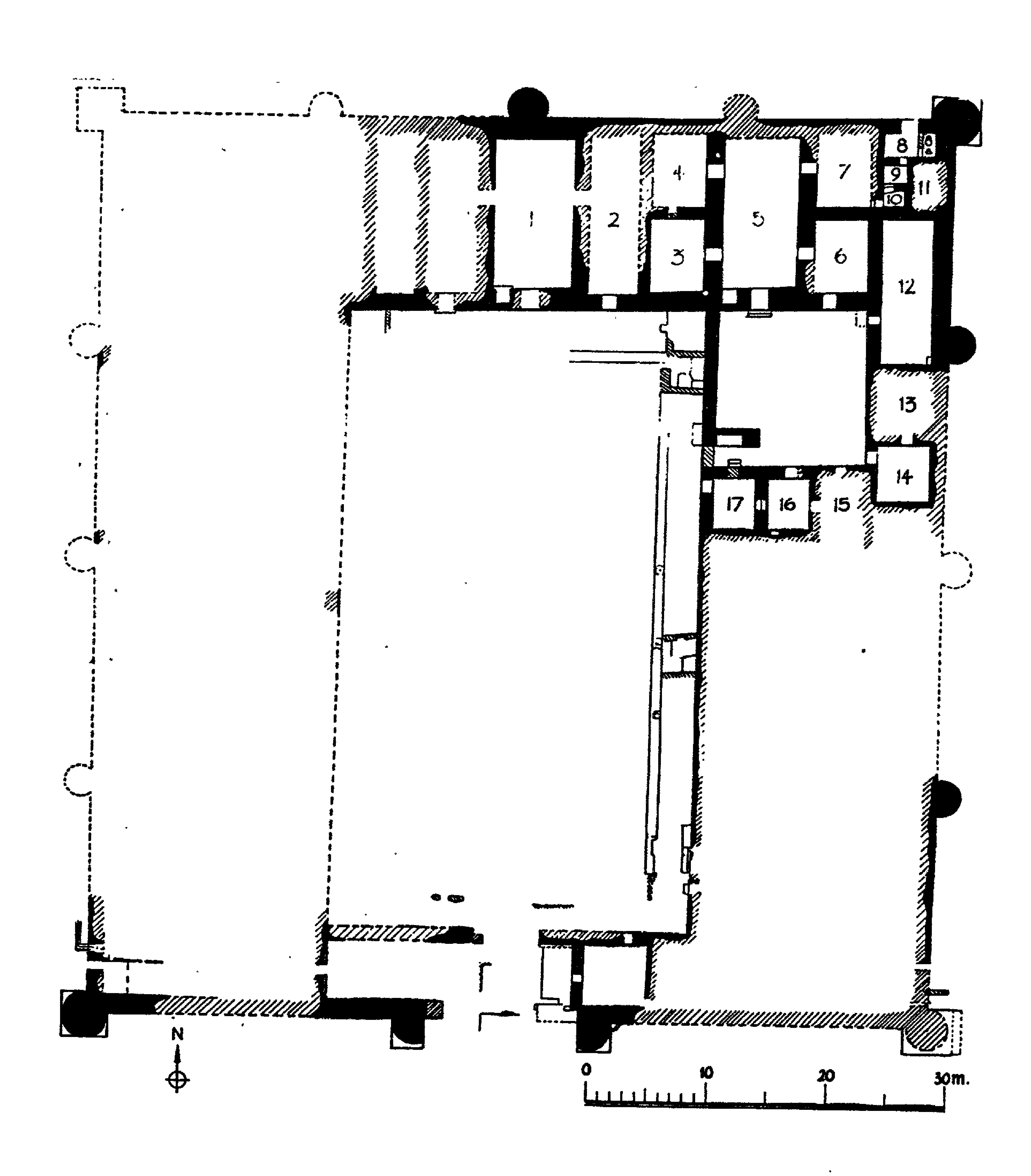
(شكل ٣٥) قصر الحير الغربى (الخان) عن كريزويل



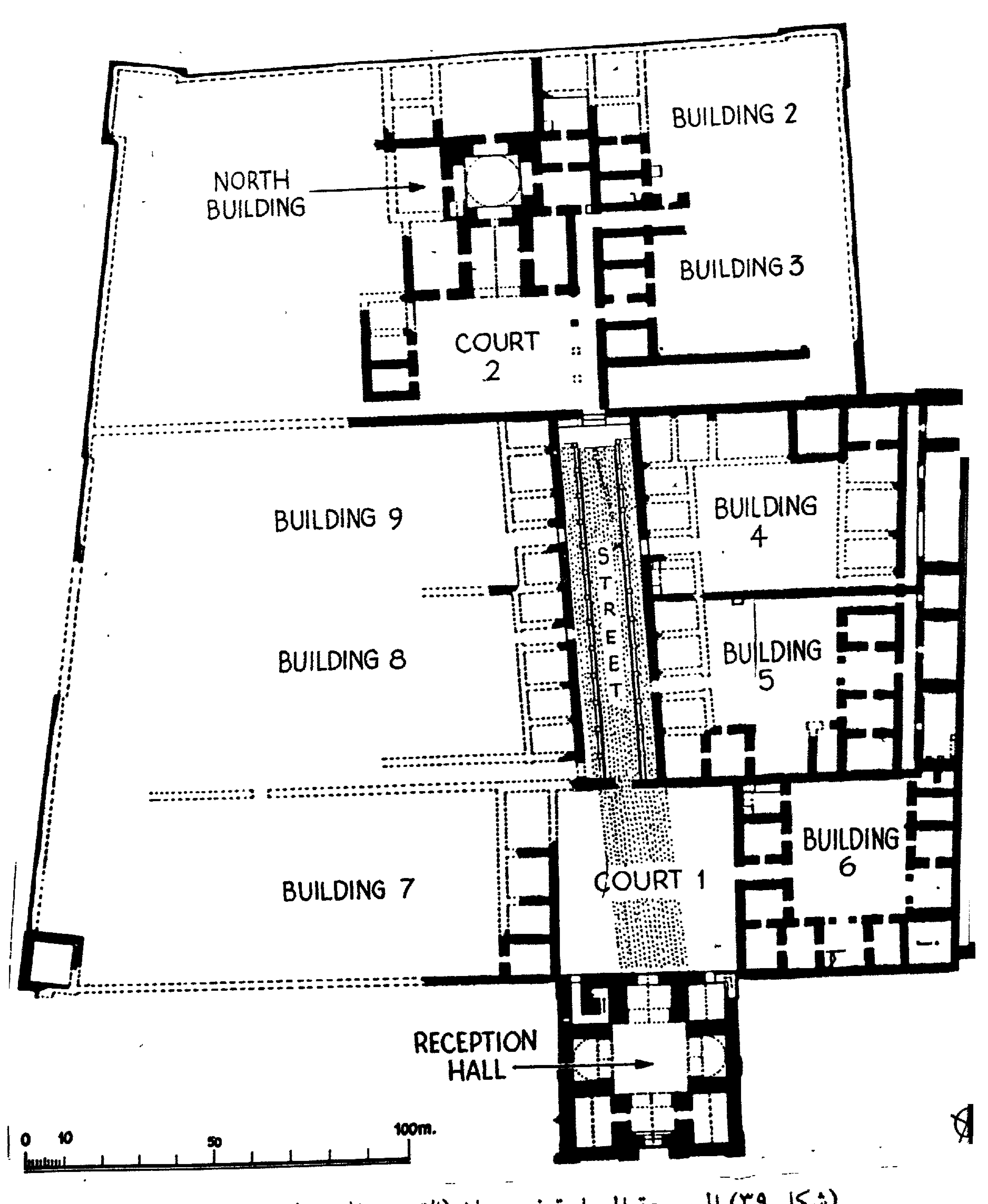
(شكل ٣٦) قصر الحير الغربى (القصر) عن كريزويل



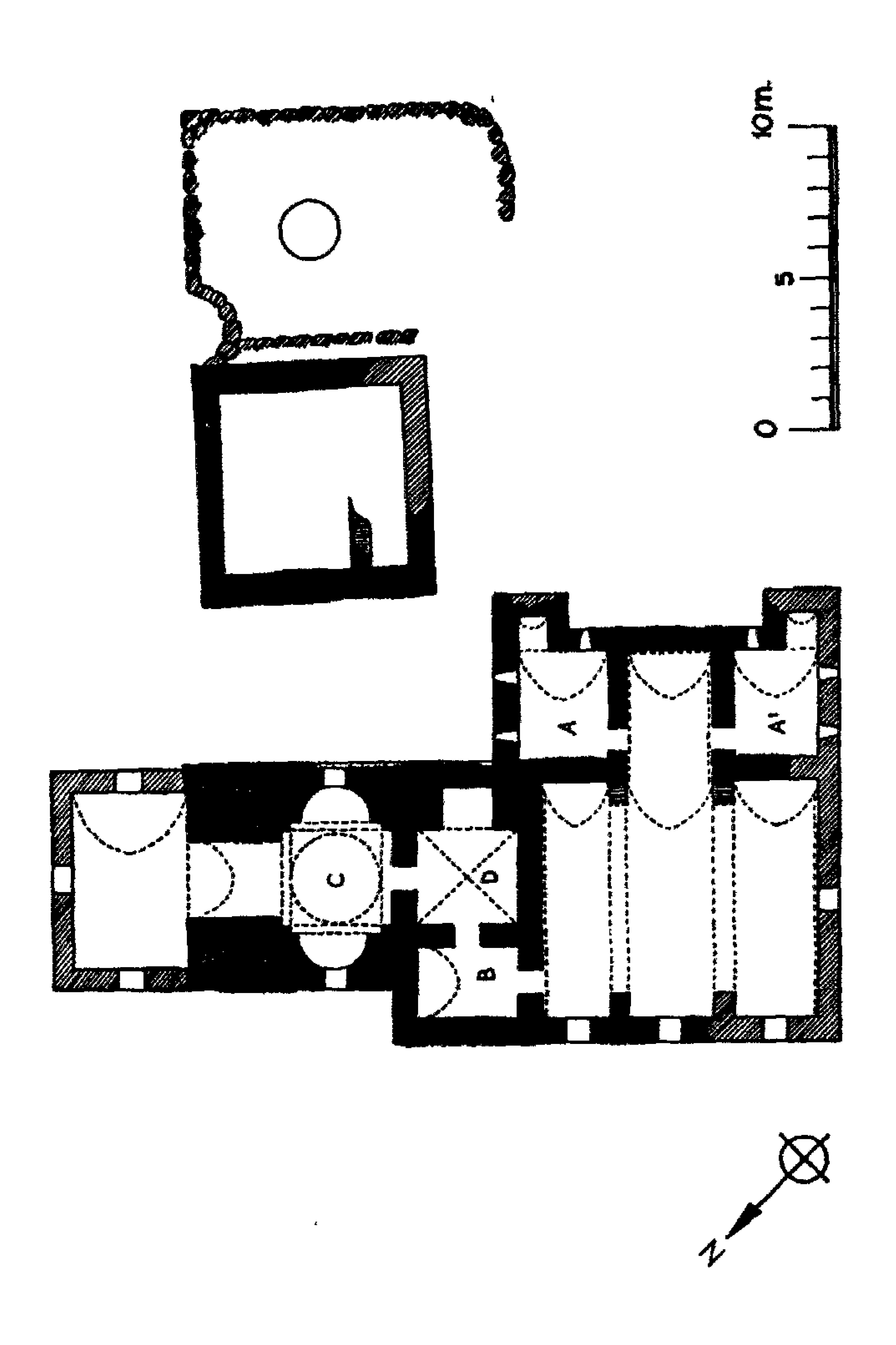
(شكل ٣٧) قصر الحير الغربي (الحمام) عن كريزويل



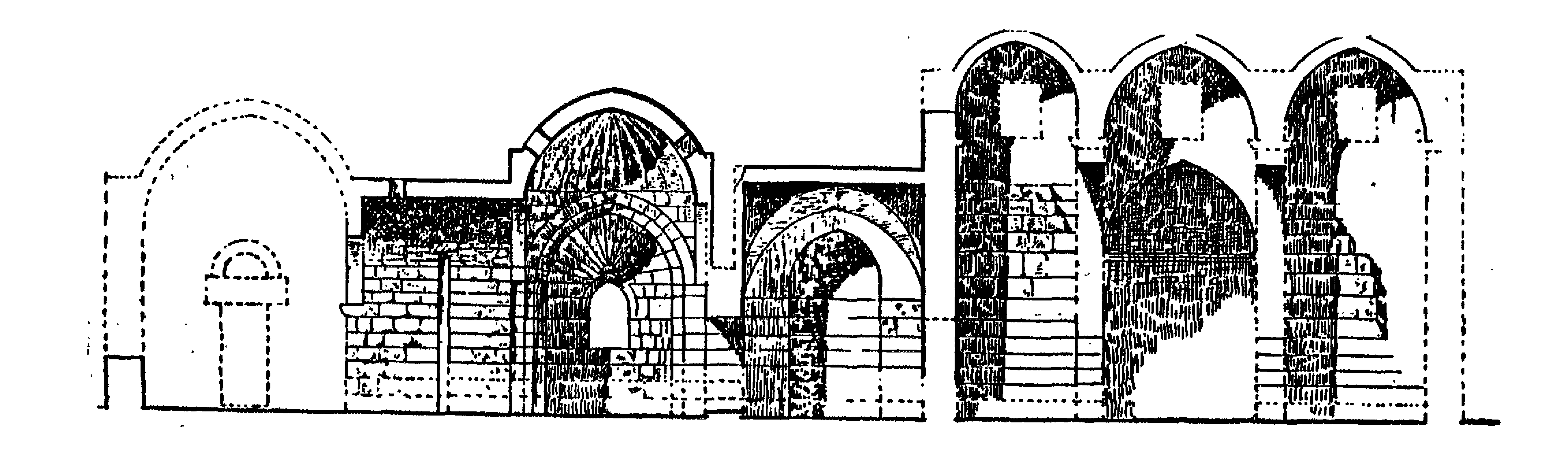
(شكل ٣٨) الرصافة (مخطط القصر) عن كريزويل



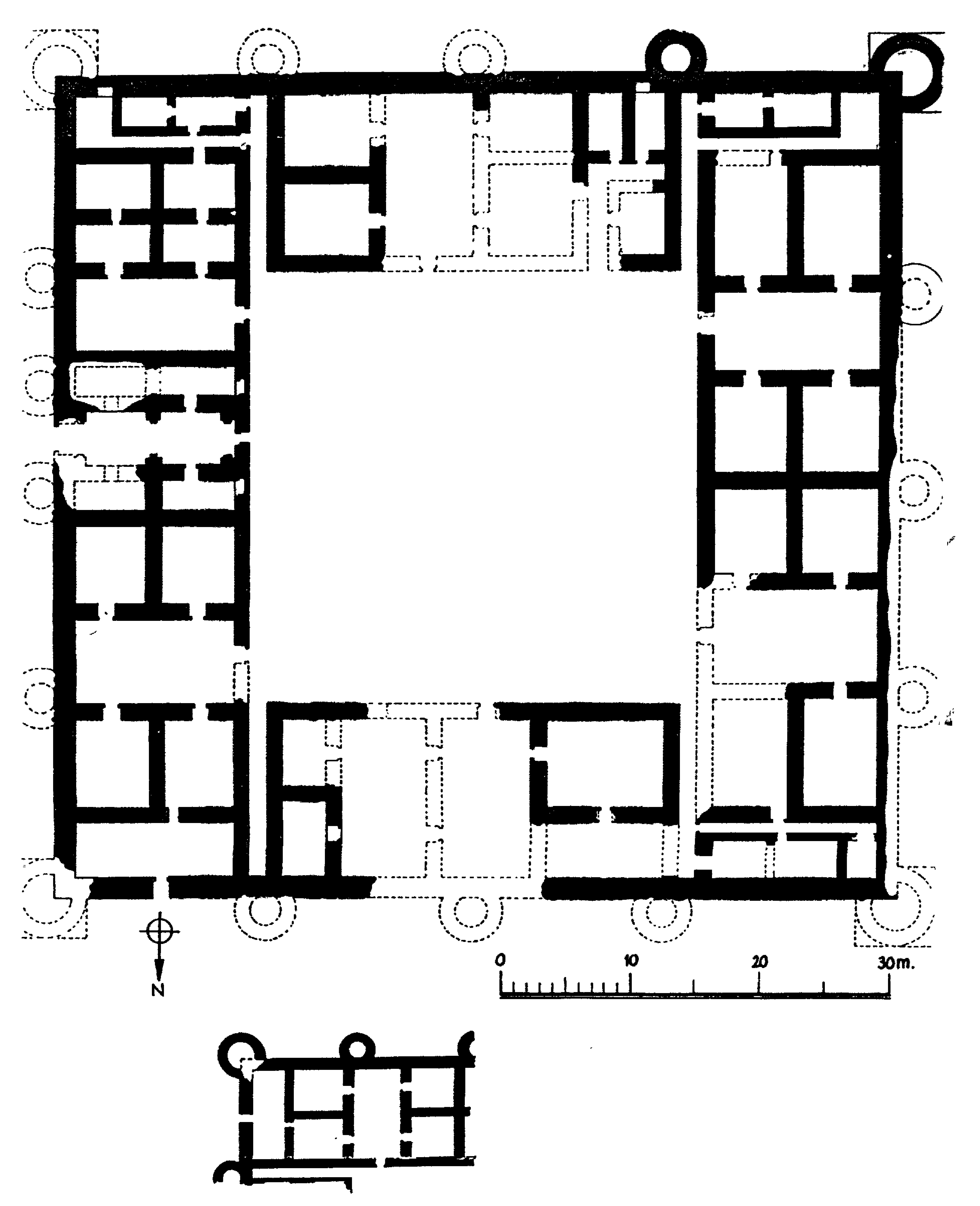
(شكل ٣٩) المجموعة المعمارية فى عمان (القصر والمسجد) عن كريزويل



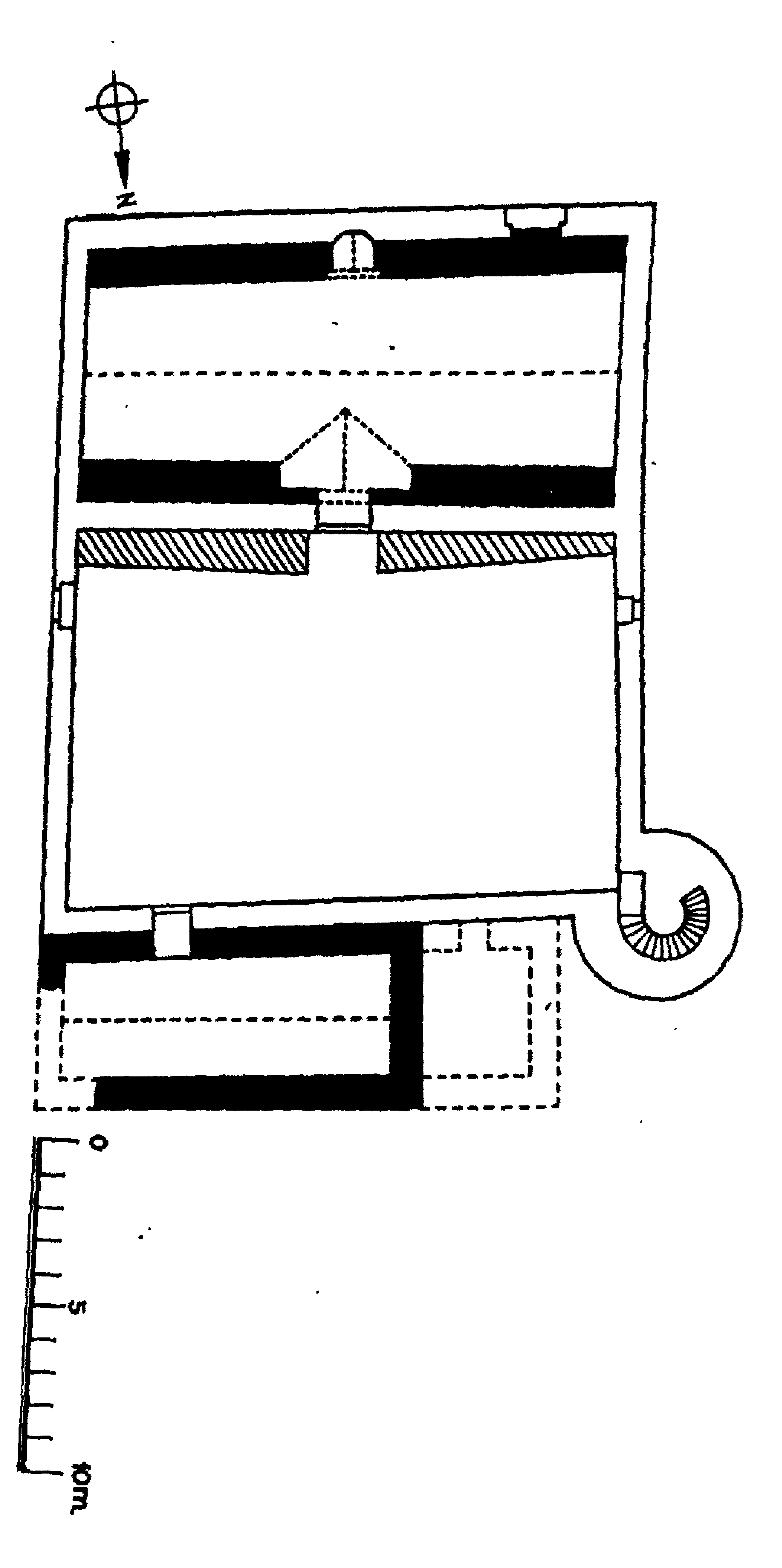
(شكل ٤٠) مخطط حمام الصرخ عن كريز[illegible]



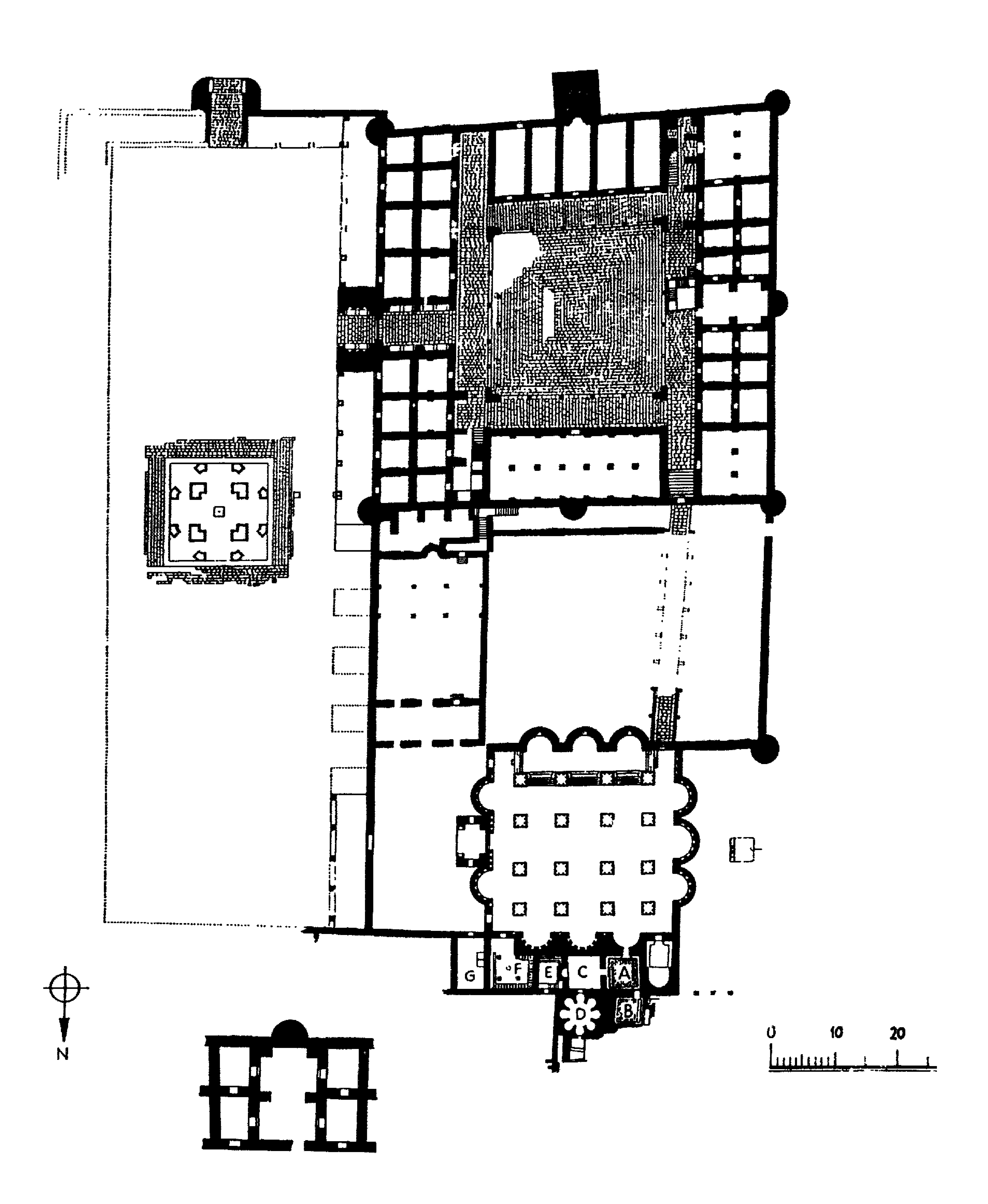
(شكل ٤١) حمام الصرخ عن د. فريد شافعي



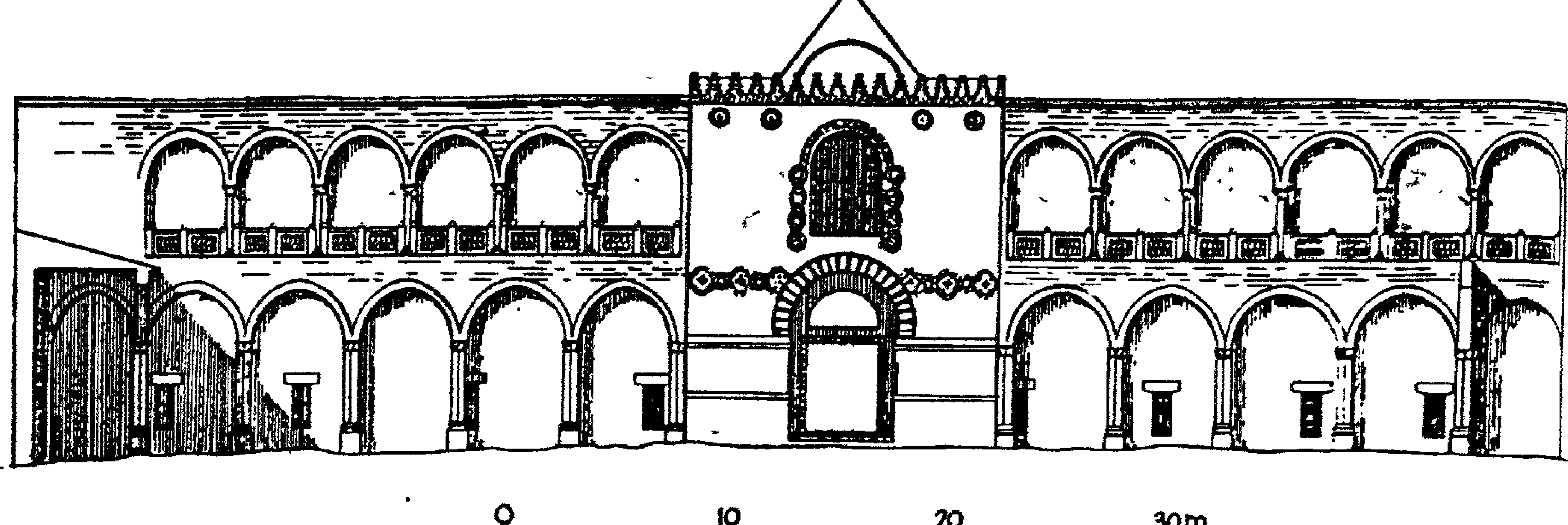
(شكل ٤٢) مخطط قصر القسطل عن كريزويل)



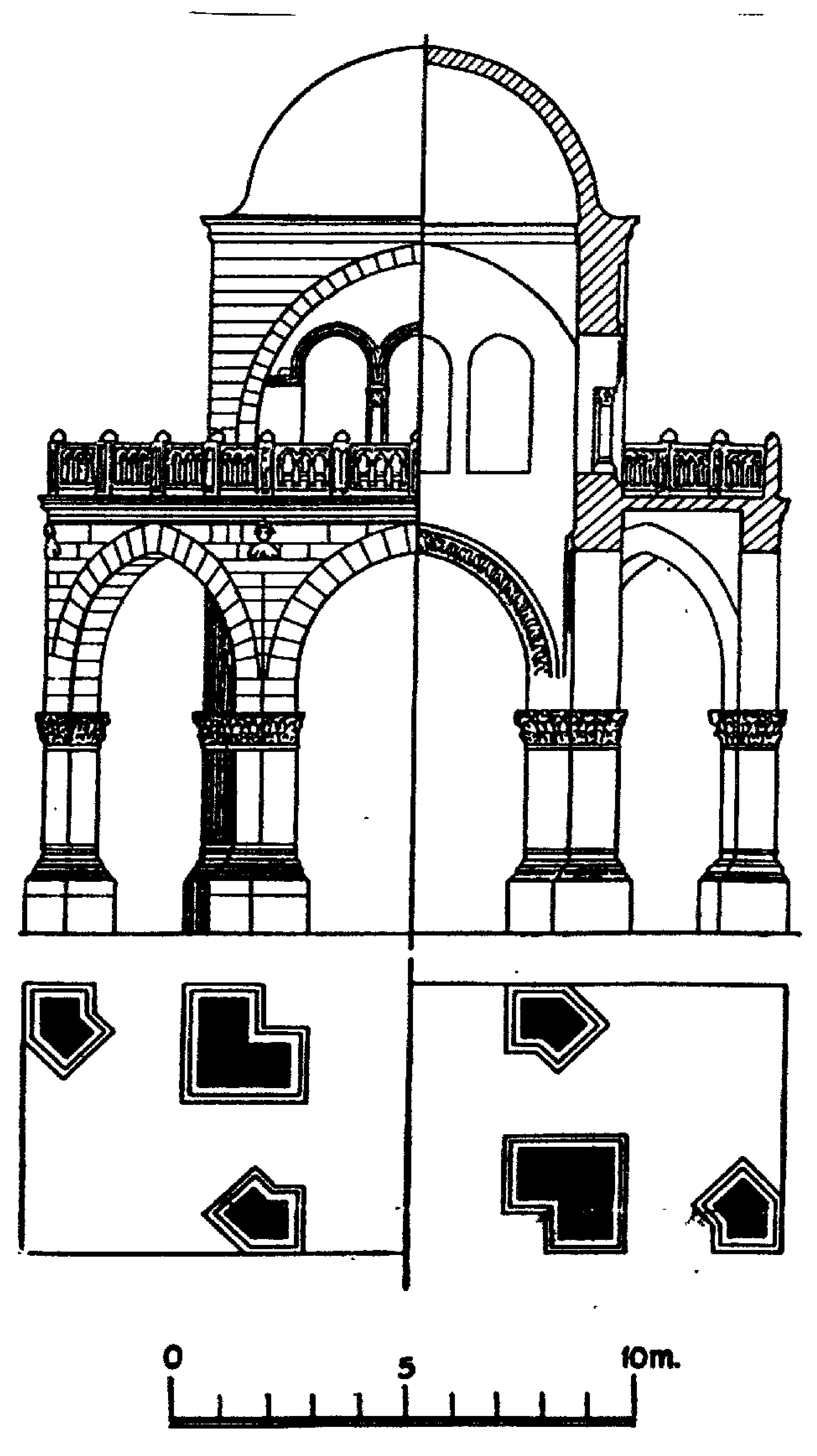
(شكل ٤٣) مخطط مسجد قصر القسطل عن كريزويل.



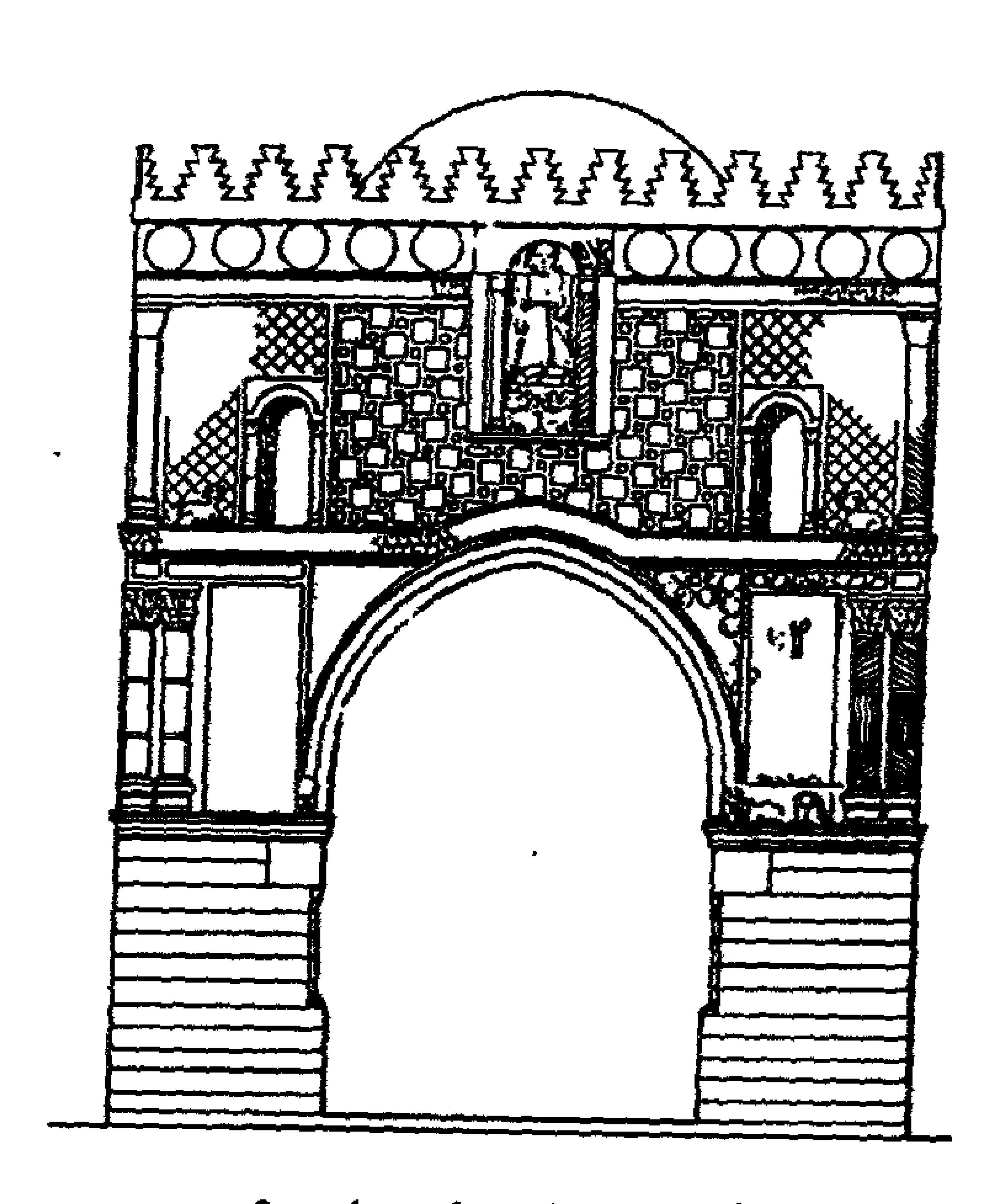
(شكل ٤٤) مخطط قصر خربة المفجر عن كريزويل



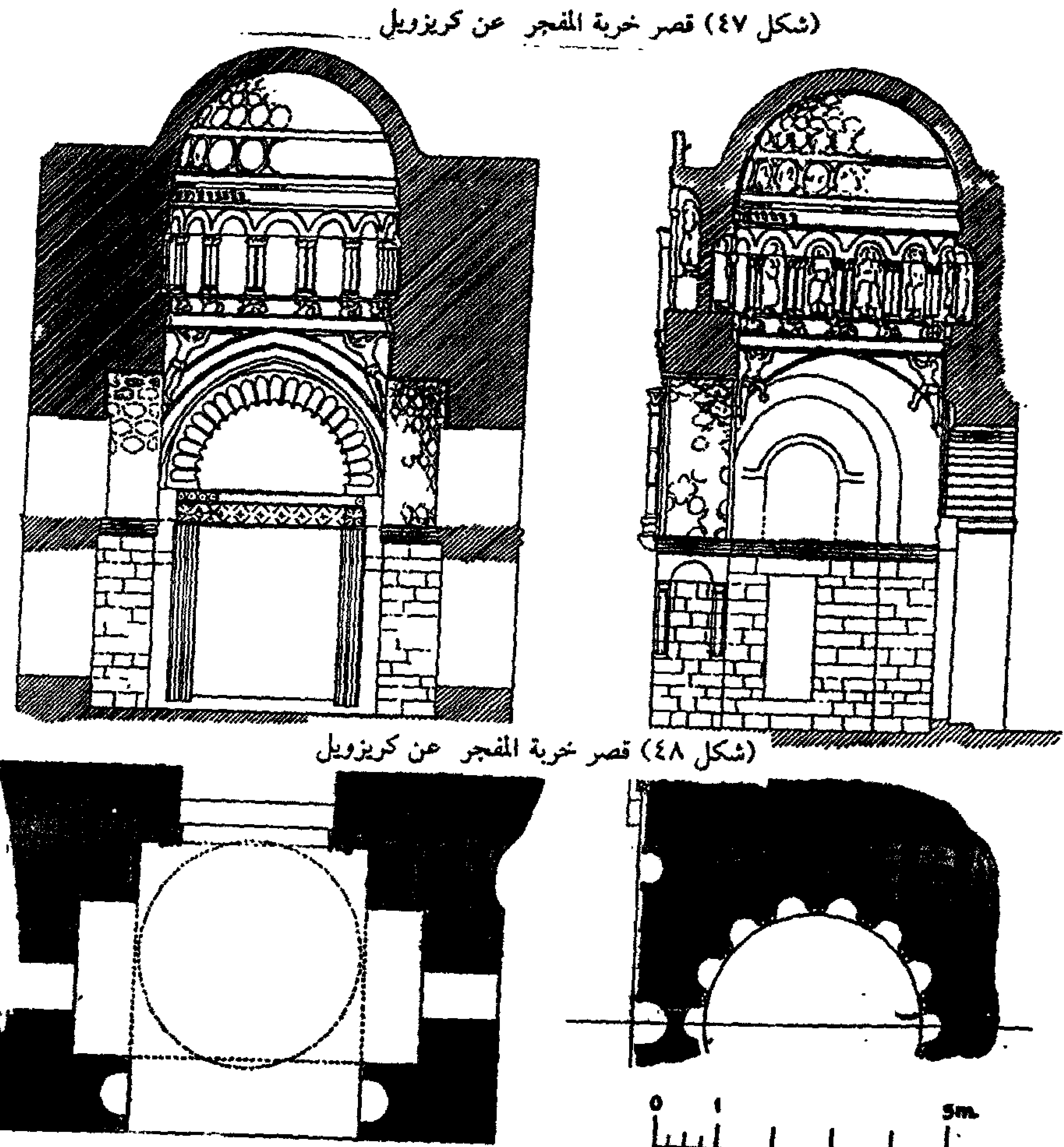
(شكل ٤٥) واجهة قصر خربة المفجر عن كريزويل



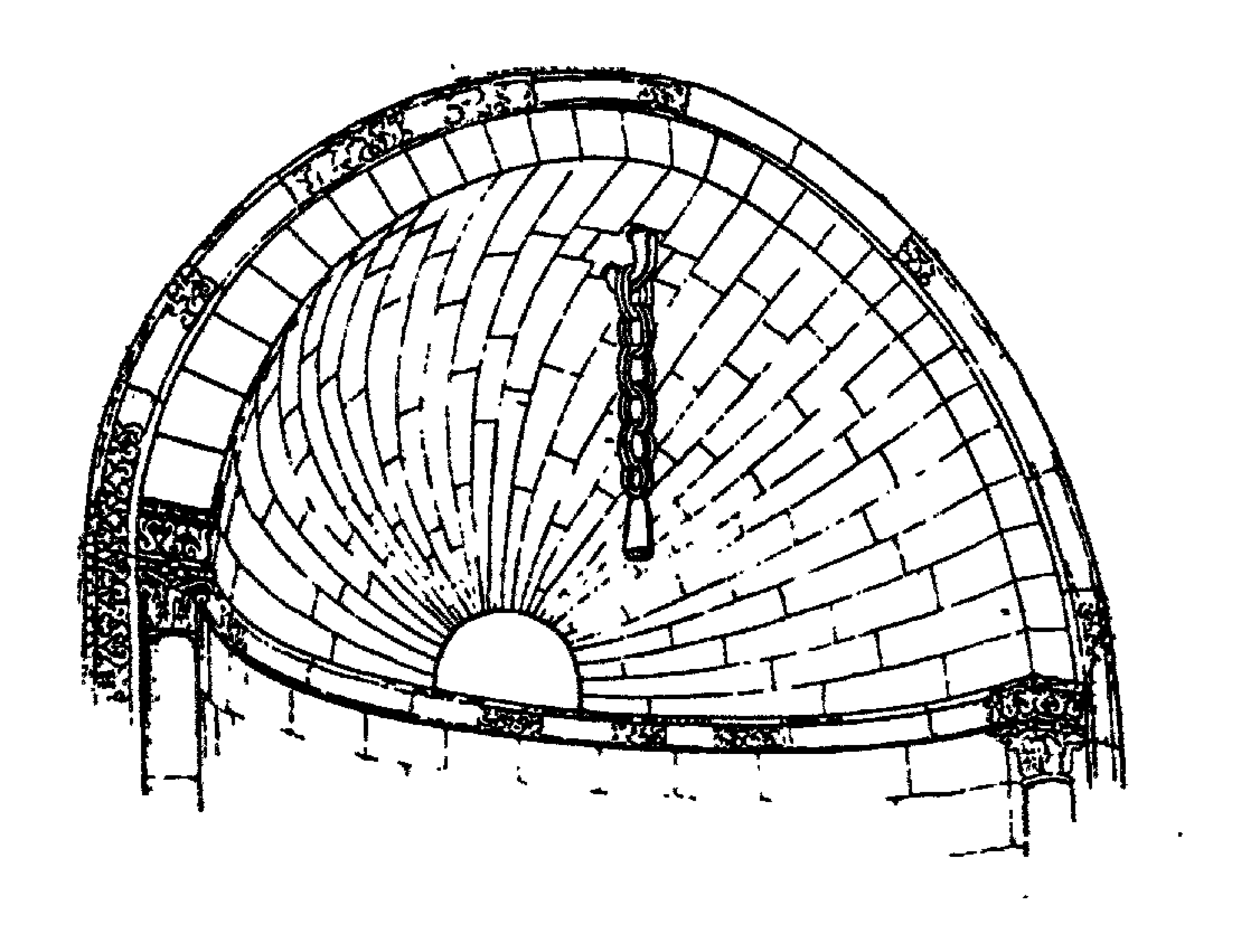
(شكل ٤٦) قصر خربة المفجر عن كريزويل



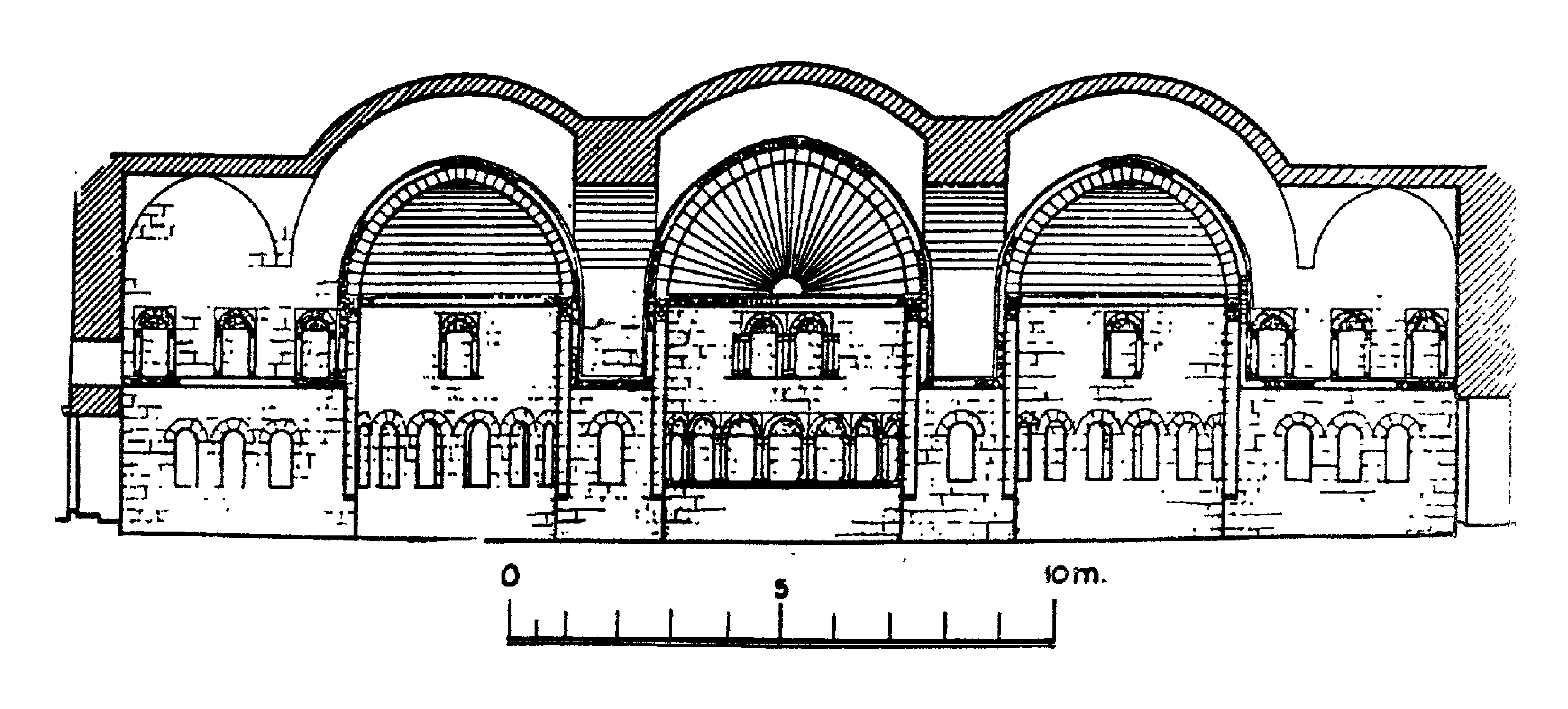
(شكل ٤٧) قصر خربة المفجر عن كريزويل



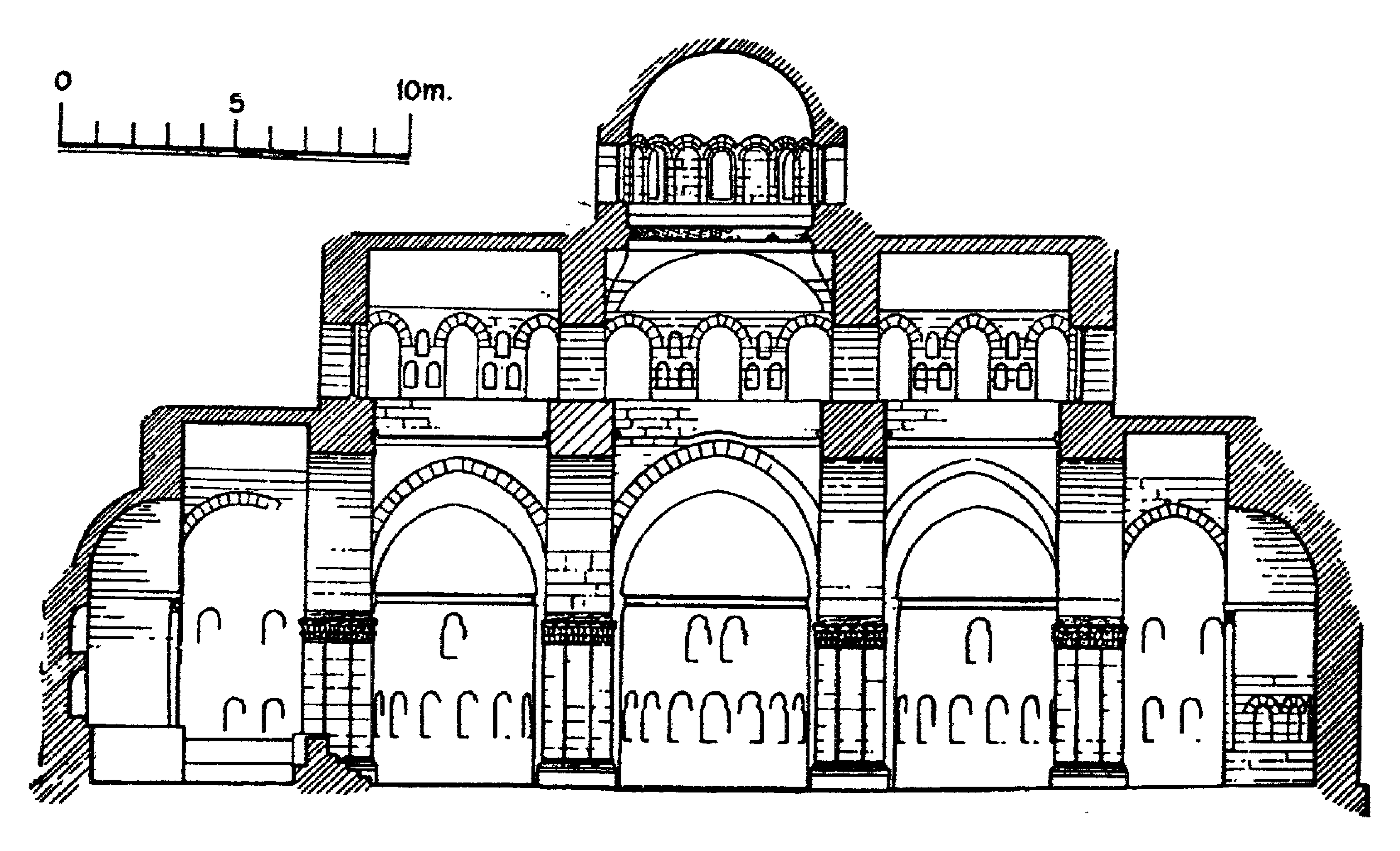
(شكل ٤٨) قصر خربة المفجر عن كريزويل



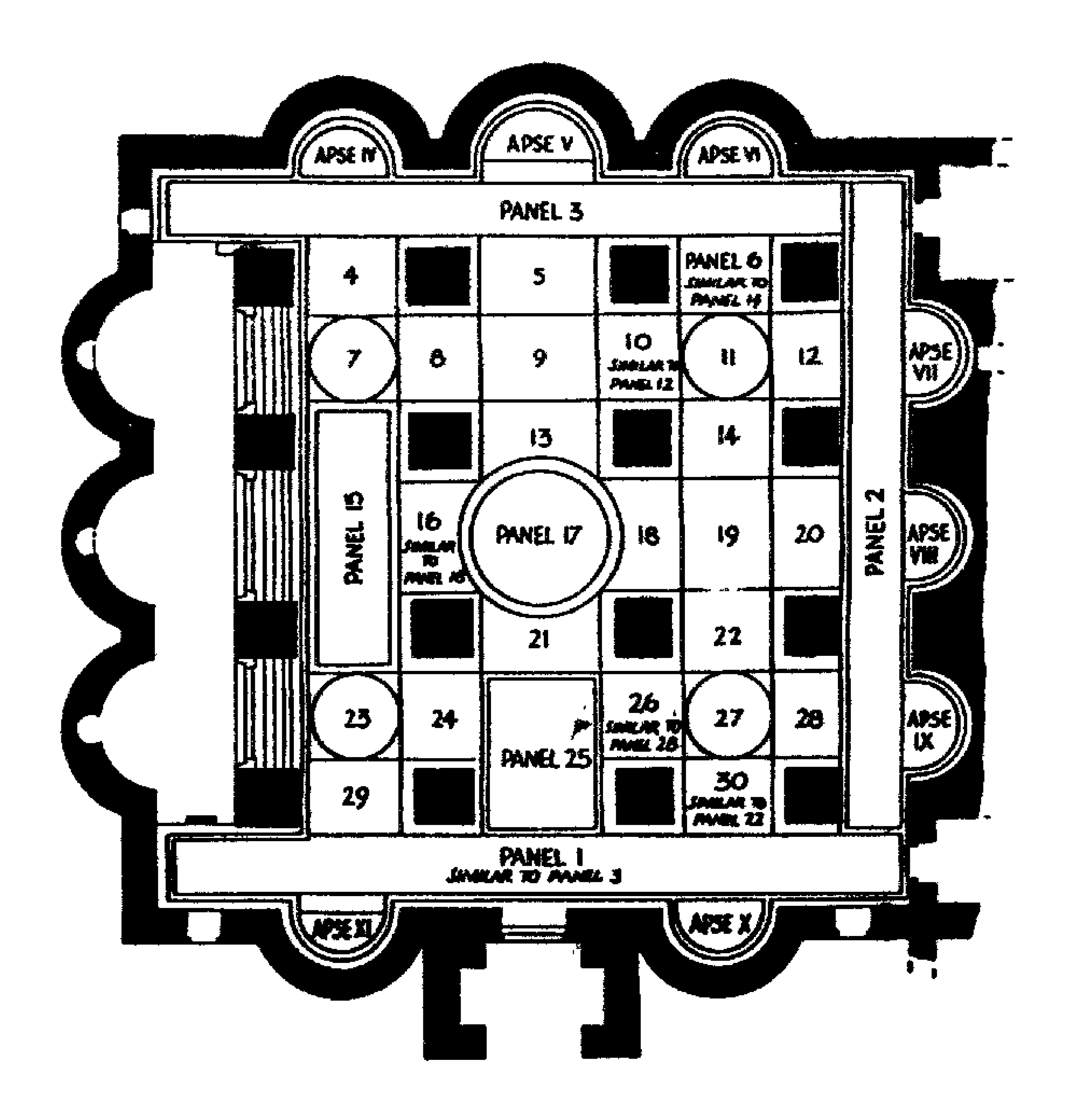
(شكل ٤٩) قصر خربة المفجر (الحمام) عن كريزويل



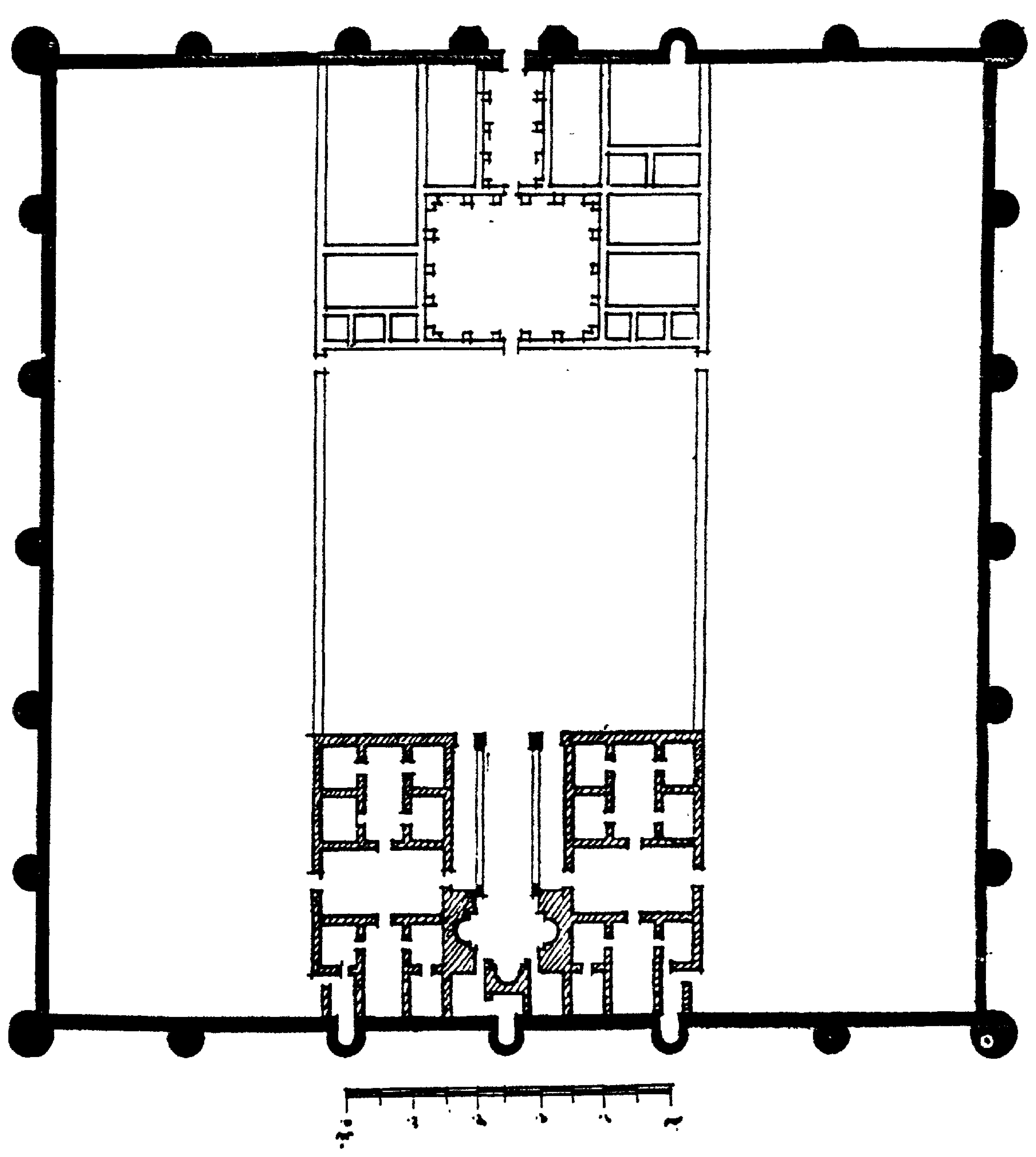
(شكل ٥٠) قصر خربة المفجر عن كريزويل



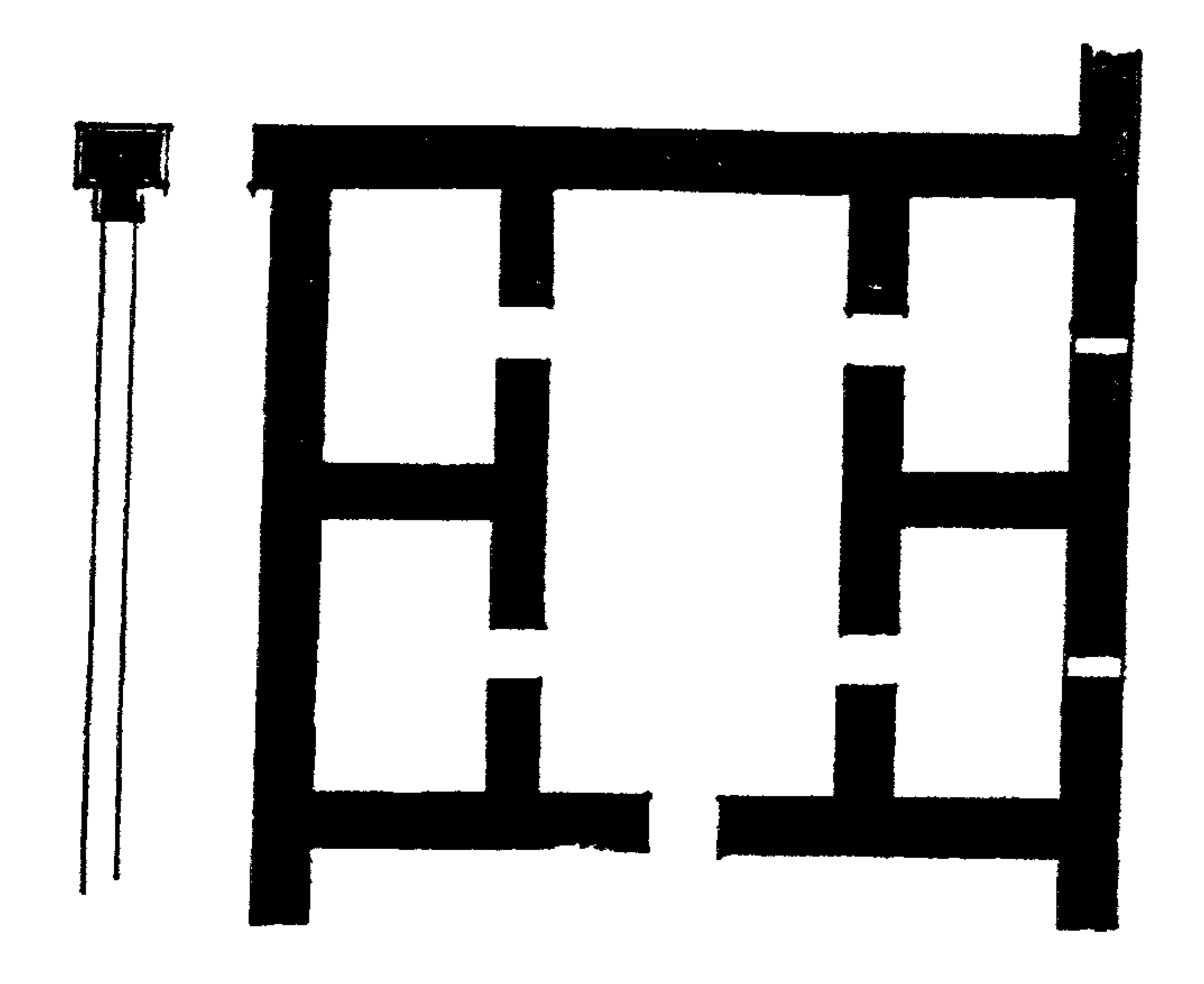
(شكل ٥١) قصر خربة المفجر عن كريزويل



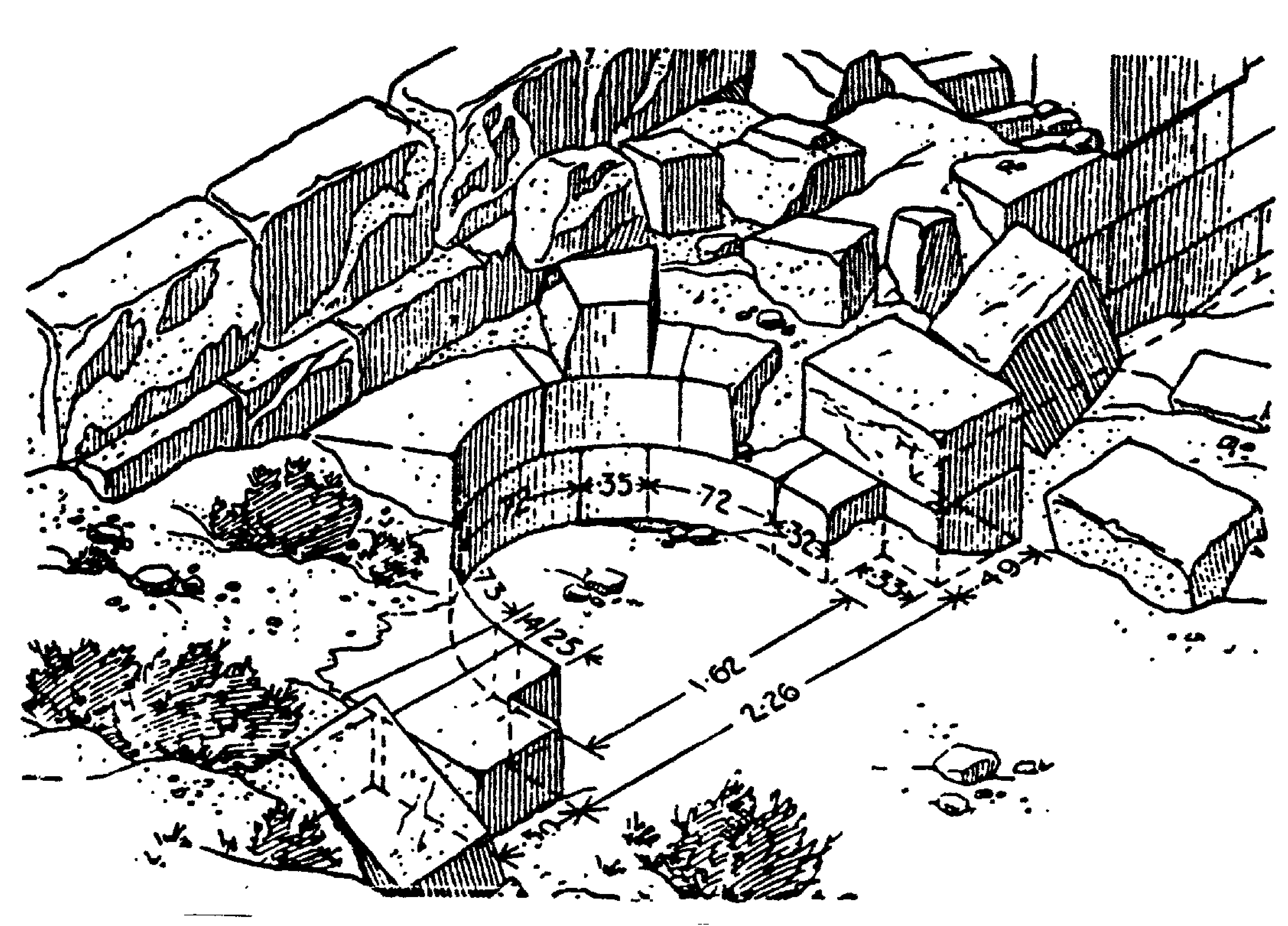
(شكل ٥٢) قصر خربة المفجر عن كريزويل



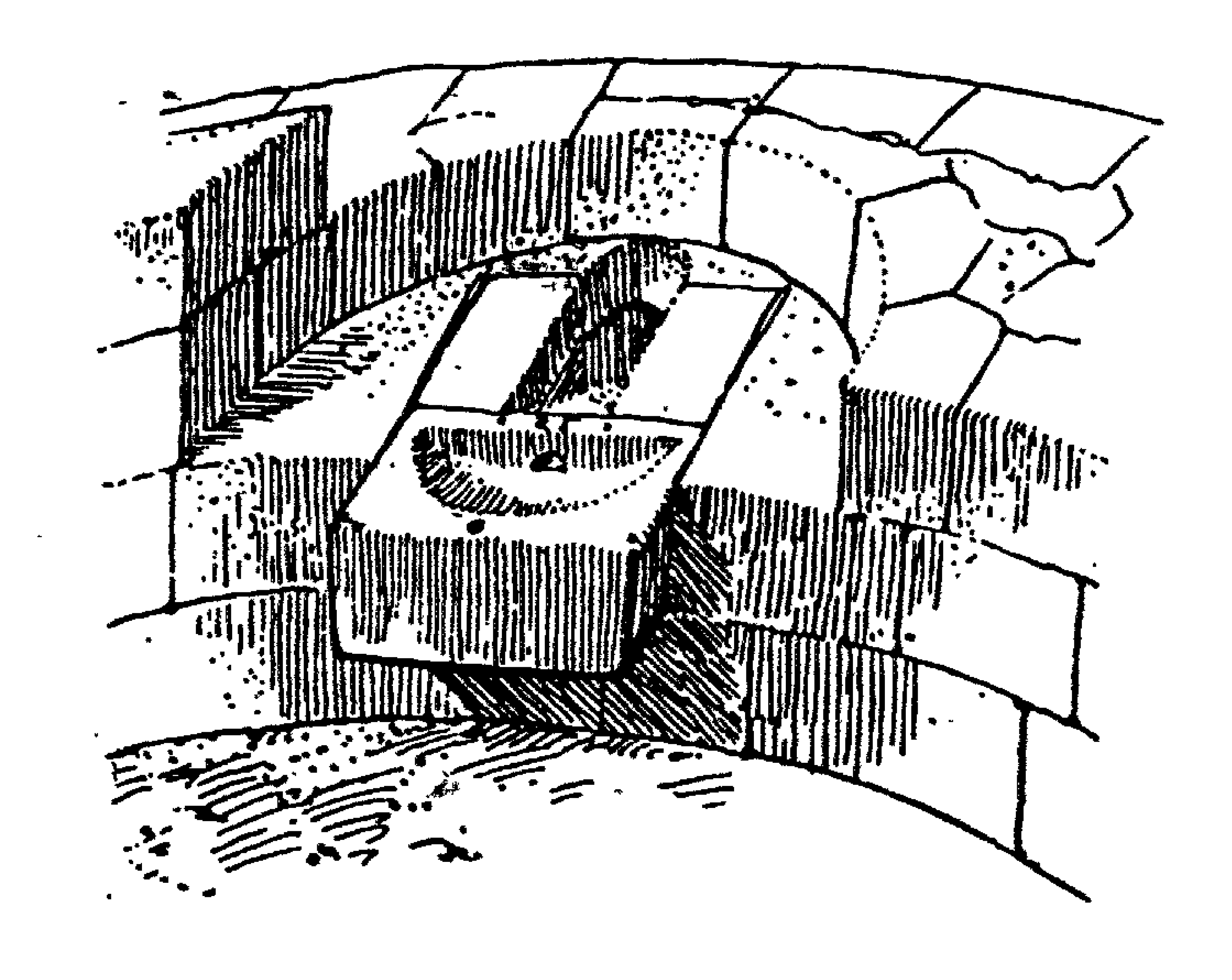
(شكل ٥٣) قصر المشتى عن د. فريد شافعى



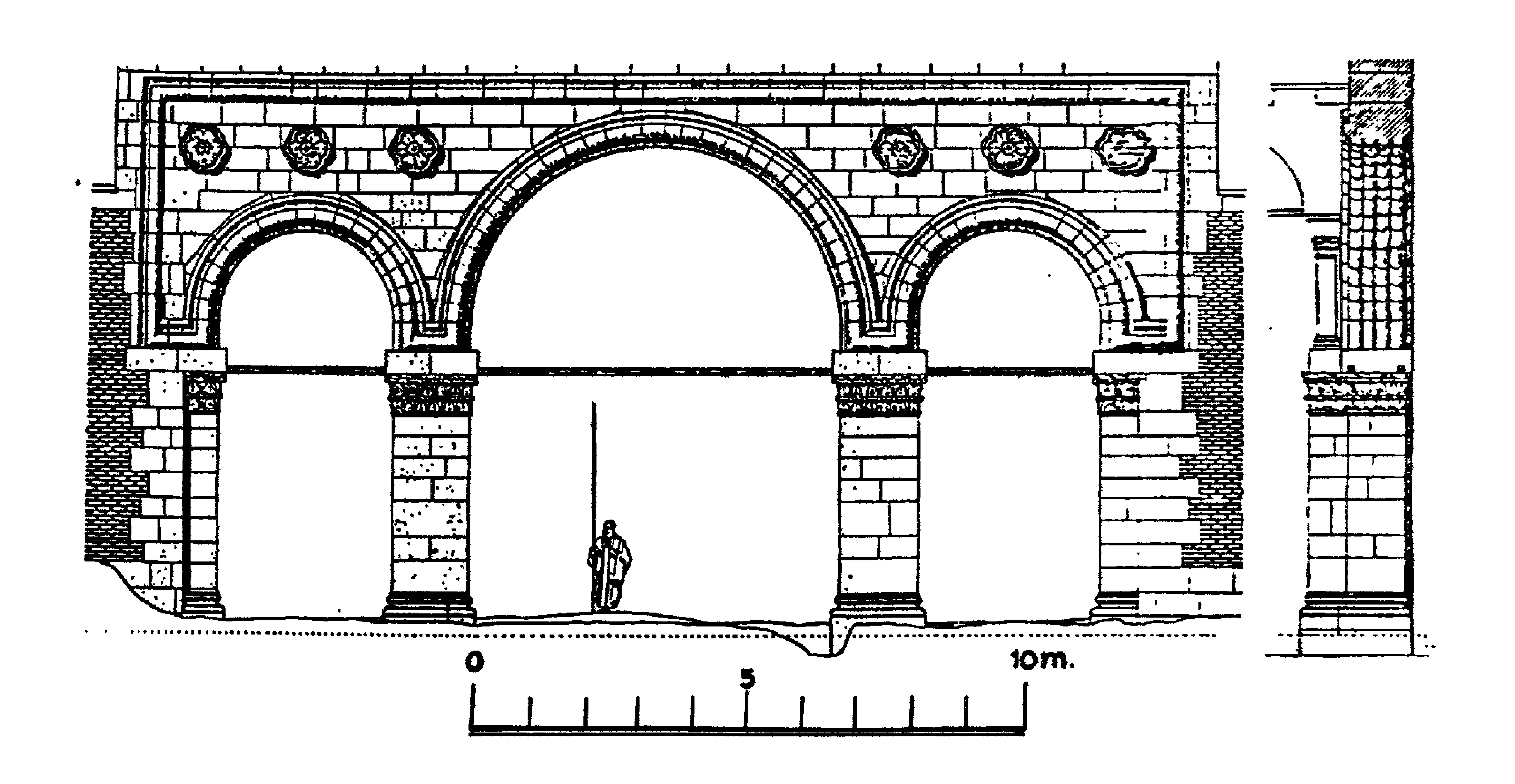
(شكل ٥٤) نموذج مسكن من قصر المشتى عن د. فريد شافعى



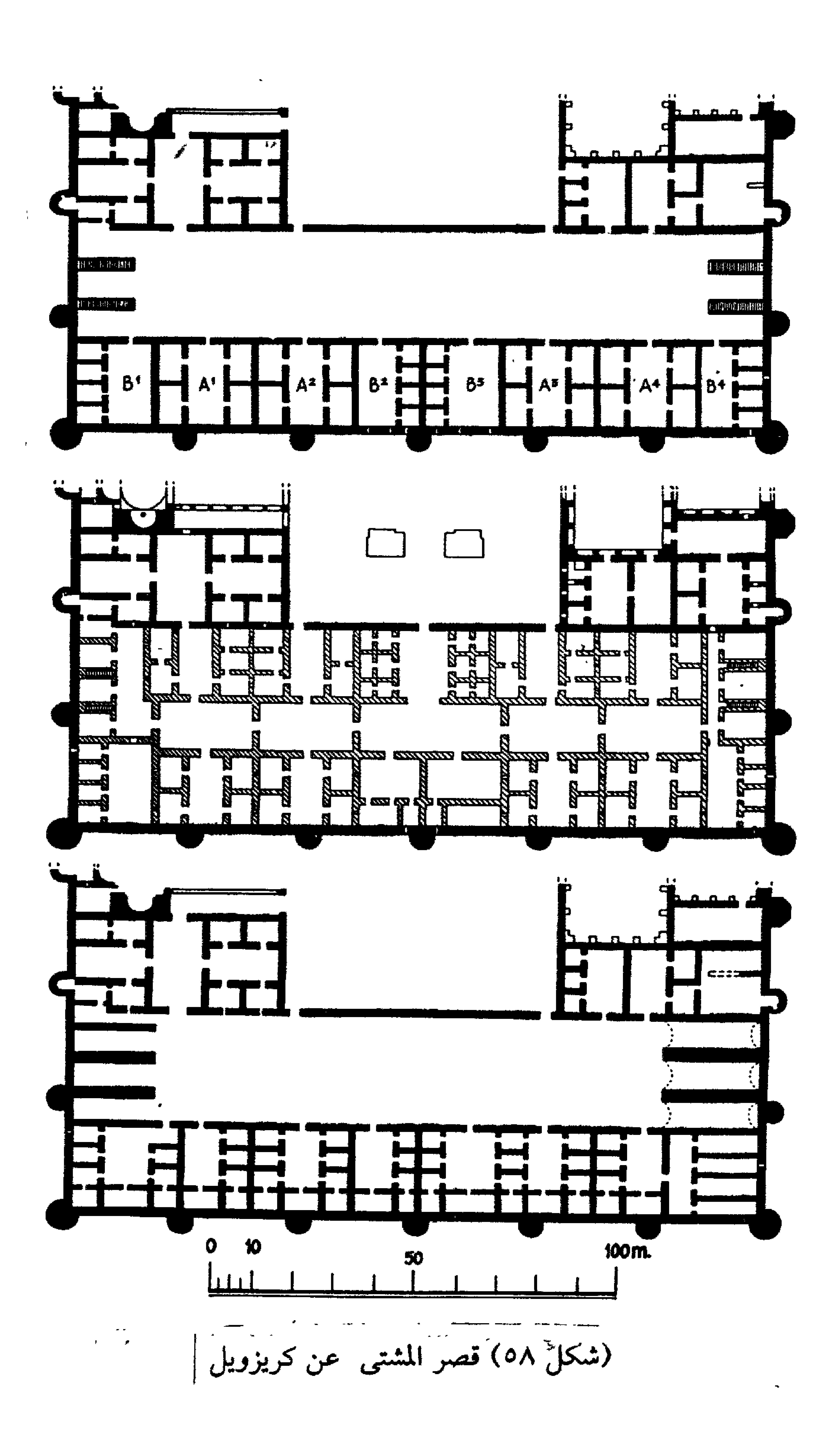
(شكل ٥٥) المحراب المجوف بقصر المشتى عن د. فريد شافعى



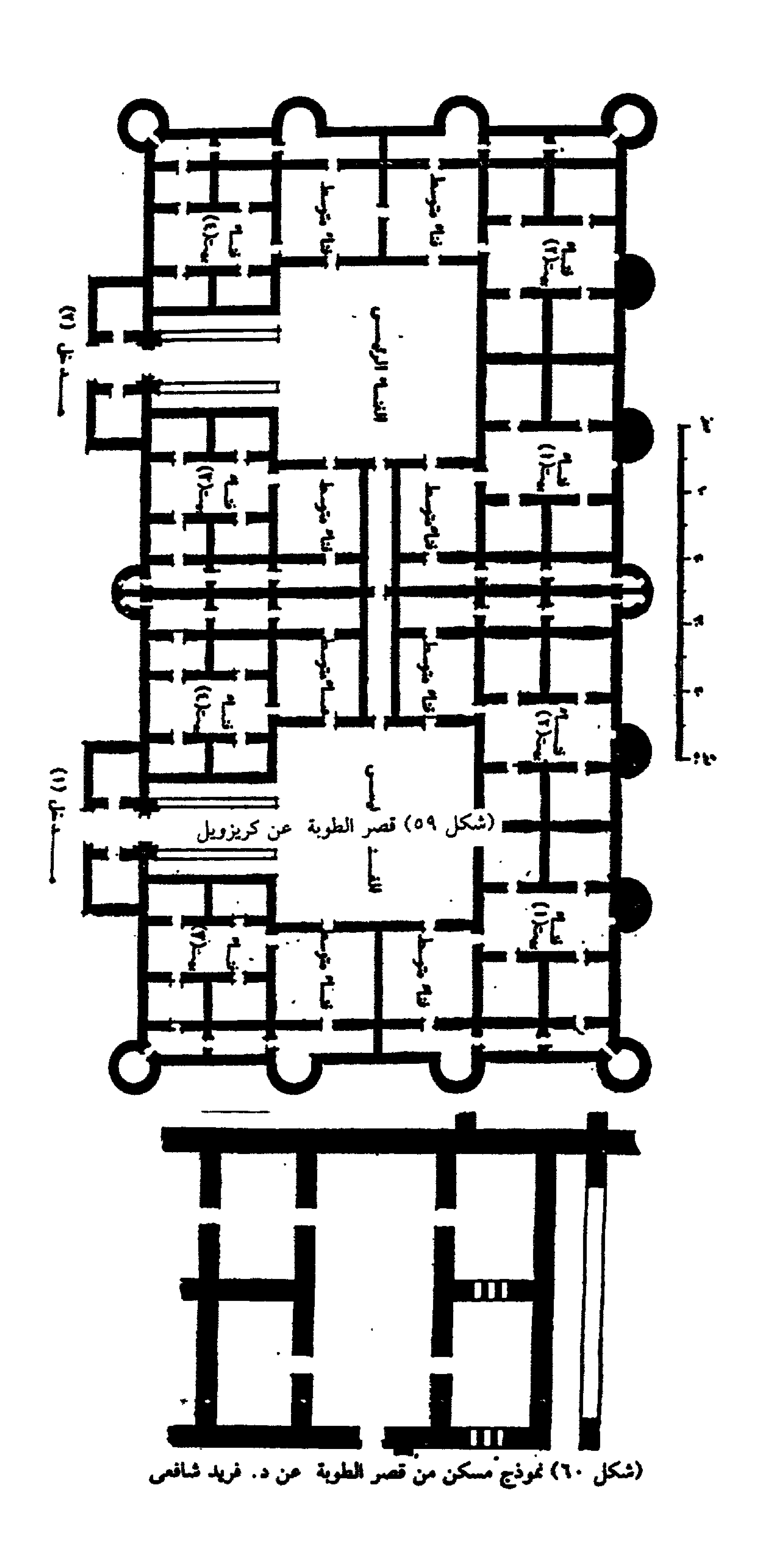
(شكل ٥٦) تفصيل من قصر المشتى عن كريزويل.



(شكل ٥٧) تفصيل من قصر المشتى عن كريزويل.



(شكل ٥٨) قصر المشتى عن كريزويل



(شكل ٥٩) قصر الطوبة عن كريزويل

(شكل ٦٠) نموذج مسكن من قصر الطوبة عن د. فريد شافعي

فناء البيت (٢)

فناء البيت (١)

فناء متوسط

فناء متوسط

الفناء الرئيسى

فناء متوسط

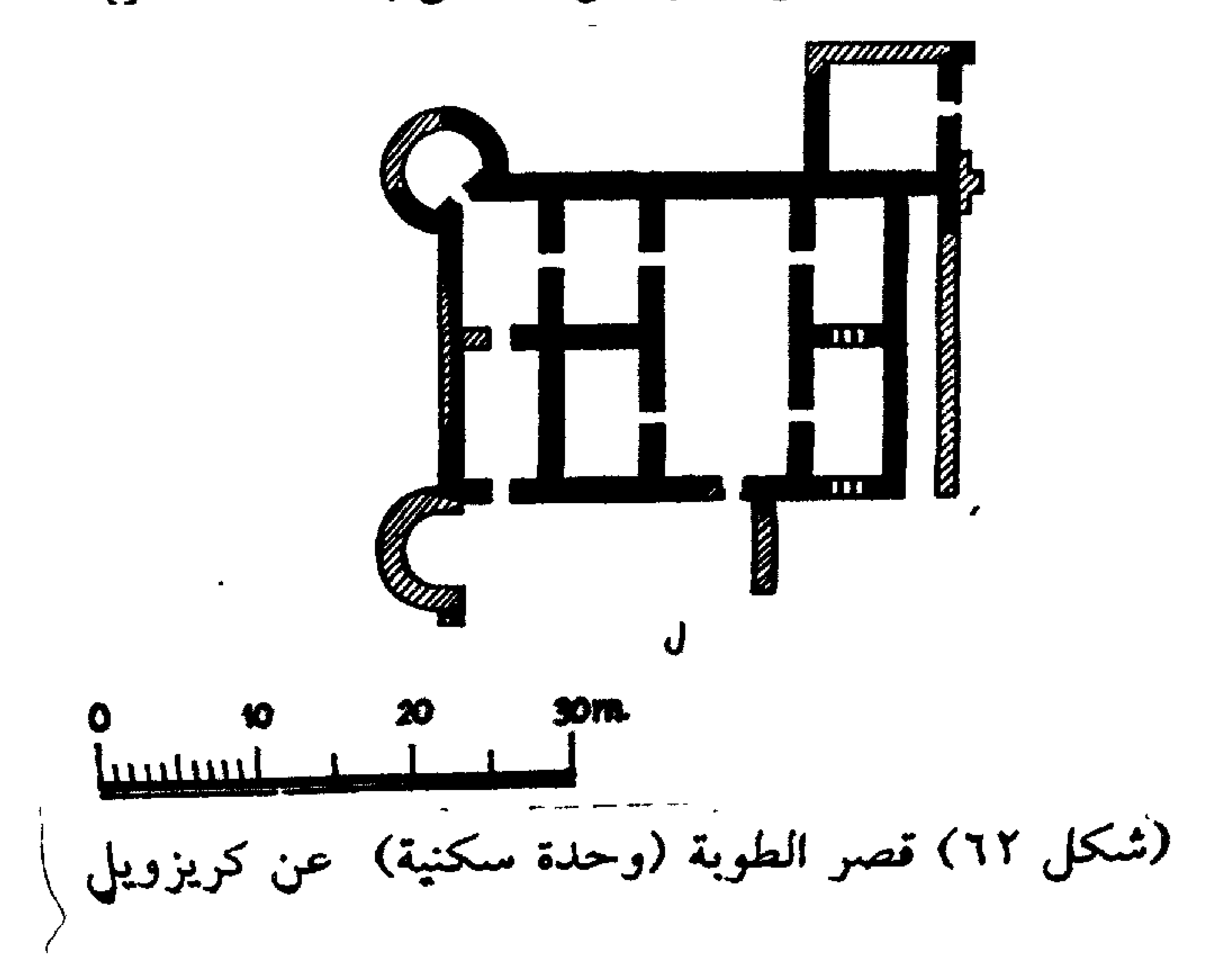
فناء متوسط

فناء البيت (٤)

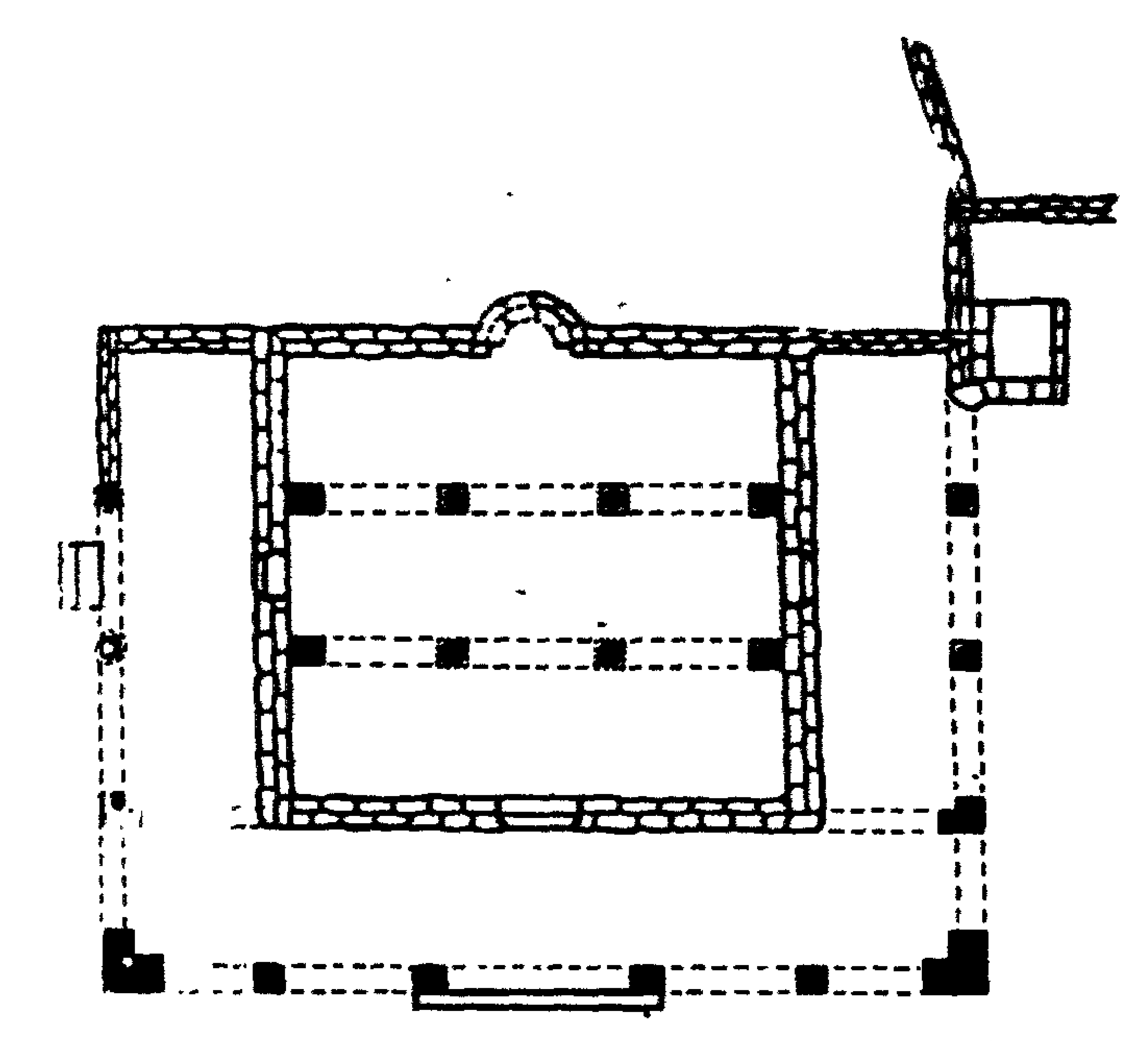
فناء البيت (٣)

المدخل

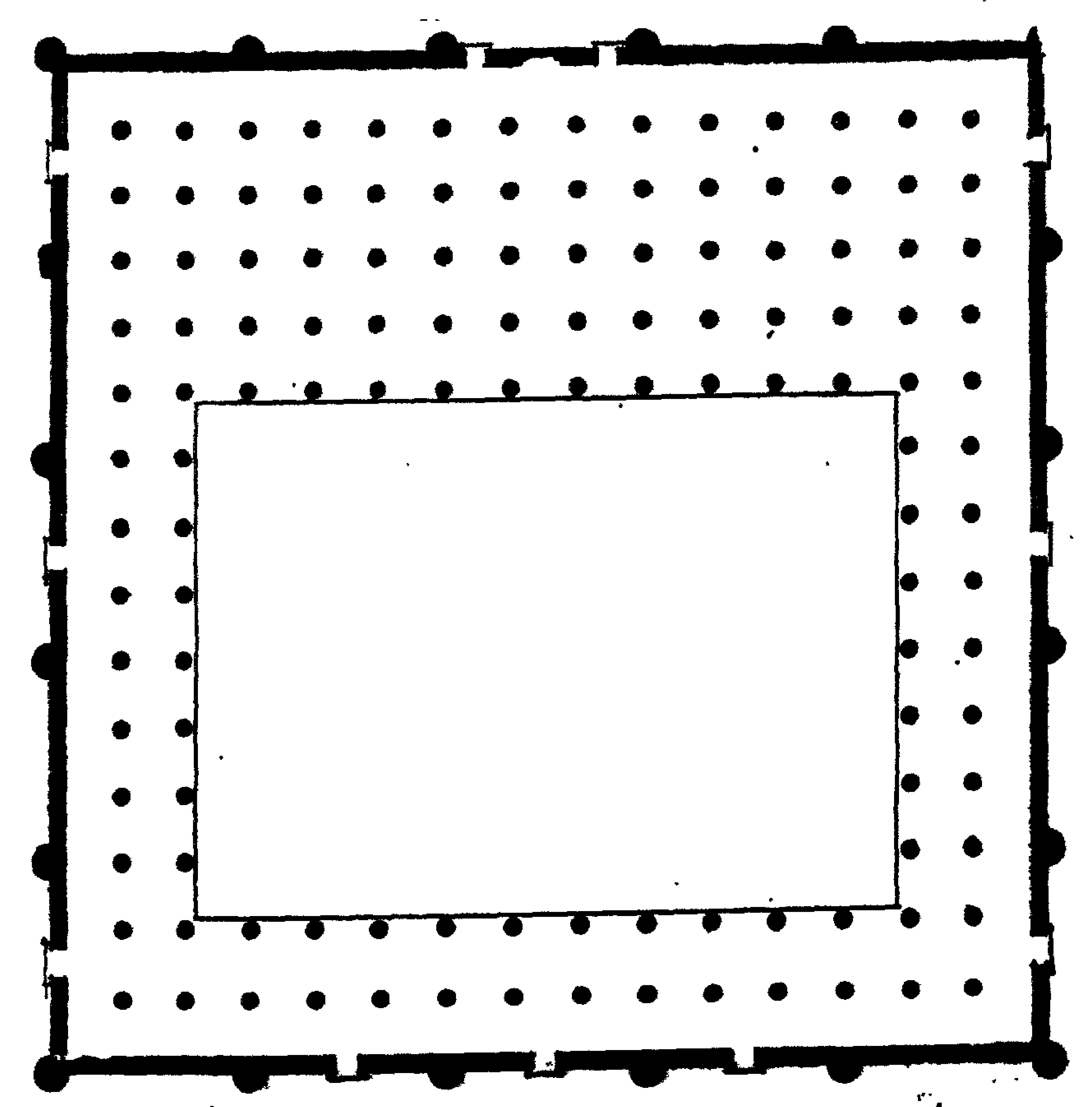
(شكل ٦١) قصر عبد الله بن عمرو بن العاص بالفسطاط عن د. فريد شافعى



(شكل ٦٢) قصر الطوبة (وحدة سكنية) عن كريزويل



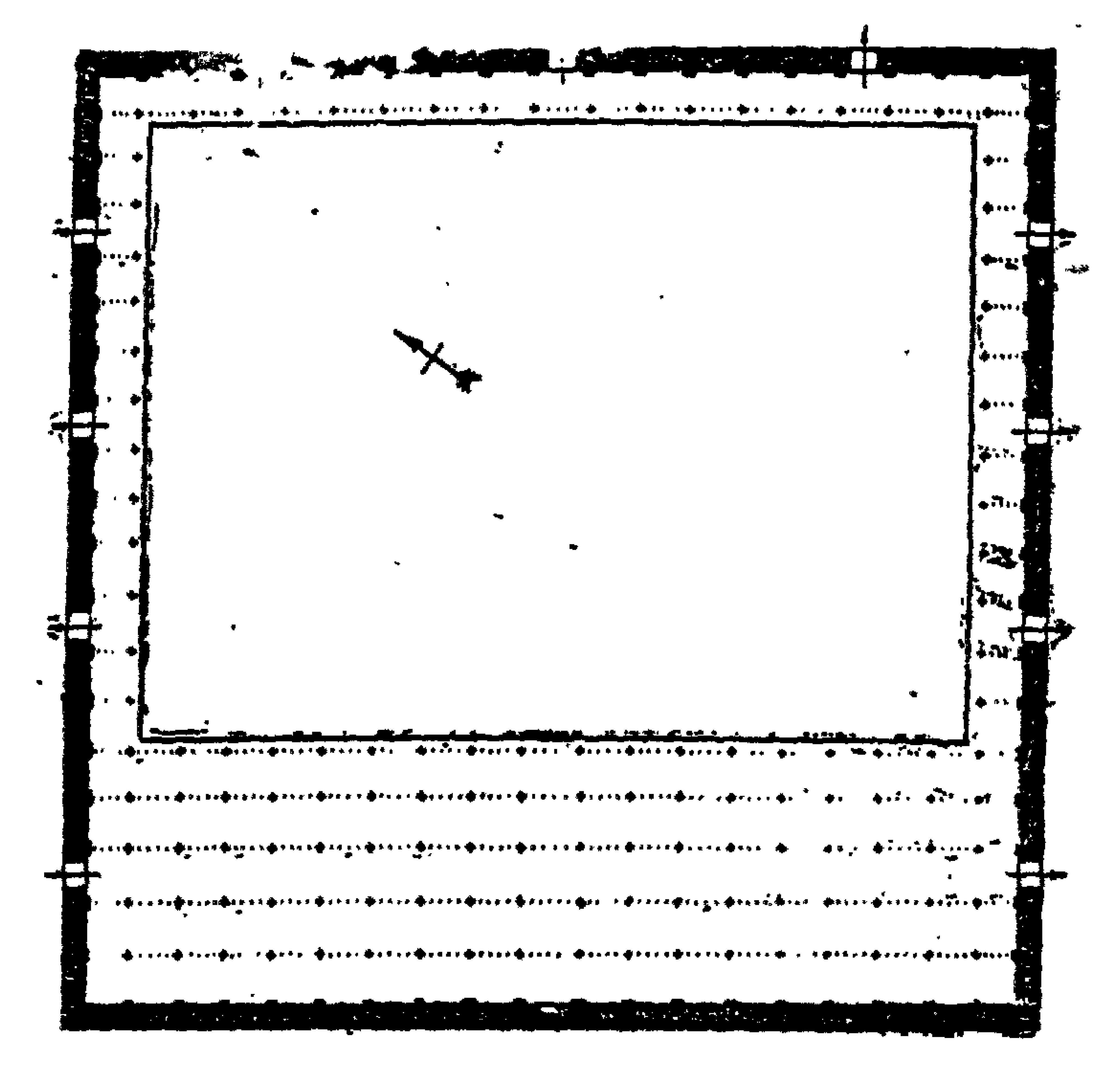
(شكل ٦٣) مسجد قصير الحلابات عن كريزويل



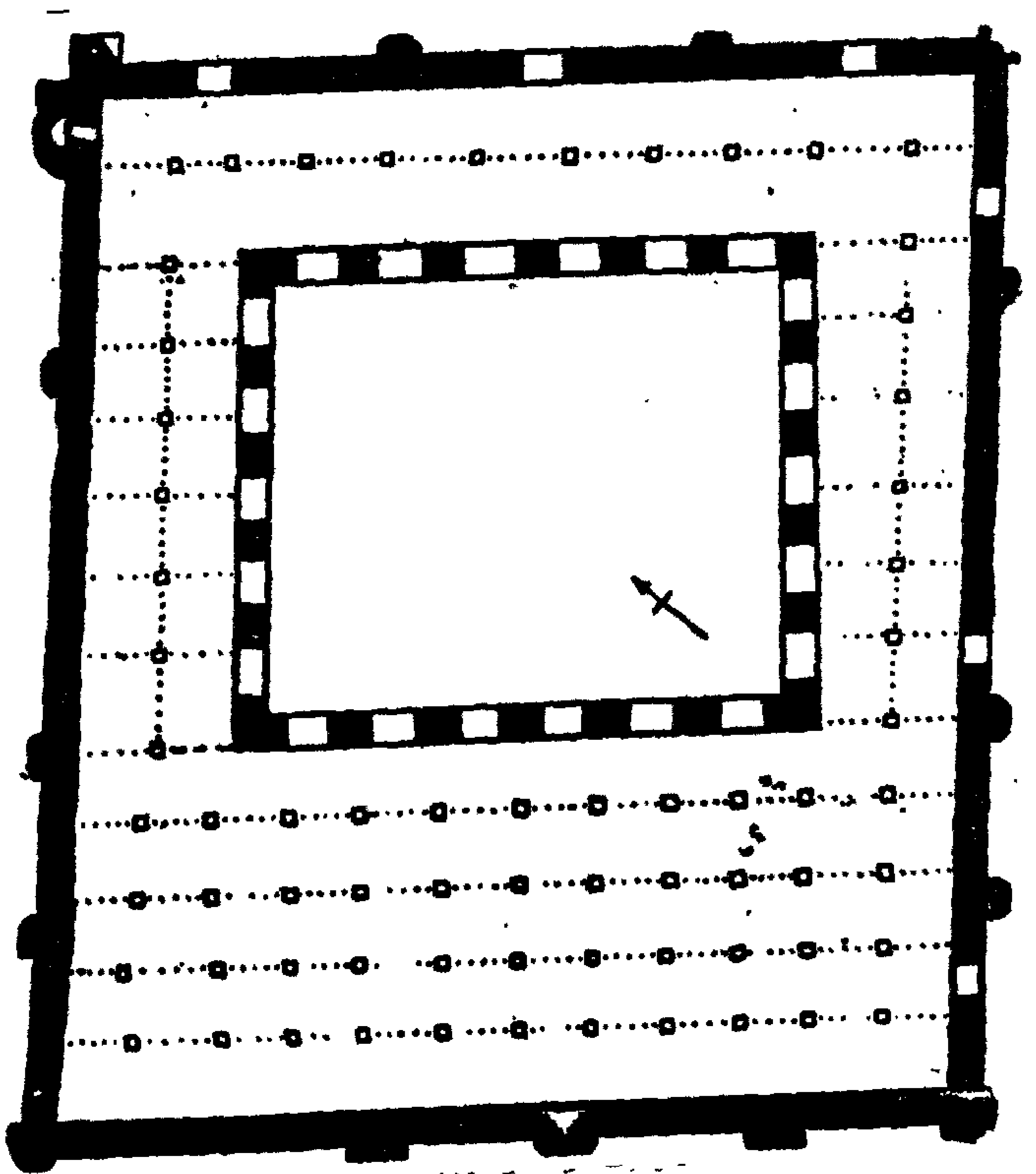
(شكل ٦٤) مسجد البصرة والكوفة في عهد زياد عن د. فريد شافعي



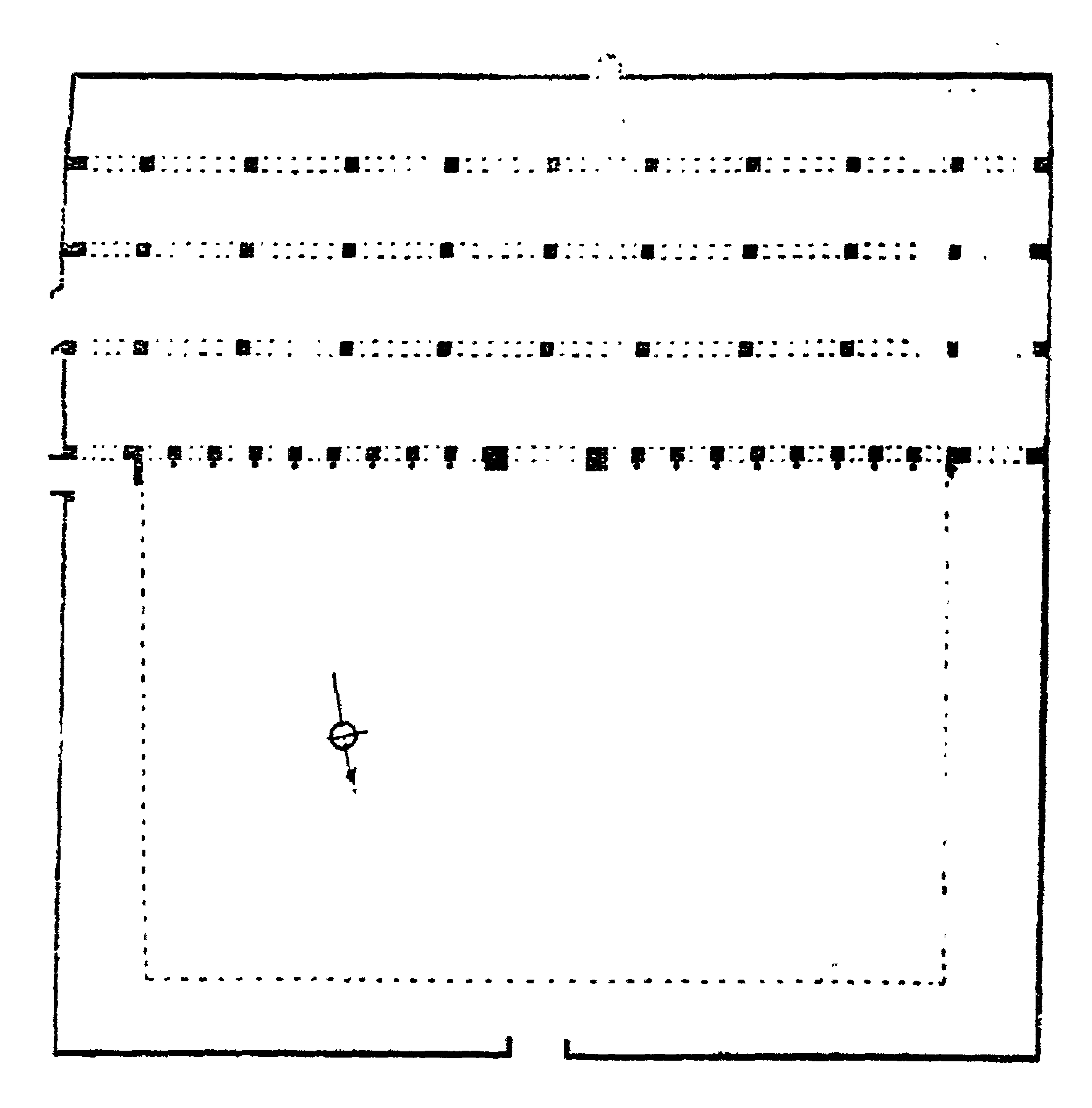
(شكل ٦٥) خريطة العراق الأثرية عن شريف يوسف



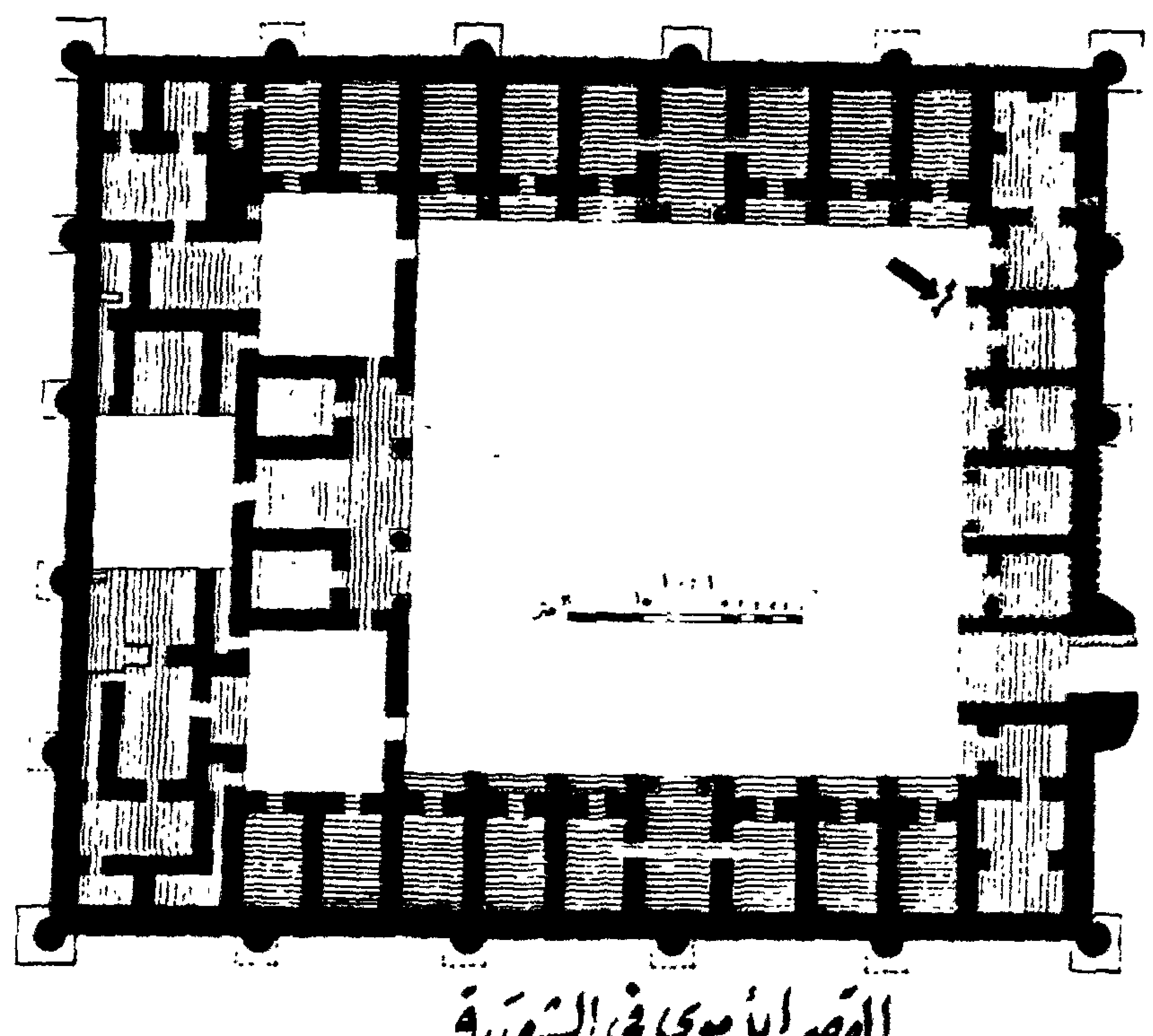
(شكل ٦٦) مسجد واسط فى عهد الحجاج عن فؤاد



(شكل ٦٧) رسم تخطيطى للمسجد العلوى
عن د. أحمد فكرى

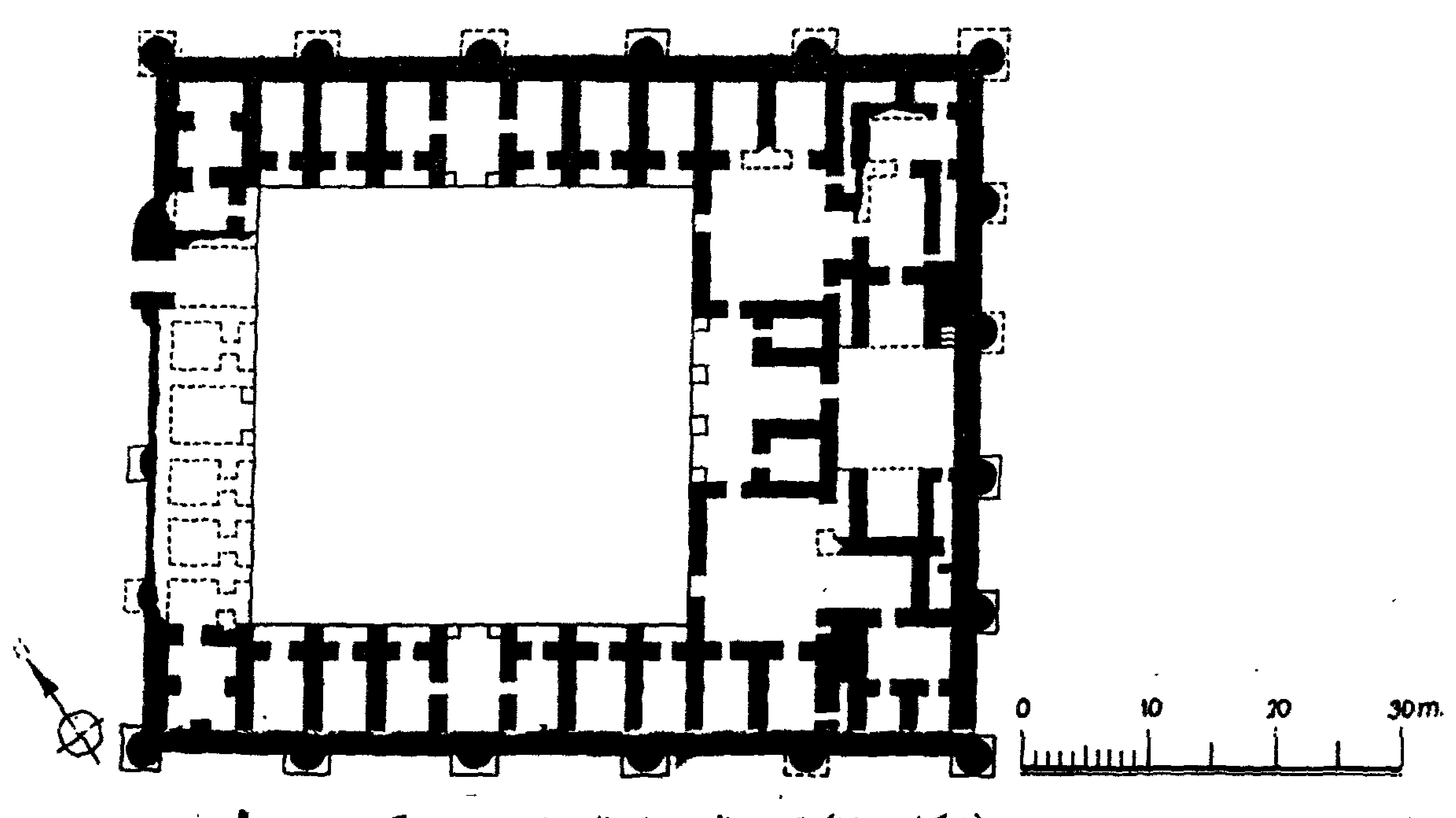


(شكل ٦٨) رسم تخطيطى للمسجد الجامع فى حران عن د. أحمد فكرى

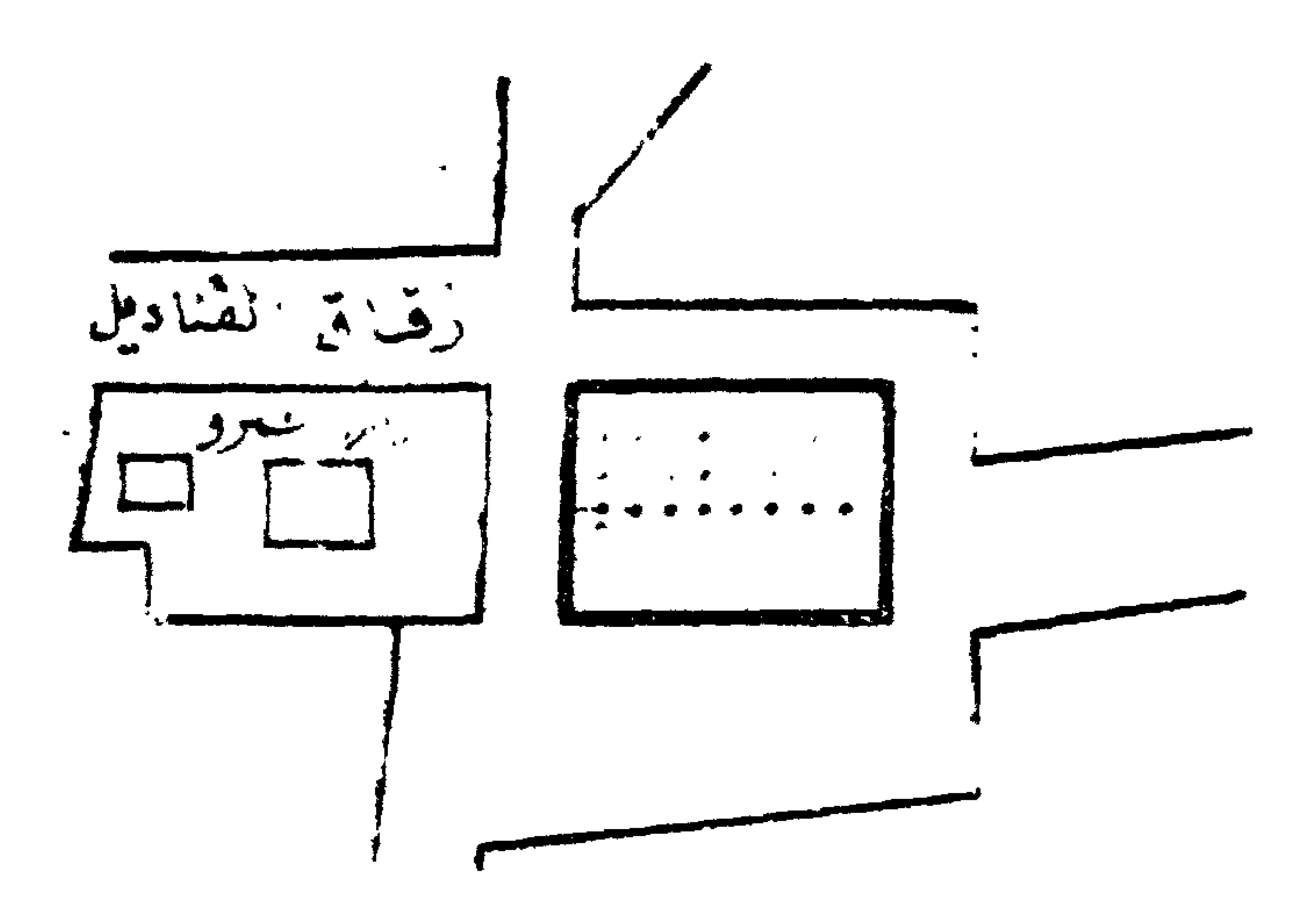


القصر الأموي في الشعيبة

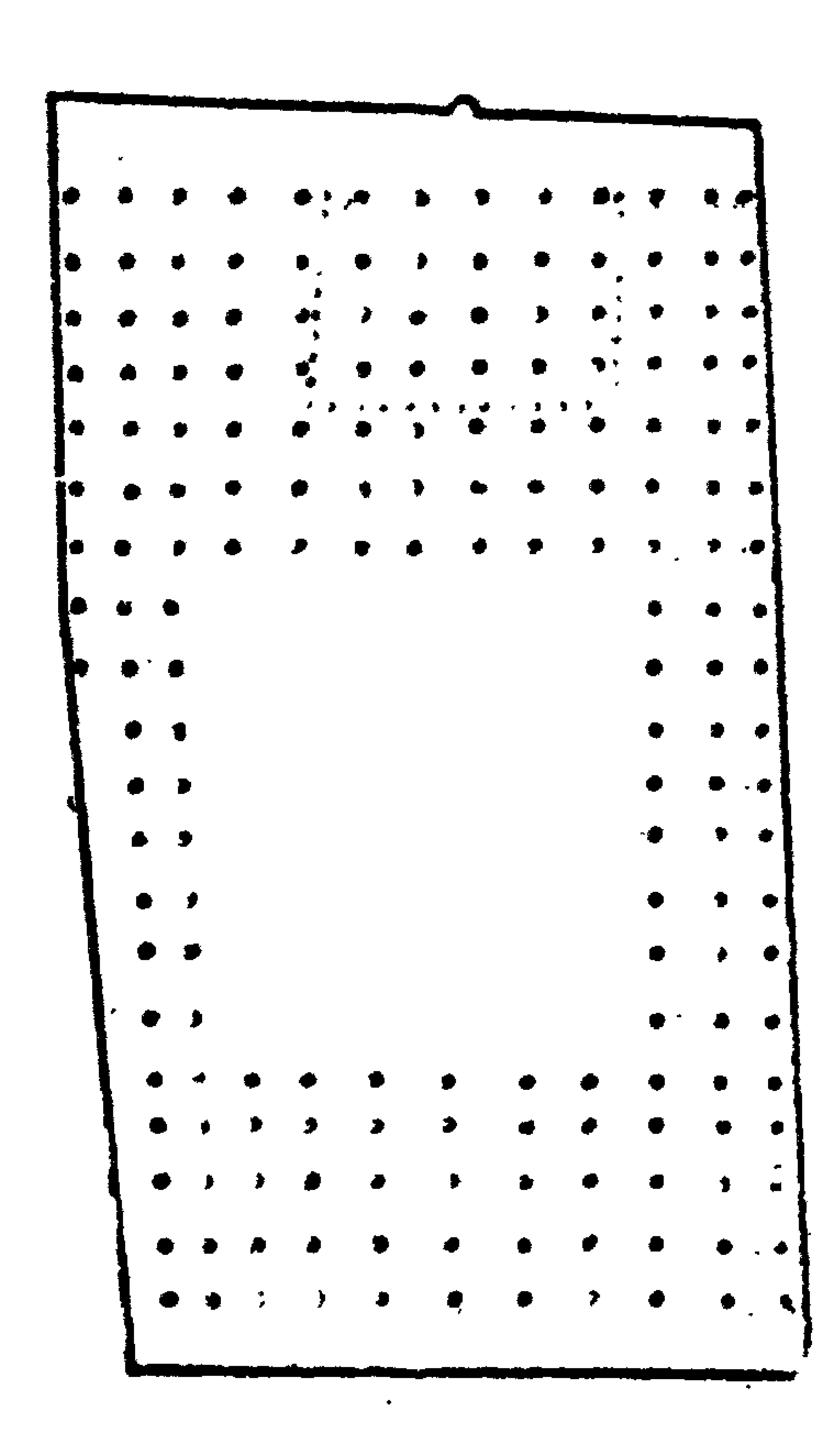
(شكل ٦٩) قصر الشعيبة بالعراق عن د. عيسي سلمان



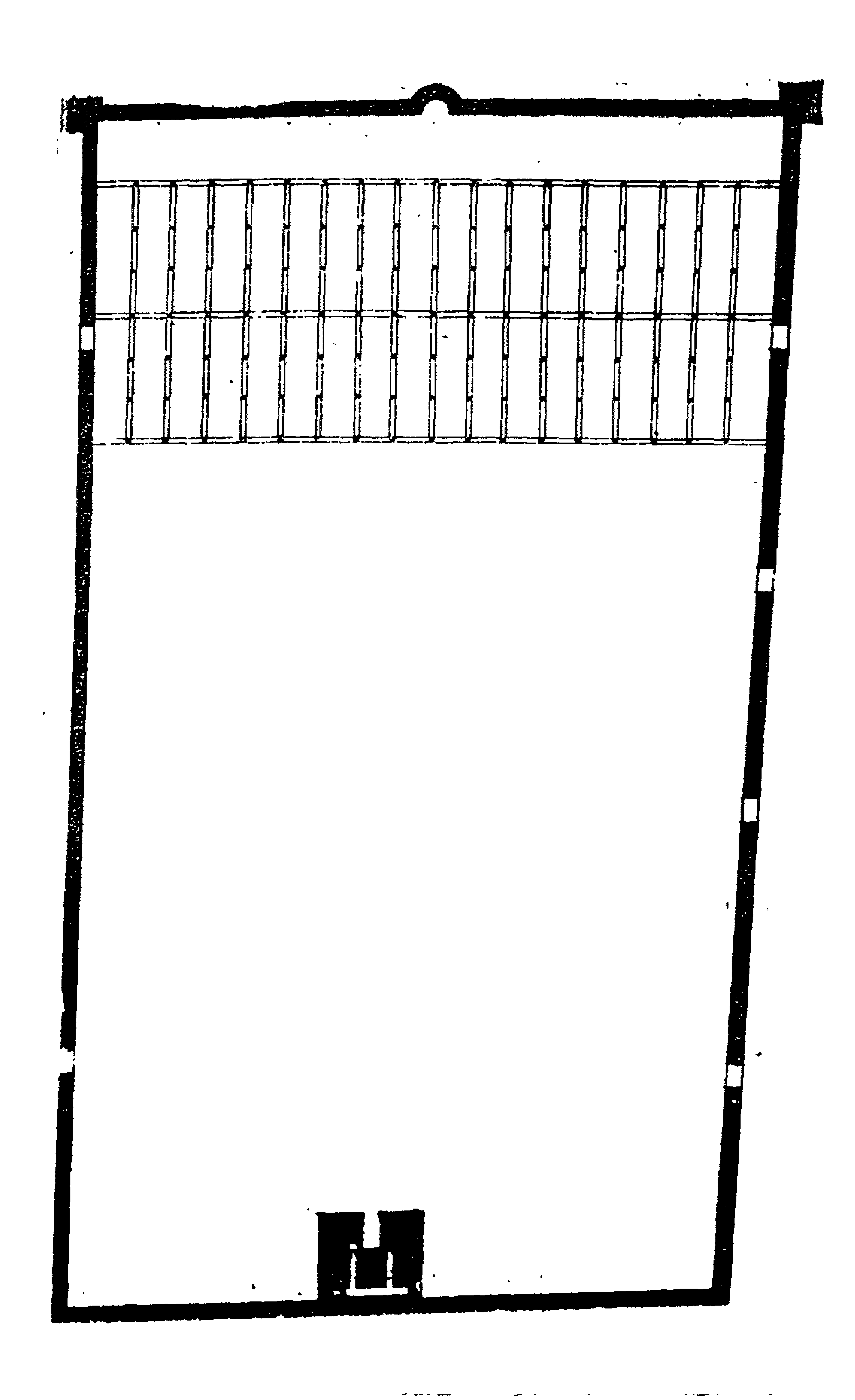
(شكل ٧٠) قصر الشعيبة بالعراق عن كريزويل



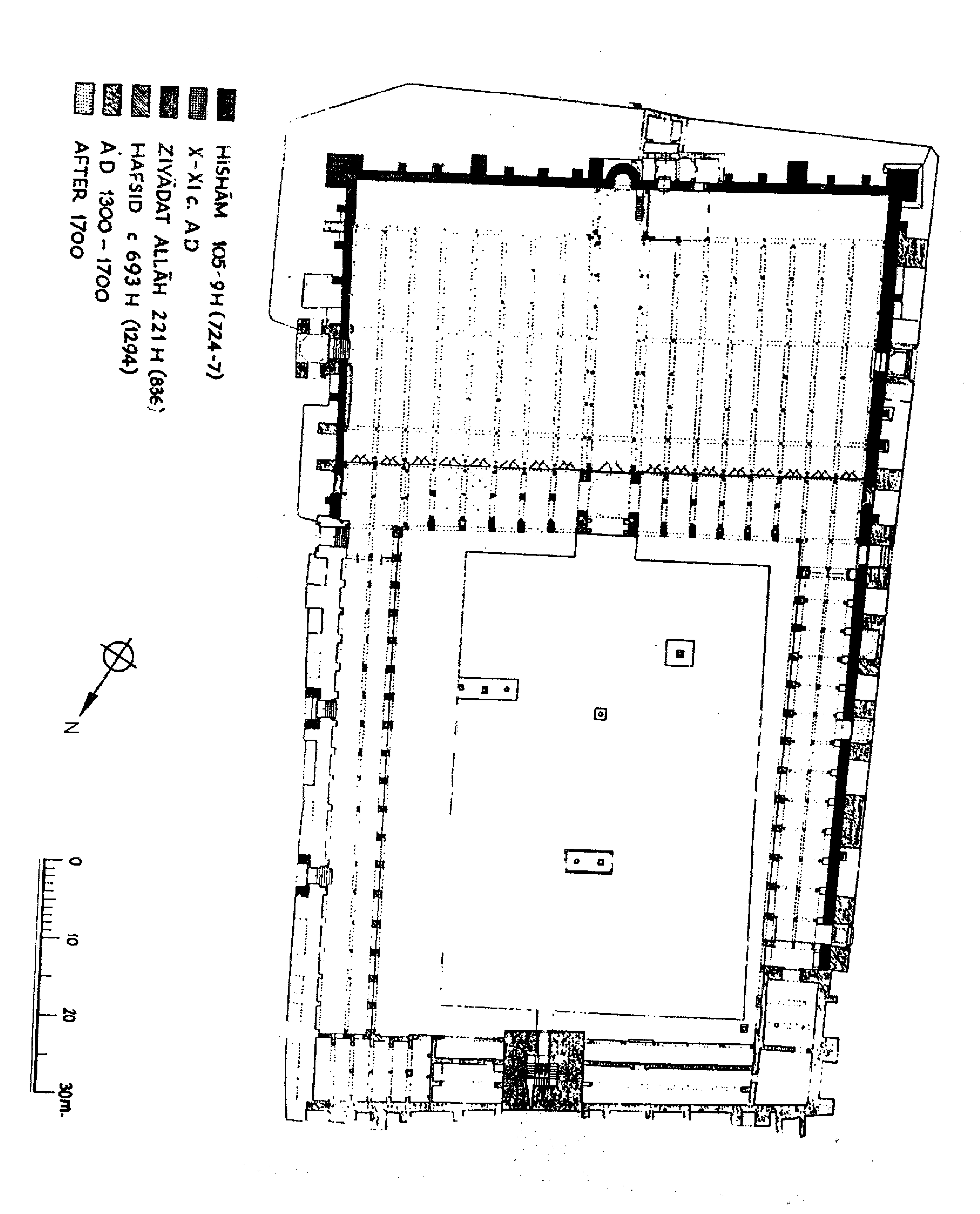
(شكل ٧١) رسم تخطيطى لمسجد عمرو بن العاص فى عهد مسلمة



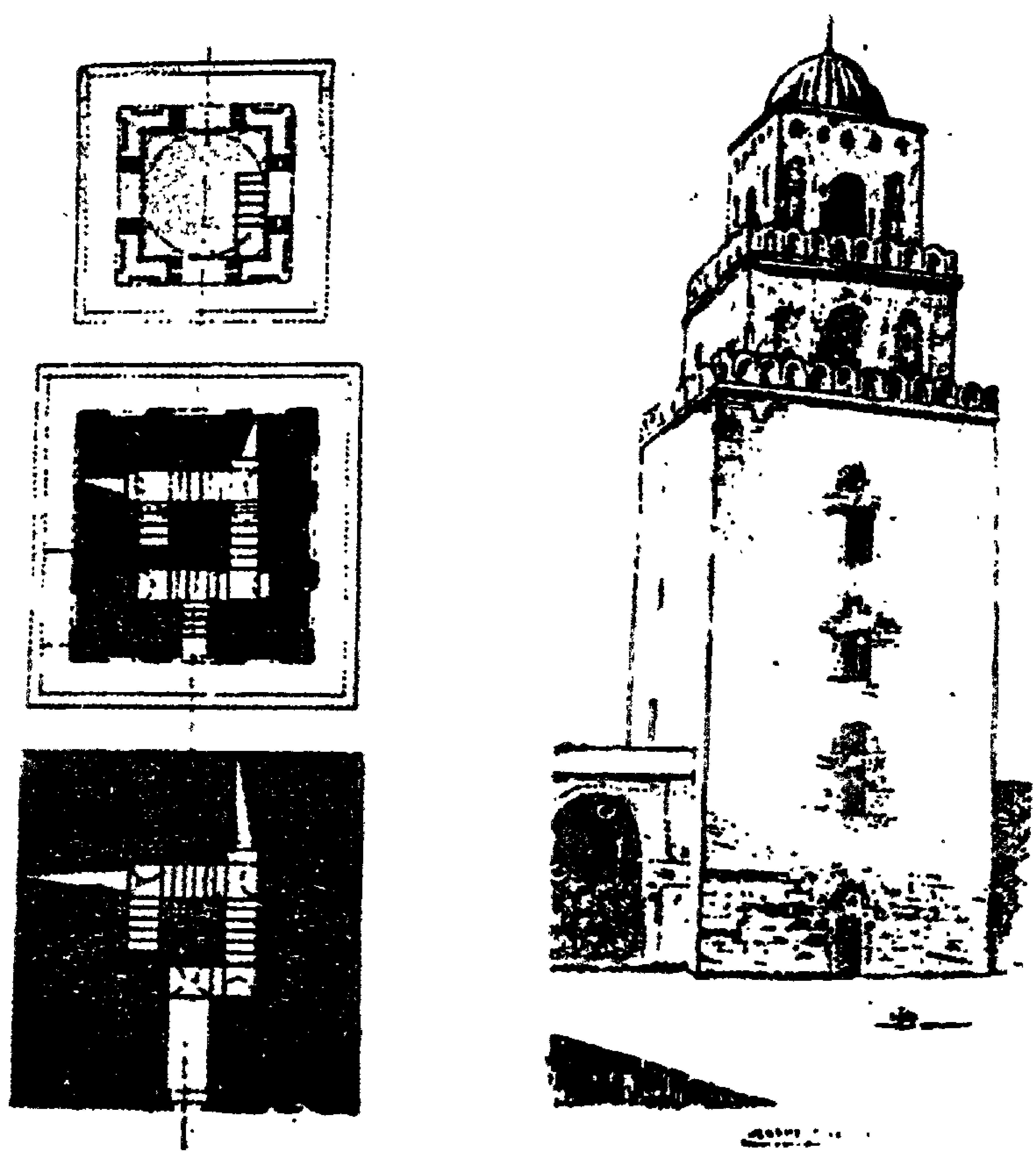
(شكل ٧٢) رسم تخطيطى لمسجد عمرو بن العاص فى عهد مسلمة عن د
أحمد فكرى



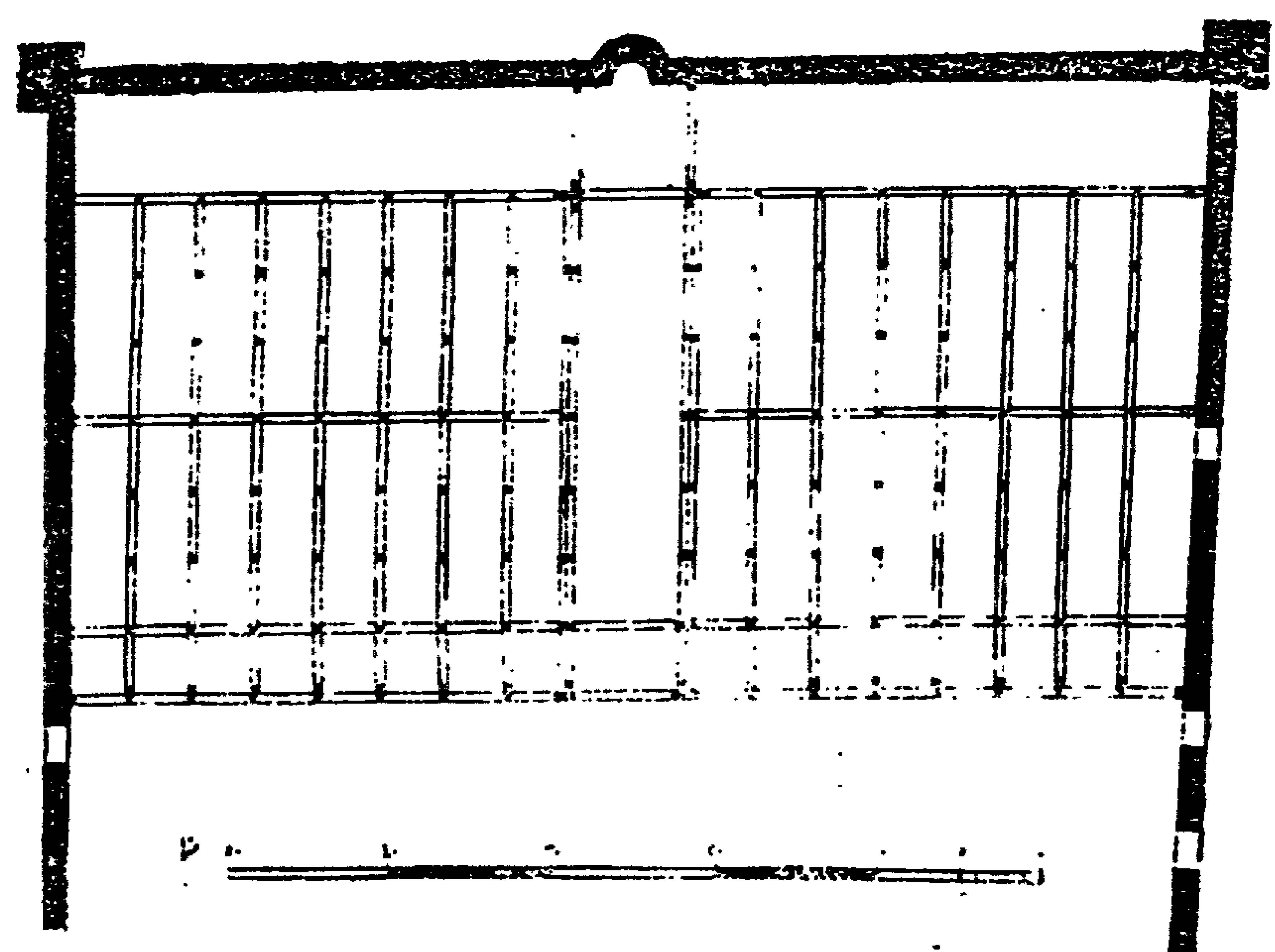
(شكل ٧٣) رسم تخطيطي لجامع القيروان في عهدي حسان وبشر عن د
أحمد فكري.



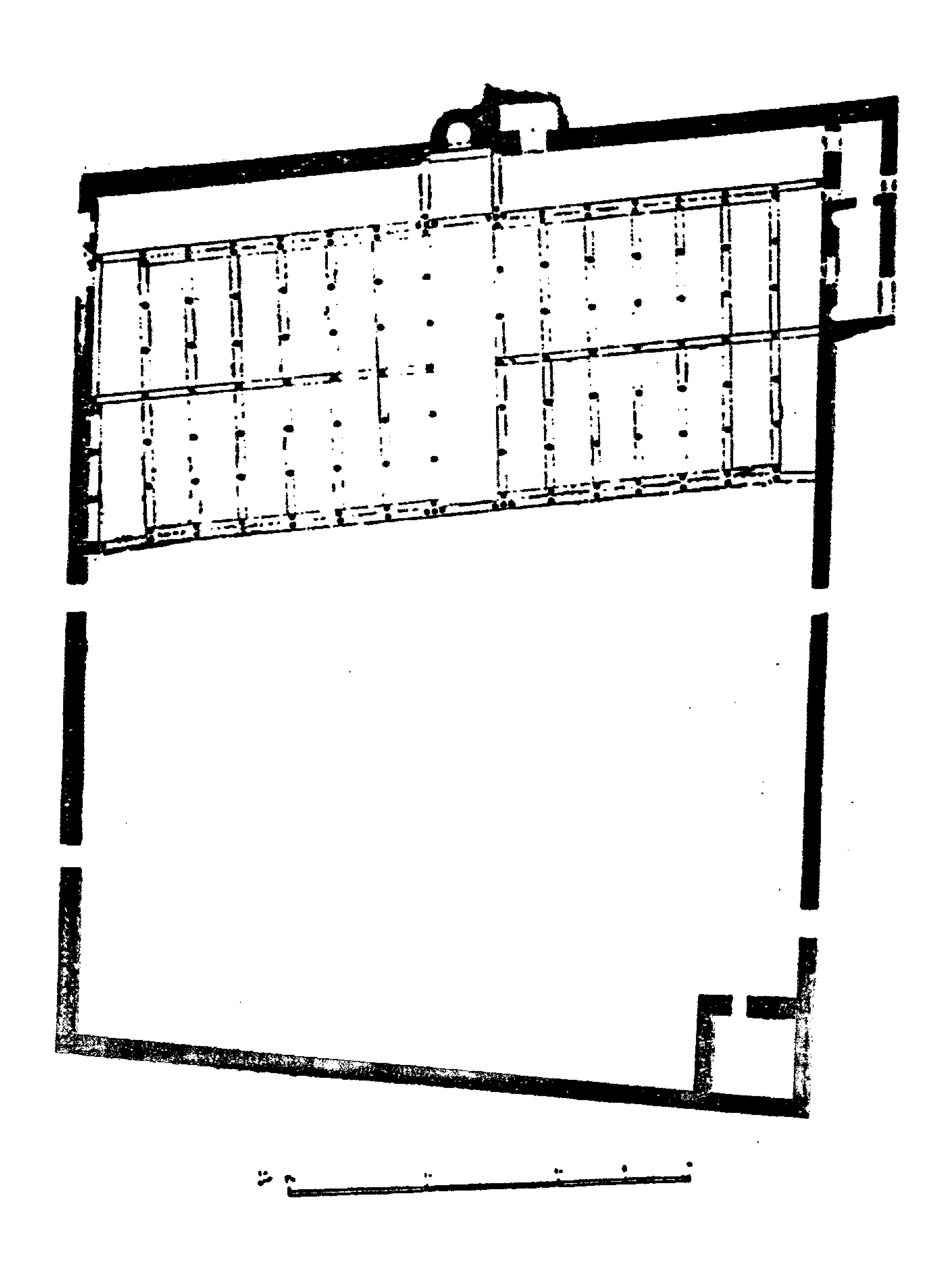
الشكل ([illegible]) رسم تخطيط جامع القيروان عن كريزويل



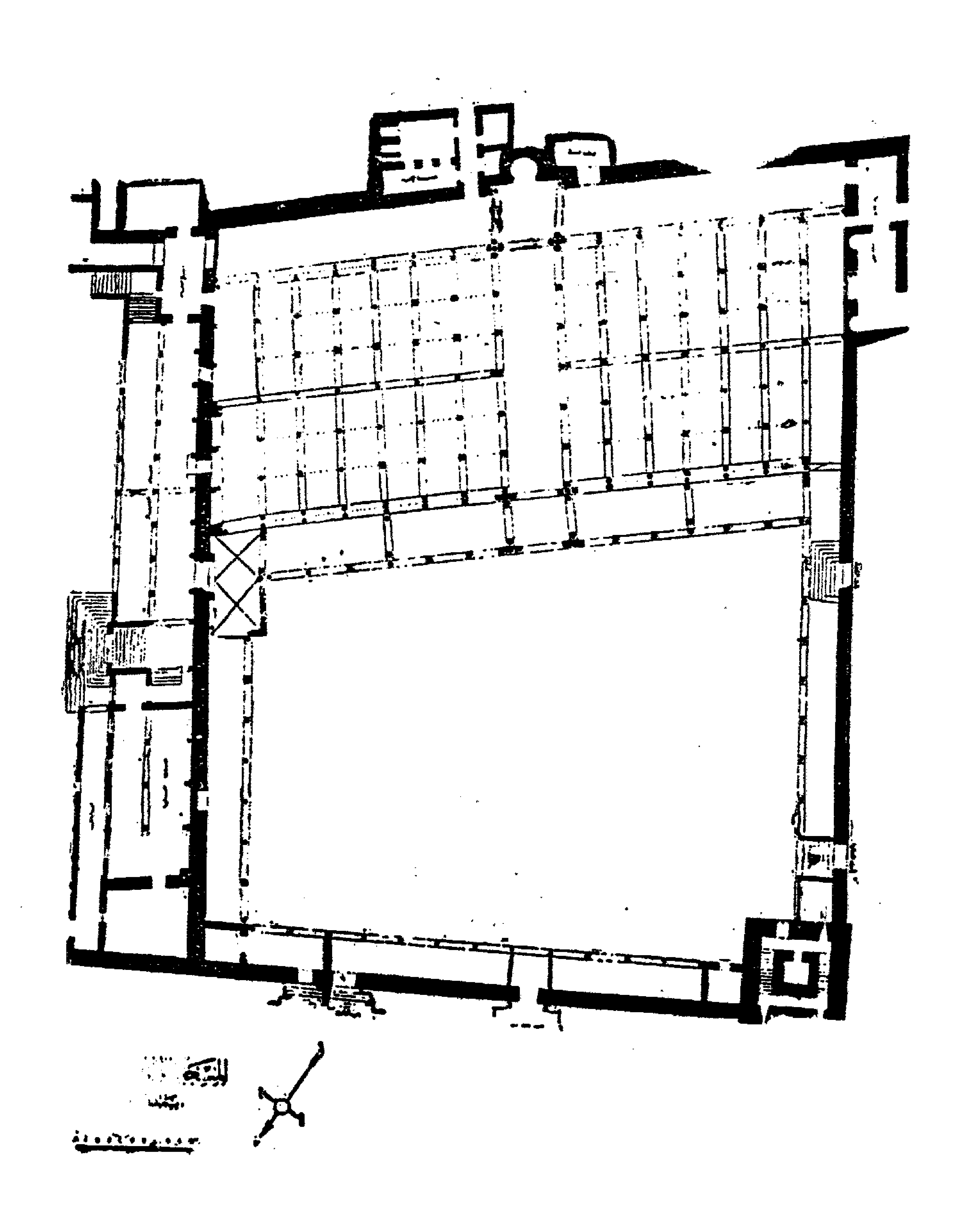
(شكل ٧٥) مئذنة القيروان عن د. فريد شافعى



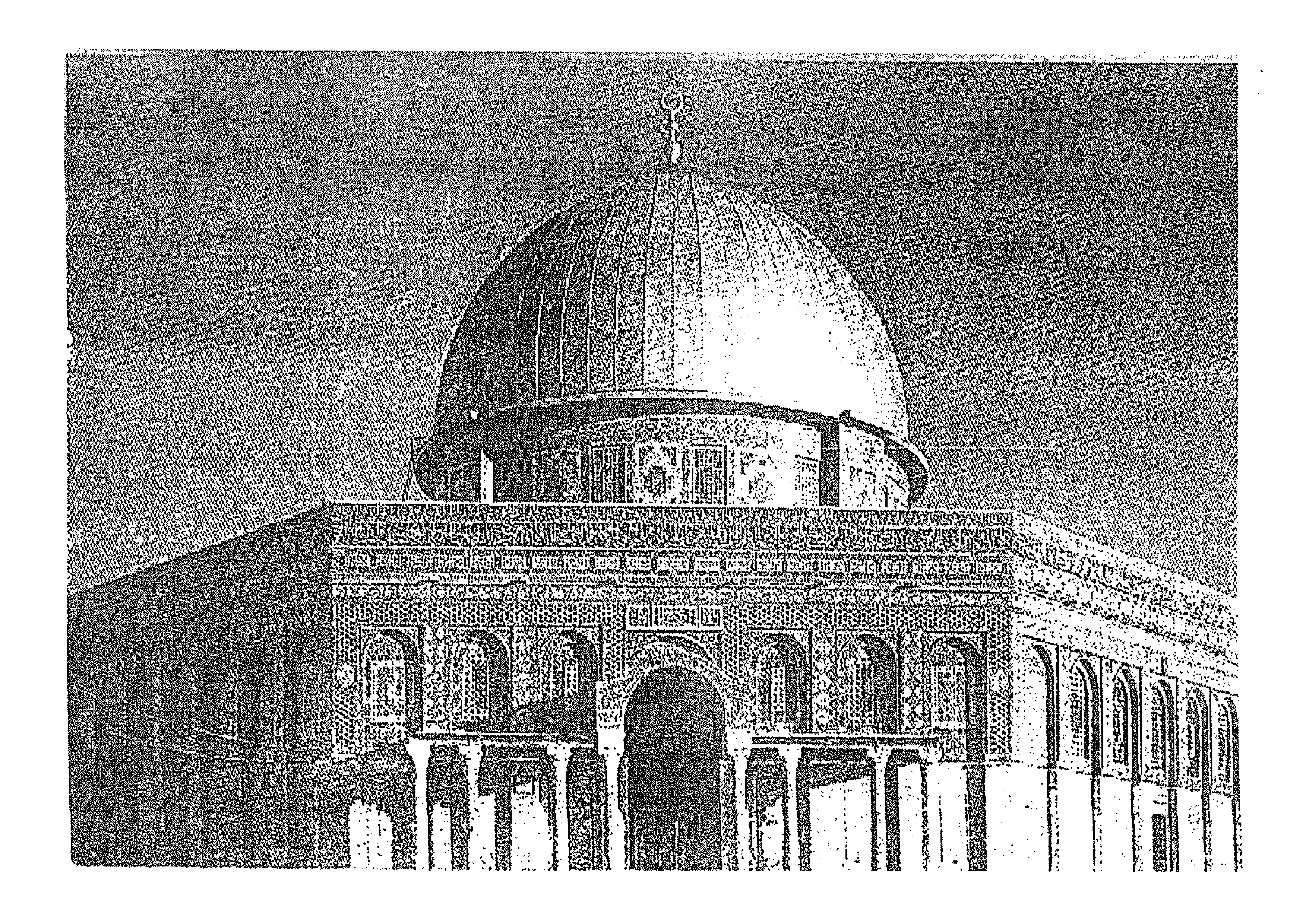
(شكل ٧٦) ظلة القبلة فى جامع القيروان فى عهد زيادة الله عن د. أحمد فكرى



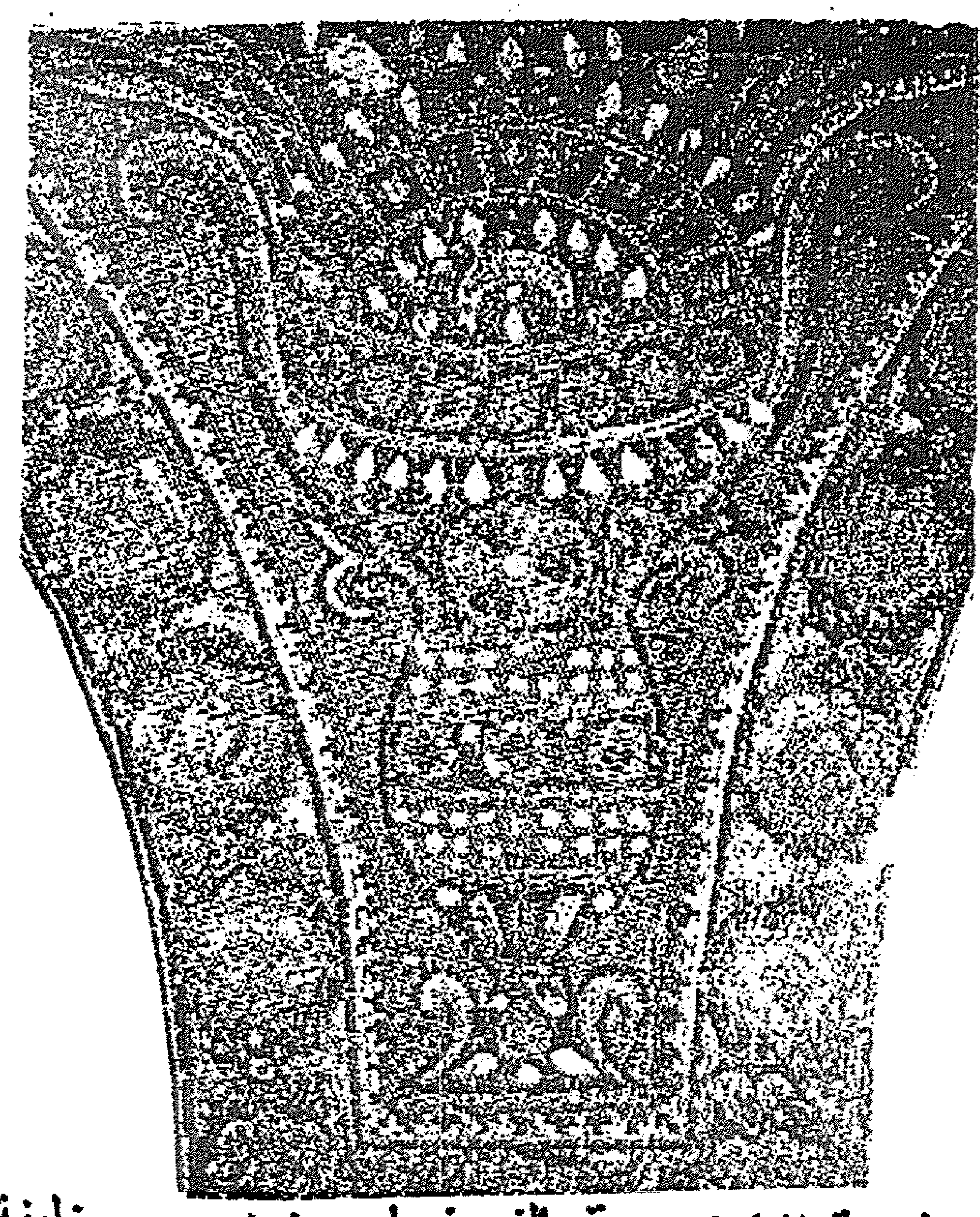
(شكل ٧٧) مسجد الزيتونة في سنة ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م عن د. أحمد فكرى



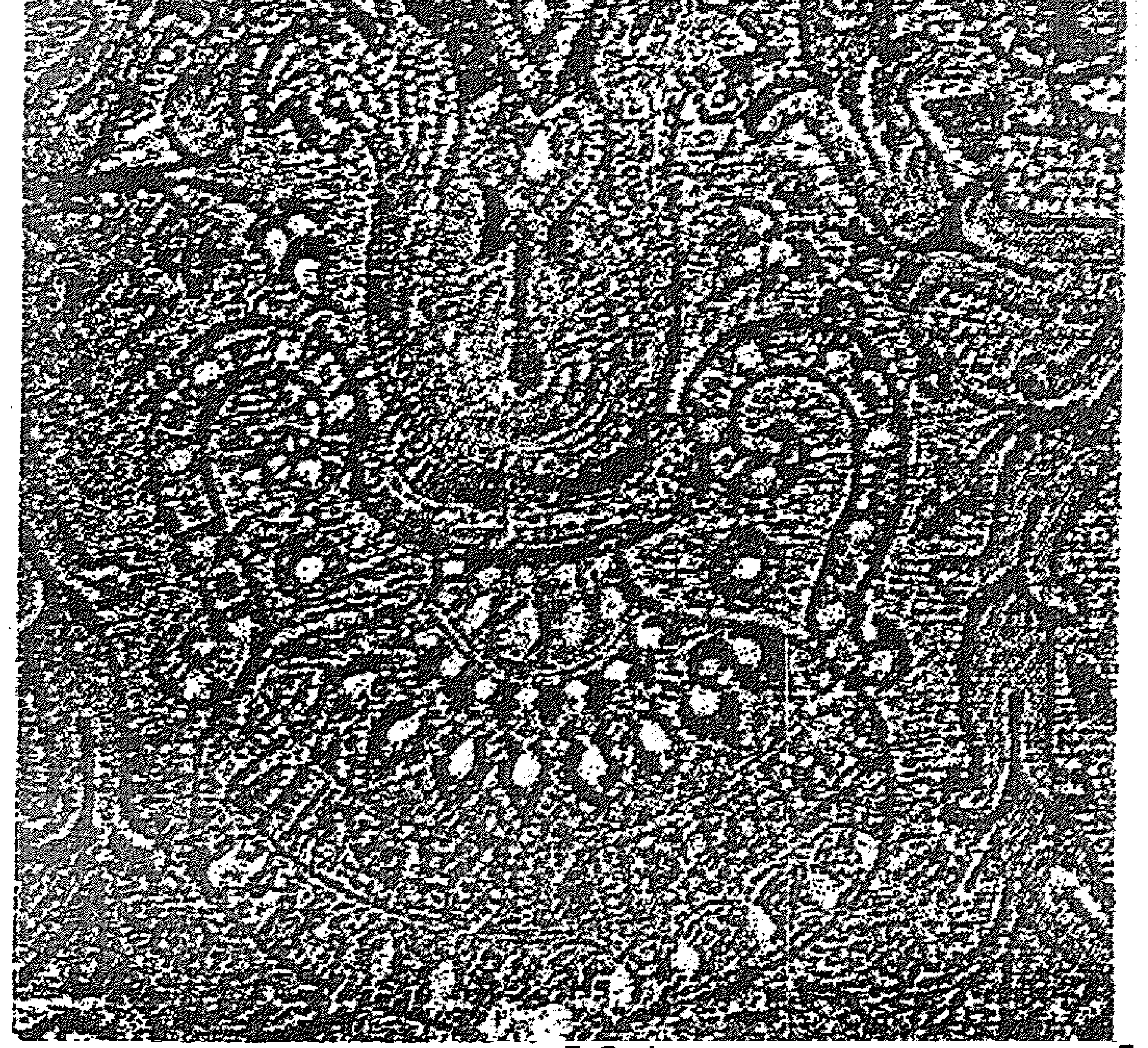
(شكل ٧٨) مسجد [illegible] في حالته الراهنة عن د. أحمد فكري



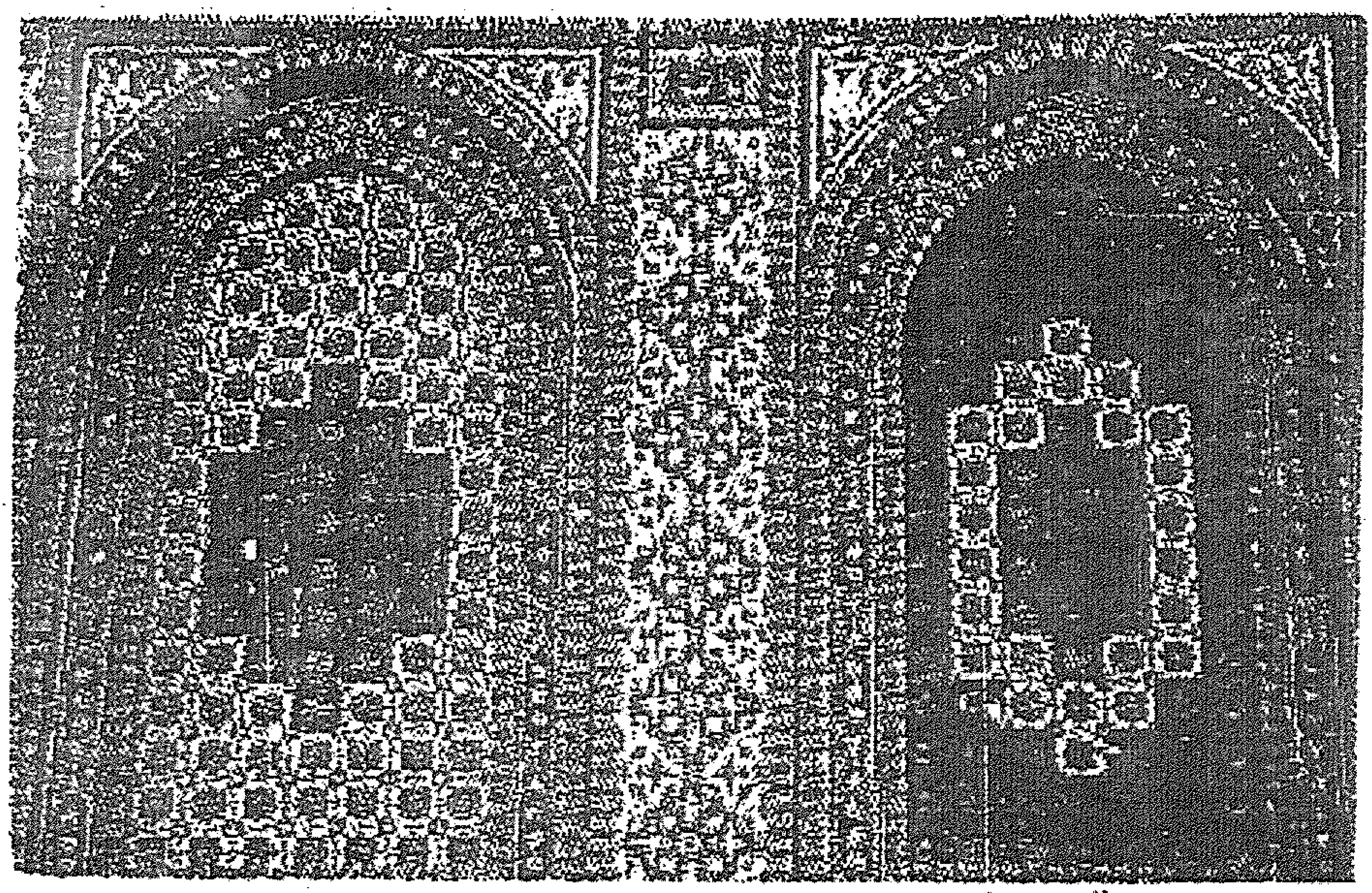
(لوحة ١) منظر عام لقبة الصخرة



(لوحة ٢) زهرية بالفسيفساء عن د. ربيع خليفة



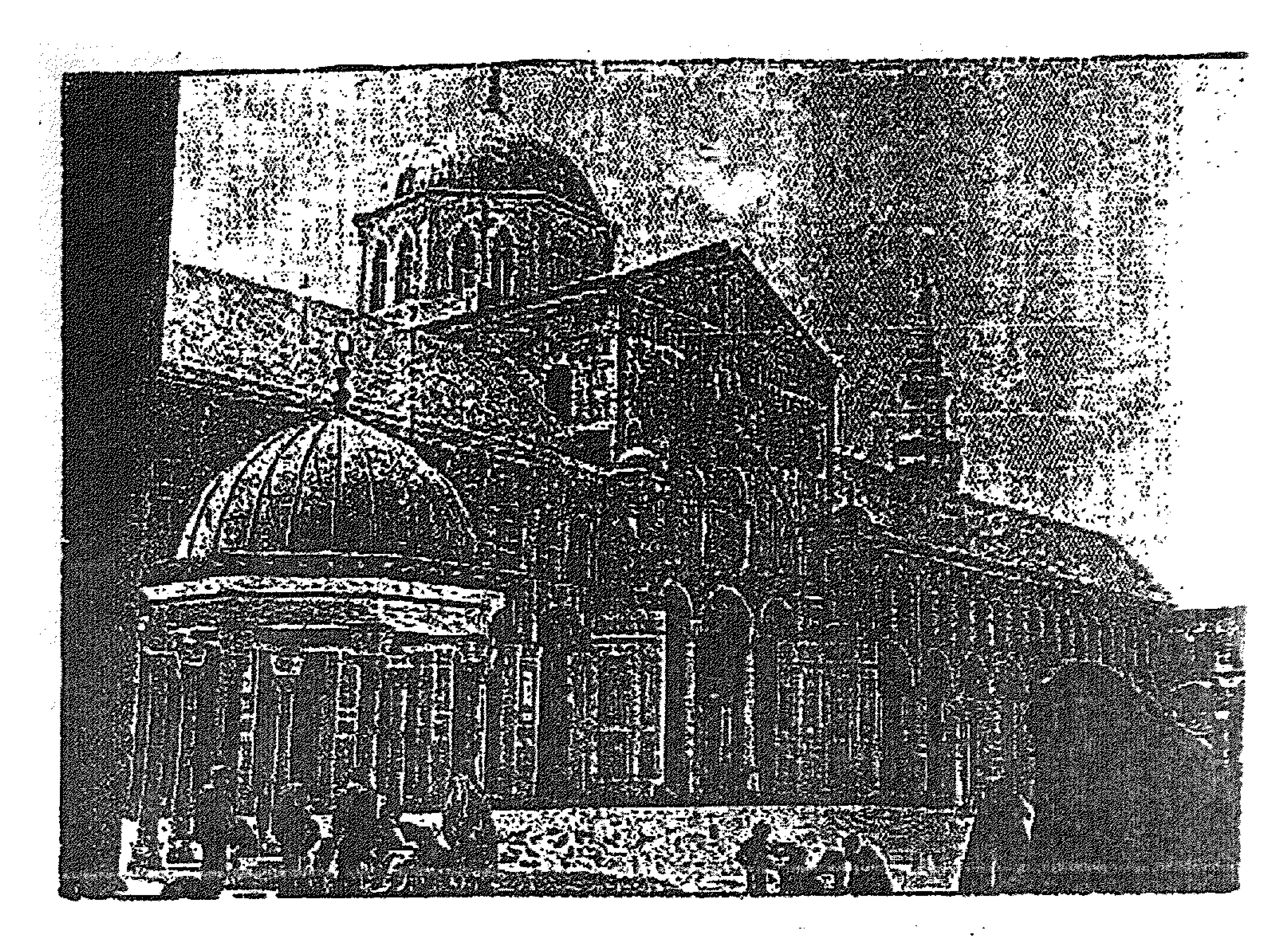
(لوحة ٣) لوحة بالفسيفساء لزهرية عن د. ربيع خليفة



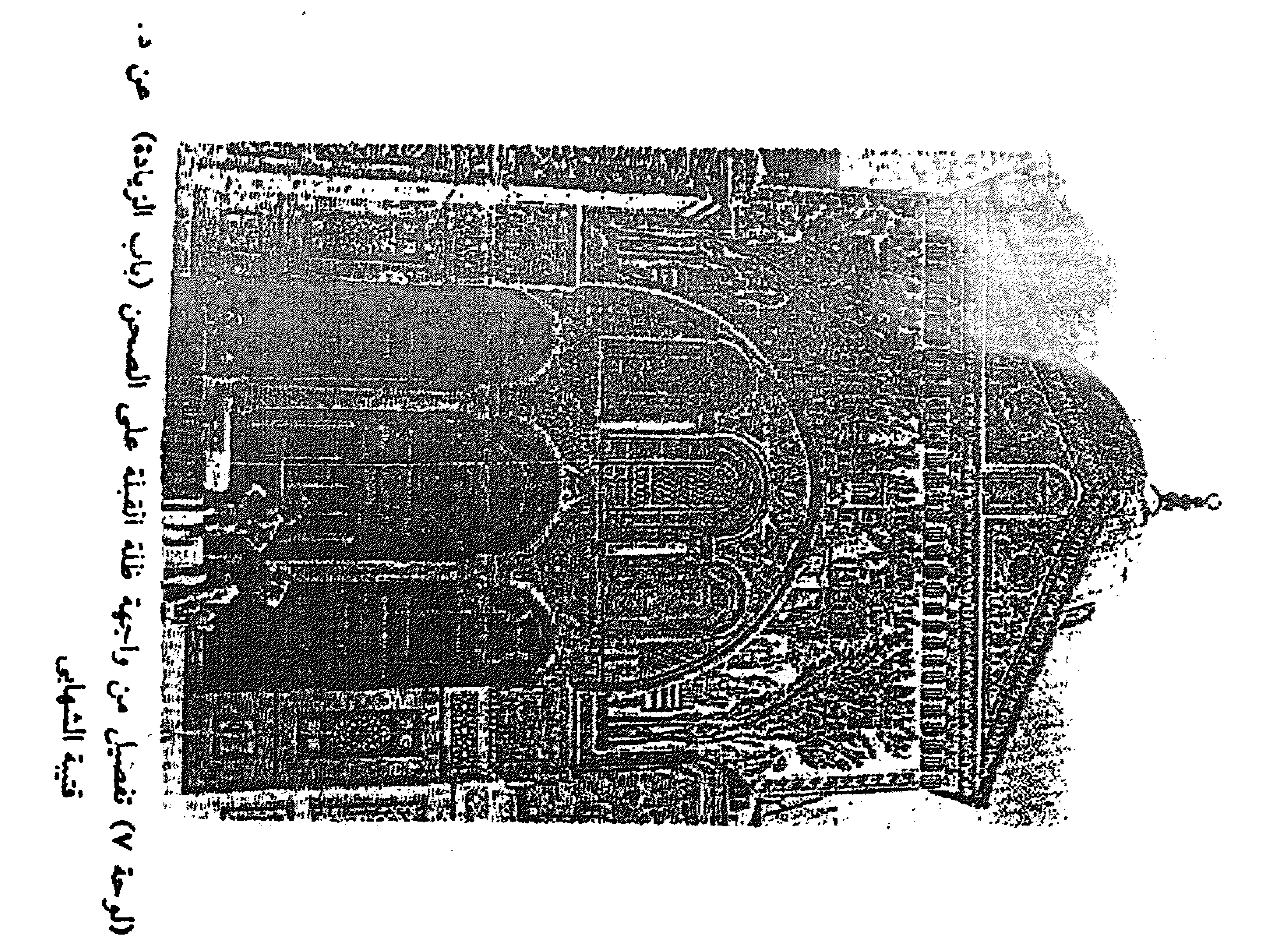
(لوحة ٤) زخارف من قبة الصخرة عن د. ربيع خليفة



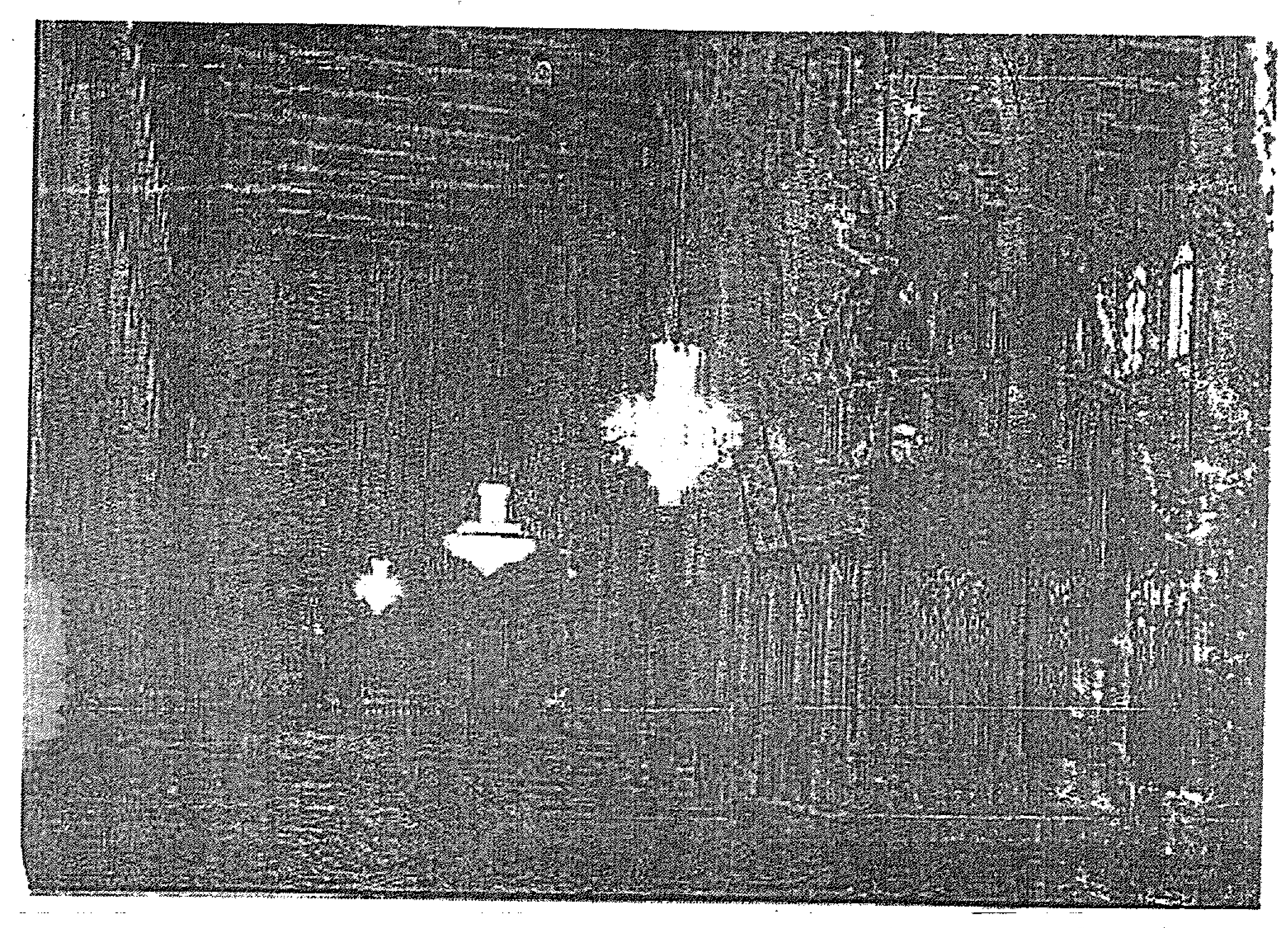
(لوحة ٥) لوحة بالفسيفساء لشجرة نخيل عن د. ربيع خليفة



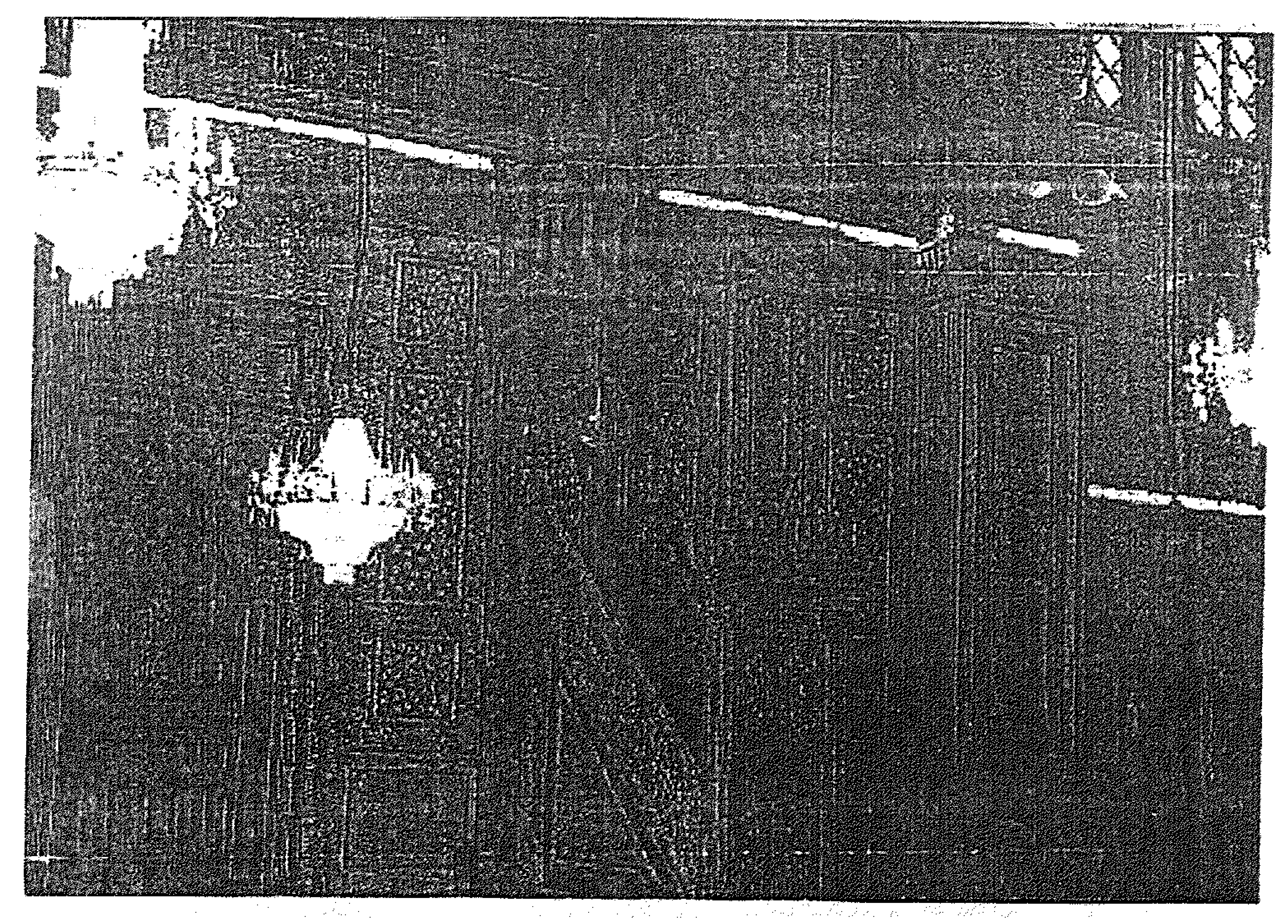
(لوحة ٦) ظلة القبلة في الجامع الأموي عن علي الطنطاوي



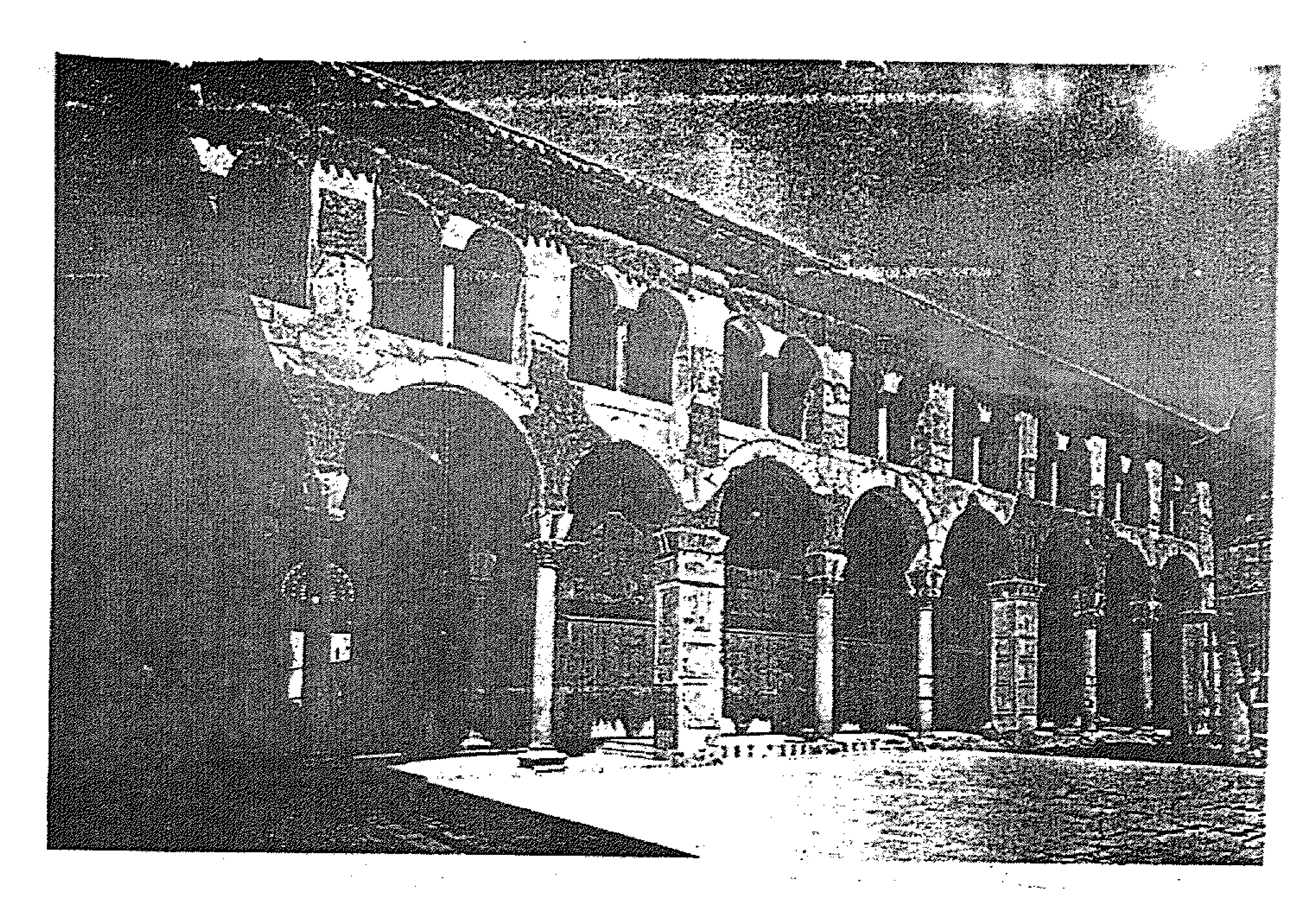
(لوحة ٧) تفصيل من واجهة ظلة القبلة على الصحن (باب الزيادة) عن د. قتيبة الشهابي



(لوحة ٨) ظلة القبلة من الداخل عن على الطنطاوى

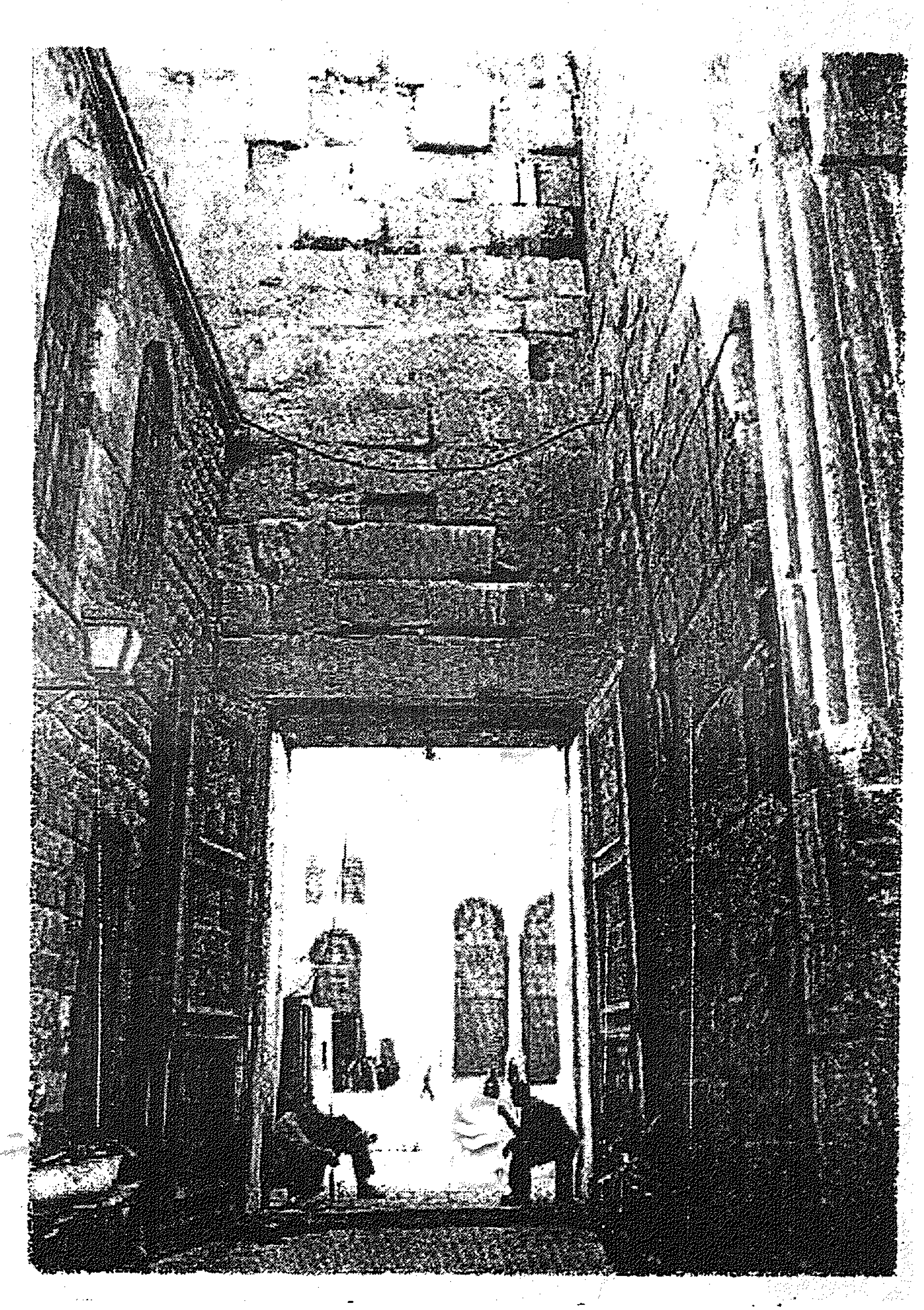


(لوحة ٩) المنبر والمحراب فى ظلة القبلة عن على الطنطاوى

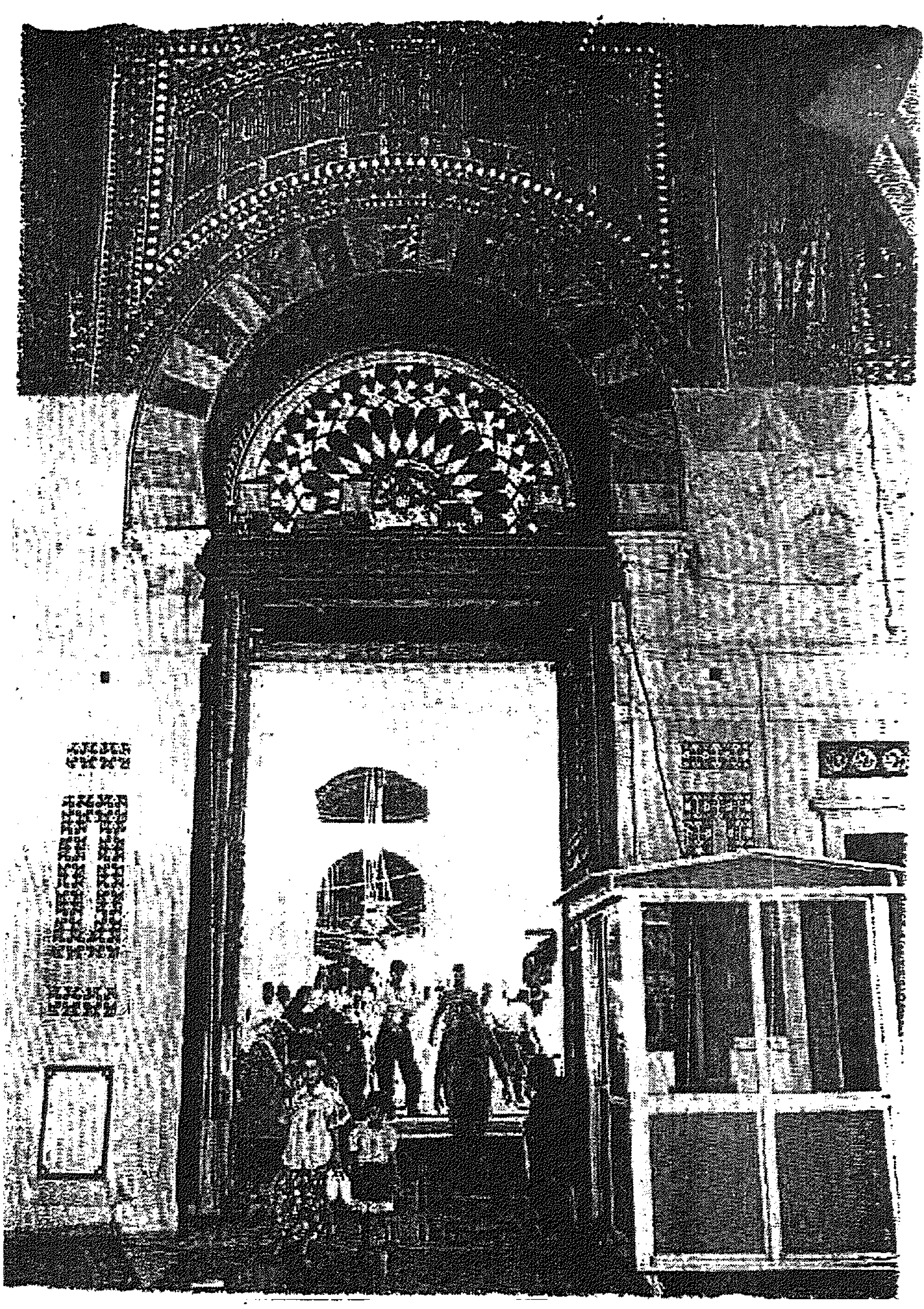


(لوحة ١٠) الظلة الغربية عن كريزويل

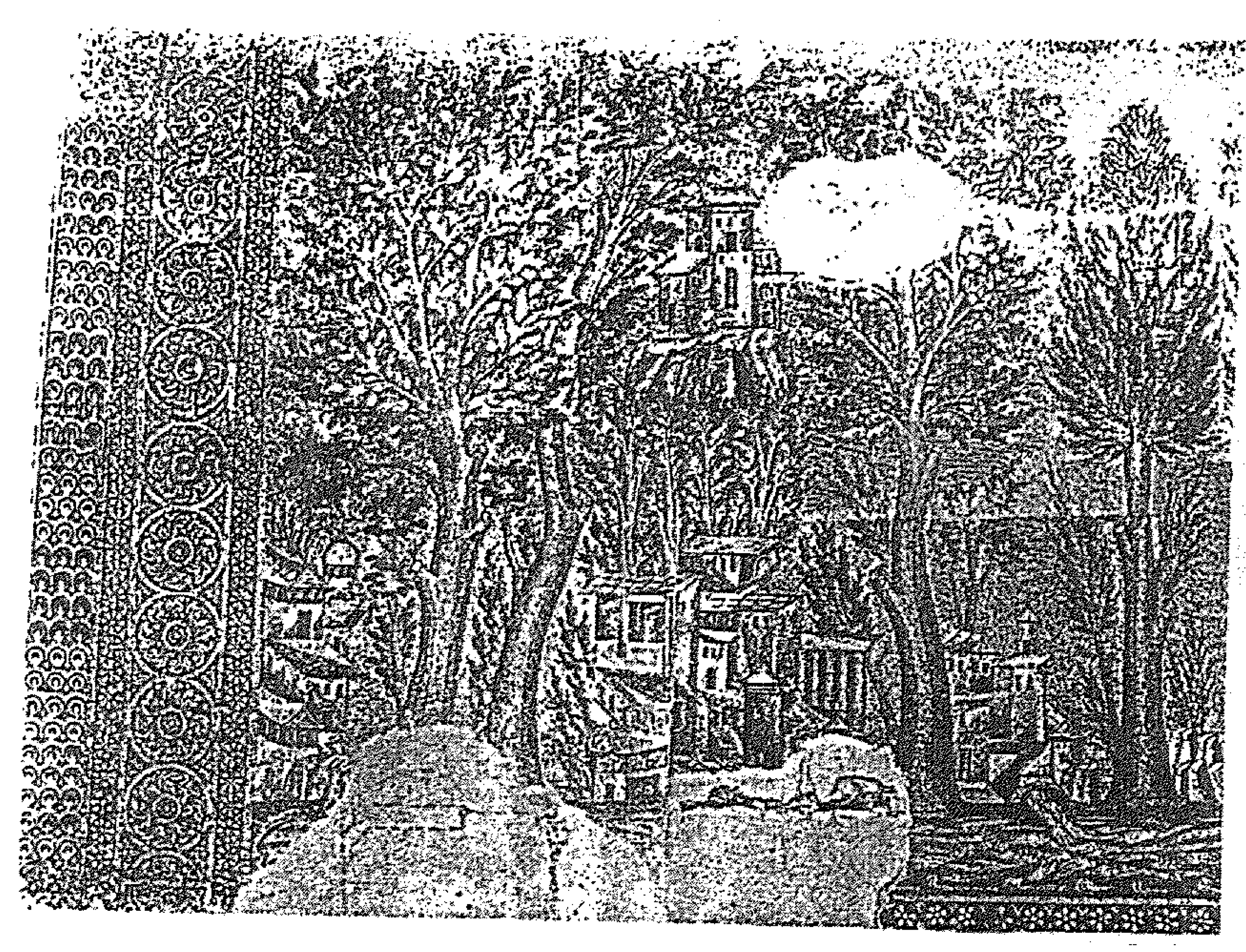
(لوحة ١١) الباب الشرقي المشرف على حي النوفرة عن د. قتيبة الشهابي



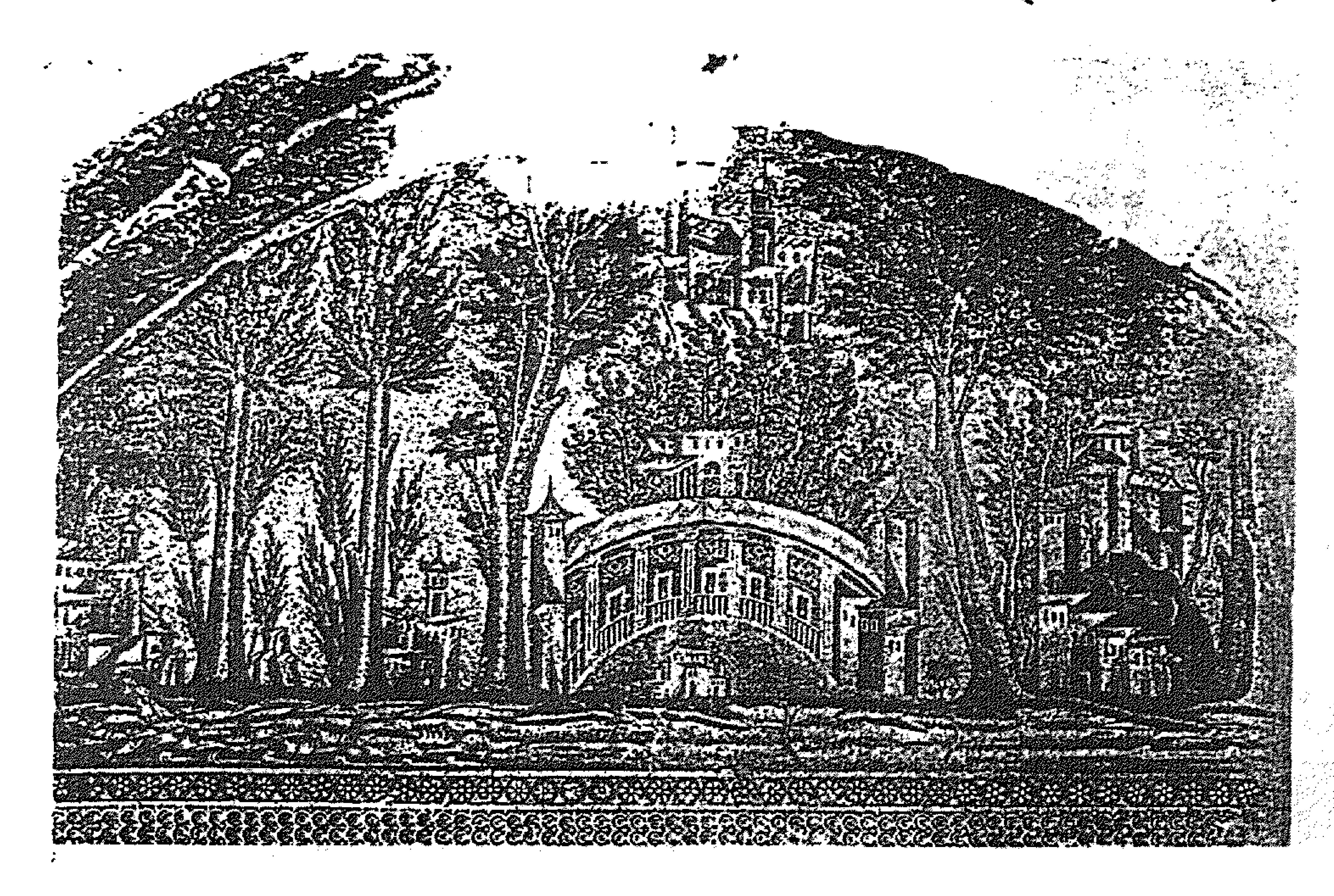
(لوحة ١٢) الباب الشمالي الذي يفتح في حجـ الكلاسة عن د. قتيبة الشهابي



(لوحة ١٣) الباب الغربي باتجاه سوق المسكية عن د. قتيبة الشهابي



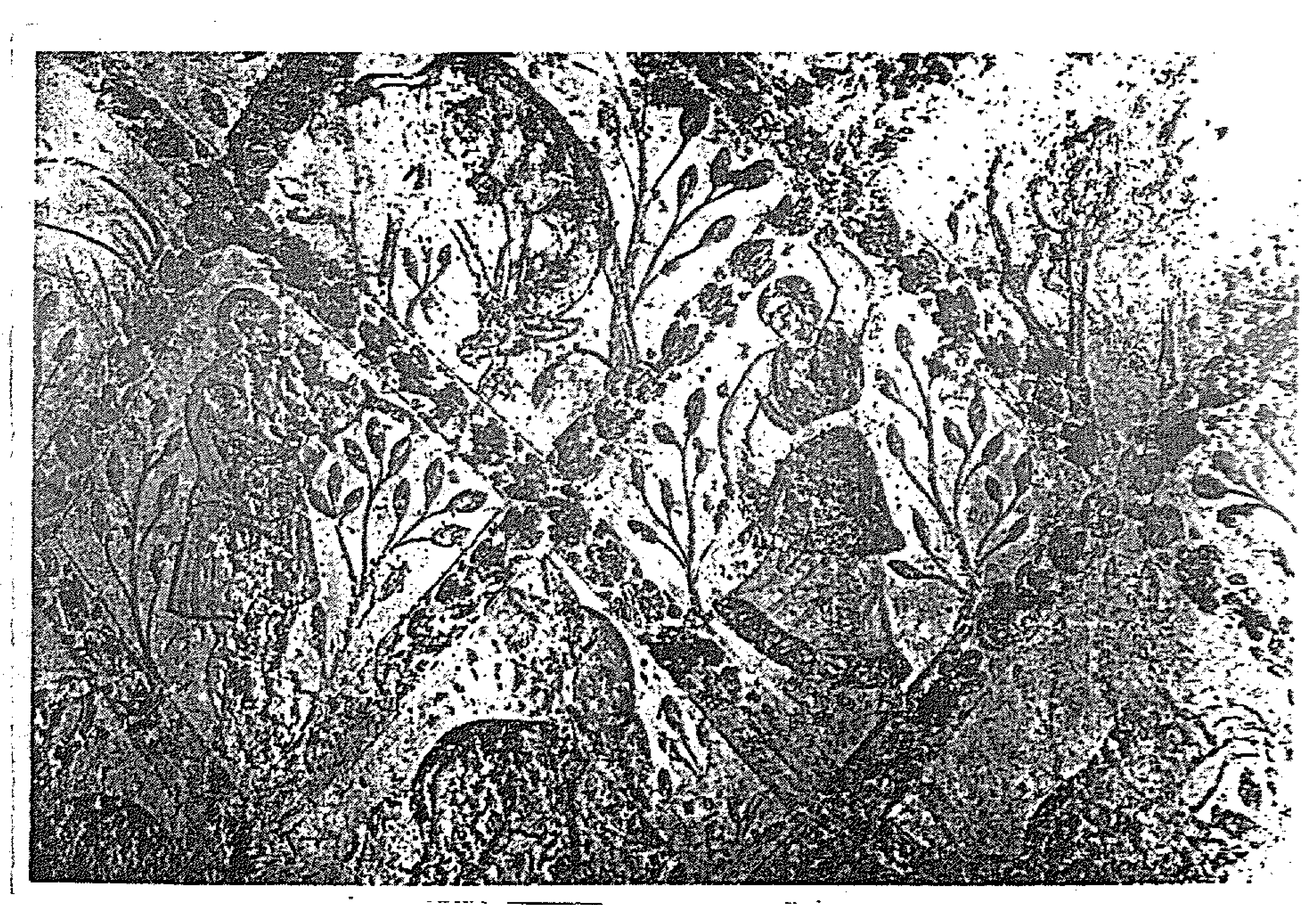
(لوحة ١٤) زخارف بالفسيفساء بالظلة الغربية عن كريزويل



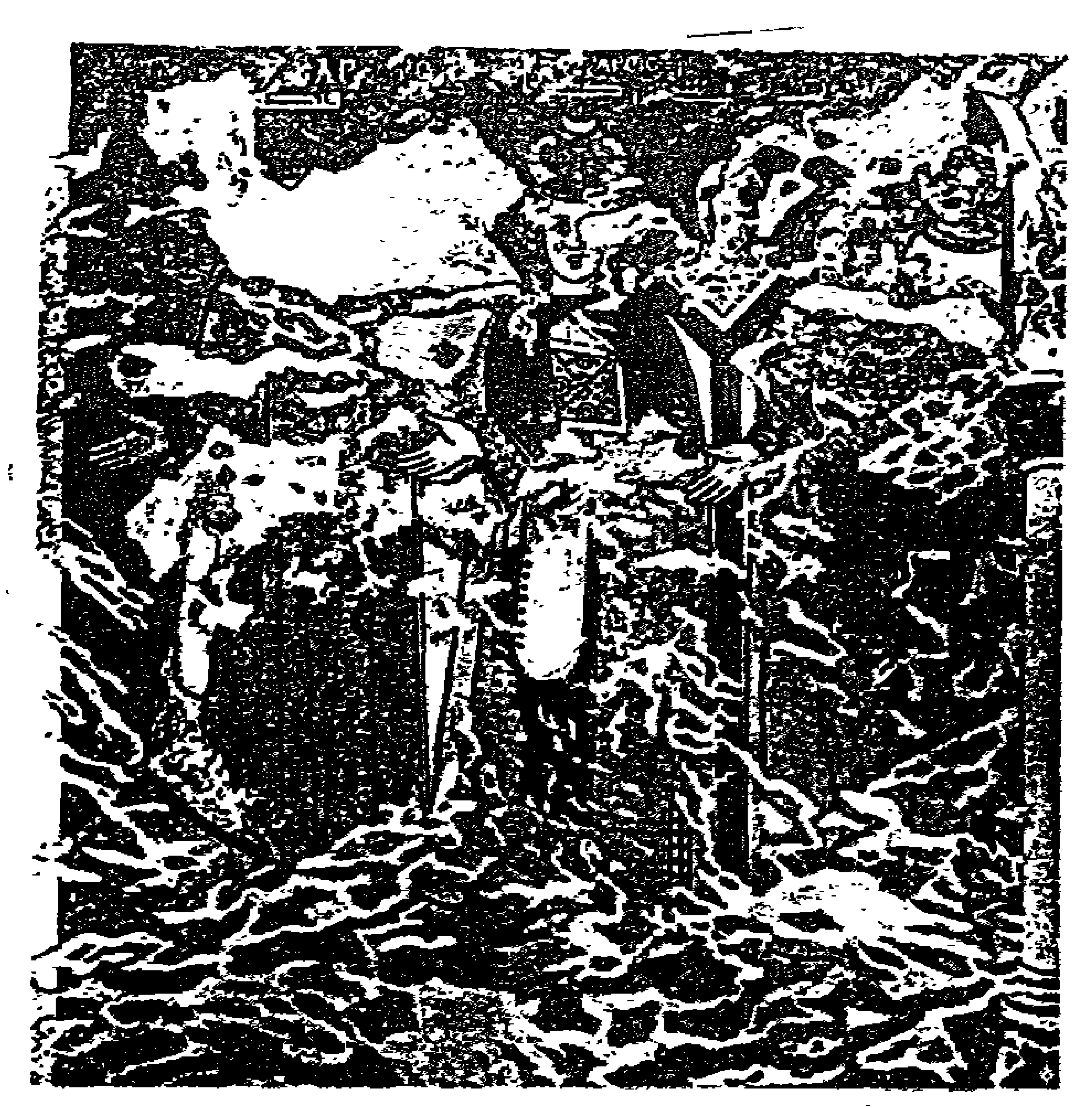
(لوحة ١٥) زخارف بالفسيفساء بالظلة الغربية عن كريزويل



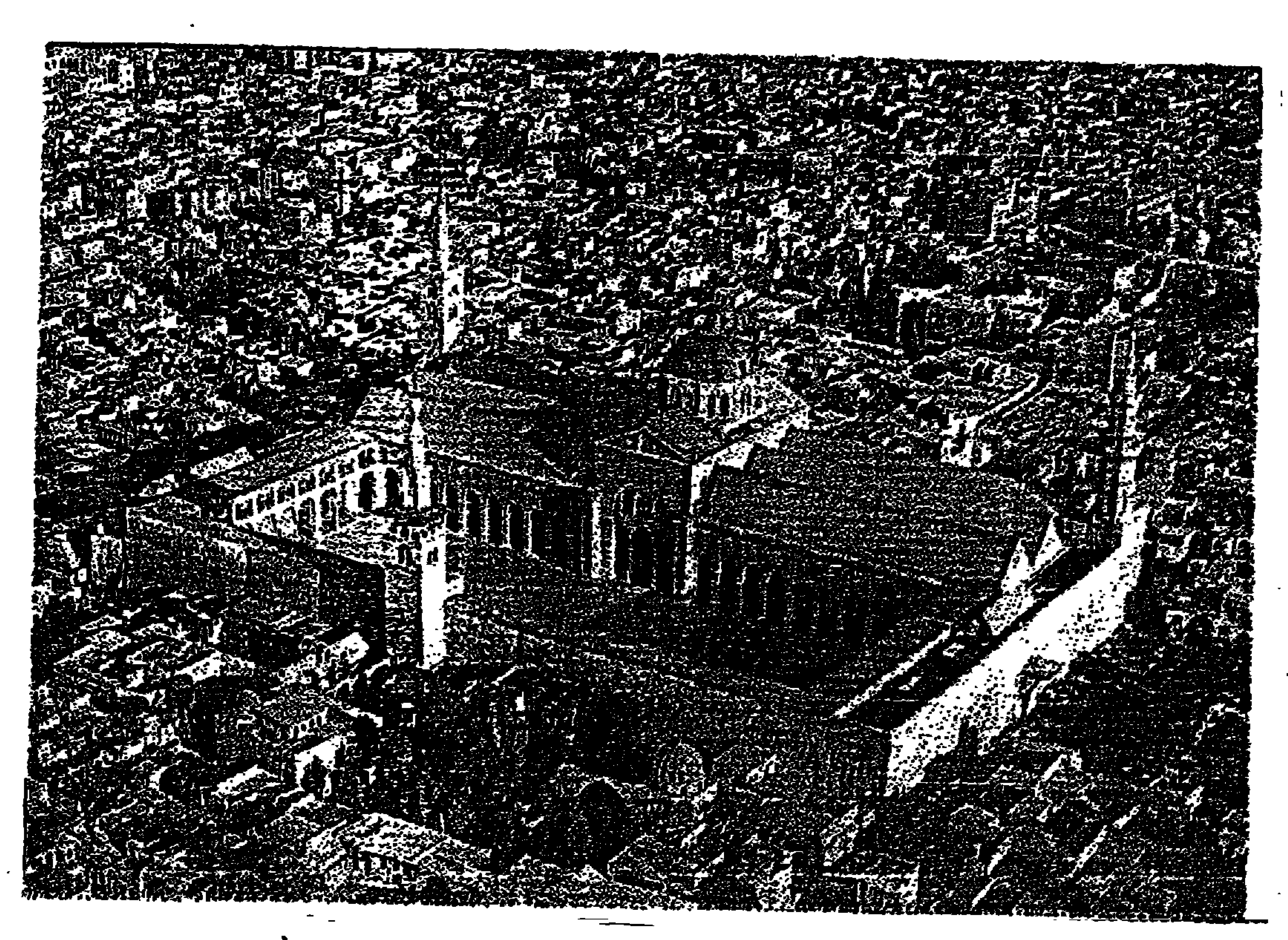
(لوحة ١٦) منظر عام لحمام قصير عمرة من الجهة الشمالية الغربية عن كريزويل



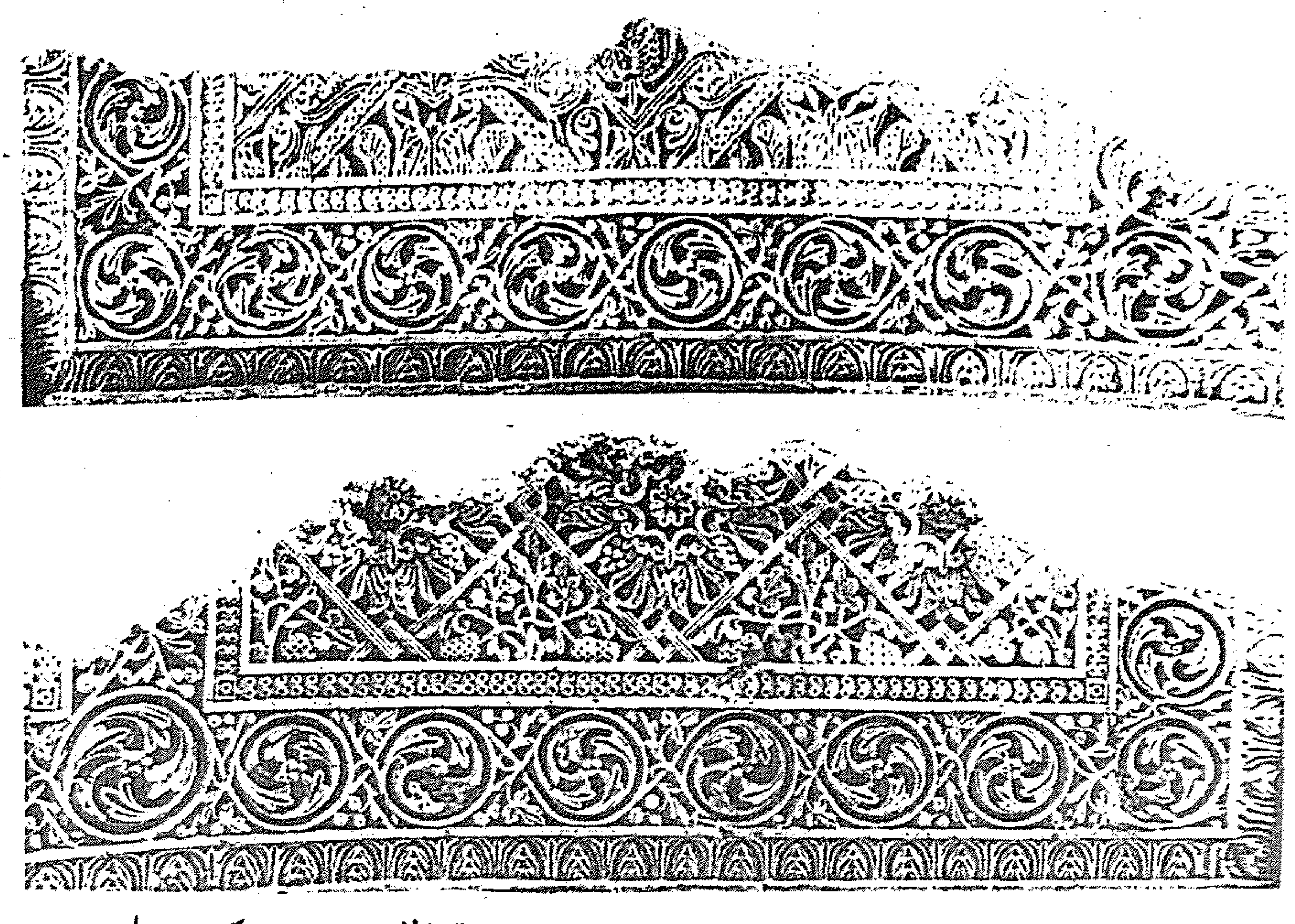
(لوحة ١٧) نقوش من حمام قصير عمرة عن كريزويل



(لوحة ١٨) صورة أعداء الإسلام عن كريزويل



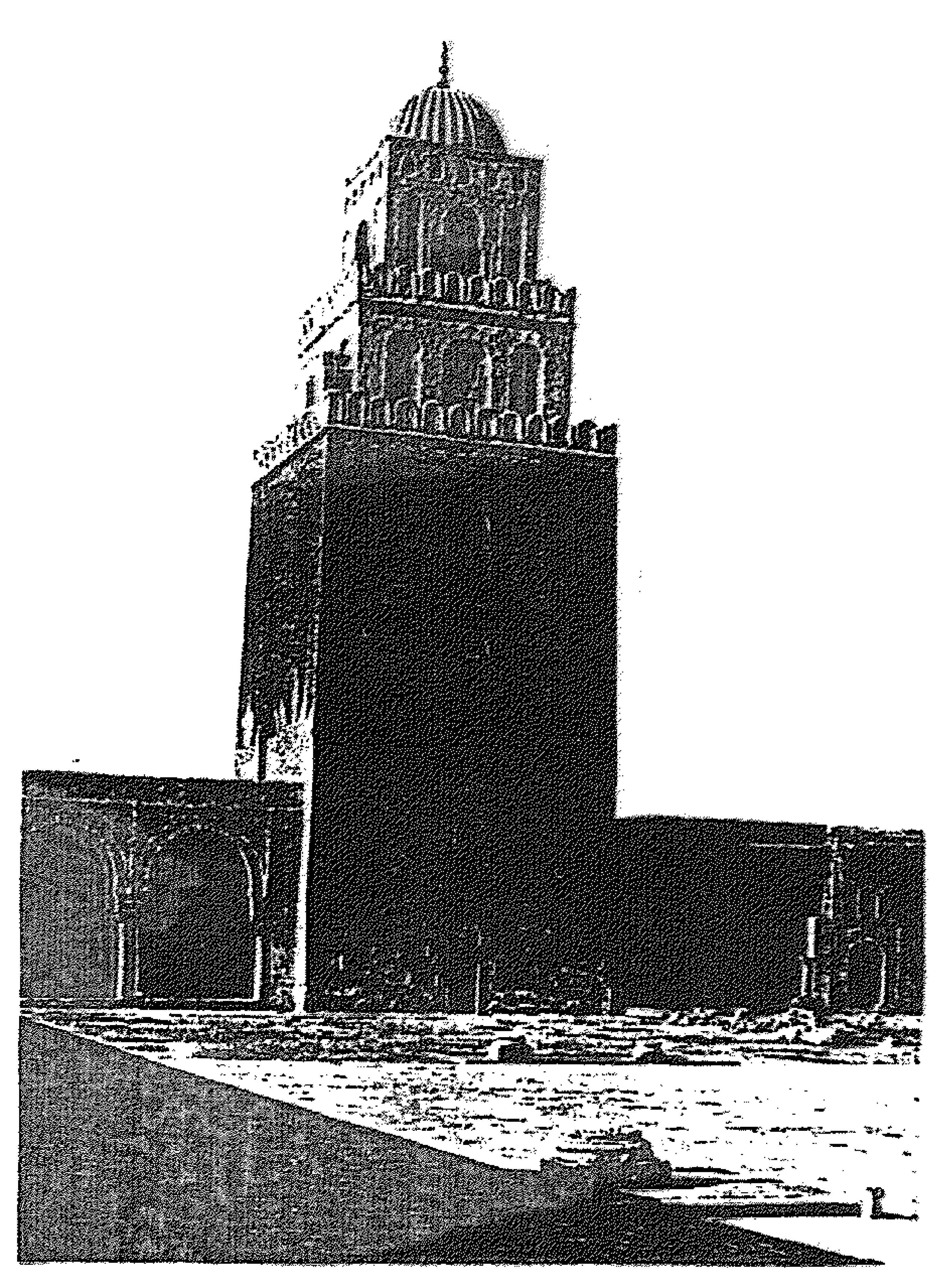
(لوحة ١٩) المسجد الجامع بحلب عن محمد كامل فارس



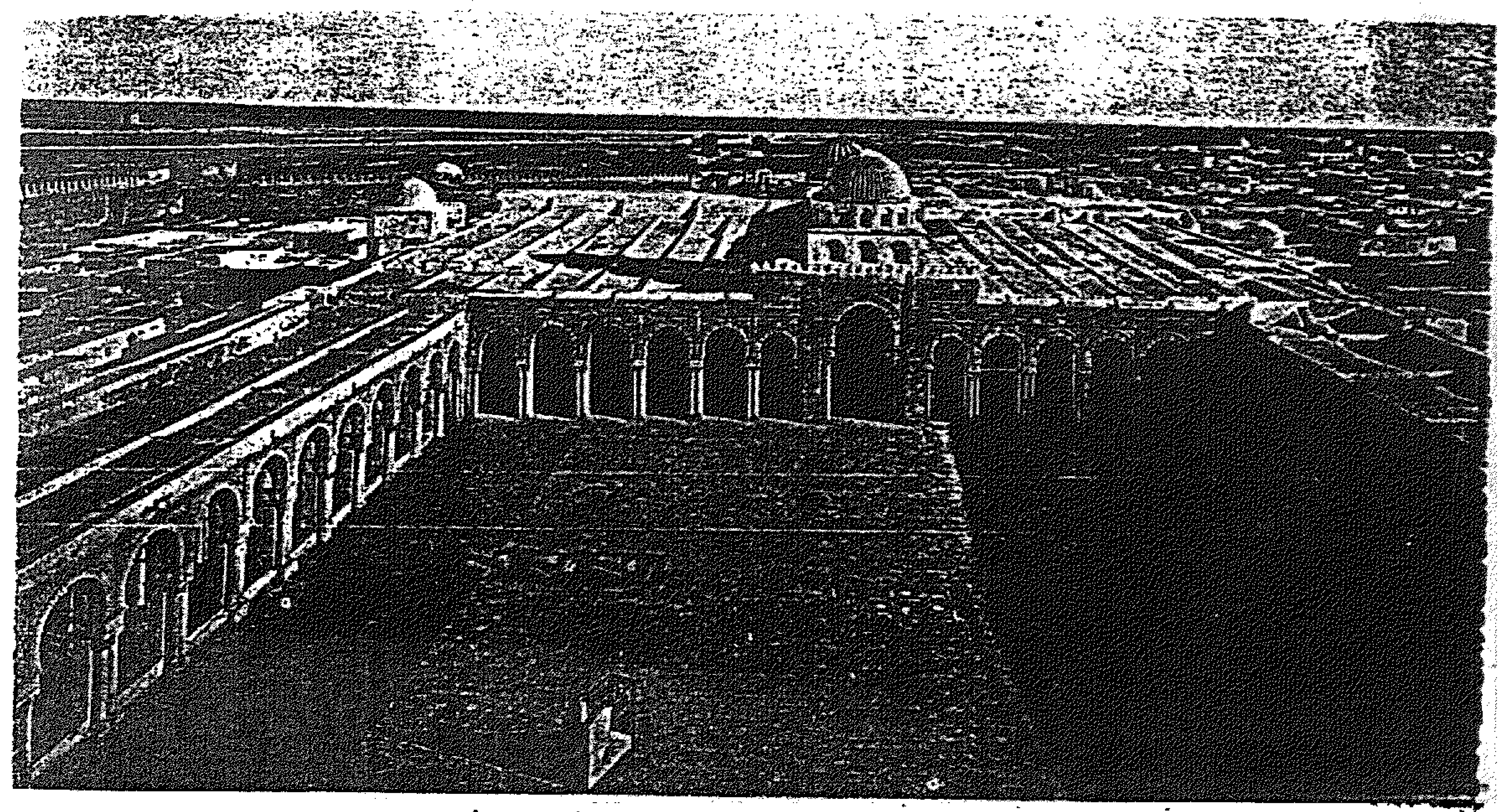
(لوحة ٢٠) رخارف جصية من قصر خربة المفجر عن كريزويل



(لوحة ٢١) زخارف الفسيفساء من قصر خربة المفجر عن كريزويل



(لوحة ٢٢) مئذنة جامع القيروان عن كريزويل



(لوحة ٢٣) جامع القيروان عن كريزويل

هذا الكتاب

الأمويون وآثارهم المعمارية في الشام والعراق والحجاز واليمن ومصر وأفريقيا

يتناول الآثار المعمارية الأموية الدينية والمدنية والحربية (الدفاعية) في بلاد الشام وكافة الأقطار التي خضعت للحكم الأموي، وهذا التناول كان وما يزال مثار إهتمام الدكتور/ عبدالله كامل موسى عبده بعد أن أصدر الكتابين السابقين علي نفس النمط في إطار موسوعة تتناول الفن المعماري الإسلامي عبر عصوره التاريخية المتعاقبة منذ السنة الأولي للهجرة النبوية حتي نهاية القرن التاسع عشر.

وقد جاءت فصول الكتاب الأربعة دراسة تاريخية وحضارية وأثرية لآثار الأمويين المعمارية في بلاد الشام والعراق والحجاز واليمن ومصر وأفريقيا، حيث اتبع المؤلف تقسيماً جغرافياً في عرض هذه الآثار، حيث نقل الأمويون مقر الخلافة الإسلامية من المدينة المنورة والكوفة إلي دمشق وبلاد الشام، كما أتبع منهجاً تاريخياً يتمثل في ذكر خلفاء الدولة الأموية حسب الترتيب التاريخي من جهة، وولاة مصر وأفريقية من جهة أخري، وهي الدراسة التي شملت فيها يتعلق بالجانب الأثري التخطيط والعناصر المعمارية والزخرفية وذلك لايضاح الموروث الفني والمؤثرات البيئية والتأثيرات الوافدة.